

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

النظام المالي الإسلامي في العصر
الأول للدولة العباسية والمقارنة
بالأنظمة الوضعية الحديثه
١٣٢٢هـ - ٢٣٢٢هـ - ١٧٤٩م - ١٨٤٧م

بحث الأستاذ
عبد الله جمعان سعيد السعدي
دولة قطر

رسالة
مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر - القاهرة لنيل درجة الدكتوراه

إشراف الأستاذ الدكتور
بدوي عبد اللطيف عوض
رئيس جامعة الأزهر سابقاً
المشرف المنتدب الأستاذ الدكتور
محمّد الطيّب النجار
رئيس جامعة الأزهر سابقاً
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِجَانِبِكَ لِلْعَالَمِينَ
مَا جَاءَنَا إِلَّا بِكَ أَنْتَ
الْعَلِيمُ الْكَاتِبُ
عَنْهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ
سورة البقرة ٢١

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

النظام المالي الإسلامي في العصر
الأول للدولة العباسية والمقارنة
بالأنظمة الوضعية الحديثه
١٣٢٢هـ - ٢٣٢٢هـ - ١٧٤٩م - ١٨٤٧م

بحث الأستاذ
عبد الله جمعان سعيد السعدي
دولة قطر

رسالة
مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر - القاهرة لنيل درجة الدكتوراه

إشراف الأستاذ الدكتور
بدوي عبد اللطيف عوض
رئيس جامعة الأزهر سابقاً
المشرف المنتدب الأستاذ الدكتور
محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر سابقاً
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا جَاءَنَا إِلَّا نَجْدٌ
وَالْعَالِيَةُ الْكَافِرَةُ
عَنْهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ
سورة البقرة ٢١

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي هدى إلى سواء السبيل ، علم الأيمان ما لم يعلم ، والعلاء والعلام على خاتم النبيين ، معلم البشرية ، وإمام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

من الله عليّ بشرف الانتساب ضمن الدارسين ، إلى أقدم جامعة إسلامية ، وأشرف مكان على وجه الأرض بعد المساجد الثلاثة ، جامعة الأزهر الشريف ، التي أضاء شمع نورها على جميع أنحاء الدنيا منذ أكثر من ألف سنة ، تخرج منها آلاف كثيرة من العلماء ورجال الاسلام ، نفع الله بهم ، وبعلمهم أينما حلّوا ، وغلغلو من الآثار ما لا يحصى حصراً ... فالحمد لله على ذلك .

وبعد فكم للإسلام في أتباعه من نفعات ، وكم له على أيديهم من معجزات ، تذهل الباحثين ، وتبهر الدارسين وتجعلهم يتوقون إلى المزيد ، ويتوقفون عندها متأملين فاحصين ، وخصوصاً إذا كان الحديث عن السياسة المالية في الاسلام ، وما أحرز المسلمون من سبق وتفوق في هذا المجال الذي يجذب انتباه الباحثين ويدعوهم إلى بحث أسبابها وتاريخها على مرّ القرون الأولى من الحكم الإسلامي لسي شتّى بطنع العالم .

فسياسة المال في الاسلام من أهم الموضوعات التي يتناولها الباحثون والمتخصصون للنظم الاقتصادية والحفارة الإسلامية في العصور المختلفة .

وقد حظي هذا الموضوع بقدر كبير من الدراسة المدققة ، بذل فيه الباحثون ما وسعهم من جهد ، محاولين استجلاء غوامضه ، واستيضاح جوانبه وتفسير ما بين

أيديهم من وثائق تاريخية ، قد يعارض بعضها بعضاً ، وهدفهم من ذلك الوصول إلى بناء كامل لهذا الجانب الأساسي في تاريخ الحضارة الإسلامية .

ومازال التاريخ الإسلامي إلى يومنا هذا في حاجة إلى بذل أعظم الجهود من أبناء الإسلام والعروبة ، ليُجْلَمَوه مما علق به من الرواسب والأباطيل التي هو منها براء ، ويَجْلُوه مما عسى أن يكون قد طمس محالعه وشر حقائقه ، من إفتراءات المغفلين ، وأقوال ذوي الشائعات المقرضين ، حتى يعلم أبنائه قيمته في صفاء ونقاء ، ويعرفوا منه الكثير عن أمجادهم وحضارتهم ، خاصة عن القرون الأولى عندما كثر الخوض في أمر الخلافة ، وولاية العهد ، وعلم الكلام ، وتعددت المذاهب والفرق ، عندما تمزق جسم الخلافة الإسلامية بانفصال بني أمية في الأندلس ، والأداسة العلويين في المغرب الأقصى وغيرهم ، ممن استقلوا ببعض الأقطار ، وصاروا أصحاب الحل والربط فيها ، دون الرجوع إلى خليفة بغداد الشرعي آنذاك ، وكثير حول تلك الحقبة وتلك الانفصالات وغيرها ، آراء المؤرخين ... ولهذا رغبت أن أكون أحد الباحثين في هذا الميدان الفسيح في قسم الدراسات العليا بجامعة الأزهر الشريف للتزود من تبعها الفياض .

والواقع أن الحضارة الإسلامية - بخلاف الحضارة الغربية - تقوم على أساس روحي تدعو الإنسان إلى تهذيب نفسه ، وتطهير قلبه ، وتنقية عقله بالمبادئ السامية التي تقوم على الإيمان بالله وبرسله ، وتدعو إلى المحبة والاخوة ، والبسر والتقوى ، والتعاون وعلى أساس هذه المبادئ نظم وينظم العالم الإسلامي حياته بخاصة ، والمالية والاقتصادية بخاصة .

ولهذا كثرت في الآونة الأخيرة الدعوات ، التي تنادي بالبحث عن نظم اقتصادي جديد ، يتلافى مشاكل الحضارة الوضعية القائمة .

وبدأ العالم العربي الإسلامي بهم بالدراسات الإسلامية ، وهي مقدمة —
الدراسات المتعلقة بسياسة المال في الإسلام في العصور الأولى .

وبالعودة إلى الدين الإسلامي والمطلوب في الحضارة الإسلامية يرى ممبلا لا يصب
من التشريع في مجال المال والاقتصاد ، والمرتكز على أسس أخلاقية قويمه ،
ومبادئ إنسانية سامية ، تُبهر الوصول إلى الحلول المتجابه ، والتي ترتاح إليها
صائغ المؤمنين .

إن المبادئ والأصول المالية التي وردت في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ،
وعمل الصحابة (رضوان الله عليهم) ، والمبادئ الاقتصادية في الدولتين لأمية ،
والعباسية ، والتي كانت تُطبق دون ظلم أو جور في تلك الفترة ، هي مبادئ وأصول
عامة ، ومن ثم وجب الوقوف في تطبيقها بما لا يخالف القرآن والسنة ، وأن يكون
هذا التطبيق ملائماً لظروف الزمان والمكان .

نذا كان على الباحثين في تاريخ سياسة المال في الدولة الإسلامية في عصورها
الأولى ، إبراز الحضارة المالية الإسلامية ، وما عرسته المؤرخون السابقون من آراء
حول فساد المال والاقتصاد ، ثم أن يحملوا جهودهم وفكرهم في الكشف عما لبي
الإسلام من مبادئ وأصول ونظريات وسوجهيات اقتصادية ، وكيفية تطبيقها على
واقعا الحاضر ، سياسة المال موضوع مهم جداً ، لتوضيح الساحة الاقتصادية
والمالية ، التي نعيشها وعاشتها بعض الديار الإسلامية .

وبالرغم من أهمية موضوع سياسة المال في الإسلام عامة وفي العصر العباسي
خاصة تاريخياً وحضارة ، ومطلوبة هذا النظام المالي الإسلامي بالأنظمة الوعيرة
الحديثة ، إلا أنها لم تلق العناية الكافية من الباحثين ، الأمر الذي جعلني أخسر
موضوع سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) للحصول

على درجة الماجستير ، وجعلني أياً اختر موضوع النظام المالي الإسلامي في العصر الأول للدولة العباسية ليكون موضوعاً للحصول بإذن الله على درجة الدكتور ، فسي التاريخ ولحصارة ، لعلني بهذا البحث والتعليل المتواضع ، أكون قد أسهمت في سدّ بعض النقص في المكتبة العربية بعامة والتاريخية بخاصة ، والتي نكاد نخلو من الدراسات العلمية الموثوقة للنظام المالي الإسلامي في العصر الأول للدولة العباسية ، وأكون قد وصفت علامة واضحة وحليّة على الطريق ، لدراسات مستفيدة .
تعطي المزيد من هذا الموضوع .

ولمضي اخترب هذا الموضوع لهما لأسباب أخرى منها .
أن البحث عن النظام المالي الإسلامي في العصر الأول للدولة العباسية يسي واضح المعالم في كتب محددة ، وإنما هو متناثر في كتب التاريخ وأشكاله والحديث والتبر والاجتماع والسياسة والإدارة ، فقد نجد إجراء بدراسة أو دراسة في مثل كتاب (شرح البلدان للبلاذري) كما نجد بعض الأنظمة المالية وتاريخها عند مؤرخ الحوليات " أبو جعفر محمد بن جرير الطبري " المؤرخ المفسر ، (المتوفى سنة ٢٦٠ هـ) ويتضح نطاق البحث ليشمل لغزات قوة الحكم الإسلامي ووجدته في العصر الأول للدولة العباسية ، وكذلك فترة التفكير والنصف التي أدت إلى بعض النتائج المؤلمة ، وكل هذه الأمور تُشرق بالباحث وتُمرّب به ، وسأر فيها آراء المؤرخين قديما وحديثا ، ويتأكد حوسا الجدول ويحتدم المقاتي .

ومادام يقتضون أن يقول الباحث الحقيقة كل الحقيقة ، ويعترض فيه أن يكون قاصيا وليس مجاميا ، لا يأخذ في الحق لومه لائم ، ولا ينسحب العواطف إلى قلبه ، فتغد عليه حياته في أثناء بحثه ، لذا فقد كانت كل هذه الأمور مصحّبة عيني ، طالبا من الله العون والتوفيق .

ولعلني أخبرت هذا الموضوع ، لأنه طريف وشائق ، ولأنه يتضمن بالنظر في
الاقتصادية والاحصائية ، حيث أن الحياة المالية هي الحياة التي ينبعها
الحكومات في شأن تحميل الإيرادات العامة ، والتي تُعطي نفقات الدولة ، ثم تُبَيِّن
لخصوم الإسلام ودعاة العمود من المسلمين ، حقائقاً رئيسية من جوانب ضرورة
الإسلام ، التي لو انتظمت حياة العالم اليوم لمعدب الإنسانية ، وعولجت أزمائمه
ومشاكله على هدي نورها .

وما يعني هذا إلا خطوات على الطريق ، لمن أراد الاستزادة والتعمُّق على
النظام المالي الإسلامي في العصور الأولى للدولة الإسلامية ، وما كانت تحتويه من
نظم مالية متعددة كالخراج والجزية والزكاة والخصائص وبعض الضرائب الأخرى ، وأرجو
بذلك أن يكون قد توصلنا إلى مدى دقة النظام المالي في تلك الفترة ، وعلمنا
عدالته ، وعميق تفهمه لحاجات المجتمع وضرورة حماية أفرادهِ .

هذا وقد اشتملت الرسالة على جانبين هامين هما :

- أ - الموارد التي تستلزمها الدولة العباسية مثولتها المالية .
- ب - المصارف والنفقات المالية للدولة العباسية في عصورها الأولى .

والذي يتعامل الجانبين المولود والمصرف تكون الدولة في حالة من الاستقرار
والازدهار أما إذا زادت المصروفات عن الإيرادات ، فإنَّ على الدولة أن تبحث عن
وسائل أخرى مشروعة لزيادة دخلها ، حتى تتعادل مع مصروفاتها ، وكلما زادت
إيرادات الدولة عن مصروفاتها ، توفَّر لها الاستقرار السياسي والاجتماعي وغيرها ،
ولازدهرت حياتها ومكانتها بين الدول ، وما يتبع ذلك من نتائج طيبة .

وسأل سائلاً لماذا كثفت الرسالة في العصر الأول للدولة العباسية ؟
ذلك لأنَّ الدولة العباسية في تلك الفترة كانت من الدول القوية العظيمة ، جديده

الأثر ، ذات التاريخ الحافل ، وكان العصر الأول منها عصر القوة والنفوذ والسمعة والسودين والبرجعة ، عهد العبي والأباطيل البحرية ، والفتوحات ، ولما كان الأمر كذلك فقد مالت نفسي في شوق ولهفة ولزنيح للبحث في تلك الحفنة و لأن هذا الموضوع يعتبر إكمالاً لموضوع رساله الماجستير ، والذي كان عن طرء حكم الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

وقد انتجبت في هذه الدراسة المستفيضة ، والبحث العميق نهجاً جديداً ، لعله يسير الطريق أمام بعض المشتغلين بالنظم الإسلامية في القرون الأولى من الحكم الإسلامي بحاصه ، والحصاره والتاريخ الإسلامي بعائ والفعل في ذلك يرجع إلى صعوبة النه وتوفيقه ، ثم إلى توحيدات ولزخادات بعض السادة الأسادة ، وقصيلة الأستاذ الدكتور بدوي عبداللطيف عوص الذي تفعل مشكوراً بالاشرافه على هذا البحث ، وسجنني منه بصفة دائمة حسن الخلق ، ورعايه صدر ، وطول بال ، وطلاقة وجه ، وحلاوة لسان ، وغرارة علم ، وإصابة قول ، وسلامة منطق ، وسداد رأي ، وجميل رعايه ، حتى كنت متى وثين قابليته أفادني ، أو فرأت عليه أرشدي ، أو تأخرت عني لقائه عاتبني ، حرصاً على صلحتي ، وذلك دأبه مع كافة أبنائه الدارسين عليه ، فأنعم به من مربي فاضل ، وأب بار .

ولعل ليما تقدم من الموامل ما يكفي لتوضيح اختياري لهذا الموضوع نسدي جعلت عنوانه :

" النظام المالي الإسلامي في العصر الأول للدولة العباسية " .

أما عن هدف البحث ، فهو يهدف إلى تجلية الحصوص حول دور البهمة المعمارية ، وخصوصاً في بابي الإيرادات والمققات الماليه في العصر الأول للدولة العباسية ، وأسباب الانتعاش الاقتصادي في تلك الفترة ، مما أدى إلى إتساع رقعه الدولة الإسلامية وإزدهارها وبشر الإسلام في أرحاء مختلفه من العالم وبما يهدف إليه البحث أيما الوصول إلى أسباب جديدة للمهمة الحضرية والاجتماعية والسياسية

التي أحررها المسلمون في تلك الفترة ، والمحرف على عناصر جديدة ماعصدت بمشاركها على تحقيق الازدهار والرخاء ، والاستقرار المالي وغير ذلك مما سُمِعَ فيما بعد في فصول الرسالة إن شاء الله عما جعل الخليفة العباسي هارون الرشيد يقول لسحابة ينظر إليها وهو مستلق على قهقهة : امطري حيث شئت فإن خراجك سيأتي .

أما منهج البحث فيقوم على تتبع الحوادث وتحليلها ، للوصول إلى نتائج وتفسيرات تُعين على فهم هذه الحقائق التاريخية ، والنظرة الموسوعية والبعيد من المراقب الأحرار ، وعدم التعصب إلا للحق .

هذا ومما صادف البحث من صعوبات ، انعدام ما يتعلق بالموضوع من وثائق رسمية ، مما جعل أعضاء الباحث على المصنّفات التاريخية ، وهذه المصنّفات على قلتها ، نجد اختلافاً بينها فيما يتعلق بتاريخ بعض الموارد أو تفاصيلها ، ولقد أمكن التغلب على ذلك بملاحظة صلة المؤرخ بالحوادث زمانها ومكانها ، واتصال الحوادث مع السرد التاريخي ، وفكروا المحيطة ، كما أنّ بعض المصادر اشتملت في المبالغة عند ذكرها لبعض الحوادث ، خاصة فيما يتعلق بإيرادات بعض الموارد كالخراج ، والجزية ، والجزية والمشر والموارث ، والمصادر ، والفتاوى ونسبي الخ.

وقد أثبت ما يراه العقل والمنطق مقبولاً ، وما هدف إليه المؤرخ على وجه العموم ، ومن الصعوبات التي صادفها البحث سكوت المصادر العربية من ذكر بعض الحوادث الهامة في هذه الفترة ١٢٢ هـ - ١٢٢ هـ أو الإشارة إليها إشارة مقتضية لتبغضي الغليل ، وقد أمكن بحمد الله التغلب على هذه الصعوبات بالرجوع إلى المصادر الأخرى وإلى الكتب المختلفة المترجمة وغير المترجمة إلى العربية . ومما صادف البحث من صعوبات أيضاً ما شاب كتابات بعض المؤرخين المسلمين وغيرهم ، من اتجاهات سياسية وعنصرية احتاجت إلى المقارنة ، والتثبت في أكثر من مصدر ، وكذلك انتشار المعلومات المتعلقة بالموضوع ، وتفرقها في المصادر القديمة والمراجع الحديثة .

هذا وقد قُسمت هذه الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وحاشية وكسر
باب يشتمل على عدة فصول .

أما المقدمة : فقد بيّنت فيها أهمية هذا البحث ، والداعي لاختياره
وتحديد رمها بالمعنى الأول للدولة العمالية ، وأشرت فيها أيضا إلى
الوضع المالي في الدولة الإسلامية ، والنظريات التي استجّدت عنه في العهد الأول
بخطافة العمالية ، ثم بيّنت الهدف من هذا البحث ، ومنهج الدراسة المتبع
فيه ، وأشرت إلى الجهد الذي بذل في جمع المادة العلمية ، والصحوبات التي
لاقيتها في سبيل ذلك من سفر وإرتحال من قطر إلى آخر للإطلاع على المراجع
في المكتبات المختلفة ومكتبات بعض شخصيات العلماء المعروفين في أنحاء مختلفة
من العالم العربي والإسلامي ، ولقيت ببيان تفصيل هذا البحث وأهم المصادر الأساسية
التي عتمدت عليها ، ثم أشرت أهمراً إلى الفناشع التي توّلت إنبها في هذه
الدراسة .

وفي التمهيد : تكلمت بإيجاز عن الصبغة المالية في عهد بني أموية
كمدخل للموضوع ، وكيف تطورت الدواوين في تلك الفترة وتحدثت باختصار عن
مصادر بيت المال ، ومعارف بيت المال والشكة الإسلامية وأهم الدواوين ، كديوان
بجند والمطاه ، وديوان الرسائل ، وديوان الخاتم .

وكيف ساهم الخليفة عبد الملك بن مروان وابنته الوليد بن عبد الملك ، في
تعريب الدواوين التي كانت تكتب بالفارسية والرومية " النيمانية " أو القبطية
عفي عهد الخليفة العظيم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان
ديوان الرسائل وديوان الخند بالعربية وبعض الدواوين الأخرى كانت تكتب بالعربية
والفارسية في آن واحد ، أو بالعربية والرومية أو بالعربية والقبطية . وقد عثرت
هذه الدواوين جميعها في الدولة الإسلامية ثم تمّ تعريبها إلى اللغة العربية في

عهد الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥ هـ - ٨٦ هـ) بعد انتساع رقعة دولته الإسلامية ، ورغبة الخليفة في أن يتمكن من مراقبة السجلات وأن يشرف بمعهديه على شئون الدولة ، ومزعهه العربية ، ورغيفه في ميع الدولة بالمبعه العربيه ، لأن السعه العربيه هي لغة الاسلام . وبها مرل القرآن الكريم .

ولما كان الطراز ^(١) والنقد والقراطيس لها حله مباشره بالتعريب وتعتبر من مكملات حركة التعريب ، لذا فقد تم تعريبها .

ولد خصصت الباب الأول لموارد الدولة الإسلامية في المحر الأول لدولته الحباسية ، وقسمته إلى ستة فصول .

ففي الفصل الأول : أشرت فيه إلى مورد الركاة فهي الركن الاجتماعي البارز من أركان الاسلام ، وأول تشريع مساوي إسلامي ، فرض على أموال أغنياء المسلمين ، لنأخذ منهم ، وترد إلى الفقراء ، بحسب أنصبتها المعروفة ، في أبواب الفقه الإسلامي في الزروع والشمار ، والذهب والفضة ، وعروض التجارة والمائنة ، سيكون هناك نوع من النضامن والتكافل الاجتماعي ، والمحبة والألفة بين الأنبياء والمفقرو . فالركاة تكليف يشمل بالمال ، والمال كما يقولون عصب الحياه ، في كل عصبور فمن الناس سعيد بالمال ، وسهم علفي به ، وهذه سنة الله في حيفه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، والله سبحانه وسألى بقول في كتابه العزيز " من قسما بهم مديشتهم في الحياه الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات " ^(٢)

(١) الطراز : قديم في الدول من عهد الفرس والروم ، وهو أن ترسم أسماء الملوك أو علامات يختص بهم ، في طراز أنوابهم المعدة للباسهم ، من الحرير أو الذهب أو الأبريسم ، تعتبر كناية حطها في مسح الثوب إلحاشا وسدى بخيط الذهب أو ما يحالف لون الثوب من الخيوط الملونة ، من غير الذهب على ما يحيكه الصانع في تقدير ذلك ، ووضعه في صاعه لجبههم بلذاته على أن لا يلبسها من أهل الدولة من السلطان وما دونه ، كما جاء في مقدمة ابن خلدون في فصل (في ثروات الملك والسلطان الخاصة به " الطراز") .
صفحة ٢١ .

(٢) القرآن الكريم من سورة الزحرف آية ٢٢ .

ويقول أيضا " والله قَلَّ بعثكم على بعض في الرق " ^(١) ونظراً لعمالة
لعمال من أثر في حياة الناس والدول ، فقد اعتمدت الدولة الإسلامية العباسية بأسرها
أشد العنصرية ، وقضت بمورد الزكاة غاية الاهتمام وطبقت ما جاء به الإسلام
بشأن هذا المورد من نظام دقيق حكيم رحيم ، بؤلف بين القلوب ، وبفارت بهن
الطبقات .

وبدا ما حرصت الأمة وولات الأمر فيها في تطبيق حريصة الزكاة وكما أمر
الله برسوله ، وفعل المجاهد (رضوان الله عليهم) بحيث لا يخل غني عن إخراج
حق الله في ماله طوعاً واعتباراً ، ورغبة في طاعة ربه جل وعلا ، عديت تخلف
عدة الفقر ، وتقل حوادثه المروعة التي تقع في بعض المجتمعات ، مثل جرائم
الاعتداءات والسرقات المتكررة ، وحوادث الطل ، التي يرتكبها المحرومون ،
الذين يدهم الفوارق الاجتماعية الكبيرة ، بينهم وبين الأغنياء ، إذ يرون أن
الأغنياء قوم مترفون ، تجري الحيرات والنعم بين أيديهم ، وهم ميسر محرومون ،
وعسا ساعدون ، ويغاسون شقاء كمبراً من الحوج والتفرد والحرمان وكثيراً مما
يحملهم ذلك على الجريمة .

والإسلام حين يقرر لهذه الطوائف المذكورة في القرآن الكريم حطباً مسمي
الزكاة ، لا يقره إلا بعد أن تستنفذ هذه الطوائف وسائلها الخاصة في الارتقاء
فلا يستحق من باب الزكاة إلا من نصت عليهم الآية . لأنه حريص على الكرامة
الإنسانية ، فمن الزبير بن العوام (رضي الله عنه) عن النبي " يلى الله عليه
وسلم " قال (لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيأني بحرمه من الخطب على نفسه ،
فيبيها ، فيكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو سدوه) ^(٢) .
فالزكاة أدأ وقاية اجتماعية ، وممان للمحاجر الذي يبدل كن ما في وضعه

(١) القرآن الكريم من سورة المجل آية (٧١) .

(٢) بلوغ المرام من أدلة الأحكام صفحة ١١٦ .

وجيده ، ثم لا يجد ، أو يجد مجرد الكفاف أو دون الكفاف ، وذلك بمسبي أو
الاملام يحرم على أن يعمل الفرد بما في طاقته ، ولا يرتكن على الإعانة الاجتماعية ،
فيعطل ، فالزكاة تعمل على إعانة الفقير بما يجد حاجته ، وتدفع عنه وطأة العوز ،
وتقلل الضرورة ، وتيسر له حياة مريحة ، وعيشة كريمة .

والزكاة بهذا الوصف هي الحد الأدنى المفروض في الأموال ، حين لا تحتاج
الجماعة إلى غير حمولة الزكاة ، فأما حين لا تفي الزكاة بحاجات الأصناف ، الضمانية
المذكورة في الآية الكريمة في قوله تعالى " إنما الصدقات للفقراء والمساكين ..
الآية " ^(١) فالإسلام يبيح لولي الأمر سلطات واسعة ، لتوكيف في رؤوس الأموال ،
أي الأخذ منها بغير مظلوم ، في الحدود اللازمة للإصلاح ، ومنع الضرر ، ورفع
الخرج ، وصيانة المصلحة العامة ، ويصبح ما يفرضه ولي الأمر ، عند الحاجة إليه ،
حلاً مشروعاً ، موكولاً إلى مصلحة الأمة ، وعدالة الحاكم ، وفقاً لمبدأ
" المصلح المصلحة وسد الدرائع " وقد قال عليه الصلاة والسلام ،
" إن في الأموال حلقاً سوى الزكاة " .

وفي العصر الأول للدولة الصليبية عالج المشرعون والفقهاء لاسلاميون شئون
الزكاة وأطلقوا عليها " المدة المفروضة " ^(٢) مبهراً لها عن المدة الاخنيارية
التي لا يجبر المواطن على دفعها ، وكانت أموال الزكاة تجمع في يادي الأمر لسي
بيت المال ضمن الإيرادات الأخرى ، ولكن روي بعد ذلك أن يفرد لها حصة
خاصة بها . وأصبح لها عمال يقومون بجمعها ، ووجد في كل بلد خزانة لركائنها ،
ينقل منها الوالي أو الحاكم على المواحي المحددة لها ، وقد حدث ذلك التعديل
في عهد الخليفة هارون الرشيد بناء على موصحة أبي يوسف القاضي ، لأنه رأى
أن الزكاة يجب أن تنفق في الوجوه التي حددها القرآن الكريم ، أما الخراج فينفق
لعلاج جميع المسلمين .

(١) القرآن الكريم من سورة التوبة آية ٦٠ .

(٢) وقد ذكر الامطحري المالک والممالک : ص ٩٤ أن بيت مال إفلیم مارس كانت الصدقات من أهم موارده ، التي تعتبر الدولة مسئولة عن جمعها .

وفي العصر الأول للدولة العباسية كان على عامل الزكاة أن يكون رائدًا في العدالة في معاملة الناس ، فلا يأخذ حيز ما يملكونه في حصة الزكاة ، بل يأخذ المتوسط منها ، كما كان عليه ألا ينقل مال الزكاة من بلد لآخر ، أو يُعطيها قبل أن يحول عليه الحول كما أمر الإسلام ^(١) وعملاً عن ذلك فإنه كان على عامل الزكاة أن يُجبي أموالها من الممتلكات الظاهرة ، بعد أن يقف على قيمتها الحقيقية ^(٢) ، وأن يحقق في الشكاوى التي يقدمها الناس من تصرفات أعوانه ^(٣) .

وفي العصر الأول للدولة العباسية اختلف وضع عمال الزكاة ، فكانت روايتهم من مال الزكاة ينسب تحقق مع مقدار المال المجموع منها ، حتى لا تستهلك روايتهم المال كله أو أغلبه ، وكان بعضهم عمال تنفيذ ، والبعض الآخر عمال نفوس ^(٤) . وسنرى تفصيل ذلك في الفصل الأول من الباب الأول من الرسالة في شاء الله تعالى .

أما في الفصل الثاني فقد تعرضت لمورد الجزية

وهي الجزية المفروضة على رؤس أهل الدمة ، ولما كان على المسلم مربية الجهاد في سبيل الله ، والزكاة لحماية المجتمع ، ولما كانت الزكاة عبادة إسلامية خاصة ، عدا كونها مربية مالية ، ولما كان الفرد غير المسلم يستمتع بالأمم والحماية الداخلية والخارجية في ظل الدولة الإسلامية ، لما كان الأمر كذلك ، وجب عدلاً أن يساهم أهل الدمة في خدمة الدولة بالمال ، فتؤخذ منهم مربية مالية هي جزية في صورة " زكاة " مستعمراً في تقديرها إلى مربية الدم النحسي لا يؤدبها ، لا المسلم .

(١) الأحكام السلطانية : الفراء ، صفحة ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) الأحكام السلطانية : الفراء ، صفحة ١١٥ .

(٣) الأحكام السلطانية : الفراء ، صفحة ١١٦ .

(٤) كتاب الخراج - أبي يوسف ، صفحة ٨٧ وجه ٢ (وإنما ينبغي أن يتمموا للمدقة أهل العفاف والحلاح ، فإذا وليها رجلاً ، ووجه من قبله من يوتق بدينه وأمانته ، أحرقت عليهم من خرزق بقدر ما توى . ولا تُحرق عليهم ما يستعرق أكثر المدقة) .

(٥) الأحكام السلطانية والولايات الدينية - الماوردي - صفحة ١٢١ . وكذلك في الأحكام السلطانية : الفراء ، صفحة ٣٠٢ .

وبراعى الرفق في جباية الجزية من أهل الذمة ، وفي العصر الأول للدولة العباسية العباسية ، أشار القاضي أبو يوسف على الخليفة هارون الرشيد بأن يخاص أهل الحرية باللطف ، وأن يعثوا عليهم ^(١) حتى يدفعوا ما عليهم ، وأجاز أبو يوسف أن تجمع الجزية من عبدة الأوثان والميراث والصبيحة والسمرة ، وكان بعضهم معقون من أداء الجزية قبل ذلك . ^(٢)

وحصل العمل الثالث لمربيه الخراج ، التي فرضت في عهد الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما انتقلت الدولة الإسلامية ، وقويت شوكة المسلمين ، وأصبحت مصر والشام والخرق وما حولها خاضعة لحكم المسلمين بعد فتحها ، والطاء على الفوتين العظيمين آنذاك ، وهما دولة الفرس ، ودولة الروم ، في هذا الأثناء فكر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في فرض ضريبة مالية جديدة للدولة الإسلامية ، وهي ضريبة الخراج بني وصفت على أعتاق الأراضي المفتوحة .

وقد ارتبطت جباية الخراج في بداية العصر العباسي بحدثة أمور أساسية هي

- ١ - مقدار مساحة الأرض .
- ٢ - قيمة الدرهم الذي يدفع به الخراج وفي حالة الدفع النقدي .
- ٣ - مقدار الكيل الذي يستوفي به في حالة الدفع العيني .

وكان الخراج يحس ضريباً دفعه واحدة ، وأحياناً على دفعتين كما حدثت في آخر ، كثيرة من خراسان ، وقد احتفى أبو جعفر الميموني بمائه كبيرة بالخراج .

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٢٢ .

(٢) فقد صالح الرسول (صلى الله عليه وسلم) محبوس أهل حجر على أن يأخذ منهم الحرية ، كما أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد قبل من محبوس أهل البحرين العزية ، وأقرهم على محبستهم ، وعامل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان كالعلاء بن الحزمي كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف صفحة ١٢٩ ، ١٤١ .

على اعتبار أنه من أهم الموارد الشائعة للدولة ، ^(١) فراقب عمال الخراج مراقبته شديدة ، وأمرهم ألا يقبلوا من الناس إلا الجيد المصبوط السيف من سمسات ، وكان يحرس على أن يكون احتياطي الخراج الموهود بيت المال كافيًا بمقتضى الجيد ، ومعقات الدولة ، واصححت كبرًا جديدًا لجباية الخراج العمي بـمـرف بالقميز الهاشمي . ^(٢)

وقد أدخل الخليفة المهدي تعديلًا كبيرًا على نظام الخراج ، فقرر تعديل من نظام المساحة المدمول به ضد البيع الاسلامي ، والذي كانت الدولة بمقتضاه تقرر خراجًا معينًا على مساحة الأرض ، تجنيه كل عام ، دون النظر إلى جالبية المحصول أو طرق الزراعة أو نحو ذلك من الاعتبارات .

لذلك قرر الخليفة المهدي إدخال نظام المقاسة في كثير من البلاد الاسلامية ، وأصبحت الدولة الميانية بمنفى هذا النظام الجديد لتتاسم بالمحصول مع المزارعين ، بمسح معينة ، دون اعتبار لمساحة الأرض .

وكان لغرض هذا النظام أسبابه ، والتي كانت مختلفة وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد كان لا يتوانى في العمل على إنصاف المزارعين ، ورفع ما يلحقهم من غبن وظلم في جباية الخراج ، فعزل علي بن عيسى ابن ماهان عن ولاية خراسان ، وصادر أمواله ، لمصلحة مع أهلها ^(٣) وجباية الخراج منهم فوق طاقاتهم .

(١) Sayed Ameer Ali, : A short history .. ., P.426.

(٢) مقدار هذا القميز اثنان وثلاثون رطلًا (٢٢) كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي صفحة ١٢٩ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك : الطبري ج ١٠ م ٥ صفحة ١٠٢ .

كما خُفص خراج بحر قزوين ، ليسكن أهله من مواجهم بغلات الدفــــــــــــــــاع
(١) واسعرو ، وخُفص خراج بعض مناطق إقليم فارس إلى ثلثي قيمته (٢)

وقد اتجه الخليفة المأمون بحر تطبيق النسب التي حددها القاضي أبو يوسف
على نطاق واسع ، وولّى جباية خراج السواد للقاضي بن إبراهيم أخ القاضي أبي يوسف ،
فباشر عمله بعدل وأمانة - كذلك خُفص المأمون رُبع خراج خراسان ، كما خُفص
خراج منطقة الري ، وكان يحاسب عمال الخراج محاسبة دقيقة .

وفي الفصل الرابع تناولت مورداً آخر للدولة العباسية في عصرها الأول وهــسـو
مورد العسور ، وقد تـخـيرُ مـمـاء من مورد العسور إلى مورد المكوس والصرائب
ويغمد بالمكوس - رسوم الجمركية ، وكانت مورداً هاماً من موارد الدخل ، ولهذا
كثرت أماكن جبايتها ، وتحميل رسومها ، حسبما تقضي مصادرات المسلمين مع
غيرهم ، وقد اشتهرت البصرة بدقة مـسـشـها للتجار ، وأحد المكوس منهم .

وكان يستعان بحصيلتها على مواجهة نفقات الدولة ودفع رواتب جند وولاء
والعمال والقضاة والكتاب وغيرهم من موظفي الدولة ، وإنشاء الطرق ، وبناء الري
وحفر القنوات ، وبناء المدن وتعميرها ، وغير ذلك .

وقد فرض الخليفة أبو جعفر المنصور على كل فرد من أتباع أهل الكوفة
أربعين درهماً ، ليسبق بها على تحملين أسوار المدينة ورسوم أبييتها منـــــــــــــــــة
١٥٢ هـ (٣) كما أمر الخليفة المهدي بفرض مـلـث على الحوانيت في بغداد (٤) ،

- (١) فتوح البلدان البلاذري صفحة ٢١٩ .
- (٢) يذكر المقدسي : أحسن التقاسيم : صفحة ٤٤٦ أن ذلك حدث في منطقة "كور"
- (٣) البداية والنهاية : ابن كثير ٥ ج ١٠ صفحة ١١٢ .
- (٤) تاريخ اليعقوبي المجلد الثاني صفحة ٢٩٩ ٠٠٠٠ " وأمر المهدي بجباية
أسواق بغداد ، وجعل عليها الأجرة ، وجعل سعيد الخرشبي بذلك ، فكان أول
مـجـبـهـت أسواق بغداد للمهدي .

ونم يكرر ذلك متبعاً من قبل ، وقد قام الخليفة هارون الرشيد ببعض الإصلاحات المالية بما يتفق ومصلحة البلاد والرعية .

وفي الفصل الخامس تناولت الكلام عن مورد حسن العناتم وهي مربية بحملها الدولة من كل مال ، وصل إلى المصلحين من أعدائهم المحاربين لهم . ويكون وصوله بطريق القهر والخلعة ويصرف خمسة لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. وقد أشارت الآية الكريمة إلى ذلك في قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " (١) وكان إبراد العصر الأول من الدولة العباسية من هذا المورد قليلاً ، لأن معظم البلدان أصبحت إسلامية ، ومع هذا فحينما تولى أبو عليّ الأعلب بن ابراهيم ولاية نوس ، شهر الحيموش سنة ٢٢٤ هـ لمزو صقلية ، فقدم وسيا واستقرى على عدة حصون ، وكان ولاية صقلية من قبل الأغابة يرسلون السبسي والعناتم ، إلى خلفاء العصر الأول للدولة العباسية .

ثم تحدثت عن موارد أخرى لميت المال منها . إبراد الخواربث ، ويقصد بها ما يؤخذ من تركة من يموت دون أن يترك وارثاً له ، وكان الخليفة في مثل هذه الحالات ، يملك حرية التصرف في هذه الأموال ، كميرها من أموال بيت المال . فقد حدث أن توفي بالبحرمة أحد كبار أثريائها عام ١٧٢ هـ ، ويحرف باسم محمد ابن سليمان ، فأمر الخليفة هارون الرشيد بالتحفظ على تركته ، وأخذ منها مبلغاً قدره مئتان مليون درهم (٦٠٠٠٠٠٠٠٠) (١)

واشتغلت بعد ذلك للتحديث عن مورد مهم من العصر الأول للدولة العباسية ، وهو إبراد المصادر : وقد بدأت المصادر في عهد الخليفة المنصور ، وكانت مصادر أموال بعض الأفراد كنوع من العقاب وخموصاً حين يشك الخليفة في مصدر هذه الأموال وكانت مصادر أموال البرامكة بعد مقتل جعفر البرمكي ، من أشهر المصادر التي حدثت في عهد

(١) القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، آية ٤١ .

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير المجلد الخامس صفحة ٨٦ ، ٨٧ .

الحيطة هارون الرشيد ^(١) وقد بلغت قيمتها (٦٧٦٠٠٠ ر ٢٠) ثلاثين مليون وسمائاً—
وستة وسبعين ألف درهم ، كما جازر المعتصم وزيره أبا العباس الفضل بن مروان سنة
٢٢٠ هـ ، وذلك عندما نصب الخليفة المعتصم عليه لعدم طاعة الفضل لأوامره ^(٢) .

ولم تكن المصارف في مركز الخلافة العباسية فحسب بل استخدمها حكام الولايات ،
فقد صادر يوسف بن أبي الساج والي الري والجميل كاتبه أبا عبد الله بن محمد بن جعفر
الديرماني ، واستولى منه على مبلغ ست مائة ألف دينار (٦٠٠٠٠٠ ر) حين شك في مصدر هذه
الأمور . وكانت هناك موارد أخرى يذكرها بالتفصيل في موضعها .

وفي الفصل السادس تناولت الكلام عن بيت المال فقد كانت حصيله هذه الموارد
تجمع في بيت المال .

وبيت المال هو المكان الذي تجمع فيه جميع موارد الدولة ، وتنفق منه
جميع مصروفات الدولة ، وقد كُتب مُسمى بيت المال في العصر الأول للدولة
العباسية وعرف باسم " الدواوين الخفية " . وكانت الدواوين كثيرة ، فهناك
ديوان بيت المال العام ، وديوان بيت المال الخاص ، وديوان النفقات ، وديوان
الخراج ، وديوان الصدقات ، وديوان المصارف ، ودواوين أخرى ، لحفظ أموال
المسلمين ، وزنابات حقوقهم ، هذا وما هو حدير بالذكر أنه لم يثر على وشاح
ومعاشيت تهيئ لما عدى إيرادات ومصروفات بيت المال من المراتب المختلفة
مربوا ، وربما يرجع ذلك إلى أن ما يرد إلى بيت المال لم يكن مقدراً بل عكسي
هيئة صفائح (حوالات) ، أو كميات من البضائع والمستحقات الزراعية والصناعية
أوربما يرجع لعدم المحافظة على ما تم تدوينه ، لأن كل ما وجد من أخبار عمن
بيت المال في العصر الأول للدولة العباسية ، إنما هو في ثانيا التحولات والوقائع
^(١) الكامل في التاريخ : ابن الأثير المجلد الخامس صفحة ١١٥ (أحداث سنة
١٨٢ هـ) .
^(٢) تاريخ الأمم والملوك : الطبري ج ١٠ صفحة ٢١٣ (أحداث سنة ٢٢٠ هـ)

التاريخية ، فكل ما ذكره المؤرخون من معلومات عن بعض الأقطار حليط من الحربه والخراج معاً ، أو ربما أطلقوا كلمة جزية أو خراج ، أو جبايه على مورد الدوله جميعها ، وليس أدل على ذلك من أنّ ثمة يوسف سمي كتابه " الخراج " مع ترجمه لكثير من موارد بيت المال وأحكامها الفقيهه ، وحضر بن قدامة سمي كتابه " الخراج ومعه الكتابة " ، وكذلك يحيى بن آدم سمي كتابه " الخراج " وكلهم يقصدون بهذه الكلمة المورد العامه والمعروفات وأحكامها في الدولة .

وقد يكون من الأسباب قلة اهتمام الكتاب الأوائل بالأرقام وتدوينها والمحافظة عليها ، اعتمادهم على الحفظ ، وثقة إيمانهم ، وتمسكهم بالصدق والوفاء ، ولمسند تكون هذه الوثائق قد صاعت مع آلاف المخطوطات التي خسرها العالم الإسلامي ، إبان الهجمات المختلفة التي مُني بها ، كجور النار في الفول، والرحف بمسيحي على سبيلها المظمة ، والغنائم الإكريلي في العرب، ولد تكون هذه الدواوين فسد أحرقت أثناء الفتنه بين الأمن والمأمون . وقد تكون هنالك أسباب أخرى لمّا ذكرنا .

وأرى أنه يمكن التعرف على إيرادات الدولة ومروفاتها إذا تمّ جمع جميع أوامر الخلفاء ، والصرف بموجبها ، وتدوين جميع ما يصرف في سجلات سموروات، للمقابلة عليها عند نهاية كل سنة بما قد يوجد عند الخلفاء العباسيين مسنن سجلات ، إلا أنه لم يجل إلينا شيء من تلك السجلات .

إنني لأرجو معلماً أنّ يأتي يوم ، وقد وَجَدُ أو وجد غيري من الباحثين جميع الوثائق والمصوم ، والسجلات التي تمّ المدوين فيها ، لأنه بوجودها ستكشف أشياء وأمر ، توصل لنا ما خفي عليها من المعائل العاليه ، في العصر الأول للدولة العباسية والعصور المايقة .

ومع هذا فهناك وثائق تاريخية ماثرة ، وخاصة بالعصر الأول للدولة العباسية
وسمى بقوائم الحجاج التي كانت تجبى من مختلف أقاليم الدولة العباسية ، وبيّن
في بعض الوقت أنواع العروض إلى جانب المبالغ المقدية ، وذلك في مدى نصف
قرن أو أكثر ، أي من عهد الرشيد إلى عهد الواثق أو الموفق ، وأهم هذه
القوائم ، قائمة الجبشباري ، وقائمة ابن خلدون ، وقائمة ابن خردادبه ، ولأهمية
قدامه بن جعفر ، سأقوم بحمل مقارنة بين هذه القوائم عند الحديث بالتفصيل في
آخر فصل الحجاج من الباب الأول إن شاء الله تعالى .

وفي الباب الثاني من الرسالة ، تحدثت فيه عن مصادر الدولة وبطاقاتها في
العصر العباسي الأول .

وقد قسمت هذا الباب إلى (فصلين) :

خصصت الفصل الأول منه لمصادر الزكاة ، كما جاء في الآية الكريمة " إنما
صدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة لهم ، وفي الرقاب
والعالمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، فربحة من الله ، والله عليم حكيم " (١) .
ويصح لنا من الآية الكريمة أن مصادر الزكاة شملت المصالح الاجتماعية ، والدينية
والسياسية فمن الناحية الاجتماعية تكفلت بكفاية المحتاجين من الفقراء والمساكين ،
ليكون المجتمع بأكمله من أمطارهم ، وشروطهم .

أما الأرقاء والعاملين وأبناء السبيل ، فقد تكفلت الزكاة بكفائهم ، حتى
يسعدوا بالحرية الإنسانية التي منحها الله سبحانه له سبحانه للجميع ، ويتعاون الأفراد فيما
بينهم لسداد الديون ، حتى لاتصبح الثقة بين المداينين ، ثم تمتيط الجسارة
والتشجيع على السياحة والترحال من خلال أبناء السبيل .

(١) القرآن الكريم سورة التوبة الآية ٦٠ .

ومن الناحية الدينية والسياسية فقد عملت مصارف الزكاة دائماً سواء في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو الخلفاء الراشدين أو في عهد الدول الإسلامية ، أو العصر الأول للحلافة العباسية التي حتى يمددها ، عملت على مصرة الدين ، وإعلاء شأنه ، بالجهاد والعرو والتأليف ، وإعداد الجيوش وآلات الحرب ، لإزهاق عدو الله ، ثم مكافأة العامل على عمله ، صيانة له ، وحتى لا يسول الله نفسه بالاختلاس أو التلاعب -

وفي العصر الأول للدولة العباسية ، كانت الزكاة تعرف لمن يستحقها ، ومن ذكرتهم الآية الكريمة ، ولكن عمل الزكاة ، كان بعضهم مثال تنفيد ، والبعض الآخر عمل نفوس^(١) ، وكان عمل السعيد عليهم أن ينفقوا أوامر الخليفة أو الوالي ، بشأن الحصر المخروجة على الناس ، ومدار ما يجمعه من أموال ، ويكون العامل في تلك الحالة سحماً لقيمة الزكاة لا أكثر ، ولهذا السبب كان يجوز في بعض الأوقات استعمال الدمن في هذه الوظيفة ، لأنها تنظر على الجمع دون التقدير . أما عامل التعميم المكلف بالزكاة ، فكان له الحرية في تطبيق قيمة أملاك الناس ، والتصرف في كافة الأمور المتعلقة بالزكاة في حريته تامة .

وفي الفصل الثاني من الباب الثاني تحدث عن مصارف الجربة والخراج

والنشر (المكوس) ، والمواريث ، والمصادرات وبقيّة الإيرادات ، فقد كان يصرف من هذا البند الأرزاق والرواتب ، وتجهز الجيوش وسفقات الحروب ، وبمساهمات الحصون والمطاع ، وتطهير الأنهار ، وحفر السرى ، وإقامة الجسور ، وبناء المدن ، وإصلاح مرافق الدولة ، فعندما أشرف القاضي أبو يوسف على الخليفة هارون الرشيد بالاهتمام بكرة الأنهار ، وحفر القنوات ، والمصلحة بالزراعة ، استجاب الرشيد بهذا الرأي ، وحفر عدداً من الأنهار بالعراق ، فقد احتفر سهر القاطول ، واستخرج

١. الأحكام السلطانية القراء صفحة ٢٠٩

سراً سماء أبا الخليل ، وأنفق عليه عشرين مليون درهم ^(١)

كما كان يُعطى من هذا المبدع المصح والعطفا ، فقد دأب المباسيون منذ قيام دولهم على منح أنصارهم وعمالهم الكثير من المصح والعطفا من الأموال والمناع والأرض ، يقول ابن كثير ^(٢) إن الخليفة أبو المباسي منح لعدد كبير العلويين ويعدى عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) مبلغ مليون درهم ، كذلك توسع الخليفة هارون الرشيد في إغداق العطايا والمصح ، وكان إذا عفا عن شخص أطلق له الأموال كما حدث سنة ١٧٦ هـ ، حينما أطلق مروح يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) الذي تار ببلاد الديلم ، ومعه مائة ألف دينار ^(٣) وزاد الرشيد في مكافآت ألدباء والشعراء ، فبلغ ما حصل عليه ستم الخاسر الشاعر من عطائيه ٤٠,٠٠٠ (أربعين ألف دينار) ^(٤) . أما خمس العنائم ، فكانت تصرف ، طبقاً لما جاء في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، فقد قال الله تعالى فسمي كتابه العزيز " وأعلموا أنما فلتنم من شيء ، فإن لله خمسه ، ولرسول وذي نربي واليتامى والمساكين وابن السبيل الآية " ^(٥) أي أن خمس العنائم يصرف كما جاء في الآية المذكورة ، أما لربحة أحماس العميمة فكان يصرف بطيشت العنائم ، لمراحل سهم ، وللغرس سيمان .

-
- (١) كتاب الوزراء والكتاب : الجيهراري صفحة ١٧٧ .
 (٢) البداية والنهاية المجلد الخامس الجزء العاشر صفحة ٩٥ ، وقد توفى عبدالله بن الحسن الذي أعطاه المصاح ألف ألف درهم في عهد المنصور سنة ١٤٥ هـ بعد خروج ثلثه محمد .
 (٣) البداية والنهاية ، المجلد الخامس الجزء العاشر صفحة ١٦٨ .
 (٤) البداية والنهاية ، المجلد الخامس الجزء العاشر صفحة ١٨٨ .
 (٥) القرآن الكريم من سورة الأنفال آية (٤١) .

أما الباب الثالث : فقد اشتمل على دراسة مقارنة ، بين سياسة المال في الإسلام في العصر الأول للدولة العباسية ، وسياسة المال في الأنظمة الوصية في الدول الحديثة ، من حيث الموارد والمصارف .

ثم بيّنت قواعد المصروف الحديث ، وهل هذه القواعد موجودة في المراسم الإسلامية في العهد الأول للعصر العباسي ؟ .

وبعد ذلك تكلمت عن نظام النعدي في المراسم الإسلامية العباسية ، والحديثة ، وقررت بين وعاء المصروف في الإسلام في العصر العباسي والأنظمة الحديثة ، وهل المصروف تربط على رأس المال أو الدخل ؟

وانتقلت بعدها إلى مقارنة بين النظام المالي الإسلامي في العصر العباسي الأول ، والأنظمة المالية الحديثة في أوجه الصفات العامة ، ومدى تماثل النظامين بالمعنى الاقتصادي للدولة

ثم اختتمت هذه الدراسة ، وهذا البحث بحاشية صحتها المشايخ المتقي توصلت إليها في هذه الرسالة ، وأوضحت أهمية سياسة المال ، في العصر الأول للدولة العباسية ، وكيف أنها ساعدت على ازدهار العمارة الإسلامية ، بهيكل النظام المالي الذي لم يكن له مثيل في القديم أو الحديث . وقد وجدت في فوائده المخرج ، الذي سيجري بمثابة حساب عتامي لموارد الدولة ، كالذي تجريه الدول تماماً في الوقت الحاضر في الميزانيات الحديثة ، إذ أن ورود مثل هذه القوائم المدمجة في المصارف لا يعني فقط ما كانت تنعم به الدولة الإسلامية العباسية من ثراء ، وإنما يعني في المقام الأول ما وصل إليه الأنظمة المالية من دقة وصيغ وازدهار ، وثمة التطور ، لدرجة أنها أصبحت تعد مثل هذه القوائم المفعلة لعمليتها على الخليفة أو الوزير كذلك فإن نجاح الأنظمة المالية في

العصر الأول للدولة العباسية والتي استندت في قيامها وإدارتها أعمالها على مبادئ الدين الإسلامي ، وخصوصاً فيما يخص بحثه أموال الزكاة والجربة والمراج وكيفية صرف هذه الأموال . إن دلت على شيء وإنما تدل على أن الإسلام دين ودولة ، وليس أدل على ذلك من أن هذه التنظيمات المالية ، والدواوين المستخدمة ، كانت تتطور بشكل ثابت ، طبعاً لتطور ظروف الدولة الإسلامية .

ومن النتائج التي تعرضت لها في خاتمة البحث أن الرجال الذين أسهموا في إنشاء هذه النظم المالية وتطويرها ، كانوا رجال دولة من الطراز الأول ، وبدل على ذلك ما اتحدوه من قرارات بحيدة المدى ، في تاريخ الإسلام ، كقرار عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بوقف تقسيم الأراضي ورفض الخراج ، بنظام المساحنة ، ثم تحويل نظام الخراج إلى نظام المقاسمة في عهد الخليفة منصور والحليفة المهدي .

ومن هذه القرارات ذات الأهمية الكبرى أيضاً ، قرار تعريب دواوين الدولة كالخراج والعملة المستخدمة في حياته ، ذلك أن دواوين الخراج بقيت بعد لاسلام على ما كانت عليه من قبل ، فديوان العراق بالفلطية ، وديوان الشام بباروسية (١) وديوان مصر باليونانية أو القبطية ، وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريسيين (٢) فلما جاء عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي بدأ تعريب الدواوين (٣) ، التي لم تكن مرجعة لدواوين الخراج فحسب ، وإنما كانت بداية لتحويل حسابي بلع أوجسه

(١) كتاب المير وديوان المبتدأ والخبر (مقدمة ابن خلدون) صفحة ١٩٣ (في ديوان الأعمال والجهانيات) .

(٢) مقدمة ابن خلدون صفحة ١٩٣ ، وفي الأحكام السلطانية والولايات الدينية للمباردي في باب (١٨) في وضع الديوان وذكر أحكامه عند الحديث عن ديوان الاستملاء صفحة ٢٢٩ - - - وكذلك في (مهذب الأرب في فنون الأدب ، المويري ج ٨ صفحة ١٩٨) .

(٣) بدأت حركة التعريب في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وامتدت إلى عهد ابنه الوليد بن عبد الملك مما جعل بعض المؤرخين يسمي ، إلى عبد الملك بن مروان وبعضهم يتسميها إلى ابنه الوليد - - وهذا ما جعل ابن خلدون يقول في مقدمته " ولما جاء عبد الملك بن مروان ، واستحال الأمر سكا ، وانتقل القوم من غصاة البدواة إلى يوسق العمارة ، ومن سداحة الأيمة إلى حدق الكمايه " صفحة ١٩٣

في العصر العباسي الأول كما أن صرب الدراهم والدنانير منذ سنة ١٦ هـ^(١) ومصرور
بأخلفاء الأمويين ثم العباسيين ، كلُّي تحلُّصاً من النفوذ الأجنبي ، وتمكُّباً من موارد
الدولة ، ولأن هذا الصرب للدوليين الخراج ، أدى إلى ضبط أعمالها ، والإشراف
عليها بدقة ، والحد من عمليات الفخس والمروير .

وهذه النتيجة إن دلت على شيء فإنما تدل على قدره العرب المسلمين على
استيعاب ما وصلت إليه الأمم الأخرى من نظم حصارية ، وصنَّها في قالب عملي
إسلامي يحميها فاعلمتها وحيويتها ، وهالك نتائج أخرى كثيرة .

هذا وقد حرصت أثناء دراسي للحوادث التاريخية التي عرفت ليحشها ،
على مقابلة الروايات الواردة في المصادر التاريخية الإسلامية ، بما ورد عنها في
المصادر والمراجع الأجنبية بقدر الإمكان ، محاولاً بذلك الوصول إلى الحقيقة
التاريخية وتسجيلها . ولذلك عانيت في هذا عمق كبيرة ، حيث أن من كسب عن
النظام المالي بحاسة والحصارة الإسلامية بحاسة في العصور الأولى للدولة الإسلامية قليل
وهذا التقليل موزع في معظم أقطار الوطن العربي .

وسمعت لذلك كان عليّ أن أرحل ، وأنقل شرقاً وغرباً في سواحل العربي ، فقلتُ
بربارة معظم المكتبات ، ودور الكتب في المعالم العربي ، رجاء أن أحد وثيقة تُشير
لي بعض جوانب الموضوع التي لم أكن قد اطلعت عليها بعد ، أو مخطوطاً أو كتاباً
أو نحو ذلك .

ففي الصرب رَزْتُ مكتبة جامعة السلطنة محمد الخامس في الرباط ، والخرانسة

(١) كان أول من صرب مقوداً في الإسلام هو خالد بن الوليد سنة ١٥ ، ١٦ هـ
وجعلها على رسم الدنانير الرومية تم صرب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
مقوداً سنة ٢٠ هـ - تاريخ النفود العراقيه صفحة ٧٢ ، وكان الرشيد أول
خليفة يفتي اسمه على الدنانير (الديمار الإسلامي في المتحف العراقي
النقشبندي صفحة ٣٩) .

إنعاشه ، والخزائن الملكية التي توجد بها مخطوطات كثيرة في مختلف الدراسات ، وفي سويس روت المكتبة الوطنية في العاصمة بالقرب من السوق العربي ، وفي الأردن ررب مؤسسة آل البيت - المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية - ، وهذا المجمع بهم باقتناء المخطوطات وأصيات الكتب ، وكل ما يتعلق بالحضارة الإسلامية ، وقد أصدر هذا المجمع خطة للبحث في " الإدارة المالية في الإسلام " وكتب قيس روت هذا المجمع أيضا في بداية التسعينات للحصول على بعض المخطوطات التي بحسن رسالة الماجستير ، والتي تقدمت بها إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف .

كما ررب في الأردن مديرية المكتبات والوثائق الوطنية ، بالإضافة إلى ربارتي المتعددة لمعظم المكتبات الجامعية والعامة ودير الكتب في مختلف دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وأما ربارتي المتكررة والكتب لالمكتبات الجامعية في القاهرة .

وفي خلال جولاتي العلمية في أنظر الوطن العربي لزيارة مكباته ، إلتقيت ببعض كبار العلماء ، وأخذت منهم بعض التوجيهات والنصائح في موضوعي هذا ، وما يتعلق به ، أذكر منهم :

الدكتور ناصر الدين الأسد ، الدكتور أحمد شركس ، والأساد فاروق جبار في الأردن ، وبعض العلماء المصريين الذين يحاضرون بجامعة قطر ، والأساد الدكتور محمد الطالبي في سويس ، والأساد الدكتور عبدالهادي التاري والأساد محمد إبراهيم الكتاني في المغرب ، بالإضافة إلى عدد كبير من المشايخ والعلماء في مختلف دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، هؤلاء هم من ذوي المقامات الكبيرة في بلادهم .

وكانت حصيلة هذه الترحلاب هي أننى استطعت الحصول على القوحيات وبعض المصادر والمراجع العربية والأجنبية ، والتي لم أفر ب من قبل ، وقد اعتمدت على هذه الحميلة في هذا البحث .

وس أهم المصادر العربية التي استغنت بها

١ - كتاب الخراج .

للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ، صاحب الإمام أبي حنيفة وقد أنبأ هذا القاضي الفاضل ذلك الكتاب ، تلبيةً لرغبة الخليفة العظمى أمير المؤمنين هارون الرشيد في موضوع الأموال وتحصيلها ، وتوزيعها . وقد عاش أبو يوسف صاحب كتاب الخراج من سنة ١١٢ - ١٨٢ هـ .

ويقع هذا الكتاب في سبع وعشرين فصلاً ، بالإضافة إلى الخطاب والموعظة الموجهة من المؤلف إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ، ودليل القاضي أبو يوسف كتابه ، يذكر شيوخه ، والأعلام التاريخية والجغرافية .

ونظراً لصاصرة أبي يوسف لكثير من الحوادث التاريخية والسياسات المالية ، والتي تعرضت بها أثناء هذه الدراسة ، وقُرِّب من مركز السلطة أثناء حكم الخليفة العبّاسي أمير المؤمنين هارون الرشيد ، وثقله منصب القضاء في جهة ، ثم مشاركته بآرائه في بعض الأمور والحوادث ، والتي تتعلق بمحتي هذا من ناحية أخرى ، لذا يُعتبر كتابه من أهم المصادر والمراجع لمن أراد البحث في السياسة المالية للدولة الإسلامية في القرون الأولى .

٢ - تاريخ الأمم والملوك :

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، المؤرخ والمعبر العالم المشهور سنة ٢١٠ هـ . وتاريخ الطبري هذا من أهم المصادر التاريخية التي تناول أحداث التاريخ منذ الخليفة وحتى سنة ٢٠٢ هـ .

وقد بلغ الطبري في جليليته من تاريخ الإسلام ، ومنه الدولة الإسلامية ، مبلغاً كبيراً ، سجل كل شاردة وواردة ، وتناول عن طريق الحديث كل سنة وما وقع فيها من أحداث التاريخ الإسلامي ، مبيناً سبب الحادثة ، وروايتها سنة بعد أخرى ، فإذا انتهى من السنة المسمية وما فيها من أحداث تناول التي تليها ٠٠٠٠ وهكذا اشتمل تاريخ الطبري على رواية من مذهب شئ ، وجاء بروايات مختلفة على الحدث والمصنف .

إن اعتماد الطبري على شعاره المعروف ، العهد على الراوي " جمل تاريخه سحلاً لكثير من الأحداث والآراء ، وقد ركن إليه العلماء قديماً وحديثاً ، وأظنوا في مدحه ، ومدح مؤلفه . . . وقد قيم أبو الحسن علي بن يحيى المسعودي صاحب (مروج الذهب) الطبري وتاريخه بقوله " وأما تاريخ أبو جعفر ٠٠٠٠ الطبري ، الراعي على المؤلفات ، والرائد على الكتب المصنّفات ، فقد جمع أنواع الأخبار ، وهو فنون الآثار ٠٠٠٠ وهو كتاب لكثرة فادته ، وتناسع صائده وكيف لا يكون كذلك ، ومؤلفه فقيه معرو ، وسلكه دهره ، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار ، وعمله المنين والآخر " (١) .

وقد أورد الطبري بوضوحاً كثيراً ، أوضحت بعض جوانب النظام المالي في العصر الأول للدولة المبانية .

٢ - الكامل في التاريخ :

لأبي الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بأبي الأثير الجوري ، الملقب بـ " الدهر " .
المؤلف سنة (٦٢٠ هـ) .

وقد اتبع في طريقة تأليفه الطبري ، وسار على طريقته ، وأخذ في تاريخه

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ٢٢ .

كثيراً منه ، وأما بعض الأخبار إلى حوليات الطبرى ، وقد نحدث في تاريخه عن الدولة العباسية في عصرها الأول بمفصلة عامة ، ومن هنا يظهر أهمية هذا الكتاب وقد استخرجت كثيراً من الشواهد من خلال هذه المحدثات التاريخية استظهرت واستفدت أيضاً من تـ

٤ - كتاب التبر وديوان المبدأ والخيرو في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عامرهم من ذوي الخطاير الأكبر لمؤلفه عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحصري ، والذي عرف كتابه بمقدمة ابن خلدون ، المصطفى سنة ٨٠٨ هـ .

حيث يعتبر كتابه من أهم مصادر التاريخ بجامعة ، والحمارة بجامعة ، لأنه قد سهر لهذا المؤلف العظيم ما لم ينسج لكتبر من مؤرخي عصره ، حيث أنه كان قريباً من السلطة ، وغالد بعض المناصب ، وشارك في بعض الحوادث ، وأطلع على الوثائق والمحاضر التاريخية من مصادرها الأصلية ، واتصل بشيوخ عصره لكثيرة تجواله بين الأمطار ، ثم ثقافة ابن خلدون الواسعة وحسن التواريخ المرفقة مكنته من أن يعطي الحوادث التاريخية التي كانت في عصره ، وأيام الحوادث التي سبقت مولده ، برواية أخبارها عن شيوخه وأساتذته ، الذين نبؤوا المكاتب العصرية الممتازة ، وكانوا شهود عيان للعديد من تلك الحوادث التاريخية .

ومن المصادر العربية التي اعتمدت عليها أيضاً

٥ - كتاب الخراج :

لأبي زكريا يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الأموي ، المصطفى سنة ٢٠٢ هـ . ولد صحبه وشرحه ووضع قهاره القاضي العادل الشيخ أحمد محمد شاكرو وهو مكون من أربعة أجزاء ، ونشره لأول مرة المستشرق العلامة " ث - و " جوبينسول (Th. W. Juynboll) نقلاً عن النسخة المحظوظة الوحيدة التي يملكها الميسر شارلر شيفر (Charles Schefer) وهو عضو المجمع العلمي ومدير معونة اللغات الشرقية الحية ببريس .

ويحيى بن آدم من العلماء الثقلة ، ومن الذين أثروا عنده كثير من علماء
عصره ، ويحده ٥٥٥٠ كتاب سعد ، وأبو داود ، ويعقوب بن شيبة ، ومن تلاميذه
الامام الطليل أحمد بن حنبل (صاحب المذهب المشهور) وإسحاق بن راهويج
(الامام الحافظ) ، وإسحاق بن إبراهيم بن نصر البجلي ، وحفص بن عمر السهولاني
شيخ أبي حاتم البرقي وأبي زرعة وغيرهم كثير .

وفي مقدمة الكتاب ترجمة للمؤلف ، وفي ديل الكتاب أربعة عشر
لرجال الخراج ، وشيوخ يحيى بن آدم ، والقبائل والأسماء .

وسمى بحجل كتاب الخراج ليحيى بن آدم فيها لمحي هذا هو مباحثهم
البلدية المدنية في عصرها الأول ، وقد توفي يحيى بن آدم في خلافة المأمون
وصلى عليه الحسن بن سهل وزير المأمون وصبره .

ومن المراجع الأصلية الأولى التي استندت إليها كثيراً كتاب

٦ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية :

نقضي القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري المازدي المتوفي
سنة (٤٥٠ هـ) .

ويقع الكتاب في عشرين باباً .

ومن تخصص المازدي شمساً كبيراً من كتابه الأحكام السلطانية عن الخراج
والحرية والزكاة والمشيور ، ومريب الناس في دهوان الجند ، وكيفية فرض المظباء ،
أولاً أن أجل أنه ، على الرغم من أن المازدي جاء بعد كثير من العلماء ، والذين
وصفوا مؤلفاتهم خلال الثلث الأخير من القرن الثاني الهجري ، والربع الأول من
القرن الثالث الهجري ، أي نحو قرنين من الزمان ، إلا أن مادونه في كتابه يعتبر
من أدق ما كتب ، خصوصاً عن موضوع الخراج .

وقد روى المارودي في كتابه عن قدامة بن جعفر ، طائفة من المعلومات التي أوردها عن السواد ، وشئونه الفراجية ، أفادني كثيراً ، غير أن متعديني من كتاب قدامة بن جعفر نفسه (الخراج وصنع الكتاب)^(١) كنت محسوبة ، لأن المنازل الأربعة الأولى من هذا الكتاب ، المشتملة على ديوان الجراج قد فُقدت ، لمقيمت بذلك فائدته ، مقصداً يصعب بحويصه ، على الرغم من احتوائه على قائمة معملة بخراج في الدولة العباسية . وقد راجع كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية الدكتور محمد هادي السرحاني ، المدرس بجامعة الأزهر الشريف .

ومن الكتب والمؤلفين الذين عاينوا المخطوطة التي نحن بصدد البحث فيها

٢ - كتاب الوزراء والكتاب :

أبي عبدالله محمد بن عبدوس الجبشباري ، المتوفى سنة (٢٢١ هـ) ولد لرجح المؤلف فيه للعبود التي سبقت الاسلام ، وزارة وكتابة ، في إيجاز وإشارة ، ثم ذكر بالتفصيل منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وانتهى في ذلك إلى عهد المكتفي بالله سنة (٢٩٦ هـ) غير أن الموجود من هذا الكتاب هو فقط حتى عهد الحليفة العباسي المأمون أيام وزيره الفضل بن سهل سنة (٢٠٢ هـ) ، ولما أمل في أن يتم العثور على المخطوطة المبتورة حتى عهد الحليفة العباسي المكتفي بالله أو إلى عهد وفاة الجبشباري نفسه سنة (٢٢١ هـ)

كذلك فإن لبعض الجغرافيين فصل كبير في كتابة أحداث هذا البحث ،

فكتاب :

٤ - المعالك والممالك :

أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه ، المتوفى حوالي سنة (٢٠٠ هـ)

(١) كتاب الخراج وصنع الكتاب لقدامة بن جعفر الذي توفي حوالي سنة (٢٣٧ هـ) ،

هذا الكتاب في مجلد واحد مع كتاب المعالك والممالك لأبي خرداذبه

— لندن — مطبعة بريل (١٣٠٧ هـ = ١٨٨٩ م) .

وهو من رجال القرن الثالث الهجري ، وقد أفادني كتابه فائدة كبرى ، إذ أنه كان حريصاً في كتابه عن كل إقليم أن يضمن ذلك مقدار الخراج الذي يحبى منه ، بل وأكثر من ذلك ، فإنه صنف أقسام السواد ، ذكراً معها مقادير الخرج ، فنكّست بذلك قائمة الخراج للدولة العباسية في القرن الثالث الهجري. أراد من أهميتها في اعتقادي أن ابن خردادبه كان عاملاً على البريد ، يمتثل بمن أقامه الدولة المحسنة ، ومن لم يقد جاءت معلوماته عليه في المصدق والأمانة .

ومن الكتب القديمة التي عاصر مؤلفها جزءاً من عهد الدولة العباسية الأولى

٩ - فتوح البلدان :

للإمام أبي الحسن أحمد بن يحيى البغدادي البلاذري (المتوفى سنة ٢٢٩هـ) ، ولد تناوب فيه فتوح البلدان صلحاً وعموة وتحدث فيه عن الإدارة الإسلامية ببلدان المفتوحة ، وأحكام الفسوح الشرعية ، وواقع الإدارة الإسلامية ، وفي هذا الكتاب معلومات جغرافية ومالية ونظم اقتصادية ما يفيد الباحث عن سياسة المدن ، ونظامها أن هذا الكتاب في موضوعه فريد ، فيقول المسعودي " ولا أعلم في فتوح بلدان أحسن منه " (١) .

وصفاً فريده من أهميه كتاب (فتوح البلدان) موضوعية المؤلف وقدرته ودلته

روايته .

قال النسيو " ذي حيوه " المشرق الشهير عن البلاذري إنه اشتغل مدة طويلة أظفهره ، بمألف كتاب جامع لتاريخ الدول الإسلامية ، أسى فيه عن الحقائق لتاريخية دون أن يعمد خفيفة وقته ، ونجح في هذا الموقف المخرج نجاحاً عظيماً (٢) وأنه لم يكن في مرويته للكثرة بسماعه إياها من أوثق علماء بغداد ، بل تكبث الأسفل ، وحاج البحار بحثاً عن الحقيقة التي هي مآلته المبسوطة (٣) .

(١) روج الذهب ومعادن الجواهر ج ١ صفحة ٢٢ -

(٢) فتوح البلدان صفحة ٩ .

(٣) فتوح البلدان صفحة ١٠ .

وقد روى في كتابه (فتوح البلدان) أشياء وصفه لفتوح بعض الأحبار عن الأعمال أو الظواهر الاقتصادية والمالية ذات الفهم العميق عن الأقاليم والأُمَمَـار وهو ما استفدت منه إلى حد كبير .

ومن الكتب التي استفدت منها أيضا :

١٠ - كتاب تاريخ اليعقوبي :

وهو تاريخ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وصح الكتاب العباسي والمعروف باليعقوبي ، توفي سنة (٢٨٤ هـ) وقد عاصر العهد الأول من الدولة العباسية ، وسلك في طريقه تأليفه لكتابه والمؤلف من حرثين ، انطلق الرسمي للأسياس والطول ، وأورد معلومات قيمة عن التاريخ القديم والإسلامي ، وجاء بمعلومات نادرة على عصرها ، وتتصف روايات اليعقوبي بكونها واضحة ومنكبة ، إلا أنه لا يذكر أسنيد رواياته في المالب ، وقد ذكر في الجزء الثاني من كتابه خلفاء العباسيين مبتدأ من دعوة بني العباس وأيام أبي العباس السفاح وحتى أيام أحمد المقتدر على الله ٠٠٠٠٠ إلى نهاية سنة (٢٥٩ هـ) .

كما أن كتاب :

١١ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام :

للمعتمد أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . المسمى سنة (٤٦٣ هـ) استفدت منه كثيراً وبلغ الكتاب في ثمانية عشر مجلداً ، وفيه كان عظيم الفائدة وقد ترجم للمفرد والحكام والأمراء والوزراء والأشراف ، والملوك في ثلثي ميادين العلم ، حسب حروف الأبجدية .

وصفه الخطيب البغدادي في لُزهيّ عمود دولة الاسلام منذ تأسيسها إلى

وفاته .

ومن المراجع التي استعنت بها كثيراً وخصوصاً في الشؤون المالية والاقتصادية
لدولة الجاهلية الأولى ، كتاب :

١٢ - البداية والنهاية :

للحافظ ابن كثير (عماد الدين أبو العلاء إسماعيل بن عمر بن كثير ميسر
فرشى السب ، دمشق الدار) ، مؤيد سنة (٧٧٤ هـ) وقد قسم ابن كثير كتابه
البداية والنهاية (إلى ثلاثة أقسام ، يذكر في القسم الأول بدء الخلق ،
ولمحات من تاريخ الأمم العاربة ، حتى يصل إلى تاريخ العرب في الجاهلية ، ورسالة
الرسول (صلى الله عليه وسلم) والوحي وظهور الإسلام وحتى الهجرة إلى المدينة

وفي القسم الثاني يؤرخ لمبدأ الراشدين ، ثم الدولة الأموية ، فالتعبئة
وما نتج منها من صالكة ودويلات وإلى أن قصي عليها السيف حتى وفاته سنة
(٧٧٤ هـ) .

أما القسم الثالث فيذكر فيه الآخرة ومظاهر قرب الساعة ومعظم ديني بخاتمة
الله سبحانه وتعالى .

ومن المراجع التي استعنت بها أيما :

١٣ - مروج الذهب :

لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسمودي ، وقد استعنت من مادته
وخصوصاً عن تاريخ بعض الشؤون المالية والمقدود ، والظاهر أن المسمودي كَوّن مادة جيدة من
تاريخ الإسلام ، كما كانت له نظره واسعة للمصادر ، ونقدهم ممدار ثمذهب ، إلا أن حصاره
المكتبة العربية في صياح كتابه المسمى " أخبار الزمان " عظيمة حقاً ، ولا يمثل مروج الذهب إلا
اختصاراً ثانياً لكلمة الأول الصانع

ومن الكتب الجغرافية التي استعنت بها أيما كتاب " الأعلام الجغرافية
لابن رسته ، وكتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي ، وكتاب

الحوارومي بعد ذلك وكتابه (مفتاح العلوم) فأدخلني في الدواوين - تمتد الدور الحكومية ، وأراضي ما كان مستخدماً فيها من محلات ودعائر ، نمطت أعماسها -

وعلى الرغم من أن نهر طرابلس من المتأخرين إلا أن كتابه ، الفخري قصي الآداب السلطانية (حفل بكثير من الأسماء عن سير الحلفاء ، وتمردهم المادية ، وسياسهم المالية والتي كانت تؤثر حتماً على النظام المالي للدولة الإسلامية العباسية •

وهناك مراجع أخرى كثيرة استعدت منها لأذكر على سبيل المثال لا الحصر ، كتاب المسالك والممالك لابن حوقل ، وكتاب الأموال لابن سلام (أبو عبيد لقاسم) وكتاب بغداد لابن طبروز ، وكتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة ، وكتاب الطبرق الحكيمة في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية ، وكتاب تجارب الأمم وتغالب الأمم لابن مسكويه ، وكتاب قوانين الدواوين لابن صفات ، وكتاب المسالك والممالك للامطخري ، وكتاب الهدى والتاريخ للملحي ، وكتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية لسيهرون المصوفي (٤٤٠ هـ) ، وكتاب تاريخ الميهدي المصوفي سنة ٤٧٠ هـ ، وكتاب الفرج بعد الشدة للنفوسي سنة (٣٨٤ هـ) ، وكتاب دول الإسلام للذهبي المصوفي سنة (٧٤٦ هـ) ، وكتاب تاريخ الخلفاء لأبوسعد المؤمنين للمصوفي سنة (٩١١ هـ) ، والأجزاء المتوفرة من كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الجزائر للمصافي ، المتوفى سنة (٩٤٨ هـ) ، وكتاب الأحكام السلطانية للفراء المصوفي سنة (٩٥٨ هـ) ، وكتاب الحراج وصفة كتابها لقدمية بن جعفر المصوفي حوالي سنة (٩٩٧ هـ) ، وكتاب مبع الأعمى في صناعه الإنك بلقشندي المصوفي سنة (٩٢١ هـ) وكتابي : الأوزان والأكيال الشرعية وشيخو العفود في ذكر العفود للمفريزي سنة (٨٤٥ هـ) ، وكتاب معجم البلدان لياقوت المصوفي سنة (٦٢٦ هـ) .

أما المراجع الحديث فقد رجعت إلى العربي سب وغير العربي ، مترجماً
كان أم غير مترجم .

ومن المراجع الحديثة أصبحت يكتتب فضيلة العلامة الاحمد الدكتور بدوي
عبداللطيف عوض المشرف على رسالتي هذه ، في كتابه " النظام المالي الاسلامي
المقارن " واقبست منه الكثير من التنظيمات والمعلومات وكذلك كتاب لأسباب
الدكتور محمد صياء الدين الوبي (الخراج والنظم المالية للدولة الاسلاميه) ،
وكذلك كتاب الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي .

بالإضافة إلى استفادتي من بعض المراجع الأجنبية المترجمة مثل كتاب (الحضارة
الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام) للأستاذ آدم مئزر
(ADAM MEZ) أحد اللغات الشرقية بجامعة بلر بموسمه ١٩٥٥ ، وكان قد
ألف كتابه بالألمانية ونشر باللغة الإنجليزية في مجلة (Islamic Culture)
وكانت المجلة تصدر في شهر أباد ١٩٥٠ وكذلك كتاب فتح العرب بمر للدكتور
الفرد " ج " بتلر ، وقد ألف هذا الكتاب سنة ١٩٢٦ م ، والكتاب ترجمة الأستاذ
محمد فريد أبو حديد ، وكان فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده ، مفتي الديار
المصرية ، قدّم له بعض الملاحظات العامة بالنسبة للإسلامي وكذلك كتاب " تاريخ
العرب العام " للمختشرق لويس أميلي سيدو (L.A. Soudyou)

واستفدت مما كتبه لارسول ، ويلرسول ، وبروكلمان ، وورسون ، وفيديسب
حتى ، وكلها كتب تمت ترجمتها إلى اللغة العربية ١٩٥٥ . وهناك بعض الكتب الغير
مترجمة ، ترجمت ما وسعني عنها ، وساعدني في ترجمة البعض الآخر بعض الأخوة الأعزاء
في السيفريون القطري ، وكذلك مدير معهد اللغات بدوله قطر ، وهناك ناشئة
مع تمت المراجع في آخر هذا البحث سردت فيها الكتب الأجنبية التي تناولت العصر
المباني ، وخصوصاً النظم المالي فيه .

وهناك مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة ، وقد استوعبت هذه المصادر ، وأدركت معاني الألفاظ والعبارات ، وعملت جهدي وفكري ما وسعني الجهد ، وناقشت آراء استقرحين والعلماء في كثير من المسائل ، وأدليت برأيي ، بعد أن ولزمت بين الآراء جميعاً ، ورجحت ما إرتكيت أكثر احتمالاً ، وأقربها إلى ما بين أيديها من شواهد وأدلة .

والقصد الهام من هذه الرسالة التعرف على ما وصل إليه المسلمون الأوائل من حضارة وتقدم وبخاصة في النظم المالية في ظل الاسلام وتعاليمه ، والبرز على المخالفين والمتعصبين ، الذين يريدون أن ينكروا عمل الأمة الاسلامية في الحضارة والتقدم .

وكذلك لفت أنظار الأجيال إلى عظمة أجدادهم ، واستنباههم ، لتسير على سنوالتهم ، حتى يضيف إلى حضارة الإنسانية ثمرات أخرى ، ويسهم لقادريين على ذلك لو تمكنوا بمبادئ الاسلام وتعاليمه السامية ، حيث أن أمثالاً للاحلامية لبادرة على الخطأ دائماً .

هذا وقد قسدي البحث إلى التوصل إلى نتيجة هامة ، تتلخص في أن البحث والدرس بهذه النظم الاسلامية عامة ، والخصائص المالية بصفة خاصة ، كتاب لا يخطأ رؤية واضحة عن مجد الاسلام والوقوف عند ما سلبه الأجانب من دار الاسلام .

حيث أن العرب الذي شطلع إليه ، وتخلص لديه المنع ، وأصبح عدد كبير من عماله ، يستخرجون العالم الاعلامي ، ليقدم لهم الإسلام طوق سعة للإنسانية ، مما ترتب فيه من مباح ، وعلى رأسهم المستشرق السويصري جورج ديهار ، والحريسي رايموند شارك ، وس قبلهم الألماني حوته . والبريطاني برنارد شو ، وهـ ————— الاقتصادي الفرنسي جاك أوستري همامير ، ينادي في كتابه (الإسلام في مواجهة

الموضوع الاقتصادي) بأن طريق الإنماء الاقتصادي ليس محصوراً في الرأسمالية والاشتراكية ، بل هناك إقتصاد إنساني عظيم ، هو الإقتصاد الإسلامي ، الذي أرجو أن يسود العالم في المستقبل ، لأنه أسلوب كامل للحياة ، يحقق كافة المرامي ، ويتجنب كافة المساوئ وهو ما حاولت عرضه في هذه الدراسة في جميع مجالاتها وقبل ختام هذه المقدمة أنقدم بالشكر الجزيل ، والإعتراف بالفصل لسمو سبحانه وتعالى وأختي بالدكتور أساتدي وشيخي ومن يهيم العالم الكبير الأستاذ الدكتور بدوي عبداللطيف عوس رئيس جامعة الأزهر سابقاً على تكملة بالإشكشاف على هذا البحث .

هذا وأرجو أن يكون المولى عز وجل قد وفقني في بحثي هذا

(المقام الثاني الإسلامي في العصر الأول للدولة العباسية)

وأن يكون هذا البحث فاتحة خير وبركة لكثير من الأبحاث ، فما يزال هذا الموضوع الحضاري في حاجة إلى مزيد من الدراسات ، وأنقدم باعتذاري إن نسيت أو أخطأت ... فالكمال لله وحده ، وعممي أنني قدمت ما استطعت من جهتي ، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرأ ، غفر الله للمؤمنين والمؤمنات .

المباحث

عبدالله جثمان سعيد السدي

قَالَ لَهُ تَعَالَى ،

” يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ تَوْبَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ
لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ”

سورة يونس آية ٥٧

تیس

تصميم

النظام المالي في الدولة الأموية

قد يكون من المفيد قبل أن نتكلم عن النظام المالي في العصر الأول للدولة العباسية، أن نعطى صورة عامة عن النظام المالي في الدولة الأموية، ليرى القارئ مدى الفرق بين سياسة المال في الحدين .

وإذا أردنا الحديث عن السياسة المالية في العهد الأموي، فلا بد من الإشارة إلى الإيرادات والمصروفات في ذلك العهد سيما المطورات وبعثات التي طرأت على تلك الموارد والمصروفات وعلى سقوط الدولة الأموية - وبأبداً الحديث عن مورد الزكاة .

١ - الزكاة

كان من أهم المطورات التي طرأت على أد - الزكاة في عهد بني أمية أسسه موسى بن النضر إخراج زكاهم بأنفسهم وكذلك حلّ المال عام يخضع من الأعطيات، وقد أورد مالك في الموطأ ثلاث روايات .

إحداهما، نسب إلى النبي الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه

والثانية، نسب إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

والثالثة، نسب إلى معاوية بن أبي سفيان . (١)

وبحق لا نرى سافراً بين الرواية الثانية التي نسب إلى عثمان ، وبين رواة الفلقندي ، من أن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) يركب إلى الناس مركبهم أموالهم ، إن أنما يرجح أن المقصود برواية الفلقندي ، أن عثمان بن عفان يركب عمال الصدقات من إحصاء أموال الناس ، وتقدير ما يجب عليها من زكاة ، يركب للناس تقدير ما يجب في أموالهم من زكاة ، فإذا قالوا بما يجب عليهم مسبقاً

(١) الموطأ صفحة ١٦٤ (كتاب الشعب)

الركاء ، فام بعضهم من عطائهم ، إن كانوا من أصحاب العطاء ، يدبيل ما روي عنه عائشة عن قدامة ، عن أبيها ، من أن عثمان كان يسأل عما يجب عليه من الركاء ثم يأخذ من عطائه (١)

وقد يكون جمع الركاء الواحد من المسحوق من المطاء قد بدأ في عهده أبي بكر الحديق (رضي الله عنه) ، ثم لم يأخذ به عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ثم أخذ به عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ولم يأخذ به بعد ذلك علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ، ثم أخذ به معاوية بن أبي سفيان ، وهكذا لا يكون هناك تماثلاً بين الروايات جميعاً .

وباستثناء أن يكون معاوية بن أبي سفيان قد استقطع الركاء من بعض السوي لأصحاب المطاء ، فإنه لم يقرأ أيّ منهم على قواعد الركاء ، خلال منظم العصر الأموي (٢)

وقد كتب عمر بن عبدالمعمر إلى أحد عماله أن يحثري الدواوين ^(٣) وس أدنى ركاة مائة قبل منه ، ومن لم يؤد مائة حبيب ^(٤) .

وفي عهد الخليفة الأموي عمر بن عبدالمعمر جعل لكل مدينة رجلاً بأسمه الركاة ^(٥) وفي عهد عمر بن عبدالمعمر أيضاً ، عمل على إنشاء الناس ، فلم يبق فقير من أبنائه ، في أكثر الأمصار ، لكرم ما ورث على الفقراء من أموال الصدقات .

يغني عمال الصدقة ، تم يفسوسها في المحاويع ، خصمسي بمصمم الرجل القريبان أو الثلاث ، فما يفرقون الحيّ ومهم معور ، ولا يسمرون إلى الخليفة بفرهم .

(١) الموطأ صفحة ١٦٨ (كتاب الشعب) .

(٢) الإدارة العربية ، سوني ، صفحة ٢١٦ .

(٣) الإسلام والحصارة العربية ، الجزء الثاني ، محمد كرد علي ، صفحة ١٧٨ .

(٤) الإسلام والحصارة العربية ، محمد كرد علي ، الجزء الثاني صفحة ١٨٢ .

وقد بعث عاملًا على صدقات إفريقيا ، فأراد أن يعطي منها الفقراء ،
فانقسم ، ويبحث عنهم في كل مكان ، فلم يجد فقيرًا ، يقبل أن يأخذ مدهمة بيت
سالم ، فاشترى رطلًا وأعتقها ، وجعل ولائهم للمسلمين ، وما توفي عمر بن
عبدالمريز حتى جعل الرجل يأتي بالمطر العظيم ، ويعمل أجعلوا هد حيث يروى
في الفقراء ، مما يروح حتى يروح بماله ، لا يجد من يصفه فيهم ، لكنهم ما أغنى
الناس عمر . (١)

وحاء في خطط الشام (٢) أن عمر بن عبدالمعير كتب إلى عدي بن أرقطه ومن
قبله من المسلمين والمؤمنين (١٠٠٠ مع عن الناس المائدة والموبة وسكن)
وعمرى ما هو المكس ، ولكنه المكس ، الذي قال فيه الله " ولا تبخسوا الناس
أشياءهم ، ولا تنفوا في الأرض مفسدين " ، فمن أدنى ركاه ماله فذبل منه ، ومن
لم يؤد ماله حسيه ١٠٠٠ .

١ وفد دخل لعمر بن عبدالمعير عليه فقال كم جمعت من نهدفه ؟
فقال كذا وكذا ، قال فكم جمع الذي كان قبلك ؟ قال كذا وكذا ، فسمى شيئاً
كثيراً من ذلك ، فقال عمر : من أين ذلك ؟ قال ، يا أمير المؤمنين إنه كسان
يؤخذ من الفرس دينار ، ومن الخادم دينار ، ومن الفدان خمسة دراهم ، ويسمى
طرح ذلك كله ، قال لا والله ما أنفقت ، ولكن الله أنفاه ، وكذب يسري
فسمت أن حمل المال على الجمر والمماير أن يأخذوا المدة على وجهها ،
فسدى عمال الموه ما أمروا به ، وقد رأيت أن أحمل في كل مدينة رجلاً يأخذ
الركاء من أهلها ، فحلوا سبيل الناس في الحسور والمماير ١٠٠٠ { (٣)

وفي عهد بعض خلفاء بني أمية وخصوصاً في عهد عمر بن عبدالمعير ، " إذا جاءهم
حيات الأمان والآفاق ، بأنهم مع كل جملة ، عسره رجال من وجوه الناس وأجنادها ،
(١) الإسلام والحصار العربية ، محمد كرد علي ، الجزء الثاني صفحة ١٨٨ .
(٢) خطط الشام المجلد الثالث ، الجزء الخامس صفحة ٥٦ .
(٣) خطط الشام ، المجلد الثالث ، الجزء الخامس ، صفحة ٥٧ .

فلا يدخل بيت المال من الحماية دينار ولا درهم ، حتى يحلف الوند بالله الذي لا
إله إلا هو حاقبها دينار ولا درهم إلا أحد بحقه ، وأنه فعل أعطيات أهل البلد من
المقاتلة والدرية ، بعد أن أحد كل ذي حق حقه ^(١) وكانت قد أصبحت عنده لسيرة ،
أي يعلمون أن المراهم والسنابر هي فعل أعطيات الأجناس وفرائض الناس .

وذكر الجيوشاري أنه في أيام الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، بقى
أحمد بن قبيصة بن ذؤيب ، ديوان المدقة ، ونقل أيماً حيازة بالأردن ، وسمي
مكتوب بالفسهاء ، على قصر من قصور الصباح بكنة ، مما جرى على يد اسحاق
ابن قبيصة ^(٢)

ومن هنا يمكننا أن نؤكد أن الدولة الأموية التي فتحت الفتوح ، وعززت
الدواوين والخراج والسنابر ، واعتمدت على نفسها ، وأصبحت دولة مستقلة ذات
سيادة على معظم الأقاليم في الشرق والغرب ، مرت بفترات قوة ، وفترات ضعف ،
ولكنها حققت أمراً كثيراً ذات أثر وفيه .

٢ - الجوبة

نظراً لاتساع الفسوحات الإسلامية في عهد بني أمية فقد كان من الطبيعي ^(٣) أن
يؤدي دخول أهالي البلاد المفتوحة في الإسلام تدريجاً إلى خضوع كبرى في الجبهة من
ناحية وريادة في المطا ، من ناحية أخرى ، وقد شمل هؤلاء المسلمون بحدود باسمهم
الموالي ، لأنهم ارتبطوا بقبيلة أو أخرى من بلاد العرب ، أما الذين لم يرتبطوا
بأية قبيلة فقد أصبحوا موالي الإسلام ^(٤) .

(١) خطط الشام ، المجلد الثالث ، الجزء الخامس ، صفحة ٥٧ ، ٥٨

(٢) كتاب الوراء والكتاب ، صفحة ٦٠ ، والفسهاء : فتح صغيره مطبوع بمن
الرحام وغيره ، يؤلف بعضها إلى بعض ، ثم تروك في الجيوب من الداخل .

(٣) من بعده على بن زياد " مبعوث " غير مصنف ولا جعل العبيد والسيب إليه على
قن " فعلى " ويدهي خطأ شائع (شرح ابن عقيل : ج ٢ : ص ٤٩٧)

(٤) سولوي : الإدارة العربية : ص ٢٢١ .

أما موالى القبائل القوية فإنهم تمكنوا عن طريق أوليائهم الأقوياء من عدم دفع الجزية سيما الحق موالى الاسلام الفقراء بالحيثوى الاسلاميه يتخضعوا من الجزية ويكسبوا في ذات الوقت منحه حماسهم للدين الجديد ، وبما لم يمالو أي مسلم من فئة المسلمين خارج الكثرين منهم إلى المدن ^(١) .

وبعد عاقبه فإن معظم الخلفاء الأمويين انحرفوا إلى الغرب ، ولم يماورا بينهم وبين الموالى في المعاملة ^(٢) . فحرمواهم من العطية على الرغم من محاولة بعضهم الانتعاش بطريقتهم كممازاة الذي نقل عددا كبيرا منهم إلى المدن الساحلية بالشمس وعلى الأخص أنطاكية ^(٣) . ولم يتوقف الأمر عند حرمان الموالى من العطية ، وإنما زاد الحجاج على ذلك فأرغم حديثي العهد بالاسلام على دفع الجزية ^(٤) ، كما حرص الحجاج على أن لا يترك أي مسلم عليها أهلها فأظهر الموالى اسماهم من هذه المعاملة ورحلوا إلى المدن لممازوا الغرب إذا ما طلبوا ذلك ^(٥) .

غير أن الحجاج عمل على إعادتهم إلى القرى ، وإلزامهم بدفع الجزية مما جعلهم يظفون من الحكم الأموي موقف المعارضة ، حيث ظهر ذلك جليا ، باستعاضتهم إلى ثورة بني الأشعث ، وهو ما يدفعنا إلى القول بأن الجزية كان لها دورها السياسي الخطير ، الذي أدَّى إلى سقوط الدولة الأموية .

وفي عهد معاوية من أسي سخايا كان للعامل الأسير من الحرية ما يربطه مناسبا لإصلاح عمله . (فقد كتب معاوية إلى عامله بمصر أن إذا على كل رجل منى القبط قيراطا ، فكتب إليه كيف يزيد عليهم ، وفي عهدهم أن لا يراد عنهم ^(٦) حيث أن الإدارة في ملك ما قد لا تملح لظفر آخر ، والخامر يرى ما لا يراه العاقل .

(١) الإدارة العربية ، صفحة ٢٢٢-

(٢) Nicholson. Lit.His. of the Arabs, p. 280-281

(٣) البلاذري فتوح البلدان ص ١٥١ .

(٤) الحناء السياسية في الدولة الخيرية الاسلاميه ضد قبائح حكومية الرسول حتى نهاية الدولة الأموية صفحة ١٥٥ .

(٥) مان سوس السيادة العربية والشيعةوالامراتيليات في عهد بني أمية ص ٤٠

(٦) ترجمه الاستاذان : حسن إبراهيم حسن وسعد زكي إبراهيم .

القاهرة ١٩٢٤ .

(٧) الاسلام والحملات العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٥١-

وبكى الحال تميم حيمما تولي عبد الملك بن مروان الخلافة ، مراد علي
بعض الولايات مقدار الحرية ، فقد ذكر البلاذري أنه (لم يبرأ أهل قبرص علي
صلح معاوية حتى ولي عبد الملك بن مروان مراد عليهم ألف دينار ، فحرى ذلك
إلى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فحطبها عليهم ، ثم لما ولي هشام بن عبد الملك ردها ،
فحرى ذلك إلى خلافة أبي جعفر المنصور ١٠٠ مودهم إلى صلح معاوية (١)

وكان السامرة بالأردن وفلسطين عيوناً وأدلاء للمسلمين ، وبما كانوا يؤدون هذه
الخدمة للمسلمين ، لذا فقد تم إعفاؤهم من الحرية في عهد معاوية بن أبي سفيان ،
أما في عهد يزيد بن معاوية فقد وضع الخراج على أراضي السامرة بالأردن ، وجعل
على رأس كل امرئ منهم دينارين ، ووضع الخراج أيضاً على أرضهم بفلسطين ، وجعل
على رأس كل امرئ منهم خمسة دنانير (٢)

كان من أهم المطبوعات التي طرأت على الحرية كمورد من موارد بيت المال في
عصر الأموي ، أن مقاديرها لم تعد محدودة كما كانت في عصر الراشدين ، وإنما
صارَت متقلبة حسب الأهوال والحروب التي ومعها عباس بن عبد المطلب على أهـل
الحرية كانت ديناراً ومئتين قمحاً ، وفلسطين حلاً ، وفلسطين ربناً ، وكان الناس قد
عملوا طبقة واحدة (٣) فلما جاء عبد الملك بن مروان ، استقل ما يؤخذ منهم ،
وأخرى (جماة جديدة) ، إذ سمعت الصحابة بن عبد الرحمن الأشجري بأخصى الناس ،
وجعلهم جميعاً عمالاً يعملون بأبدانهم ، وحسب ما يكسبه العامل في سنة كلها ،
ثم طرح من ذلك نصفه في طعامه وأدمه (٤) وكسوته وهدائه ، وطرح أيام الأعياد على
اسمه كلها ، فوجد أن ما يتبقى من ذلك أربعة دنانير لكل واحد ، فألزمهم جميعاً
طبقة واحدة (٥)

- (١) فروع البلدان ، صفحة ١٥٩
(٢) فروع البلدان ، صفحة ١٦٢
(٣) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ٤٤ ، وكذلك في فروع البلدان صفحة ١٨٢
(٤) آدم ما يؤتد به ، واشتد أكل الخير مع الإدام ، وإدام الطعام هو
ما يجعل مع الخير ميطيه ، وفي الحديث سمع الإدام الخن ، - لسان
العرب لابن منظور ، الجزء الأول ، صفحة ٤٥
(٥) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ٤٤ ، ٤٥

وحملت الشام على مثل ذلك ، وحملت الموصل على مثل ذلك ^(١) . ومن هذه
لتطورات أيضا أن عبد الحمير بن مروان قرص الحويه على الرهبان في مصر ، إذ أكرم
كل واحد منهم ديناراً في السنة ، فكانت هذه أول جريه أحدث منهم ^(٢)
وقد دفع عبد الحمير بن مروان إلى ذلك ، أن أعداداً كبيرة من القبط ، قد
تظاهروا بالروحية ، فزولوا من أداء الحويه ^(٣) .

وبما آلت الخلافة إلى عمر بن عبد الحمير ، أمر ولاته الذين ولاهم ، بإعفاء
الموالي الذين يدخلون في الإسلام من أداء الجزية ، غير أن هذا المبدأ ألغى في عهد
جده ، يزيد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، إذ أكرم أهل المعد على ^(٤)
أدائها ، وكذلك أكرم الحمير في إمبريئة على أدائها .

وكان الخليفة الأموي عمر بن عبد الحمير كذب إلى أحد عماله بسبب
الدواويس ^(٥) ، ويظهر إلى كل جور جاره من نفسه من حق مسلم أو مسيحي ، فيرده
عليه ، فإن كان أهل تلك المنطقة قد ماتوا بدفعه إلى وراثتهم ^(٦) .

وينصح هشام الخليفة عمر بن عبد الحمير بالحرية وأهل اندلس هي أمور
عماله بالفرق بهم ، وإذا كثر الرجل منهم وليس له مال تنفق عليه الدولة ، فإن

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ٤٥ .

(٢) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المصنوع بالخط بمقربريه
الجزء الثاني صفحة ٤٩٩ .

(٣) إدارة العربية ، مولوي صفحة ٩٢٤ .

(٤) سعد وقد يقال بالمسكين أو المسكين كما يذكره الطبري في كتابه تاريخ
الأمم والملوك هي كلمة محبة ، مما يشبه سرقند ، وقيل هذا مذهب
سعد سمرقند ، وسعد بخاري ، وقيل : جيلان الدنيا أربع : غوطه دمشق ،
وسعد سمرقند ، وسعد الأندلس ، وسعد بابل ، وهي أطيب أرض بله ، كثيرة
الآشجار ، غزيرة الأشجار ، مسحاوية الأظفار ، معجم البلدان ، ج ١ صفحة ٤٠٩

(٥) استغنياً طلب الإسراء من الدين ويدب ، واستغنياً الشيء طلب آخره بهقطع
الشبهة عنه .

(٦) الإسلام والحملوه العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٧٨

كان له حميم ينفق عليه جميعه ، كما لو كان لك عبد ، فكبره به ثم يكن به^١
من الاتفاق عليه حتى يموت أو يهتك ، ومن ضمن اهتمامه بأهل الجربة أنه كتب
إلى عامله بالكوفة (أن قوّ أهل الدية ، فإننا لا نريد لهم ثمة أو تسعين ، وأعطي
بطريقاً ألف دينار يستألفه على الاسلام) .^(١)

ومن سياسة عمر بن عبدالعزير في الجربة ، أن حمار من شريح عامله على
مصر كتب إليه (إن أهل الدية قد أصرعوا في الاسلام ، وكسروا الجربة ، جنس
استلقت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينار ، أكرم بها عطاء أهل الديمان ،
وطلب إليه أن يأمر بتوقيف الدميمين عن شغل الاسلام .

فأجابه عمر بن عبدالعزير . قد ولتلك جند مصر ، وأما عارف بجمعك ،
وقد أمرت رسولك بحربك على رأسك عشرين سوطاً ، فصع الجربة من أطم ، فبجح
أهلك رأبك ، فإن الله إنما بعث محمداً هادياً ، ولم يبعثه جدياً) .^(٢) وكتب
إليه عامله على العراق عدي بن أرطاة . (إن الناس قد كثروا في الاسلام ، حتى
خفت أن يفل الحراج ، فكتب إليه والله لو ددت أن أفياس كلهم ألقوا ، حتى
يكون أنا وأنت حراطين تأكل من كسب أيدينا -)^(٣)

ثم جاء هشام بن عبد الملك ، وعهد بإدارة العراق إلى خالد بن عبد الله
القسري ، الذي بعد أوامره بإبقاء الجربة على من دخل الاسلام ، ثم عين هشام بن

(١) الاسلام والحضرة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٧٩ .

(٢) كتب المواعظ والاصحار بذكر الحطط والآثار ، الجزء الأول صفحة ٧٨ .

(٣) الاسلام والحضرة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٨٠ .

عبد الملك في سنة ١٠٩ هـ أشرس به عبد الله السلمى الذي دعا أهل اندلس من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الإسلام ، على أن يوضع عليهم الحرية ، فأجابوا إلى ذلك فقاموا أسلموا ومع عليهم الجزية وظائفهم بها^(١) .

عما أدى إلى نشوب حروب عصفه مستمرة ، بين المسلمين في خراسان ، وبين سمرقند وأهل بخارى والصغد ، بحملتها موافق داب أهول ، ذكرها الطبري^(٢) ، كيموم العيش وموقعة الشعب .

ثم تمس هشام بن عبد الملك مرة أخرى أسدي عبد الله القسري على خراسان ، فعزب المرك ، وقتل ملكهم خاقان ، فانهزموا ونفروا بعده^(٣) .

وبعد وفاة أسد القسري تمس هشام بن عبد الملك مصر بن سيار على خراسان ، فأنشأ الحرب فيها وراء النهر ، واسمير على اسمي السمرقند ، وأعلن في خطاب له يمرر سياسته الجديدة بأن وضع الحرية مع أسلم ، وأحد حسنا من المشترك فقط ، وقد سحاشى المفسر المانح عن ذلك في بيت الامن بتنظيم أسير الحراج ونتيجة لذلك أعلن الحرية رفعت عن ثلاثين ألف مسلم ، ووضع على ساداتهم ألف رجل من المشتركين ، لم تكن تؤخذ منهم^(٤) .

وهكذا أصح مصر بن سيار الولاية والجبابة ، فمضت خراسان في عهد

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثامن ، صفحة ١٩٦ .

وكانت وجهة نظر أشرس به عبد الله ، الرجل العامل ، والتي خراسان السدي كانوا يسمونه الكامل لفعله عندهم ، أنه يلحق أن أهالي تلك البلاد يسمون يسموا رعمة في الإسلام ، إنما سؤداً من الحرية ، ولذلك فإنه أمر صاحب الحراج الحسن بن أبي المعرطة الكندي بقوله (فانظر من اختار ، وأقام الفرائض ، وقرأ سورة من القرآن ، غفر له حراجه)

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثامن أعيناً من صفحته ٢٠٦ وما بعدها .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثامن ، صفحة ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثامن ، صفحة ٢٦٨ ، وقد أشرت إلى الخطبة وتناولتها عند حديثي عن الحراج .

عمارة لم يصر من قبل ^(١) وصالح أهل الصعيد على شروط صحيحة ، إذ أرسل إليهم يدعوهم إلى الرجوع إلى بلادهم ، وأعطاهم كل ما أرادوا ، فحلب المشككة ، وبذلك انتهت الحروب بينهم ، وبآلت القوم وعاد السلام إلى تلك البلاد ، وقد أحسب أن الحنفية الأموي هشام بن عبد الملك هذا الملح ^(٢) وقد بقي هذا الوالي العادل (مصر بن سائر) والياً على حراس حتى ظهور الجيش العباسي ، بقيادة أبي مسلم في مرو عام (١٢٠ هـ) .

وفي عهد هشام بن عبد الملك رادت الحرب على أهل قبرص ^(٣) ، كما رادت الجربة أيضاً على أهل مصر ^(٤) وذكر ولهايون أن هشام بن عبد الملك ، ساعد جريه أهل الاسكندرية ^(٥) ومن التطورات التي طرأت على الجربة في العصر الأموي ، أنها صارت تجبي كامله من الفري والأقاليم بحرف النظر عن ماغن داعميها ، بسبب لاسلام إد كن على مسن تبلي بدوي إسلام من أهل كل فريه ، دفع ما كانت يؤديه الفريه أملاً ، وأدبت كذلك عن الموتى من الدين يرتوا أملاكهم

وجاء في الحفظ المرفوعة (الحربه حرمات جريه على رؤوس الرجال وجرية

(١) الكامل في التاريخ ، الجزء الرابع صفحة ٢٢٩ .

(٢) ومن هذه الشروط التي طلبها أهل الصعيد ، وذكرها الطبري في تاريخ الأمم والمطوك المجلد الرابع ، الجزء الثامن ، صفحة ٢٢٩ ، أحداث سنة (١٢٣ هـ) (أن لا يخاف من كان مسلحاً ، ولزم من الإسلام ، ولا يهدى عليهم في ديس لأحد من الناس ، ولا يزوجون بكبالة عليهم في بيت المال ، ولا يؤخذ أسر ، المسلمين من أيديهم ، إلا بقسبه قاص ، وشهادة العدوي) أحداث الثاني على مصر قبوله لتلك الشروط ، فقال أم والله نرعايهم فيهم شوكتهم على المسلمين وشكيتهم ما أنكرتم ذلك .

(٣) صوح البلدان صفحة ١٥٩ .

(٤) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول صفحة ٢٩ عند ذكر انتفاخ القبط وما كان من الأحداث في ذلك ، فقد جاء فيه (كتب عبد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر إلى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتل الزيادة ، فزاد على كل دينار قيراطاً ١٠٠٠) .

(٥) تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية صفحة ٣٣٦ .

حمته ، تكون على أهل القرية ، يؤخذ بها أهل القرية ، فمن حنك من أهـــــــــــــــــل
القرية ، التي عليهم جريه مملكه على القرية ، ليسب على رؤوس برحان ، فهذا سرى
أن من حنك من أهل القرية ، معنى لا ولد له له ولا ورت ، أن أرمه مخرج إلى قريته ،
في جملة ما عليهم من الحريه ، ومن هلك من حريته على رؤوس الرجال ، ولم يدع
واوئاً ، فإن أرمه للمسلمين ، - وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن شريح ،
أن يجعل جريه موسى القبط على أحيائهم ، وهذا يدل على أن عمر كان يرى أن أرض
مصر فسحت عموة ، وأن الحرية إنما هي على القرى ، فمن مات من أهل بفرى ، كانت
ملكه الجريه ثابتة عليهم ، وأن موت من مات منهم لا يصح محهم من الحرية شيئاً ،
فإن ويحتمل أن تكون مصر فتحت بطلح ، فذلك الصبح ثابت على من بقي منهم ، وأن
موت من مات منهم لا يمنع محهم مما صلحوا عليه شيئاً ^(١) .

وبالطبع فإن الخليفة الأموي الحادى عشر بن عبد العزيز كان وضع من قبط أهل
مصر ، الذين دخلوا في الإسلام الجريه ، وكانت مؤخذ قبل ذلك من أسم منهم ^(٢) .
ومن يعلم من كل ذلك إلى أن ممن الخلفاء الأمويين قد خرفوا القواعد
المانيه السليمه ، التي وصفا رسول البخرية محمد ا على الله عليه وسلم ا ،
ونظم الخليفة الثانى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، وأن دسلك
أدى إلى الإرساله في ماله الدوله أولاً ، وإلى معارمه حكيم ثانياً ، الأمر الذى أدى
إلى زواله .

(١) ، (٢) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، صفحه ٧٧

عند ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر في الخرج ، وما كان من أمر
مصر في ذلك مع القبط .

٢ - الخراج في العهد الأموي

اعصى الخلفاء الأمويون بأمر الخراج ، وبإتناء الموارد المالية فلم ينفصل معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية ، في وقت من لأوقات عن عهد الزراعة ، وعمي بها في الحجاز عمايه خاصة ^(١) ، فأحبوا سواب الأرضين ، وحضر الأبلر بسقيها ، وأقام سدوداً للإستفاد بالمياه ، وسرت أسوته ومعاصروه على طريقته ، فسيدت الحجاز قرواً من لارتقاء بم مره من بعد .

وقد ولي معاوية بن أبي سفيان عبدالله بن ذرّاج مولاة خراج عراق . وكسب إليه عمل إلّتي من مالها ما أسجين به ٠٠٠٠ فبلعت جبايه خمسين مليون درهم من أرض الكوفة وسوادها . كما كسب إلّتي عبدالرحمن بن أبي بكره بمثل ذلك فسي أرض البصرة ، وأمرهم أن يحملوا إليه هدايا السمرق والمهرجان ، فكان يحمل إليه في السمرق وغيره . وفي المهرجان عشرة آلاف ألف . ^(٢)

وقد أورد اليمطوي قائمة الخراج التالية أيام معاوية بن أبي سفيان -

- ١ - العراق وما يضاف إليه مما كان في منطقة الفرس في أيام معاوية (٦٥٥) مليون درهم . ^(٣)

(١) هذا مع أن طبيعة الحجاز صحراوية قاسية وعبر ثلاثة للزراعة ، ولكن الطبيعة معاوية بن أبي سفيان ما أحب لأهل الحجاز أن يعيشوا من المطيب والمعدلات وموسم الحج ، لأنها مولد غير طبيعة في الصماش ، ومذهب في الإنكال ، لا يؤمن مع زوالها عيش وسعة .

الاسلام والحضارة العربية صفحة ١٦٠ ، الجزء الثاني .

(٢) تاريخ اليمطوي المجلد الثاني صفحة ٢١٥ .

(٣) خراج السواد ١٢٠ مليون درهم ، وخراج الفرس ٧٠ مليون درهم ، وخراج الأهواز وما يضاف إليها ٤٠ مليون درهم ، وخراج البصرة والبحرين ١٥ مليون درهم ، وخراج كير دجلة ١٠ ملايين درهم ، وخراج نهاوند وماء الكوفة ، وهو السمرق ، وماء البصرة ، وهو همدان ، وما يضاف إلّتي ذلك من أرض الجبل ٤٠ مليون درهم ، وخراج الري وما يضاف إليها ٣٠ مليون درهم ، وخراج خلوان ٢٠ مليون درهم وخراج الموصل وما يضاف إليها ويمثل بها ٤٥ مليون درهم ، وخراج أذربيجان ٣ مليون درهم ، وكان صاحب الخراج يحمل إليه من مال صوافيه في هذه المواهي ملّة (١٠٠) مليون درهم - تاريخ اليمطوي المجلد الثاني صفح ٢٢٣ ، ٢٢٤ وجاء في خطط الشام في الجزء الخامس صفحة ٥٥ (وكسب الجبايه بقى بعدد ما يكسب

- ٢ - خراج مصر ثلاثة ملايين دينار .
- ٣ - خراج فلسطين (٤٥٠) ألف دينار .
- ٤ - خراج الأردن (١٨٠) ألف دينار .
- ٥ - خراج دمشق (٤٥٠) ألف دينار .
- ٦ - خراج جند حصص (٢٥٠) ألف دينار .
- ٧ - خراج قنسرين والمواصم (٤٥٠) ألف دينار .
- ٨ - خراج الجزيرة وهي دينار مصر ودينار ربيعة (٥٥) مليون درهم
- ٩ - خراج اليمن مليون ومائتي ألف دينار ، وقيل (٦٠٠) ألف دينار

واستعمل معاوية ومن بعده من بني أمية " الموالي " ولا سيما في لشئون المالية والإدارية فكان كتابه على الخراج في دمشق ترجع إلى منصور الرومي^(١) ويذكر الاسناد الدكتور محمد الطيب السجل أخبار معاوية لعماله فيفـسـون (وقد أحسن معاوية اختيار عماله ، واصطفاهم من ذوي الكفاية والعقل وحسن التدبير له ، وأقره حتى سرت شئون دولته على غير الوجوه ، وكان من هؤلاء الأكفيا المحضين عمرو بن الحارث في مصر ، والمعمرة بن شعبة في الكوفة ، وزياد بن أبيه في البصرة .^(٢) مما أدى إلى نجاح سياسة معاوية في الداخل والخارج .

وفي أيام الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية كان يكتب له عن ديسون الخراج سرجون بن منصور أيضا .^(٣) ولم يؤثر عن يزيد أنه غير شيئاً من أصول إدارة أبيه لاسمراق حبيب الحصن بن علي (ربي الفه عسهما) في العراق ،

(١) الخراج ، فلا يحمل شيء كثير منه ، لقطع أو لزال أو وباء ، وكان عثمان معاوية يجمعون إليه هدايا اليهود والمهرجان ، فيحمل إليه في الصيف وغيره وفي المهرجان عشرة آلاف ، وهدايا اليهود والمهرجان ١٠٠٠ .

(٢) كتاب الوزراء والكتابات صفحة ٢٤ - وجاء في صفحة ٢٧ من نفس المصدر بأن كتابه على خراج حصص " ابن أوتال البصري " .

(٣) الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول البناء . صفحة ٤٤ .

(٤) كتاب الوزراء والكتابات . صفحة ٣١ .

وعبد الله بن الربيع في الحجار ، ووقفه الحرم في المدينة المنورة حفظه
أوقات - (١)

ولم ينعث معظم المؤرخين عن الحياء الاقتصادية والمالية في فترة الحبيسة
الأموي الثاني ، والتدخل معظمهم بذكر الفتن والحروب .^(٢)

كذلك فإن خلافة معلومة الثاني أو الصغير كانت أياً ما ، ومن ثم فإنه لم يدخل في شيء من مهامها .^(٢) غير أنه أخط عبد مولى الخلافة ببيت ($\frac{1}{4}$) ، الحراج ، عن جميع أصناف مملكته ، ومات بعد حكم قصير جداً^(١) وكان كاتبه على الحراج سرجون بن منصور أيضاً .^(٥)

ومن ثم يرجح أن هذا الإجراء لم يؤخذ به بعد وفاته ، وإنما عدت مقادير
الخزاج ، ولوائح الجبيلة صيرتها الأولى .

(١) الإسلام والحصار العربي، الجزء الثاني، صفحة ١٦٢.

(٢) فقد ذكر اليعقوبي { في أيام يزيد بن معاوية } الأحداث السياسية و...
يأت على ذكر الخراج أو أية مورد - تاريخ اليعقوبي: المحدث الثاني -
صفحة ٢٤٩ - ٢٥٤

وفي كتاب الوزراء والكتاب أيضاً ذكر صاحب سيرة يزيد، ولم يذكر الأمور المالية صفحته ٣٦، وكذلك صاحب الكامل في التاريخ في الجزء الثالث من صفحة ٢٦٤ - إلى صفحة ٣١٩.

وأما صاحب الصحري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ذكر الأحداث وسم
يذكر شئون المال إهداء من صفحة ٩١ إلى ٩٥ ، وكذلك في كتاب تاريخ
الأمم والملوك الجزء السادس من صفحة ١٨٨ - ٢٢٥ وفي الجزء الثامن من
نفس المصدر من صفحة ٢ - ١٦ لم يذكر الأمير المالكي في عهد بوريد .

(3) الإعلام والحضارة المربوية - الجزء الثاني صفحة ١٦٢ •

(٤) علم يملك سوى أربعين يوماً ، وقيل أربعة أشهر ، تاريخ المصنوع بمحضه

الثاني صفحة ٢٥٤ ، وفي تاريخ الدول العربية ، فلجاري صفحة ١٦٦ .

(٥) كتاب البراءة والكتاب صفحة ٣٢ .

وهي أيام الخليفة الأموي الرابع مروان بن الحكم ، كتب له علي الديلمي
سرحون بن منصور أيضاً ^(١) .

ولم يكن كمناوئة في عقله وسامته ومديرة إلا مروان ، الذي درس الإدارة
رسماً طويلاً في الحجاز ، وعرف ما بعد الناس ويصلحهم ، غير أن أمره هو الآخر
لم يخل طويلاً ^(٢) .

ولم يورد المؤرخون شيئاً من السياسة المالية سوى مديرة ابنه عبدالعزير
بن مروان أميراً على مصر وتقديم المصحة له ، وكيف يستطيع بالمال ستماله فلوب
الناس إليه ، وجاء عبدالعزير مديرة في إدارته ، عمرت مصر في أيامه عمراناً ليس
به مثيل ،

وصا بهي في جنات القدر والساحد وميرها أحسن صاره وأحكمها ، وأهم
بدمعراج ، عروس النخل والكرم ، وكان له ألف جفة ^(٣) كل يوم سمب حسبول داره ،
ومائة جفة يطاف بها على القبائل المصرية وسجل على سمبل ^(٤) .

وكان يعرف من مزاج مصر وجبايتها على تحسين الأخوان المصيرية ولديستند
لم يوجد به مال باس ^(٥) يوم موته إلا مائة ألف دينار ، وكان يطبق بذلك مبعده
والده مروان بن الحكم .

(١) كتاب الجوزاء والكتاب مفعه ٢٣ ، وفي بعض المصادر أنه روي أن كاتب
مروان بن الحكم هو أبو الرعيعة .

(٢) الانلام والحصارة العربية ، الجزء الثاني مفعه ١٦٢ وجاء في تاريخ
اليعقوبي المجلد الثاني مفعه ٢٥٧ أن ولاية مروان كانت مفعه أشهر وجاء
في كتاب الفجري في الاداب السلطانية والدول الاسلاميه أن ولاية مروان كانت
تسعة أشهر وبض شهر مفعه ٩٦ .

(٣) الحفة القصة الكبيرة .

(٤) الانلام والحصارة العربية الجزء الثاني مفعه ١٦٣ ، وكذلك في كتاب المواعظ
والاعتبار يذكر الخطط والاطر المعروفة بالخطط المصرية في المصبر
الأول مفعه ٣٠٢ .

(٥) المال : الدرهم والدينار .

ثم جاءت مرة من الاضطرابات والعين واستمرت حتى عام الجماعة سنة (٥٢٤هـ) حين تمكن عبدالملك بن مروان من الانقلاب على معاوية .

فمن التطورات التي طرأت على دواوين الحراج في العصر الأموي الساسي إذا حار السعير ، حركة السعير ، والتي بدأت في عهد عبدالملك بن مروان ، وإعادت إلى عهد ابنه الوليد بن عبدالملك ، مما جعل بعض المؤرخين يسمونها إلى عبدالملك ، وبمعهم يسمونها إلى ابنه الوليد وحركة السعير شملت سريـسب دواوين وسريـسب الخطة . وهي ذلك يقول ابن خلدون ^(١) " لما جاء عبدالملك ابن مروان ، واستحال الأمر ملكاً ، وانتقل القوم من عصاة المدوة إلى رويق الحضارة ومن سداجه الأمية إلى حق الكتاب ، وظهر في العرب ومواليهم مهرة في اكتساب والحسان ، فأمر عبدالملك سليمان بن سعد والي الأردن لعبد أن ينقل ديوان الشام إلى الحيرة فأكمل له سنة من يوم ابتدائه ، ووقف عليه مروجون كاتـسـسب عبدالملك ، فقال لكتاب الروم اطلبوا القيس في شهر هذه السنة عند فطـسب له عنكم "

ومن الظواهر الاقتصادية التي سمى الباحث في العصر الأموي ، ما ذكرته بمصدر من تراجع حراج بلاد السواد مراحماً كبيراً في عصر عبدالملك بن مروان وابو زيد بن عبدالملك ، وكان الحجاج بن يوسف مسئولاً عن الحراج في عهدهما ، إذ ذكرت بعض المصادر أنه بلغ في عهد الحجاج أربعين ألف ألف (أربعين مئـسب) ^(٢) كـسب أنه لم يثبت عند ذلك المقدار ، وإنما اسمر في السهور ، حتى وصل إلى

(١) كتاب السعير وديوان السعداً والخمر في أيام العرب والمهم والجبرير ومـسب عامرهم من ذوي السلطان الأكبر ، صفحة ١٩٢ .

(٢) أدب الكتاب : الجزء الثالث صفحة ٢٢٠ .

خمسة وعشرين ألف ألف (٢٥ مليون) عند وفاة الحجاج سنة ٩٥ هـ .^(١)

وقد أوردت مصادر أخرى أن الحجاج قد جنى السود ثمانية عشر ألف ألف (١٨ مليون)^(٢) ، ولا يخرج عن هذه المصادر محتسبه إلا صاحب الأحكام السلطانية والولايات الدينية (الماوردي) الذي ذكر أن الحجاج قد جنى السود مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف (١١٨ مليون) ، وبميف بعد ذلك بمقدار فوسه " بمشحه وجرابه " ^(٣) وهو ما يجعل أيّ باحث يسمعت ذلك المقدار ، لأن المصادر لأخرى تذكر هذه المباره مقرونة بمفص الحراج .^(٤) ولماوردي يذكر مائة مائة الحراج في العصور المختلفة ، ولا يضيف هذه المصاره إلا إلى ما كان في عهدي عبيد الله بن زياد ، والحجاج بن يوسف . كما أن بعض المصادر ذكرت مراضة المقدار الذي تراجع إليه الحراج وهو ثمانية عشر ألف ألف على (راجح الأموال ، وأما فسكت إليه عبارة " ليس فيها مائة ألف ألف " ^(٥) وهو ما يجرى أيّ باحث يحرم بعدم صحة المقدار الذي ذكره الماوردي .

- (١) جاء في تاريخ اليعقوبي الجزء الثاني صفحة ٢٩١ " وانكر نوح في أيامه فلم يحمل كثير شيء ، ولم يحمل الحجاج من جميع العراق إلا خمسة وعشرين ألف ألف درهم " وكذلك في أدب الكتاب الجزء ٢ صفحة ٢٢ وفي سببته والاشراف صفحة ٢٩ . وجاء في تاريخ الأمم والملوك في الجزء الثامن صفحة ٩٦ أن الحجاج توفي سنة ٩٥ هـ وفي الكامل في التاريخ أيضاً بمجد الرابع والجزء الرابع منه صفحة ١٢٢ .
- (٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم صفحة ١٢٢ - وكذلك في لأعلاق النبسة ٧ صفحة ١٠٥ - وفي كتاب الوزراء والكتاب صفحة ٤١ .
- (٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الماوردي صفحة ١٩٨ " وجباة عبيد الله ابن زياد مائة ألف ألف وخمسة وثلاثين ألف ألف درهم بمشحه وقلعه ، وجباة الحجاج مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف بمشحه وجرابه ، وجباة عمر بن عبد العزيز رحمه الله مائة ألف ألف ألف وعشرين ألف ألف بعدسه وعماره " .
- (٤) الأعلاق النبسة صفحة ١٠٥ .
- (٥) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم صفحة ١٢٢ ، وأيضاً في الأعلاق النبسة صفحة ١٠٥ - وفي المسالك والممالك لابن خردادبه " وجباة الحجاج بن يوسف ثمانية عشر ألف ألف درهم ، ليس فيها مائة ألف ألف ، وذلك لمصده وخرقه وقلعه " وذلك في صفحة ١٥ .

أما بقص الحراج ومراحته فكان يجمع المصنف الهائل في الأيدي العاصمه ،
مضافاً إليه الحروب التي أشعلت للبلاد واستمرت عشرين سنة ^(١) والولاة السليبي
حدثت في سنة ٩٤ هـ ، واستمرت أربعين صباحاً هدمت فيها كل شيء ^(٢) ، بالإضافة
إلى إحداد الأرض ، وإسماك المطر ^(٣) ، فبعض هذه الأسباب يرجع إلى سياساته
الحجاج ، وبعضها الآخر راجع إلى عوامل طبيعية لا دخل للحجاج فيها

ولئن من الإنصاف أن سجل أن سياسة الحجاج الفارسة ، إذا كانت قد أصرت
بالحراج مرراً بالحق - كما رأينا - إلا أنها أدت إلى إقرار النظام في بعض مراحله
والكوفة ، وسائر البلاد التي استعمل عليها ، ومنها العراق وفارس ^(٤) ، وكانت
سبباً في إطالة عمر الدولة الأموية .

ومن الحدير بالذكر أن الحجاج نفسه حاول الوقوف على سبب الذي أدى إلى
مدهور الحراج ، فجمع الدعاة عنده ، وسألهم عن ذلك ، فقال له ابن جميل بن
يُحْبَرِي ، دعاة الفلوجيين ^(٥) هذا كله لبنتين فالبها شاعركم الحارث بن عمرو
وأخذوا مما لكم فخرت الدنيا ، وهذا :

لا تنكح النول بأغبارها .. إنك لا تدري من النتائج
واحلب لأغبارك ألبها .. فإن شر الدين التوالج

١) وقد ذكرت أحداث هذه الحروب معظم المصادر الإسلامية مثل تاريخ الأمم
والملوك في الجرايم السابع والثامن ، وكذلك في الكامل في تاريخ في جزء
الثالث والرابع ، وكذلك في السيرة والاشراف عند ذكر أيام عبدالعزك بن
مروان صفحة ٢٨٦-٢٩٠ وفي تاريخ المقوقبي الجزء الثاني ، صفحة ٢٧-٢٩١ وذكرها
أيضا بعض المصادر الأجنبية في تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان صفحة
١٤٦ .

(٢) تاريخ المقوقبي : الجزء الثاني صفحة ٢٩١ .

(٣) كتاب العين والحدائق في أخبار الحقائق صفحة ١٠ .

(٤) تاريخ العرب : حتى : الجزء الثاني صفحة ٢٧٢ .

(٥) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ٤٠ ، ٤١ .

ويرويه الشاعر أن العيوب كانت إذا أحصيت عاماً لم تأخذ كل ما في المروء من أنياب ، وإنما نترك في المروء بقية ، فإن كان في العام المعمل جذب ، كان فيها عمل ولوه ، وحتى لا يقطع القلبين ، عماء هذا الشاعر وأشار ألا تكسح السوق بمناقب ألبانها ، لأنه قد يعثر عليها فمؤجد أو يموت هيأتها الولدت ، فالصواب أن يسجل سفاسها وابن جميل بن بصبوري يريد بقوله للحجاج أن عمال الخراج قد عموا ما أشار به هذا الشاعر ، وأحدوا الحاجل ، ولم يعصروا للعام المعمل ، فقص الخراج لذلك .

وفد حكى أن الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان يستأديه في أحد الفصول من أموال المواد ، عينه من ذلك ، وكتب إليه لا تترك علي درهمك للمأخوذ آخر من منك على درهمك المسروك ، وأبقى لهم لحوماً بحقوق بها شعوراً ^(١) وبعد ذلك أدرك الحجاج هذا القول ، وأخذ به ، فصنع أهل السواد من دبح البقر ، لتكثر الحرارة والزرامة ^(٢) وأصبح الصواب التي تحمل مياه دجنة والغرات إلى أطراف البلاد ، وتمدها بالمياه الدائسة ، وأصبح السدون التي تصور خصب الأرض من مائة الصحراء ، والتي قد سخر لأقل مطب ^(٣) وعلى الرغم من كل تلك الإصلاحات فقد سمي الحجاج ، كما سبق وأن أشرنا ، دون أن يحقق زيادة في الخراج ، لاستمرار أسيره السلي في القوة الماملة ، بالإضافة إلى الموائل الطبيعية التي لم يكن للحجاج دور فيها ، ثم إن هذه الإصلاحات جاءت متأخرة .

وفي عهد الوليد بن عبد الملك ، انكسر الخراج لعوامل كثيرة ^(٤) وقد ذكر ابن مرداديه في كتابه أن الحجاج كتب إلى الوليد بشأن جمع الصبرين المصميس بالسيمين وصل سد لهما ، وأنه قدر مصروفاته هذا المقروء بثلاثة ملايين درهم (ثلاثة آلاف ألف) درهم ، فاستكثرها الوليد - فقال له مسلمة بن عبد الملك أنا أنفق على سدّها من مالي ، على أن تعطيني خراج الأرضين المصممة التي يبقى

١) الأحكام السطانية والولايات الدينية للماوردي صفحة ١٧ -

٢) الممالك والممالك لابن مرداديه صفحة ٥٠ وقد قال الشاعر في ذلك شكونا إليه خراب السواد ، فحرم جهلاً لعموم البقر .

٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ، صفحة ١٤٦ (٤) أشرنا إليها فيما سبق

«بما أئماه» بعد إنفاق المال على أيدي ثقاتك» فأجابه إلى ذلك .^(١)

وهذا يدل على استشفه في إنفاق أموال الدولة ، كما أنه يدل على عدم اهتمامه بالخراج بالمعنى الذي يعنى عليها ، حيث أن إصلاح السدود ، وحفر القنوات ، والأهتمام بهما يزيد من دخل إيرادات الخراج .

وكان يكتب له على ديوان الخراج سليمان بن سعد الحنسي .^(٢)

ولما آلت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك أحس السوء وحاول الإصلاح^(٣) وبعث خرج مصر في حلفه سليمان بن عبد الملك كما يقول الصوري^(٤) أشاء عشر ألف ألف دينار ، وكان واليه على خراج مصر أسامة بن زيد الترخي^(٥) لكن طـرـج العراق استمر على ما هو عليه من الانكسار^(٦) ، وظل على ذلك حتى توفي عمر بن عبد العزيز^(٧)

(١) المسالك والممالك لابن حمدويه صفحة ٢٤١ في سبب من كتاب الخرج وصحة النكاه لأبي العرج قدامة بن جعفر ومما جاء فيه أيضا " فحصلت له أرمسون وطاسيح كثيرة - والظنوح - حبتان من الدوايق ، والدائق أرمسية طاسيح ، وهما حبريان - انظر لسان العرب لابن منظور صفحة ٢٦٢٠ - جعفر الصوري المسمى بالسبيبي ، وبألف الاكثرة والمرارعين ومصر تلك الأرمسين ، وأنجأ الناس أيضا إليه كثيرا من أرمصيم المجاورة بها ، طلبا بلمتمر به " . كتاب الوزراء والكتاب صفحة ٤٢ .

(٢) العمري والحدائق في أخبار الحفاظ صفحة ١٧ .

(٣) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : الجزء الأول : صفحة ٩٩ .

(٤) كتاب الوزراء والكتاب للجبيلري صفحة ٥١ .

(٥) العمري والحدائق في أخبار الحفاظ صفحة ٢٢ .

(٦) أدب الكتاب : الجزء الثالث صفحة ٢٢٠ .

يدى على ذلك أن يوريد هو المقلب كره نقلد الحراج ، وكان سليمان بن عبد الملك قد قلده الحرب والملاذ والخراج ، وبج يوريد في مصادره المصادفة بين الحد بين الرعية وعدم المواني والمصير في حقوق الدولة .^(١) فاستعفى يوريد بن المهابت سليمان بن عبد الملك من الحراج ، وأشار عليه بمال بن عبد الرحمن الكاتب ، ففقد سليمان ذلك .^(٢)

وكان سليمان بن عبد الملك حريص جداً على محصول الحراج ، والإكثار منه ، مهما كانت الطرق ، يدل على ذلك ما رواه الحبيشاني في كتابه " أن والي الحراج يجرى قال له " يا أمير المؤمنين إنني ما جشك حتى تهكت الرعية وهبست . فإن رأيت أن ترفق بها ، ورفق عسا ، وتخفف من حراجها ما تقوي به على عساره بلادها ، وصلاح معاشها . فافعل . فإنه يستدرك ذلك في العام المقبل .

فقال له سليمان هبلتك أسك ، احلب الدر . فإذا انقطع فاحب السدم ورجا " .^(٣)

وهذه الرواية مع ما ذكر في بعض كتب التاريخ^(٤) ، حيث روت أن سليمان بن عبد الملك كان يجلس في صحن المسجد ، وإلى جانبه الأموال والكسوي ، وأتية الذهب والفضة ، فيدخل وفد الحمد ، ويتقدم صاحبهم ، فيتكلم عندهم ، وعن قدموا من عنده ، فيأمر سليمان بن عبد الملك بما يطلبهم ، ويرحبهم ، فما

(١) كتاب الوزراء والكتاب - صفحة ٤٩ وجاء فيه " فكره يوريد نقلد الحراج ، لإحرام الحراج للعراق ، وخاف أن عسف أهله بالمطالبة أن يدموه ، وفي قصر فسي المصنف أن ينقص ما يستخرجه عما استخرجه الصحاح " .

(٢) كتاب الوزراء والكتاب - صفحة ٤٩ .

(٣) هبلته أنه مثل شكلته ، ورأساً - الدر - اللبس - المحا - ما يخرج من البطي ٠٠٠ كتاب الوزراء والكتاب - صفحة ٥١ ، ٥٢ وكان والي بحسب الحراج أسامة بن زيد التميمي - من أهل دمشق ، وكان كاتباً سبيلاً ، وقد بغي على حراج مصر حتى عرله عنه عمر بن عبد العزيز بوفاء سليمان .

(٤) الإسلام والحصارة البرية - محمد كرد علي - الجزء الثاني - صفحة ١٢٢ - ١٢٣

يطلب أحد شيئاً إلا بوله مراهه ، وحقوق له ما يريد . وقد رد المقام وعزل عمال
الحجاج ، وأخرج من كان في سجنه في المراق ، وأعتق سبعين ألف مملوك وسلبوكه
وكماهم

وقد عالج عمر بن عبدالعزير روح القدس والشكوى التي هشت بين المسلمين
بسبب إجراءات الحجاج ، وبقيها ما في النفوس ، فأسقط ما كان يحمل على أهل
الحراج من الهدايا والبهر وغير ذلك ، وصدره معونة لهم في خراجهم ، ^(١) وبحس
بسطيح أن يستف سياسة الخليفة عمر بن عبدالعزير الخراجية من رسائله إلى
عبد الحميد ^(٢) عامله على الكوفة ، فقد كتب إليه (أما بعد ١٠٠٠) من أهل الكوفة
قد أصابهم بلا ، وشدة ، وجور في أحكام الله ، وسنة حبيبنا استبنا عليهم فمستمال
السوا ، وإن فوام الدين العدل والإحسان ، فلا يكوس شراً أهم إليك من نفسك ، فإنه
لا قليل من الإثم ، ولا تحمل خراباً على عذر ، ولا عامراً على خراب ، انظر لحرب
يحد منه ما أطاق وأملحه على يعمر ، ولا يؤخذ من الحامر إلا وظيفة خراج ، في
رغن ويسكن أهل الأرض ، ولا مأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ، ليس لها آيين ^(٣) ،

ولا أجور المراكبي ، ولا عدية المبرور والسهرجان ولا نص الصحف ، ولا أجور
الفهوج ^(٤) ولا أجور البيوت ، ولا تراهم المكاج ، ولا خراج على من اسم ميسر

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف مفعه ٩٢ ، بتاريخ الأمم والملوك المجيد الراسم
الحرء الثامن مفعه ١٢٩ ، ومعظم الكتب التاريخيه مثل الاسلام والحضاره
العربية ج ٢ مفعه ١٧٦ .

(٢) جاء في المصنف الرابع والحرء الثامن في مفعه ١٢٩ من تاريخ الأمم والملوك
أن اسم عامل الكوفة (عبدالحميد) فقط ، وفي كتاب الخراج لأبي يوسف أن
اسمه عبدالحميد بن عبدالرحمن في مفعه ٩٢ وروى ذكر بأنه غاص عمر بن
عبدالعزير على الكوفة ، وفي كتاب الورد ، والكتاب مفعه ٥٤ ، ٥٥ عبدالحميد
ابن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب عامل عمر على الكوفة .

(٣) آيين جاء في لسان العرب لابن منظور في المجلد الأول مفعه ١٩٤ بسات
الألف، الآيين الأعياء والمعص ، والمقصود أن يأخذ وزن سبعة دون أن تكون
المقود صمهلكه ، وقد جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف مفعه ٩٢ (ليس فيها
نبر) وجاء في كتاب الاسلام والحضاره العربيه لمحمد كردعلي في مفعه ١٧٦
في فاش الحرء الثاني بأن معنى الآيين العاده والقانون ، فقد كان من آيين
الأكاسرة أن يبدأ فملك يوم المبرور بالحلوس للناس حسب مراتبهم وهو
المعنى الأصح .

(٤) الفهوج : هو جمع (فيج " وهو رسول المبريد .

أهل لأرض ، فاتبع في ذلك أمري ، فبني هذا وليتك من ذلك ما ولائي الله
وانظر من أراد من الدرية أن يحج ، فعجل له مائة ، يحج بها ، والسلام (١)

عمر بن عبدالمعمر بذلك الأمن الريادات التي كانت مؤخذ من قبل عهده من أهل
الخراج ، كما ألقى هدايا المبرور والمهرجان .

وقد بقي عمر بن عبدالمعمر عن أن يمدد الناس من أهل خراج ، فكتب إلى
عائشة على البصرة عدي بن أرطاة ، حين كتب إليه أن أناساً لا يؤدوا ما عليهم من
الخراج ، حتى يمسهم شيء من العذاب (أما بعد . . . فالتفت كل بيت بقي
استئذالك إني في عذاب البثر ، كماي حيه لك ، من عذاب الله ، وكأن رصاصي
يحدثك من سخط الله وإذا أتاك كتابي هذا ، فمن أعطاك ما فيه عفواً ، ولا
مأخذه ، فوالله لئن ملقوا الله بجنابهم أحب إلي من أن ألقاه بعداهم ،
والسلام) (٢)

ولقد وصلت عدائه عمر بن عبدالمعمر في سياسته الخراجية بدرجة أنه عموه
المرزوق السمرقندي قد ذكر القاضي أبو يوسف أنه (أسي عمر بن عبدالمعمر
رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رعت روعاً ، فمرّ به جيني من أهل الشام
فألهوه . قال: فمؤثته عشرة آلاف) (٣)

كذلك فإن عمر بن عبدالمعمر أمر بإبطال وظيفة الخراج ، التي كان قد فرضها
محمد بن يوسف ، على أهل اليمن ، وأمر ألا يؤخذ منهم إلا القُشر أو نصف

١، هذه رواية الطبري في تاريخ الأمم والملوك المجلد الرابع الجزء السادس صفحة
١٢٩ ، أما رواية القاضي أبو يوسف صفحة ٩٢ في كتاب الخراج ، يختلف
بعض الشيء ، ولكن المضمون هو نفس المضمون .

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٢٩ ، الإسلام والحملولة الحربية ج ٢ صفحة
١٨٠ ، مع مظهر في بعض الألفاظ ولكن بنفس المضمون .

(٣) كتاب الخراج - أبي يوسف صفحة ١٢٩

العشر ، على حسب ما جاء به الشرع .^(١١)

ونم يكتف عمر بذلك ، وإنما جوف عن أهل الحراج بصفة عامة ، بأن قرر إسقاط الكسور - وهي بقايا الأموال المسحقة الناتجة عن الفرق في العملة - عنهم^(١٢)

وسأوى عمر بن عبدالعزير بين الموالي والعرب في الوضع الشرعي ، فألغى الجريه عن جميع المسلمين ، وأعطى المحتربين من الموالي في حراسان من بخراج^(١٣) وتمسك في نفس الوقت بالقاعدة التي وضعها عمر الأول ، والتي تعتبر أرض الحراج ملكاً للأمة ، فحرم على المسلمين بيعها ، وسمح للمزارع إذا أسد بالهبة ، فليط ، وذلك كاستأجر لها .^(١٤)

وعند اكتشاف حالات الجمع كان يعاقب كل من ابتاع والصنعي ، ومصادر أرض الشراء ، ومصاد الأرض للمزارعين وقتل هذا القانون مارباً حلالاً بمبدأي السالبيين لعهد عمر بن عبدالعزير، ثم حدث خرق له بعد ذلك ، لكن سلك الحد استمر في دفع الحراج عن الأرمي التي استولوا عليها ،^(١٥) وقد كان من نتيجة

١١) فروع الهدان - صفحة ٨٤ وجاء فيه (كتب عمر بن عبدالعزير إلي عبد الله باليمن بأمره بإلزام تلك الوظيفة ، والاقتدار على العشر ، وقال والله لن لا تأتي من اليمن حقة كسم ، أحب إلي من إقرار هذه الوظيفة ، فمد ولي يزيد بن عبدالملك أمر بردها) .

وبذلك أن محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف عندما وبى اليمن ، أضاء السيرة وظلم الرعية ، وأخذ أرمي الناس بغير حقها ، فكان مما غصبه المحرقة ، وصر على أهل اليمن حراً حلاً حله وظيفة عليهم فمد يولي عمر بن عبدالعزير ألقى وظيفة الحراج واقتصر على أحد الخثر منهم .

(١٢) أحكام السلطنة والولايات الدينيه للماوردي - صفحة ٩

(١٣) لاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي - الجزء الثاني - صفحة ١٨٩ . وفي كتاب تاريخ الشعوب الاسلاميه : بروكلمان - صفحة ١٥٠ .

(١٤) العراق في العصر الأموي - صفحة ٢٢ ، ٢٤ . وكتاب تاريخ الشعوب الاسلاميه - صفحة ١٥١ . وفي كتاب تاريخ العرب لعلي بن حلي - الجزء الثاني - صفحة ٢٨٥ .

(١٥) الادارة العربية : مولوي : صفحة ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

هذه الإجراءات المأدلة ، أن راجع حراج السواد ، هي بداية عهد عمر بن عبد العزيز
إلى ستين ألف ألف درهم^(١)

وكان عمر بن عبد العزيز رجل الاقتصاد الأول في عهده ، حيث كان يأمر كتابه
بعدم الاسراف ، حتى في استخدام القواطع ، حيث ذكر الجبشباري أن والي
عبد الله بن أبي بكر بن حرم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بمائة من قواطع
فكتب إليه عمر أن دقق القلم ، وأوجز الكتاب ، فإنه أسرع عليهم^(٢) .

وذكر محمد كرد علي في كتابه^(٣) أنه (كانوا يفلون بحرمون الثمار على
أهلها ، ثم يقومون بها بسعر دون سعر الناس ، الذي يباعون به ، فيأخذونه ورقا
على قيمتهم التي قوسوا بها ، فرد عمر إلى من شكوا بسمي الذي أخذ منهم ،
وأخذوا بسعر ما يباع أهل الأرض غلتهم) .

ومن إصلاحات عمر بن عبد العزيز الخراجية أنه كتب إلى عقبه بن ورعه
الطائي عامله على حراج حراسان قائلاً (إن للسلطان ركناً لا يثبت إلا بهما ،
البرالي ركن ، والقاضي ركن ، وماحب بيت المال ركن ، والركن الرابع أنا ، وليس
من ثغور المسلمين ثغر أهم إليّ ، ولا أعظم عندي من ثغر حراسان ، فاسمعوا
الخراج ، وأحرروا في غير ظلم ، فإن بلدكم كعافاً لأعيانهم ، فسيول ديتك ، وإلا فأكعب
إليّ ، حتى أحمل إليك الأموال ، فوثر لهم أعطيتهم قال : فقدم عهده ، فوجد خراجهم يفعل
من أعطيتهم فكتب إلى عمر فأعلمهم بكتب إليه عمر أن أقسم الفحل في أهل الحاجة^(٤) .

(١) أدب الكتاب الجزء الثالث - صفحة ٢٢٠ - وهي كتاب لحيون والحدائق
في أخبار الحقائق صفحة ٤٧ .

(٢) كتاب الوزراء والكتاب - صفحة ٥٢ .

(٣) الإسلام والحضارة العربية : الجزء الثاني : صفحة ١٢٨ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك المحل الرابع الجزء الخامس - صفحة ١٢٩ .
وكتاب الإسلام والحضارة العربية : الجزء الثاني : صفحة ١٨١ ، ١٨٢ .

وكتب عمر بن عبدالعزيز لأحد عملائه (أن دع لأهل نجران من أهل الفراء
 ما يقتضون ^(١) به الذهب والفضة ، ويلبسوا الطيالة ، ويركبوا البرادين ، وخذ
 العمل) . ^(٢)

وعلى الرغم من تلك الإصلاحات المالية والخراجية التي قام بها عمر بن
 عبدالعزيز إلا أن بعض الممشرقيين ^(٣) ذهب إلى أن سياسته أدت إلى اضطراب
 الأحوال المالية للدولة ، ونقص مواردها مقبلاً خطيراً ، بسبب منع بيع أراضي
 الخراج وعدم أخذ الجزية من أهل .

وقد سوا أو ضاعوا أن الاضطراب المالي إنما حدث في عهد الحجاج ، وأن
 إصلاحات عمر بن عبدالعزيز ، وسياسته الخراجية ، قد أمدت خراج العمـ

(١) يقتضون بحسب بالمعنى لبس وبالذهب والفضة أيضاً .

(٢) الإسلام والحضارة العربية : الجزء الثاني : صفحة ١٨٢ .

(٣) ومن هؤلاء الممشرقيين كريبز ، وولر ، ونسبته شان تلويس ورتدو بنسبي
 المؤرخين العرب مثل الدكتور حسن إبراهيم في كتابه " النظام الإسلامي " و
 " تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي " في الجزء الأول
 صفحي ٢٧١ - ٢٧٢ طبعه ١٩٤٨ ، وقد رتد عليهم أ ولد ورن ، في كتابه
 The Arab Kingdom and its Fall , PP. 271-273.

وقد ذكر الدكتور محمد مياء الدين الرئيس الموموع بالتفصيل في كتابه
 الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية صفح ٢٤١ ، ٢٤٢ .

وبالرجوع إلى كتاب النظم الإسلامية للدكتور حسن إبراهيم والدكتور عيسى
 إبراهيم الطبعة الرابعة ١٩٧٠م لم نجد مثل الذي ذكره الدكتور محمد
 مياء الدين الرئيس بل جاء في صفحة ٢٤٩ : وقد أختلف مؤرخو العرب في
 الحكم على هذه الإصلاحات التي قام بها عمر بن عبدالعزيز ، وبي كان
 العرس منها ، القماء على ما قام به في سبيل انتشار الإسلام من التقيات ،
 وذلك بمنع الموالى الحقوق التي كان يتمتع بها المسلمون من العرب
 وخدم ، وإعائتهم من الحرية التي كان يذوقها غير المسلمين ، لئلا
 مقاسمتهم إخوانهم المسلمين من العرب بمصيبتهم من الأعطيات (سوية) .

تفريحيّاً إلى أربعين ألف ألف ثم سبعمائة ألف^(١) ، ثم مائة ألف ألف وأربعمئة
ومئتين ألف ألف مقابل مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف جباه عمر بن الخطاب
أ رضي الله عنه)^(٢) .

وبما أخذنا في الاعتبار ، أن سياسة عمر بن عبدالعزیز الحرورية بصفة عامة ،
والمالية بخاصة ، كانت تقوم في أحد جوانبها على معطى الإنفاق الحكومي ، لأدركنا
بخطأ الذي وقع فيه هؤلاء المستعرضين ، ومن مثق في دريهم .

وبما يؤكد هذا أن الدولة الأموية ظلت قوية متماسكة ، بعد عـــــــمر
بن عبدالعزیز ، ولم يحدث أي انهيار عملي سياسي أو مالي .

ونم يكتف خلفاء بني أمية بذلك الإصلاح المتعلقه بالحراج ، ربما حاول
أحدهم وهو يزيد بن عبدالملك ، الذي سولي الخلافة بعد عمر بن عبدالعزیز ،
أن يجري مراجعة عطليه لخراج السواد ، فكتب إلى عمر بن هبيرة عامله على
المراق ، يأمره أن يسمح السواد ، فسمح له (١٠٥ هـ) ، ولم يسمح السواد بعد
سبعة شتات بن حبيب في رس عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على ســـــــمحه
للمرة الثانية عمر بن هبيرة .

كذلك فإن يزيد بن عبدالملك أعاد وظيفة الحراج التي كان محمد بن يوسف
آخر الحجاج بن يوسف قد وضعها على أهل اليمن ، وألحاقها عمر بن عبدالعزیز

-
- (١) أدب الكتاب المراء الثالث مفعه ٢٢٠ ، وفي كتاب العيون والحداثق
في أخبار الحفائق مفعه ٤٧ .
- (٢) المسالك والممالك لابن خردادبه مفعه ١٤ ، وفي كتاب أحسن التقاسيم في
معرفة الأقاليم مفعه ١٢٢ ، وفي الأعلانی المغيبة المجلد السابع مفعه ١٠٥ .
- (٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي مفعه ١٩٨ في آخر الكتاب
الرابع عشر فيما تختلف أحكامه من البلاد .

(روي الله عنه) . (١)

ويهم من قول الماوردي (٢) (ثم إن الحاج من بعده ، (٣) أعـان المطالبة بالكسور ، حتى أسقطها عمر بن عبدالعزيز ، وأعادها من بعده إلى أيام الميمون) . ولم يكتب يزيد بهذا ، وإنما عزل عمال عمر بن عبدالعزيز جميعاً . (٤)

وكان الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك ، الذي تولى الخلافة قبل عمر بن عبدالعزيز ، كان قد عزل يزيد بن أبي مسلم عن العراق ، وأمر عليه يزيد بسـيـ المصـلب ، وجعل صالح بن عبدالرحمن علي العراق سنة ٩٦ هـ . (٥)

لكن يزيد بن المصـلب كره أن يمشي جلد الشام على حرج العراق ، فقام بشيرة كبرى في عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك ، وكان هدفه تحرير العراق .

(١) الكامل في التاريخ الجزء الرابع ، صفحة ١٦٦ وجاء فيه : وبعد يـرـبـ إلى كل ما مضى عمر بن عبدالعزيز ما لم يوافق هواه ، فـرـه ، ولم يـبـ شاعه عاحله ، ولا إنما عاجلاً ، فمن ذلك أن محمد بن يوسف أخا الحاج ابن يوسف كان على اليمن ، فعمل عليهم خراجاً محدداً فلما ولي عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عامله بأمره بالافتقار على العمر وصف العشر ، وترك ما جدد محمد بن يوسف . وقال لئن يأتي من اليمن حصة درة ، أحب إلي من تقرير هذه الوسيلة ، فلما ولي يزيد بعد عمر أمر بردها ، وقال لعامله هذا منهم ولو صاروا حرقاً . والسلام) .

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية : صفحة ٩٠ .

(٣) يقصد به الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان .

(٤) تاريخ الحمير في أحوال أنفس ميمون . الجزء الثاني . صفحة ٢١٨ ويـبـ يذكر الديار بكري أنه لم يمر سيرة عمر بن عبد العزيز إلا أربعين يوماً . . . وفي تلويح المصنوعي - الجزء الثاني . صفحة ٣١٠ وفيه عزل يزيد عمال عمر بن عبدالعزيز جميعاً) .

(٥) تاريخ الأمم والملوك المجلد الرابع الجزء الخامس . صفحة ١٢٠ .

عمر أن مسلحه بن عبد الملك ، تمكن من القضاء على هذه الثورة ، فعينه
يوريد بن عبد الملك والياً على الحجاز وحراسان ، ثم عاد وعرفه ، لأنه لم يرسل منه
من الخراج شيئاً ، وولى مكانه عمر بن هيرة القراري . (١)

وكان ابن هيرة حريصاً ، محذراً في جميع لأشغال ، فعين خراج المواق يوريد
ابن عبد الملك مائة ألف ألف ، سوى طعام الحمد وأرداق السفاسه ، ^{١٢} وهو ما كان
يحرس عليه يوريد بن عبد الملك ، لأنه أعطي الأرض أم أجدب ، السهم يمينه كم
كبير من الخراج . (٢)

ولما أسندت الخلافة الأموية إلى هشام بن عبد الملك ، اهتم اهتماماً كبيراً
بحرج الدولة ، فأرسل عبد الله بن الحبحاب السلولي والياً على خراج مصر ،
موصياً إياه ، بالجذ في الموارد ^(٣) فقام هذا الخوالي ببيع أراضي مصر ، فاستمره
ونامره ^(٤) بن جديد فوجد أنها ثلاثين ألف ألف عدان ، فقدر الوظائف على
وحدات المساحة ، وبلغ خراج مصر على أساس هذا التقدير الدقيق في ثلاثة عشر
أبن عهد سلك عندما وسم الخراج عبداً لظمن الحبحاب أربعة آلاف ألف دينار .

- (١) تاريخ الأمم والملوك : المجلد الرابع الجزء الخامس صفحة ١٦٦ ، ١٦٧ .
وتاريخ اليعقوبي الجزء الثاني صفحة ٢١١ .
(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للمارديني صفحة ١٩٨ .

(٣) جاء في كتاب الأعلام والخصلة العربية لمحمد كرد علي ، الجزء الثاني ،
صفحة ١٩١ أن يوريد بن عبد الملك كتب إلى قتال عمر بن عبد العزيز " أب
بعد فلن عمر كان معروفاً ، غررسوه أنتم وأصحابكم ، وقد رأيت كتبكم إليه
في الكسار الخراج والعربية ، فإذا أناكم كتابي هذا ، فدعوا ما كسستم
تعرفون من عهد ، وأعيدوا الناس إلى طاعتهم الأولى ، أخصبوا أم أجدبوا ،
أحبوا أم كرهوا ، هيوا أم ماتوا ، والأعلام " .

(٤) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخط والاتباع الخط القريري الحبر ،
الأول صفحة ٩٨ .

(٥) انعام من أراضي مصر : معاً يركبه ماء الميل .

وكان قبل ذلك دون الثلاثة آلاف ألف - (١)

كذلك عهد هشام بن عبد الملك بإدارة العراق إلى خالد بن عبد الله القسري ،
الذي بعد أوامره وأهم بالزراعة ، وحفر بالعراق أنهاراً وأقام لقطار وأصبح لأراضي
ومن الأنهار التي حفرها الخاضع (٢) ، وبارامنا ، والمبارك ، ومطوح (٣)
ويذكر البلاذري (٤) أن خالد بن عبد الله القسري كتب إلى هشام بن عبد الملك ،
بمسأله في عمل قنطرة على دجلة ، فكذب إليه هشام ، لو كان هذا ممكناً لسبق
إليه الفرس ، فرأجه ، فكذب إليه :

بن كنت مديناً لها نعم فاعملها ، فعملها ، وأعظم النفع عليها ، فسم
بلدت أن قطعها الماء ، فأمره هشام ما كان أشق عليها (٥) ومن الأمور الهامة
التي قام بها خالد بن عبد الله القسري والتي تدل على مدى اهتمامه بالحراج سائمه
السدود على نهر دجلة لمنع مياهه من الفيضان (٦) ولكن حانداً كان يهتم إلى

(١) كتاب السواقي والاعصار يذكر الحفظ والآثار ، الجزء الأول صفحة ٩٨ .

وذكر ابن خردادبه في كتابه المسالك والممالك " كان خرج مصر في أيام
فرعون سنة وسبعين ألف ألف دينار ، وجباها عبد الله بن الحجاج في أيام
بني أمية ألفي ألف وسبع مائه ألف وثلاثة وعشرين ألفاً ، وثمان مائه وسبعة
وثلاثين ديناراً " صفحة ٤٢ .

ويقول المقريزي في كتاب السواقي والاعصار يذكر الحفظ والآثار ، الجزء
الأول صفحة ٩٩ أن الرقم الذي ذكره ابن خردادبه غير صحيح ، ولكن هذا
القدر من المال هو ما جمعه عبيد الله بن الحجاج إلى بيت المال بدمشق
بعد أمطية أهل مصر وكلفها .

(٢) فتوح البلدان صفحة ٥٢٨٤ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك المجلد الرابع الجزء الخامس صفحة ٢٥٥ ، أحدث
سنة ١٢٠ هـ

(٤) فتوح البلدان صفحة ٢٨٩ .

(٥) جاء في تاريخ الأمم والملوك المجلد الرابع الجزء الخامس صفحة ٢٥
أ كان خالد - خالد بن عبد الله القسري - يقول لابنه يزيد ، ما أنت بدمشق
مسلّمه بن هشام ، عليك لتفجر على الناس بنلات ، لا تفجر بعلها أحد ،
مكرت دحيه ولم ينكلف ذلك أحد ، ولي سقية بمكة ، ولي ولاية العراق ٠١

هشام بن عبد الملك بأموال الخراج باقمة عن وظائفها ، التي حبسها من قبل عمر بن
 هبيرة ، كما كان يسلم من الدهاقين هدايا المبرور والمبرحان ، فبرس القيس
 مس^(١) ولما كان هشام يكره أن تحبى الأموال ظلماً وسعاً - سوء أسس
 بحراج أم الحريم - كما كان يكره في نفس الوقت التعريط في أموال الدولة ، فقد
 كان يُعَيَّر من يرى منه مبالغة في جمع المال أو التصرف فيه ، ويذكر اليعقوبي أنه
 غضب على خالد بن عبد الله القسري ، وعزل ، لأنه فرّق على أنصاره أموالاً بلغت
 (٢٦٠٠٠ ر ٢٦٠٠٠) سنة وثلاثين مئتين درهم .^(٢)

عمر هشام يوسف بن عمر النخعي - وكان عامله على اليمن^(٣) - مكان خالد
 القسري ، بقي والياً على العراق بقيه عبد هشام ، والوليد وكان يحسن بشهام
 من العراق في كل سنة :

من (٢٠ ر ٢٠٠) اثنين مئتين إلى (١٠ ر ٢٠٠) سبعين مئتين^(٤) ،
 وينفق في تبريد (٢٠٠ ر ٢٠٠) أربعة آلاف ألف ، وهم في الخوارق ألف ألف
 (١٠ ر ١٠٠) ويمنح في بيوت الأعداء والعواقب عشرة ملايين درهم (١٠٠ ر ١٠٠)
 هذا عد سنة عشر مئتين (١٦٠٠ ر ١٦٠٠) كان ينفقها في عطاء من قبله من أهل
 الشام .^(٥)

أما حراسان فقد عُيِّن عليها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، أشرس
 عبد الله الملقب ، وذلك في سنة ١٠٩ هـ ، ثم ولي مكانه للمرة الثانية أسد بن
 عبد الله القسري ، والبيدي عليها حتى توفي سنة ١١٩ هـ .

- (١) الخراج والمنظم المالية للدولة الإسلامية : صفحة ٢٥٦ .
- (٢) تاريخ اليعقوبي : المجلد الثاني : صفحة ٢٢٢ .
- (٣) تاريخ اليعقوبي : المجلد الثاني : صفحة ٢٢٢ .
- (٤) الأحكام السلطانية والولايات الدينية : صفحة ١٩٨ .
- (٥) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي : صفحة ١٩٨ .

فحين مكانه مصر بين سيار الليثي ، وبعد أن كان أشرس من عبد الملك ، سلمني عيسى
حرسان ، وحسب سولي مصر بين سيار ، والحروب الفديدة مستمرة ، بسبب وضع الحرية
على من أسلم أو دفعها عليهم . (١)

وقد تابع مصر بين سيار الحرب فيها وراء البحر ، حتى انتصر على السرك ،
ثم عاد إلى مرو ، حيث اتحدت عامته له بدلاً من بلخ ، ثم أعلن من خطبه أنقاه
بمصدق ، عن برنامج إصلاحي ، يقتصر أن يرفع الحرية عن كل شخص دخل
الإسلام ، وأن يصفى الخراج ، ويوسع مواسمه ، ويحبي بالمقدار المأبى الذي تقرر
على المدن والتواحي ، ومن الأرض وحدها . (٢)

وبذلك صار الخراج يؤخذ من ملاك الأراضي بمقدار ما يملكونه سواء أكانوا
مسلمين ، أم رعايا غير مسلمين ، حاضرين للدولة الإسلامية (٣) ، وعسيرت
حرسان عما له لم يصر قبلها ، وأحسن الولاية والعبادة (٤) .

وهكذا فعلت الحرية عن الخراج في عهد هشام بن عبد الملك عندما تولى
مصر بين سيار ولاية خراسان ، وأصبحت مقصورة على المحوس واليهود والنصارى ،
ولا بد منها العرب المسلمون ، ولا الداخلون في الإسلام (٥) ، وكما كان عليه الحال

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الخامس من صفحة ٢٦٨ إلى
٢٧١ - وكذلك في الكامل في التاريخ ، الجزء الرابع صفحة ٢٤٢ ، ٢٤٤ .

(٢) وهذه الحظية التاريخية موجودة في كتاب تاريخ الأمم والملوك ، بمجلد
الرابع ، والجزء الخامس صفحة ٢٦٨ يقول الطبري " قد كانت
الجمعة الثانية - للخطبة - حتى جاء ثلاثون ألف مسلم ، كانوا يؤدون
الحرية عن رؤوسهم ، وتمانون ألف رجل من المشركين قد ألقيت عنهم
جريتهم ، فحول ذلك عليهم ، وألقاه عن المسلمين ، ثم صد الخراج حسي
وصمه مواسمه ، ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الخراج ، قال فكانت مرو
بؤخة منها مائة ألف سوى الخراج أيام بني أمية " .

(٣) الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية منذ قيام حكومة الرسول صلى
الله عليه وسلم [حتى نهاية الدولة الأموية صفحة ١٦٣] .

(٤) الكامل في التاريخ ، الجزء الرابع صفحة ٢٤٩ .

(٥) تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية عليها ور
صفحة ٢٧٢ - النسخة المراجعة .

أيام الحفاه الراشدين ، وبعض حلفاء بني أمية ، وثمة كان هذا النظام الجديد ،
بحسب على كل شخص أن يدفع بمقدار ما يملك من الأرض ، لذلك فقد كان صرعه قويه
من الدهاقين ، الذين كانوا يملكون من الأراضي أكثر من غيرهم .^(١)

ذلك أن معظم الأراضي طلب خلال معظم العصر الأموي تحت إشراف الدهاقين ،
الذين كانت لديهم قوائم الحراج ، التي اعتمد عليها العرب في الحياة اليومية . في
بلاد العراق وفارس ، أوقفه البعثان الاسلاميه^(٢)

ومن هنا سبب إلى سببه عامه . ألا وهي أن إصلاحات عمر بن عبدالمطلب
الخراجية ، وبرنامجه الخراجي المصنوع ، والقائم على العدل ، جعلت منه رئيساً
قد أحسن الولاية والحياة . فعمرو خراسان في عهده معارف لم يعرف قبلها قط ،
ولا يحب إذا كانت مرو وحدها يؤخذ منها مائة ألف سوى الحراج .^(٣)

ولقد كان عمر بن مفلح الكلبي عامل بني أمية على المغرب ، لهذا ولما
هشام بن عبدالملك الخلامه ، تمت إليه بأموال عظيمة ، وهدايا ، فأثره هشام على
إفريقية ، فلم يرزل بها حتى مات ، ثم ولي هشام مكانه عبيد الله بن عبدالرحمن
القيسي فمزا غزوات في البحر ، وخرج إلى هشام بأموال جديدة ومشرى ألف مبد ،
فاستغناه من الولاية وأعفاء هشام ،^(٤) وولي مكانه عقبه بن قدامة ، ثم بـ
إلا مبرراً حتى عزل ، وولي عبيدالله بن الحبحاب ، فمزا غزوات كثيرة ، ثم ولي
جندله بن مفلح الكلبي ، ولم يرزل مقيماً حتى أهام مروان بن محمد .^(٥)

(١) Gibb, The Arab Conquests in Central Asia, P 92

(٢) Levey, Persia and the Arabs, P.64

and the meaning you can find it in the book of Khuda
Bukhsh, The Caliphate, P.17.

(٣) تاريخ الأمم والملوك المجلد الرابع ، الجزء الخامس ، صفحة ٢٦٨ ، ٢٥٩ .

(٤) تاريخ اليعقوبي : الجزء الثاني : صفحة ٢٦٨ .

(٥) تاريخ اليعقوبي - الجزء الثاني : صفحة ٢٦٨ .

كان عمال الحراج في عهد هشام بن عبد الملك ، يحضرون من قبل الولاية ،
وبعض من قبل الخليفة ، فيشارك عامل الحراج أو نائبه في إدارة شئون الولاية ،
فيروي الطبري أن خالد بن عبد الله القسري لم يول على الحراج عربياً قط ، وكان عامة
عماله على الحراج من الدهاقين ، الذين أصبحوا في عهده ، يسمعون بأمرهم
كبيرة ، جميعهم يخلصون له ، ولأخيه أحد القسري أشد الإخلاص .^(١)

وأشجع من ذلك أن ولاية هشام بن عبد الملك كانوا حريصين على اختيار عمال
لحراج من الموالي ، نظراً لمرافقتهم بأحوال بلادهم ، ولأنهم أصحاب خبرة ، حيث
مارسوا هذا العمل أيام الفرس ، على أن الدهاقين ، استغلوا ثقة العرب فيهم ،
وراحوا يجمعون أموال الحراج بالطريقة التي يرونها ويحتفظون منها بما يشاءون ،
ولا يخطون الولاية العرب إلا المبالغ المتفق عليها ، مما سبب تدمراً شديداً بين
ملوك الأهالي ، وبخاصة سكان بلاد ما وراء النهر .^(٢)

وروى الأمر دروته حين دفع أحد عمال الحراج في عهد خالد بن عبد الملك
القسري مبلغ ثلاثمائة ألف درهم لمامل آخر ، حتى يضار له من ولاية الحراج ، وهو
لا يعمل ذلك بالطبع إلا إذا كان ينتظر من وراء هذا المصنف الشيء الكثير ، وفي
عهد هشام عُزيت دواوين حراسان من الطرسية ، وقد نقبها إلى الطريقة اسحاق بن
طليق الكاتب ، رجل من بني سبخل ، أحد أصحاب نصر بن سيار^(٣)

(١) تاريخ الأمم والملوك - المجلد الرابع ، الجزء الثامن صفحة ٢٤٢ ، ٢٤٨ ومن
إخلاص هؤلاء العمال أنهم كانوا يهادون أحد بن عبد الله (الأمير) وتصدق
إجسموا في سنة ١٢٠ هـ عنده يبلغ ولهم له والي هراة وحراسان ودهقان هراة
هدية قدرت قيمتها بألف ألف (مليون) فكان مما قدما فخران ، قصر من
ذهب والآخر من فضة ، وألبريق ذهبية وفضية ٠٠٠ إلخ .
وكذلك في كتاب الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الشرق الإسلامي ، ومن الحديث
هشام بن عبد الملك صفحة ١٤٨ .

(٢) تاريخ بخارى - صفحة ٨٩ .

(٣) كتاب المؤرخين والكاتب للجيشياري صفحة ٦٢ .

وقد بقي مصر من سيار واليه على خولسان وما وراء المهر ، حتى ظهر
الجيش العباسي بقيادة أبي مسلم في مرو سنة ١٢٠ هـ (١)

وخلالة القول أن العصر الأموي قد منح عن حبيب دواوين الحراج ،
وتعريب العملة ، كما شهد في آخره محاولات جادة لإصلاح الحراج ، حتى ييسر
سيرته كما كان في زمن الخلفاء الراشدين .

وقبل أن ينقل عن هشام بن عبد الملك ، فلا بد من الإسراء إلى أن دويهم
كانت مثلاً للنسب ، (٢) والمبايع في مبايعه الرعية ، ومحاسنها بمال ، الديس
بمصر فون له ، يختارهم من الأبناء ، الذين لا يفلون الفساد ، والرضوة ، والحكم
بالهوى ، ويعتمد في إسناد الأعمال الكبيرة على أناس من أهل بيته

وكان أكبر هذه ، إصلاح أموال الدولة ، وعلم عليه الاقتصاد حتى كان أن
يغلب إلى شح . (٣) حيث ذكر الطبري (أن سليمان بن هشام بن عبد الملك كتب
لأبيه أن يعطي قد عرفت عني ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابة فحسن .
فكتب إليه قد فهم أمير المؤمنين كتابك وما ذكرت من ضعف دابلك ، وقد ظن
أمير المؤمنين أن ذلك من فلة ضعفك لدعها . وإن علفك يصعب . فتعجبست
دابلك في القيام عليها بنفسك . ويرى أمير المؤمنين رأيته في ضلالتك) (٤)

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٩٢ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء السادس ، صفحة ٢٨٥ .

و جاء فيه " قال جعفر بن سليمان ، قال لي عبدالله بن عيسى سمعت دواوين
بني مروان ، فلم أر ديوناً أصح ولا أصلح بلخابه والسطار من ديوان هشام " .
(٣) لاسلام والحضارة العربية ، محمد كرد علي ، الجزء الثاني ، صفحة ١٩١ ، وجاء
في تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء السادس ، صفحة ٢٨٥ ما
يشبه ذلك - " تعقد هشام بن عبد الملك بعض ولده ، ولم يحضر جمعة -
فقال له ما صنعك من الصلاة ؟ قال تعقدت دابتي قال أعجوب عني
المشي فتركت الجمعة ! فسمعت الدابة صفة ٠٠٠٠٠٠٠ " .

(٤) تاريخ الأمم والملوك المجلد الرابع ، الجزء السادس ، صفحة ٢٨٥

ولما بولى الوليد بن يزيد الخلافة ، عزل عمال هشام ، خلا يوسف بن عمر الشقي ، عامل العراق الذي كان ربه مخالفاً لجميع العمال الذين أبدوا هشام بن عبد الملك في عمره على خلق الوليد ، وكانت ولايته قصيرة . (١)

ولم نذكر له سياسة خراجية واضحة ، بل اضطرب البغداد كلها ، حيث كان الوليد صعباً لأمره ، قليل العناية بأطرافه ، وبتأغل من أمور الناس . (٢)

وقد ذكر المصقبوي أنه كان في بيت مثل الوليد سبعة وأربعون ألف السيف (٤٧ مليون) دينار ، فربها يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة بعده . (٣)

وعندما ملك يزيد بن الوليد نظم الناس من عطاشهم وكان أشد صفاة بالمال من هشام بن عبد الملك ، فسمي يزيد النافس ، وكانت ولايته خمسة أشهر ، والطمعة في جميع الدنيا عامة ، وكان العمال في عهده يمشون ويظلمون ، وهو قهر قسائر على منعمهم . (٤) وكان يتقدم له الخراج والخاتم المميز السمر بن عمرو ، من أهل اليمن . (٥)

(١) كانت ولايته لمدة سنة وخمسة أشهر ، تاريخ المصقبوي ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٢٤ .

(٢) تاريخ المصقبوي ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٢٢ .

(٣) تاريخ المصقبوي الجزء الثاني ، صفحة ٢٢٤ . وجاء في كتاب الاغلام والحصارة العربية لصاحب كرد علي ، الجزء الثاني ، صفحة ١٩٤ أنه كان في بيت المال (٧٧) مليون دينار (سبعة وسبعون ألف ألف دينار) - وكذلك في حطه الشام الجزء الخامس ، صفحة ٥٨ .

(٤) جاء في كتاب الاغلام والحصارة العربية لصاحب كرد علي ، الجزء الثاني ، صفحة ١٩٢ ، { قال خالد بن يزيد : يا أمير المؤمنين ، قتلنا ابن عمك لإقامه كتاب الله تعالى وعمالك يمشون ، ويظلمون ، قال : لا أجد أعواناً غيرهم ، وإني لأبغضهم ، قال : يا أمير المؤمنين وأهل البيوتات ، ومن إلى كل عامل رجلاً من أهل الخير والعفة ، يأخذونهم بما في عهدهم - قال : افعل } .

(٥) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ٦٩ .

ثم ملك إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ولم يذكر المؤرخون أي شيء من سياسته الحرجية ، وكلما ذكر أنه ملك لمدة أربعة أشهر ، وما دعا مروان بن محمد بن مروان إلى نفسه ، وبأنه أهل الحرية ، وجه إبراهيم إليه سليمان بن هشام بن عبد الملك المحارب ، فلما انهرم سليمان وأصحابه ، جئ إبراهيم نفسه ، وبأجج لمروان .

ثم تولى الخلافة مروان بن محمد الحمدي ، آخر خلفاء بني أمية ، وكسان يكتب له عبد الحميد بن يحيى ، وكان كاتباً ذو حيرة ورأي شديد ، ويخبر كتاب عبد الحميد إلى كتاب عهد^(١) . مثلاً في العدل والرحمة ، ويحذو به في كل رمل ومكان حيث يقول عن الخراج في بعض فقراته : " ولا يمتنع بطركم في حساب ، فإنه فوام كتاب الخراج منكم ، وأرغبوا بأنفسكم عن المطامع ، حبيب ، ودنياها ، ومساوي الأمور ومخالفها ، فإنها مدله للفرط ، مضد للكتاب " (٢)

ومال من والي الخراج في غيره أخرى (إذا ولي الرجل منكم وميز ، فإنه من أمر خلق الله وعياده أمر ، فليعذب الله تعالى ذكره ، وليوتر طاعته فيسه ، وسكن على الصميف رقيقاً ، وللمظلوم مميلاً ، فإن الحق عباد الله ، وأحبهم إليه أرفقهم بعياده ، ثم لمكن بالحق حاكماً ، وللأشراف مكرماً ومدارياً ، وللمنفي مومراً ، وللمبلاء نامراً ، وللمرعيه مائلاً ، وليكن في محله متواضعاً ، حليمناً ، وفي استجلاب خراجهم واستقصاء حقوقهم رقيقاً) (٣)

(١) من العقوبات التي جاءت في كتابه (- -) ولقد ما يعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية ، فإنها ثقاف السمعكم ، وأجيدو الخط ، فإنه حيلة كتبكم ، وارووا الأشعار ، واعرفوا عريبتها وصفتها ، وأيام العرب والمجم ، وأحاديثها وسورها ، فإن ذلك معين لكم على ما تسمون إليه بهمكم . - - كتاب الورداء والكتاب صفحة ٧٥ .

(٢) كتاب الورداء والكتاب للجهشياري صفحة ٧٥ .

(٣) كتاب الورداء والكتاب للجهشياري صفحة ٧٦ .

وكان مروان بن محمد شيخ بني أمية وكبيرهم ، ذا أدب كامل ، ورأي قاصد ، وهو أحرم بني مروان ولتقدمهم ، وأبلعهم ^(١) وقد حاول القيام بهم من إصلاحات ، ولكن العتس كانت كثيرة ، والتورات عظيمة ، حيث أنه سولى الخلافة الأموية ولأمر مدير عنهم إلى العباسيين .

ويذكر المسعودي في كتابه أنه استل بعض شيوخ بني أمية ومعلميها عقيب زوال الملك عنهم إلى بني العباس : ما كان سبب زوال ملككم ؟ قال : إن شعبنا بلداننا عن تفقد ما كان تفقده بلادنا ، فطلبنا رعياننا ، فبشوا من إنصافنا ، وطمعوا الراحة منا ، وتحولوا على أهل مراحنا ، فتحلوا عنا ، وخربت مدينتنا ، فخلت بيوت أنوالنا ، ووثقنا بوزرائنا ، فآثروا مراقبهم على منافعنا ، وأمضوا أسوأ دوسنا ، أحفوا علمنا عنا ، وتأخر مطعنا جديدا ، فركلت طاعتهم لنا ، واستدعاهم أعادينا ، فنظفروا بهم على حربنا (٢)

(١) الإسلام والحصار العربية ، ج ٢ ، صفحة ١٩١ .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الثالث صفحة ٢٤١ .

القطائع

ومما يلحق بموارد الحراج ، القطائع ، وهي الأرض التي لا مالك لها ، كأن تكون لحاكم البلاد المعبودة أو لمن قتل في الحرب أو هرب ، وقد أقطع الرسون (صلى الله عليه وسلم) أمواتاً تأليفاً لهم على الإسلام ، وأقطع الخلفاء من بعده ، من رأوا أن في إنطاخة صلاحاً^(١).

وبنى أمر القطائع زمن الخلفاء الأمويين على ما كان عليه الحال في عهد الخلفاء الراشدين ، فلما كانت سنة ابن الأشعث دم ٨٢ هـ اعدم بجناحهم كما أغرب سابقاً ، أخرق الديوان فاسولي كل قوم على ما كان في أيديهم من هذه الإقطاعات ، والمواقي عذهب ذلك الأصل ودرس ولم يعرف .

وبلغ المصنف (إلى الخلفاء الأمويين ، والعباسيون ، كانوا يقطعون أرض مصر للفر من حواصم ، ومن حراج مصر ، تصرف أعطيات الجند ، وما تنطبقه مرافق الدولة ، وما بقي يرسل إلى بيت المال ، وما أقطع من الأراضي يبقى بيد من آل إليه^(٢) ويذكر المصنف في موضع آخر أن الإقطاع أورد للأمويين شيئاً كثيراً ولم يحدد^(٣)

(١) كتاب الحراج لأبي يوسف صفحة ٦٦.

(٢) كتاب المواضع والاعتبار بذكر الخطط والأثار ، الجزء الأول صفحة ٩٧.

(٣) كتاب المواضع والاعتبار بذكر الخطط والأثار ، الجزء الأول ، صفحة ٩٧ وح. فيه ا وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ما أقطعه معاوية بن أبي سفيان ومن بعده من الخلفاء من دور مصر فأورد شيئاً كثيراً.

٤ - العشور

والمورد الرابع من موارد بيت المال في الفترة السابقة للعصر العباسي الأول ، هو : مورد العشور .

والعشور هي الرسوم التي يؤخذ على أموال وعمول التجارة الواردة إلى مصر و حدود بلاد المسلمين برّاً وبحراً .

وكل ما يؤخذ من المسلمين من العشور ، سيده الصدقة ، أما ما يؤخذ من أهل الذمة وأهل الحرب فسيجمله الخراج .^(١)

ويؤخذ من الدمي المحلي ، والدمي المجزائي ، نصف المُشر ، كما ذكر أهل الذمة ، وكذلك المحوس والمشركون .^(٢)

وفي عهد بني أمية استمر إيراد العشور كما كان عليه الحال في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث لم يُشر أي من المؤرخين إلى تغيير في هذا الإيراد في كتبهم أو أية إضافة .

كما استمرت المواعد التي كانت تُعفى بها العشور منبقة كما كان الأمر سابقاً^(٣)

وكم كما نود أن نجد في المراجع والمصادر التي وصلت إلينا ، مستنداً لإسقاط صريحة العشور إلى بيت المال من الأقاليم المختلفة ، مجتمعة أو مفردة ،

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤٥ .

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤٦ وجاء فيه : « من رقيق بين حيين ، وكان على مكس مصر ، عذكو أن عمر بن عبدالعزیز (رضي الله تعالى عنه) كفف إليه أن انظر من مرّ عليك من المسلمين ، فجدد مما ظهر من أموالهم النعم ، ومما ظهر من التحلوات من كل أربعين ديناراً ديناراً وما بقى وبجانب ذلك ، حتى يبلغ عشرين ديناراً ، فإن بقيت تلك الدنانير فدعب ، ولا تأخذ منها شيئاً ، وإذا مرّ عليك أهل الذمة ، فجدد مما يديرون من تجارتهم من كل عشرين ديناراً ديناراً ، فما بقي فبصاف ذلك ، حتى تبلغ عشرة دنانير ، ثم دعها فلا تأخذ منها شيئاً ، واكتب لهم كتاباً بما تأخذ منهم إلى مثلهم من الحول . »

ونكى مع الأسف الشديد فإن المؤرخين لم يعطونا معاً واضحاً عن الأردم والإحصائيات التي يسجل منها على معاديو ما يصل بيت المال من تلك العشور ، ولا عن أماكن جيبها ، وعدد موظفيها ، والمبالغ المتحصلة من كل قطر ، في عهد بني أمية

• العنائم

وبعد قيام الدولة الأموية واصل جلعادته حركة الفتح في الشرق والغرب ، حتى بلغت الدولة الإسلامية أوج انشاعها في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وقد شملت الفتح عدة أنطا في العالم القديم المعروف آنذاك ، وهو آسيا وإفريقيا وأوروبا ، وسأحدث مايجز شديد من هذه الفتوحات •

في عهد معاوية بن أبي سفيان - مرا عبدالله بن سوار بن همام وكان أميراً على نهر الهند ، القنار ، وهي بلاد الهند ما يلي خراسان ، مرسى ولكنسسه استشهد في المرة الثانية ^(١) ، ثم مرا المهاب بن أبي صفرة هذه البلاد حتى وصل إلى الصعد ^(٢) واصل كش . فمالحه ملك الهند وكان ذلك حوالي سنة ٧٨ هـ ، وفي عهد عبد الملك بن مروان •

وقد بلغ أطول الشام في عهد معاوية بن أبي سفيان { ١٢٠٠ هـ } مهيبة • فتح بها عدة جبال كهريرة روهوس ، وبعض العرائر اليوساية •

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بلغ عامه عبدة بن رباح على خراسان بيكند ، وأرغم حاسوب أميرة بخارى على طلب الملح ، وقد سقطت العهد مريسي • ولكن المسلمين دخلوا بخارى بقيادة سعيد بن عثمان الذي خلف عبدة بن رباح على ولاية خراسان •

ثم دخل المسلمون سمرقند بعد قتال عنيف فيما بعد •

(١) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني صفحة ٢٢٤

(٢) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني صفحة ٢٢٦ •

في سنة ٥٠ هـ أرسل معاوية إلى عقبه بن نافع وكان يعيم بمقرة ورويد^١ بالدخول إلى إفريقية ، فمكث هذا القائد من فتحها ، وأسلم على يديه الكثيرين من البربر ، انتهى كانوا نواة لفتح المغرب العربي الكبير والأندلس ، وقسم بنى عقبه بن نافع مدينته القيروان ليقوم بها عساكر المسلمين وكثرت بها أمموا شوره أهل البلاد .

وفي عهد الوليد بن عبد الملك تم فتح بلاد ماوراء النهر ، وهي البساسير الواقعة شرق نهر جيحون والمعروفة ببلاد التركمان ، فقد فتح الحجاج بن يوسف القائد قبيلة بن مسلمة الباهلي ولاية خراسان سنة ٨٦ هـ ، وقد تمكن هذا القائد من غزو هذا الإقليم ، وأسس على أهم مدنه مثل بلخ ، وبخارى وسمرقند ، بعد أن سلب على سكانها ، من الأتراك الوثنيين ، ونشر الإسلام في ربوعه ، واستأنسب إليه عناصر عربية .

وقد على القائد قبيلة فدماً سنة ٩٦ هـ إلى حدود الصين ، على رأس جيش كثيف ، وحرث مفاوضات بهذه وبين ملوك الصين ، انتهت بأن دعا ملك الصين بصفاء من ذهب فيها ثراب ، وبعث بحريز وذهب وأربعة علمان من أبناء منوكهم ، وأجاز الوفد الإسلامي ، فسر الوفد حتى وصل إلى القائد قبيلة ، ندي قبل الجربة ، وختم العلمان ودهم ، ووطئ المراب ، ثم عاد إلى مرو .^(١)

ولد عهد هذا طريقاً للاتصال بالصين وتجارها ، وعبارتها ، ثم بمسما^٢ الإسلام ينتشر إلى الصين .

وأما بلاد الهند والتي تقع شرقي إيران ، على ساحل بحر الهند ، بها سكان عربية وبغلاذيش اليوم - فقد دبر الحجاج بن يوسف عامل الوليد بن عبد الملك^(١) والفتنة بالمفصيل المذكورة في كتاب تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثامن ، صفحة ١-١ .

على العراق عرو هذه البلاد ، وأرسل إليها الحملة يرأ ويعزاً ، بقيادة محمد بن
نقاس ، نسفي ، ولدي كان غنياً على مكران ، وقد جهزت هذه الحملة بكل شيء ،
وقبل كعب بيت المال سبع ملبون من المراهم ، وقد تمكن القائد المسلم من
احتلال مدن السند ، حتى أتى الديبل ، واقتحمها بعد حصار ، ثم مار إلى بيرون
فاسبقه أهلها استقبالاً حفاً ، وأدخلوه مدينتهم ، ووعوا بالفتح ، وواصل محمد
ابن النقاس مسوحه ، حتى بلغ سهر السند ، وكان يعرف إندك باسم سهر مهران ،
وهناك التقى بدهر ملك السند ، الذي كان يقابل مع جنوده على ظهور الفيلة ،
وقد أسبى السلالة بيريمه داهر ملك السند ، وفنله ، ودخل القائد مسلم السرور
عاصمة السند . (١)

وفي السنوات آخر حصون السند بين الكبرى ، أفضل على محمد ابن النقاس
الأغوا والتجار ، وأصحاب الحرف ، في عدد كبير من حكا الأقاليم المجاورة ،
الذين كانوا يعانون من ظلم المراهمة ، والذين كان قد سلط عليهم الكثير من سوء
هذا القائد المسلم ، وكرمه ، وكفه لأهلي رجاله عن اللبسهم ، فأعلنوا حبساً
ولاهم بهذا القائد ، وقد دل أحد المواضع القائد محمد بن نقاس نفراً منه ،
على مكان مخفي بأحد المصايد القريبة ، كان يهتكهم يودعون فيه أموالهم وكثيرهم ،
فوجد به هذا القائد المسلم من المال الكثير ، ما أمكه أن يرد بني بيت المال
المسلمين ضعف نفقات الحملة السندية ، وكان الحجاج قد سجد بذلك بخلافه في
بدي . الأمر وقد صدق في تمهده ، حيث حمل إلى دمشق عاصمة الخلافة لأموه
(مائه وعشرون ملبون درهم) ، دون أن يحار لأهلون في أموالهم أو يفرس عليهم
من الحرم مالاً يطيقوه . (٢)

(١) فوج ابلدان صفحة ٤٢٢ .

(٢) فوج ابلدان ، صفحة ٤٢٢ ، وجاء فيه (ونظر الحجاج ، فإذا هو قد أتى
على محمد بن النقاس حتى ألف ألف ، ووجد ما حمل إليه عشرين ومائة
ألف ألف ، فقال شعباً عظيم ، وأدركنا بلربا واردينا سبع ألف ألف درهم
ورأس داهر) .

ومن هنا نستطيع أن نبوصل إلى أن مورد المعاش كان يعمل أحياناً إلى حد

الرقم (١٠٠٠ ر - ١٢٠٠ درهم) في عهد بني أمية من غزو بعض البلاد .

وبمسير فتح محمد بن القاسم الثقفي لبلاد الهند من أعظم دعويع لاسلامه ،

إذ بدأ الاسلام ينتشر في ربوع تلك البلاد ، وكان له كبير الأثر في اتصال المسلمين

بالحمد ، فنظروا عنها الفلسفة والرياضيات .

وفي عهد الوليد بن عبد الملك ، قلند موسى بن نصير إفريقية سنة ٨٨ هـ .

فخرج موسى بن نصير بجيش عظيم فاصداً إفريقية ، حيث انضم إليه جيش آخر ، عسى

مقدمته طارق بن زياد . فبسط نفوذ الأمويين ، ورفع راية الاسلام في أرجاء المغرب

حتى وصل طنجة ، فاستبحها ، وأسلم أهلها . وقتل القائد موسى بن نصير طارقاً ولابنها ،

فلم يداخلك فتح بلاد المغرب كلها . فاعدا سنة ، فثني سلطان بالدولة الإسلامية

عند غزو الأندلس .

أما بالنسبة للأندلس ، فبعد انخراط لدرهق العرش ، لحأ كثيرون من أبناء

الأسرة المالكة المنبثقة إلى شمال إفريقية ، واتصل بهم بموسى بن نصير والتي

المغرب ، الذي أسأدى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بفتح الأندلس ، فأسسه .

أرسل موسى بن نصير حملة استطلاعية بقيادة طريف بن مالك ، وكان من

المسلمين البربر ، فعزوا بعض شعور الأندلس الجنوبية وعاد محملاً بالمعاشم ، بعد

أن التبع بالنداء وسائل الدفاع في أسيانها .

» وهذه التسمية الحالية غير ما غممه المسلمون ، وقسمت حسب ما أمر الله

به للمارس ثلاثة أسهم ، وثلاث أسهم ، وحسب قوته تعالى (١) واعتصموا

أنما يحسم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتيم والمساكين

وابن السبيل (١٠٠) آية رقم ٤١ من سورة الأنفال من القرآن الكريم

ثم سبب القائد موسى بن نصير لفتح الأندلس رجلاً من خيرة حمده هو طارق بن زياد،
فمن قيامه بقيادة جيش المسلمين لفتح الأندلس ، وقد كان جيش طارق يهبط
مرفأً أو يكاد ، وهذه أول مرة سمع فيها أن قائداً إسلامياً ، عهد في حمل غربي
خطير إلى قائد غير عربي ، وجد غير عرب في القائد ، وسعه عدد من كبار نجد
العرب ، وموالي الأمويين

وقد مرل بهم طارق بن زياد الحبل الذي حلد اسمه ، فمرق منه د سلك
الجيش بحبل طارق ، واحتلر بالمسلمين المصيق إلى الأندلس ، حيث انتصر على لدرين
وجنده ، وكتب إلى موسى بن نصير بخبر الانتصار ، وجاء القائد موسى بن نصير مع
جيش كبير ، لاستكمال الفتح في بلاد الأندلس ، وخصوصاً كبار المدن الجنوبية ،
والعربية التي جعلها طارق دون فتح ، حيث التقى القائدان على مفترق من طليطسة
فاقتضا لشبله ، وصارمة ثم توجها إلى الشمال واحتل مرسطه وبرشلونة ، واستمررا
في السير والفتح حتى وصلا إلى جبال البرانس .

وهكذا تم فتح بلاد الأندلس على يد القائدين الكبارين موسى بن نصير ،
وطارق بن زياد ، وعلم المسلمون عنائم كمرة . واستمر هذا المورد انشاعاً لأمثل
له بهذه الفتوحات العظيمة .

وقد كان هذا المورد ، وأعي المورد النائم في الدولة الأموية بمممش جداً
عندما تستمر الفوحات ، ويصحب هذا المورد عندما يشعل المسلمون بعض الفس ،
والأمور الدخيلة . . . في عهد بعض الخلفاء الأمويين لم يدخل إلى بيت سـال
المسلمين أي دخل من هذا المورد ، بينما أدخل هذا المورد إلى بيت سـال
المسلمين العلانيين من الدرهم والدينير في عهد بعض الخلفاء الأمويين الآخرين ، وخصوصاً
في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وفي عهد الوليد بن عبد الملك .

٦ - المصادر

وقد عدّ الكثير من المؤرخين المحدثين أن المصادر التي حدثت في العهد الأموي من موارد الدولة الأموية وخصوصاً وأن المصادر كانت تمثل أحياناً إلى منابع كبيرة جداً ، وإلى ملايين الشرائح .

وقد اسمر هذا الثقل المالي سائداً في العصر الأموي، ففي عهد معاوية صادر رباح بن أبيه رجلاً من أشراف العرب بالعراق، واحجز أمواله فأسأد الرجل في الخروج إلى معاوية في الشام ، فأدى له ، فلما وصل إلى دمشق شكوا أمره إلى معاوية فقبل معاوية شكايته ونمّسه عن أمواله ، ووصل الخبر إلى رباح فكتب إلى معاوية معتزلاً على موقفه مُبياً أن مثل هذا المعروف اللئيم مفيد للجهد يدي يقوم به لصيط أمير ولايته ، فكتب إليه معاوية موصحاً هدفه قائلاً " إنه لا ينبغي أن يسوس الناس سياسة واحدة فيكون مقام رجل واحد ، لا ملئ جميعاً فيخرج ناس في المصميه ولا يتمد جيداً فيحمل الناس على الصبالك ، ولكن تكون لمنطقه والشده ، وأنكون أنا للرفقة والرحمة فيستريح الناس " (١)

ومن مصادر العصر الأموي ما قام به يزيد بن عبد الملك من مطاردته آل يزيد ابن الصليب ومصادره أموالهم . (٢)

كذلك فإن الحياه في عهد هشام بن عبد الملك كان يحق منهم عند فتراتهم أعمالهم الادبية ، ويطلب إليهم ردّ ما أهدوه بغير حق إلى بيت المال ، فمن ذلك أن يوسف بن عمر التقي لما ولي العراق بعد عزل خالد بن عبد الله القسري

-
- (١) الاسلام والحصارة العربية ، محمد كرد علي ، الجزء الثاني صفحه ١٥١ وكذلك في كتاب الخلافة والدولة في العصر الأموي ، محمد حلي صفحه ١٥٥ ، ١٥٦
- (٢) تاريخ اليعقوبي ، الجزء الثاني ، صفحة ٢١٠ ، ٢١١ ، وكذلك في كتاب النظم الإداريه والماليه في الدوله العربيه الاسلاميه صفحه ٢٧٥ .

طابت أعمال خالد بالأموال ورجع بهم في المحون فأخذ من طارق بن زياد عدل الحراج على ثلثي عشرين ألف ألف درهم ، وأخذ مثلاً من عامل أصهار والري وقوسس ، وأخذ من ثمان بن الوليد عشرة آلاف ألف . (١)

وكن يمسى الولاة عند اسناد ولاية حراسان إليهم ينادون إلى الظاء لبعض على من سبقهم من الممثل وسوابهم ، ويخرجون منهم الأموال فحينما وصل عامم بن عبد الله بن يزيد الهلالي إلى حراسان وأثماً عليها من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك في نهاية عام ١١٥ هـ يادر إلى لقاء القيس على عمال سنة الحميد بن عبد الرحمن المري واستخرج منهم الأموال (٢) . وعندما مولى أسد بن عبد الله القسري على حراسان مرة أخرى في سنة ١١٦ هـ عامل عامم بن عبد الله بنفس هذه المناقشة التي عامل بها عامم من سبقه ، وأخذ منه مائة ألف درهم (٣) . وسيطع انقوى بمئة مائة بأن من أهم ما يؤخذ على بني أمية في المصنف الثاني من أنهم جلاهم شديهم على الأمراء ومصدرهم الأموال ، وأحياناً الإنفاق منهم بعد عربهم ، وقد ابتدأ هذه السنة سليمان بن عبد الملك فاعند على آل الحجاج ومن كانوا يلودون بهم . وفعل مثل ذلك بكثير من قواد مصر وعظمائه كموسى بن نصر فالح الأندلس ، وعبيد بن مسلم فالح الصبي ومحمد بن القاسم فالح البغد واسمر الأمر على هذا الحسد بعد عهد عمر بن عبد العزيز فكان هذا من الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولة الأموية وسقوطها .

- (١) تاريخ البعقوبي ، الجزء الثاني صفحة ٢٢٢ ، ٢٢٤
- (٢) مطايع الحوري ، مرآة الرمان وزفه رقم ٣٦٤ ، ٢٦٧ | مخطوط مسجل بدار الكتب المصرية برقم ٥٥١ | تاريخ | الجزء التاسع مجلد ٢ | وفيه شيء إلى هذا المخطوط ثم تحقيقه ، ولكني لم أعتز على الكتاب المحقق من خلال المكتبات المصرية والفطرية ، وربما كان رسالة محاسنير أو دكتوراه في إحدى الجامعات ، ولكنني لم أنوول للحصول على النصحة المحققة
- وكان في تاريخ الأموال والملوك المجلد الرابع الجزء الثامن صفحة ٢١٨ | أن هشام ابن عبد الملك قال لعاصم بن عبد الله : إن أدركت الحميد وبه ريق فارشني نفسه فقدم عاصم وقد مات الحميد { .
- (٣) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثامن صفحة ٢٢٦ في أحداث سنة ١١٧ هـ .

٧ - موارد أخرى لعبت المال

وفي العهد الأموي فرمت المراتب على الدور والحواسب وأنواق ، وأطلق على هذا النوع من المراتب " مستملات " ، وأنشئ في عهد الوليد بن عبد الملك ديواناً جامعاً بها هو " ديوان المستملات " كان يتولاه للوليد بنعيم بن دؤيب ^(١) .

ومما يجدر الإشارة إليه أن طرق جمالية هذه الأنواع تمخضت من المراتب كانت في بعض الأحيان تنقسم بالشدة . ^(٢)

ومن مصادر بيت المال أيضاً " خمس ما يخرج من عليه وعسبر " ^(٣) وخمس المعدن وعشر العسل والنور والهدق والغسق وفصب الكبر ^(٤) - وخمس الركاز ، وهو كبر النادي ، وسرقة من يموت دون وارث من المسلمين ومن موارد بيت المال أيضاً هدايا السمرور والمهرجان وأصل " السمرور " سرور " هدايا العرب فضلو النور ، ولانوا " سرور " وسماء الصباح الجديد ، وأول من أنعمه من الفرس " جم " الملك ^(٥) ، ومن ذلك التاريخ سمى الفرس أن يقدموا لملوكهم هدايا في السمرور والمهرجان ، يقول الناحظ في التاج " ومن حق الملك هدايا المهرجان والسمرور ، وعلته في ذلك أنها معلا انسه ، فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد والسمرور ادن بدخول فصل الحر " ^(٦) وقد كان الفرس يملكون ذلك من ولهم لاسمطاه .

(١) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ١٧ ويذكر الحفشياري أن اسم سابع من دؤيب مكتوب في لوح في سوق المراحين بدمشق .

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، صفحة ١٧ .

(٣) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ٧٥ .

(٤) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ٧٧ .

(٥) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الجزء الأول صفحة ١٩١ .

وكان الدين قبله قد تميز ، وظهر الحور ، فلما ملك حدد الدين ، وأظهر العدل ، فسمي اليوم الذي ملك فيه نور ريز .

(٦) كتاب التاج في أخلاق الملوك ، صفحة ١٤٦ .

وقد أحدث هدايا الميرور في العصر الأموي ، واشهد بعض تولاه في بمطالبة
بها ، فيذكر ابن الاثير أن عبدالله بن عامر . والي معاوية علي البصرة وخراسان -
عن قيس بن الهمثم العيصي عن حراسان لأنه أبطأ بالخراج والهدية ^(١)

وقد طالب معاوية بن أبي سفيان أهل السواد أن يهدوا إلى عامله عيسى
الخراج في السيرور والصبرخان فعملوا فبلغ جملة ما حمل عليه معاوية من ذلك
عشرة آلاف ألف درهم في السنة ^(٢) مما يدل على أهميتها كمورد من موارد بيت المال.

وقد ظلت هذه الهدايا تزود ، حتى أبطلها الخليفة عمر بن عبدالعزير ، لكن
أعيدت بعده ، وقد أثرنا إلى ذلك عند الحديث عن الخراج في العصر السابق للحلقة العباسية
الأولى .

أما الحديث عن مصارف الإنجازات في العهد الأموي ، لحديث برعب كل قاري
أن يخرج منه بمساح طيبة ، وسلموا ما فيه وما فيه عن كل ما كان يعرف من بيت المسكن ،
في هذا العهد ، ولكن مظهرًا لفقدان الدولتين والمحلات التي كانت تسجل فيه هذه
المعروفات وأوامر الصرف بحمل التبعث لاسموفي بحثه الذي ينبغي أن يشتمل على
قوائم للمصروفات .

ومصارف بيت المال تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي -

- أ - مصارف الزكاة وما يتصل بها .
- ب - مصارف الحربه والخراج والمشور وانصرايب الأخرى
- ج - مصارف العتائم وما يتصل بها .

(١) الكامل في التاريخ ، الجزء الثالث صفحة ٢١٨ .

(٢) كتاب الوزراء والكتائب صفحة ٢٤ .

وقد بين القرآن الكريم ، والسمه المبيوه ، وعمل الصحابه [روى النسبه عليهم] معارف هذه الأبواب .

أولا معارف الركاة

فيؤكد بيت المال من الركاة والصدقات يصرف في ثمانية طوائف : **جـ** ، ذكرها في القرآن الكريم ، قال الله تعالى - " إنما الصدقات للفقير ، والمساكين والعاممين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والمسلمين ، وفي سبيل الله وأسمن السبيل ، فربمة من الله ، والله عليهم حكيم " (١)

وحلال الحكم الأموي ، ظلت حمايه الركاة ، وسورها كما كانت في عهد الخلافة الراشدة ، إلا أن الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزير لم يكن يمانب أحداً إلا أن يدفع ركاه أمواله ، فقد جاء عنه قوله لعماله (٢) " من أدّى ركاة ماله فليس منه ، ومن لم يؤد ماله فليس منه " (٣)

كما أن عمر بن عبدالعزير جعل لكل مدينة رجلاً بأحد الركاة ، وكتب إلى عماله أن في الخلايا صدقة تعدوها منها ، والخلايا كواثر المدخل . (٤)

وفد اعتم الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزير أهما بالظراء والمساكين ، وابن السبيل ، واتخذ لهم داراً يعرف بدار الطعام ، وأوصى أن لا يقيم أحد من هذه الدار شيئاً من طعامها ، لأنه خاص بمن طبع لهم .

كما أنشأ الحمامات في البلاد ، بهري من مرّ بها من المسلمين يوماً وبنيك .

- (١) القرآن الكريم ، سورة اتوبة آية ٦
- (٢) خطط الشام ، المجلد الثالث ، الجزء الخامس ، صفحة ٥٦ وكذلك في كتاب الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٢٨ .
- (٣) الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٨٢ .

ويستعيد دولهم . ويغزون من كانت به على يومين وسبعين فإن كان منقطعاً به
بقوى بما يصل به إلى بلاده . (١)

ولكنهم ماورع على الفقراء من أموال المدقات ، لم يبق فقير في أيامه فسي
عالية البلدان ، حيث كان عماله يقيمون الصدقة ثم يقسمونها في المحاويع ، حتى
ليصيب الرجل مريحتان أو الثلاث ، فما يفرقون الحي وفهم مقور ، ولا يصرفون
إلى الخليفة ب درهم

بنت عمر بن عبدالعزير عملاً على مدقات إفريقيا ، فأراد أن يعطي مائة
الغفرة ، فالمسهم في كل مكان ، فلم يجد فيها فقيراً فغير أن يأخذ المدقة ،
فاغترى بها رقياً واعتقها ، وجعل ولائهم للمسلمين . (٢)

واهم الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزير بمهم المؤلفة للوهم ، بعد
أن ألقى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سهمهم ، وعمل ذلك ،
لانتفاء الحاجة إلى السكيف .

ولعل الحاجة إلى السكيف قد ظهرت أيام عمر بن عبدالعزير ، الذي قدم
لأهالي البلاد المأمن للدولة الإسلامية ، هبات من المال ، (٣) ليذهبوا لاسلام
بعد أعطى بطريقاً ألف دينار ، أسبغهم على الاسلام (٤) كما أمر أن لا يؤخذ من
المسلمين الخمس وتؤخذ عنها الصدقة .

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني ، صفحة ١٣٨ .

وكان عمر بن عبدالعزير قد كتب إلى سليمان بن أبي أسير أمير إيساء
بإتداء هذه الخانات في سرحد .

(٢) الاسلام والحملات العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٨٨ ، وجاء فيه أيضاً
أما ما عثر حتى حمل الرجل بأبي بالمال العظيم ، ويقون أحملوا هذا
حيث مرون في الفقراء ، فما يرح حتى يرجع بحاله ، لا يسعد من يصعد فيهم
لكثرة ما أعطى الناس عمر) .

(٣) التاريخ الاسلامي العام ، الحاشية - الدولة العربية - الدولة العباسية صفحة ٣١٨

(٤) خطط الشام ، المجلد الثالث ، الجزء الخامس ، صفحة ٥٢ .

سأل عمر بن عبدالعزيز أحد قضاة : كم جمعت من الصدقة ؟ فقال : كذا وكذا ، قال : كم جمع الذي كان قبلك ؟ قال : كذا وكذا ، فسمي شيئاً كثيراً من ذلك ، فقال عمر : من أين ذاك ؟ قتل : يا أمير المؤمنين إنه كان يؤخذ من الفرس دهنار ، ومن الخادم دهنار ، ومن العدلي خمسة دراهم ، وإنك طرحت ذبيك كله . قال : لا والله ما ألقيته ، ولكن الله ألقاه .

(وكنت أيتها إني غلبت أن أصل الخصال على الحسور والمعاير أن يأخذوا الصدقة على وجهها . فتعدى خصال الصوة ما أمروه به ، وقد رأيت أن أحصل لي كل مدينه رجلاً بأحد المركاة من أهلها . فحلوا سميل الناس في الحسور والمعاير)^(١)

وعلامة القول : إن حياته أموال الركااء ونوريجها في مزارع الشاميه ، ساعدت في خلق مجتمع إسلامي متكامل ، عند قيام حكومة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة ، حتى آخر العصر الأموي الذي نحن بمقدد الحديث عنه وكذلك حتى آخر العصر العباسي الذي سوف نتحدث عنه في الباب الأول من هذه برساله .

(١) خطط الشام ، المجلد الثالث ، الجزء الخامس ، صفحة ٥٧ .

العطاء في العهد الأموي

أما مصارف الجربة والحراج والمشور والمرأش الأخرى فكانت كإسماني

كان من أهم التطورات التي طرأت على العطاء كمصرف من مصارف بيت المال ،

السياسة الخاصة التي انتهجها معاوية بن أبي سفيان ، إذ أنه استخدم العطاء في
الأمر من السياسة ، وروج بذلك ، عن القاعداء التي وضعها عمر بن الخطاب (رضي
الله عنه) ، وراعى فيها أن يكون العطاء حسب الحافزة في الإنظام ، وحسن الأثر في
الدين ، والمشاركة في المروءات مع الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) .

وصاعت معاوية عطاء الجند حتى يحارب هؤلاء بمالته وشجاعته عن الحدود
التي وصلت إليها الدولة الأموية ، ولأنه كان بحاجة إلى تأييد الناس ، وكان عدد
جندته ستمائة ألفاً (٦٠٠) فكان ينفق عليهم ستمائة مليون من الدراهم في العام ،
فيحصل بذلك لكل رجل منهم ألف درهم (١٠٠٠) ، على حين كان الراتب في عهد
عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بين (٢٠٠ - ٥٠٠) ثلاثمائة وخمسمائة درهم .

ومن التطورات التي طرأت على العطاء في عهد معاوية أنه زاد في عطاء
من رأى الحاجة يدعو إلى اصطناعه ، فحصل القيسية فرقة ثمانية بدائنها ، ومدتهم
ألف غلرس ، وفرض لهم عطاء صاعداً ، وكان يستمر أمراءهم ، ويغريهم ، فاستفحل
أمرهم ، مما جعله يقرب القيسية ، ويمطيه مثل عطايتهم ، ويجمع بين اللينين ،
ويغريهم معاً .

ويهدد المصرف يكون معاوية بن أبي سفيان قد جعل من صرف العطاء عملاً
سياسياً هاماً ، بوفر له الموازن بين القوى المستعدة التي كانت موجودة في عهده .

ومن سياسة معاوية أيضاً في العطاء أنه جعل على استرضاء آل بيت الرسول
(صلى الله عليه وسلم) ، فوسع عليهم في العطاء ، إذ جعل عطاء كل من الحسن

والحسين مليون درهم في كل عام (١٠٠٠-١٠٠٠ ر) ، بدلاً من الخمسة آلاف درهمهم
(٥٠٠٠) التي كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد عرضها لكن منهم
كما زاد في عطاء عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب وغيرهما (١)

ومن التطورات التي طرأت على العطاء في عهد معاوية ، أنه ولدت أوقافاً
للبايعات البعد لأوراقهم - كما أن المولود في زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
كان إذا ولد ، عرض له في عشرة ، فإذا بلغ أن يصير أنحق به ، وكذلك كان
رأي عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) ، فلما كان معاوية
ابن أبي سفيان ، أنفذ المولود ، وجعل ذلك للفقير ، فلم يزل كذلك ، حتى قطع
عمر بن عبدالمطلب من موال ، ذلك كله ، إلا لمن شاء . (٢)

لقد كان معاوية كثيراً في إسعاد المال ، وإكساب ربح الناس ، فاستقرق
الأعطية لثمنه ، وكان السعراء كالأرباب المحاطة في هذا العصر ، فابتاع بهم
سميحة الدولة ، ويكويش الولاء والوطنية لديهم (٣) كما ابتاع معاوية بن أبي سفيان
(١) وكان إذا لاهه أهدى على كثره بدله المال للبلويين والهاشميين ، أتابهم
أن الحرب ستلزم مضاف أكثر من هذا العطاء الاسلام والجمهورية العربية
الجزء الثاني : صفحة ١٥٨ .

(٢) كتاب الأموال ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٠٦ ، عند الحديث عن الفرس بتدريسه
من أبيه ، وإخراج الأوراق عليهم ، واعتلاف العطاء في الفرس لترميمهم
قال أبو عبيد ألقى به يحيى في العربة .
(٣) كما جاء في كتاب المعركة الأموية المروية في دمشق لعمرو أبو النصر صفحة
٢٤٥ ، أن معاوية بن أبي سفيان قدم في العطاء من شهد معه معركة صفين ،
كما قدم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من شهد بدرًا على غيرهم في
العطاء .

وجاء في كتاب تاريخ الممّن الاسلامي ، الجزء الأول صفحة ١٧٢ ، ١٧٣ أن
معاوية بن أبي سفيان استخدم العطاء في اصطاع الأحرار ، وبخلاف وبعثات
المعصمين عليه ، فكان كثيراً ما يأمر عماله بزيادة أعطيات أسارى ، يعرف
أسمهم من حرب علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، وكان هؤلاء العمال
لا يبعدون ذلك أحياناً ، بقصور إدارتهم عن معرفة العوم الذي يرمي إليهم
معاوية ، ومن ذلك أنه أمر المحاصرين بشير ، عامنه على الكوفة ، أن =

أدار صناعة النسيج بمكة ، ويذكر البلاذري : أنه لما كانت سنة ٢٩ خرجت
بروم إلى السواحل وكانت الصناعة بمر فقط ، فأمر معاوية بن أبي سفيان بجمع
النسيج والتجارين فجمعوا ، ورتبهم في السواحل ، وكانت الصناعة في لادن بمكة^(١)
وبالطبع فإن إنشاء مثل هذه الصناعة كلف الدولة الأموية الكثير من الإيرادات وأموالها،
وبدل على اهتمام الأمويين بالصناعة .

وقد سار يزيد بن معاوية على نفس سياسة أبيه المالية ، فكان لا يحرص
بالمال مهما عظم في سبيل الخلافة ، والمحافظة عليها ، وعلى وحده ، (وقد
وقد عنه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال له : كم كان عطاؤك ؟ فقال له
ألف ألف ميسور) قال قد أعطيتها لك ، قال : فذاك أبي وأمي ، وما فلتيت
لأحد فبتك قال : أعطيتها لك سبعة - ففيل ليزيد - أعطيت رجلاً واحداً أربعة
ألاف (٢ مائة) فقال : ويحكم إنما أعطيتها أهل المدينة أجمعين ، فما به لا
عاريه ، وصار ليزيد يزيد في إعطائه ، فمروته ، ولأنه يريد أن يخالف هو نفسه
أهل المدينة .^(٣)

" يزيد في أعطيات أهلها عشرة دنانير ، وكانوا من أشد الناس تنصباً له في
رعي الله عنه) ، فأشجى السحبان أن يفقدوا لهم فلم ينفعهم ذلك ،
كما جاء في كتاب الإدارة العربية - مولوي ، صفحة ٢٥١ ، أن معاوية أبى
أبي سفيان أخرج من فائمة الخطاء أسماء المشتبه في أمرهم وغير المرعوب
فيهم من رجال السياسة ، وألقى روائب غيرهم وأضاف إليها أسماء جديدة
وهكذا نجد معاوية يزيد الخطاء أو يثقله أو يقطعهم وقد لمؤلف صاحب
الخطاء السياسية من حكومته ونظامه فهو يزيد في أعطيات الصغار
ومعاوية ، وينقص عطاء بعض خصومه من شعبة علي (رضي الله عنه) ، أو
يمنع عنهم عطاياهم متحاً يفتاً .

(١) صوح البلدان ، صفحة ١٢٤ وفي نسخة ١٢٥ من نفس المصدر أن هشام بن
عبد الملك نقل صناعة النسيج إلى صور ، واتحد بمرور غندقاً ومملاً ،

(٢) الإسلام والحصارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٦١ ، ١٦٢ .

أما معاوية الثاني فكانت خلافته أياماً وما أراد أن يدخل في شيء من مهام

الدولة .

مارة ولاية الأمويين على المدينة التي أصبحها معاوية لسطاء ، وقام بعضهم بملاحظات إدارية هامة في الدولة ، من ذلك ما قام به المدير بن شعبة من وضع ديوان العطاء بالبحرة ورتبته ونظمته ، وكذلك منظمة ديوان الكوفة ، حيث سوي إدارتها ، على نمط ديوان البصرة .

كذلك فإن رباد الذي أقام على ولاية العراق ثلثي عشر سنة ، دون هيسا الدواوين ، وضع النسخ للكتب ، وأمرد كتاب الرخائل من العرب ، والموسيقى المسحوبة ، وسط الأرق على عماله ألف درهم ألف درهم ، ونفسه خمسة وعشرين ألف درهم . (١)

سبح عبد الملك بن مروان سبح معاوية في الموضع في العطاء ، واستمر الناس والأحزاب المحيطه به ، كما راح عامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي . يجرى السطاء لظلم ، لحسم على الصالح في الحروب التي يشاركون فيها ، وعموماً حرب الخوارج ، وحرب الترك وغيرهم . ومن ذلك أن الحجاج لما سار الجند إلى رقبيل صاحب سجستان بإذن عبد الملك بن مروان ، وكان عدد الحمد أربعين ألفاً ، أسبق عليهم مئويي درهم ، سوى أعطاهم ، فضلاً عما أعطاه لتركهم ، وقد أثرب في ذلك

(١) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٢٢٤ . وجاء في كتاب تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية ، صفحة ١٢٤ (أن رباد حرص على حوله عطاء شريعياً ، وسيطر على بيت المال الذي يجري منه هدمه الأراق والأعطيات ، وكان عند المعززة يحدو يمتعها .
وجاء في كتاب الخلافة والدولة في العصر الأموي ، صفحة ١٢٥ ، ونحدثنا الأخيل أنه راد في أعطيات الموالي ، حين ولي البصرة ، حتى يستعين بهم ، ويمسك بأيديهم به) .

سابقاً ٠٠ عند الحديث عن فتح بلاد الهند واستعانة المسلمين بـ لعمد نفقات الجمعة.

لما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبدالمطلب ، أجرى على العميين ، وسماعيين ، والسحذميين الأرق ، وفام بإحشاء أهل الديوان ، كما كان أول من عمن السحذميين والمرضى المستعجى . وكذلك درأ للمياه ، وكان أول من أجرى طعام شهر رمضان في المساجد ^(١) . كما أجرى الأرقاء على القرأ ، وقوم بمساجد ، وكان يفرق المال على المالحيين ، وقد زاد الناس في أعطياتهم عشرة عشره ، ولأهل الشام بهمة خاصة .

وكانت سياسة الوليد بن عبدالمملك الماليه النامه هي الاهتمام بالهندسة العمرانيه فقد بنى المسجد بدمشق ، وأفق عليه أموالاً عظيماً ، ^(٢) وكتب إلى بني عمر بن عبدالعزير أن يهدم مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويهدم سبل فيه المنابر التي حوله ، ويدخل فيه حجرات أرواح النبي ، وهدم الحجرات ، وأدخل ذلك في المسجد ^(٣) ، اتم تجديد المسجد في هذه .

وقد طلب الوليد بن عبدالمملك من ملوك الروم بمحومه مادية ، فحينه على إعادته بزميم مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فبعث إليه بمائه ألف من مثقال ذهباً ، ومائة فاعل ، وأربعين حملاً لحياء ^(٤) .

- (١) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٢٩٠ ، ٢٩١ .
كما ذكر في الوسائل إلى معرفة الأوائل ، رقم ١٦ ، مخطوط مسجل ببيروت
الكتب المصروفة برقم ٢٩١ ، وبمعه المخطوطات برقم ١٢٠٤ .
وقيل لي إن المخطوط سم تحفيقه من قبل بعض الباحثين ، ونكسب اسم
أعتر على الكتاب المحقق .
- (٢) كتاب دول الاسلام الجزء الأول صفح ٦١ - وتاريخ اليعقوبي الجزء الثاني
صفح ٢٨٤ - وفي المسالك والممالك للاصطخرية صفح ٤٥ ، أنه أنفق فيه وحده
خروج الشظم .
- (٣) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ : صفح ٢٨٤ .
- (٤) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ : صفح ٢٨٤ .

وبعث الوليد بذلك كله إلى عمر بن عبد العزيز فأصلح به المسجد .
وبعث الوليد أيضاً إلى خالد بن عبدالله القسري وهو على مكة ، بثلاثين
ألف دينار ، عشرين مائة ، وجعل على باب الكعبة ، فكان أول من ذهب البيت
في ليلته

وقسم الوليد على أهل المدينة أموالاً كثيرة ، وأعطى كل شخص خدمة ، وكان
صريحاً قاضياً (١)

وكان عهد الوليد عهد منصف وبريد للأموال ، (فقد أحصى أهل بنيون ،
والتي منهم يثراً كثيراً ، بلغت عدتهم عشرين ألفاً) (٢)

وقد انكر الخراج في أيامه كما أشرف سابقاً بسبب سياسة الحجج بن يوسف
الخرجيه

ولما ملك سليمان بن عبد الملك ، أحصى معاملته الموالي ، فأعطاهم نفوسهم
في عهده ، وأجرى سليمان عدة مديلات في نظام ديوان العدل ، فقد أعطى جميع
الخدم عطاءً محددًا ، ومهررات معلومة ، دون اعصار لشيء ، سوى اشتراكهم في
العمليات الحربية .

وفي سنة ٩٧ هـ ، حج سليمان بن عبد الملك ، ومعه عمر بن عبد العزيز
انقسم سليمان لأهل المدينة قسمًا ، وفرض لفريش خاصة أربعة آلاف درهم ، لئلا
يدخل فيها خبيثاً ولا مولياً ، فأجمع رأي مشيخه فريش أن جعلوها بخلافهم
وموئيلهم ، ثم دخلوا عليه مقاتلاً ، إنك قد فرضت لنا أربعة آلاف درهم لا تدخل

١ - الفهرست في الآداب السلطانية والدول الإسلامية صفحة ٦٠ - وتاريخ اليعقوبي

ج ٢ - صفحة ٢٩ -

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ - صفحة ٢٩١ -

عليها فيها حبيفاً ولا سولى . فأما أن مكافئك . وجعلها في حلفاءك
ومواليك ، فمن أحق عليك مؤنة منهم . ففرض عليهم أربعة آلاف درهم أخرى^(١)

ولما سولى عمر بن عبدالعزير الخلافة ، أمر بأن يأخذ الخطاء جميع
المسلمين ، الذين يسلمون في الغزو عرباً وغير عرب ،^(٢) وكان كثير من الموالي
يحاربون مع العرب في خراسان ولأحدون عطاءً ، فجعل عمر بن عبدالعزير لهم
أرزاقاً ، وأعطيات .

كانت المصروفات في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزير تمت جميعها
عشرات الناس ، وفي جميع الوجوه . عند أمر الرعي الله عنه أن يذوق له فسيحي
الديون الأعمى والمملوك ، ومن به قالج ، ومن به عرض مرمى ، والمجاهد عن التماس
للخلافة وأمر لكي أعمى بخادم ، ولكل شخص من الرعي بخادم ، وأمر بأن يرفع
فيه كل منهم ممن لا أحد له . ومن كان والده صاحب في الديوان ، وأمر بكنس
خيمة من البهاض بخادم . بتوزيعه بينهم بالسوية ، كل ذلك على ماله بهت المال .

وذكر الطبري أن أبا عمر بن عبدالعزير درازي الرجال ندين في المطايا
أفرج بينهم ممن أمائته الفرقة جعله في المائة . ومن لم يصبه نقرعة . جعله في
الأرمين . وقسم في أفراء أهل البصرة كل إنسان ثلاثة دراهم . فأعطى الرعي
خمسين ، خمسين ، قال : وأراه يذوق الخضم^(٣) .

وحاء في فتوح البلدان أن حدثنا مروان بن شجاع الحرزي ، قال أنبأني
عمر بن عبدالعزير وأنا نظيم في مشقة فنانير^(٤) .

(١) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٢٩٨ ، وكذلك في العيون والحدائق ،
صفحة ٢٤ .

(٢) الإدارة الحربية ، صفحة ١٥٥ ، ١٤٦ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الخامس ، صفحة ١٣٩ .

(٤) فتوح البلدان ، صفحة ٤٤٥ ، وفي كتاب الأموال لأبي عبيد الجزء الثاني
صفحة ٢٤ .

وأكثر عمر بن عبدالعزيز مبدأ الورثة ذوي أسماء عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ومن بعده من الولاة ، وقطمها وأعم العريضة ، ثم جاء أن يسمى به في قطع الورثة ، ولا يستثنى به في عموم العريضة ، فتركها .^(١)

واهتم عمر حتى بالموائس الفقيرات ، وعرض لبن من بيت المال^(٢) ولم يرد عمر بن عبدالعزيز العطاء في الثرى ، ولم يقطع . ورد أهل الشام فسمى أعطياتهم عشرة دنانير ، ولم يغل ذلك في أهل العراق^(٣) وجاء في كتاب الإسلام والحصارة العربية أن عمر بن عبدالعزيز رأى الرجوع عن زيادة أهل الشام في أعطياتهم عشرة دنانير .^(٤)

واهتم الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز أيضاً بالعلم والعلماء ، فقد أجرى الأراذل على الفقهاء ، الذين يعلّمون الناس أمور الآخرة ، ويحفظونهم القرآن الكريم ، فأعطى قوماً من حمص ولقوا أنفسهم للشفه وحسوها في المسجد ، عن طلب الدنيا ، مائة دينار لكل رجل مسلم ، من بيت مال المسلمين يستفيدون بها على ما هم فيه .^(٥)

كذلك من أبواب المعروفات في عهد عمر بن عبدالعزيز (رضى الله عنه أنه أجرى الأراذل بماله ، فكان يغطي العامل ثلاثمائة دينار ، حتى يستطيع محسن

(١) فتوح البلدان ، صفحة ٤٤٥ ، وجاء في فتوح البلدان وفي كتاب الأموال لأبي عبد العزيز الجز الثاني صفحة ٢٠٧ | حدثني سليمان بن حبيب أن عمر (رضى الله عنه) عرض لميال المقابلة ودرجهم المشتريات ، قال فأسمي عثمان (رضى الله عنه) ومن بعده من الولاة ذلك ، وحملوها موزونة يربها ورثة الميعة ، من ليس في العطاء ، حتى كان عمر بن عبدالعزيز ، قال سليمان ، فسألني عن ذلك ، فأخبرته بهذا . فأكثر الورثة ، وقال القطمها وأعم بالعريضة ، فقلت : إني أخوف أن يستثنى من بعده في قطع الورثة ولا يسمى بك في عموم العريضة ، قال صدقت ، وتركهم |

(٢) الإسلام والحصارة العربية ، ج ٢ صفحة ١٨٢ .

(٣) تاريخ يعقوبي ، المجلد الثاني، صفحة ٢٠٦ .

(٤) الإسلام والحصارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٧٢ .

(٥) الإسلام والحصارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٨٤ .

من الرشوة ، فلا يمدوا أيديهم إلى أموال المسلمين .^(١)

كما أمر حتى تيمس خصومه من الجوارح بالعطاء ، كما حدث حينما أصر
نصاص الحبشي مولى بني شيبان بعطاء حين رجع إليه .^(٢)

وكتب إلى عماله ، أن يعجلوا بالأعطيات خاصة في موسم الحج ، بهيجر بها ،
من أراد أداء هذه الفريضة^(٣)

كما أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز سار على سياسة الرسول (صلى
الله عليه وسلم) والخلفاء من بعده في باب المعروفات ، فقد أعطى بني هاشم
نعمس ، ورتد فدا ،^(٤) فعندما تولى الخلافة جمع قريباً ورجوه الناس ، فقال بهم
إن فداً كانت مما أفاء الله على رسوله ، فأناله فاطمة^(٥) أن يهبها لها فأبى ،
فكان يصح ما يأتيه منها في أبناء السبيل ، ثم ولي أبو بكر وعمر وعثمان وفلسفي
(رمي الله عنهم) فوضعوا ذلك بحيث وصفه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ثم وليها
صافية فأنطسها مروان بن الحكم ، فوهبها مروان لأبي ولعيد الملك ، فصارت لسمي
ولوليد وسليمان ، فلما ولي الوليد ، سأله حخته عنها فوهبها لي ، وسألت
سليمان حخته عنها ، فوهبها لي ، فاستجمعها ، وما كان لي من مالي أحب إليّ
منها ، فشهدوا أنني قد رددتها إلى ماكانت عليه .^(٦) ومن هنا نعرف أنه ردها
إلى ماكانت عليه في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء من بعده .

فصار فداً من الأموال العامة لا الخاصة .

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز ، لابن عبدالحكم ، صفحة ١٣٧

(٢) المهور والحدائق ، صفحة ٤٧ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٣٥

(٤) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٣٥ .

(٥) فاطمة هنا المقصود بها بنت الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبنت روجه
فاطمة بنت عبدالمطلب .

(٦) فتوح البلدان ، صفحة ٤٦ .

وكان (رضي الله عنه) يعرق دائماً بين الأموال العامة والخاصة ، ويحرص كل الحرص على أن لا يجمع من الأموال العامة شيء . فقد طائف يزيد بن المهدي ما كان قد كتب إلى سليمان بن عبد الملك من حمى ما أحله الله على المسلمين عندما فتحوا جرجان وهو مبلغ مئة مائةين ، وحبسه حتى آخر خلافته لكي يدفع الأموال العامة إلى بيت مال المسلمين . (١)

استطاع عمر بن عبد العزيز من تقليل نفقات الدولة بقدر الإمكان ، فقد أصدر أمره إلى منظمه بن عبد الملك بالعودة وجهته من القسطنطينية ، والعودة عن فتحها ، كما بوغض الحروب الداخلية في عهده ، وكان لا يأخذ من بيت المال شيئاً ، ولا يجري على نفسه من الشيء درهماً . وعندما حدث عن ذلك ، مع أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يجري على نفسه درهمين في كل يوم . قال عمر بن عبد العزيز : إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يكن له مال ، وإنما ماله في بطنه . (٢)

وبهذه الساسة المالية الفريدة في الصفات استطاع عمر بن عبد العزيز أن يوصل الخطاء إلى جميع مسجديه ، وإن مرتب على ذلك ، وبهذه المقدار السعدي كان يحصله الخطاء من بيت المال . فقد كتب إلى عامله على خرج حراسان ، غلبه بن ربيعة الطائي ، أن يسويع الحراج ويحرره في غير ظلم ، فإن بك كفافاً لأعطيات الجند فسبيل ذلك . ولا يعمل ، حتى يحصل إليه الأموال ، فيوزع لهم أعطيائهم . أصبحت عامل الحراج عن ذلك ، ثم كتب إلى عمر يقول : إنه وجد أن بفراج بفصل عن أعطيائهم ، فكتب إليه الخليفة بأن يقسم الفصل في أهل الحاجة . (٣)

(١) والنقمة كلها مذكورة في تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء .

الثامن ، في حوادث سنة ١٠٠ هـ ، صفحة ١٢٢ ، ١٢٣ .

وفي كتاب الخراج والكتاب للحديثي صفحة ٤٩ .

(٢) المقدم الفريد ، الجزء الثالث ، صفحة ١٦٩ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الخامس ، صفحة ١٢٩ .

عندما سولى عمر بن عبدالعزيز وحده أن الحكومه الأمويه ، كانت تطبق سياسته غير قاننه ، بالنسبه لمقاتله الديوان في الأحقاد والمغور ، إذ كانت تسقط على الديوان من شاء ، وتعرض فيه لمن شاء ، وتريد وتمنح الأعطيات حسب مشيئتها أياً ، مما كان سبباً مباشراً في الشكوى ، خاصة وأن المقاتلة إعتقدوا أن الدوله قد عنيهم على حقوقهم ، وعزتهم من أموالهم ، وأخذتها لنفسها ، وبسكو بدعوى أن أموال العبيد يجب أن تقسم بينهم ، ولم يكن عمر بن عبدالعزيز ليعارض ذلك المطالب ، فحاول الاستجابة لها ، بتوسيع دائره أصحاب الأعطيات ، حتى صار أكثر شمولاً . ذلك أنه أمر بأن يأخذ العطاء جميع المسلمين ، الذين يسمون بـ «سبي العرب عرباً وغير عرب » .

وكان كثير من الموالي ، يحاربون مع العرب في حراسان ولا يأخذون عطاء ، فجعل عمر لهم أرزاقاً وأعطيات (١) .

لم يكن من الأمويين أشد وأدى نظراً في أراء محابه ودواوينه ، ولا أكثر مباله في لعبها من هشام بن عبدالملك ، حتى قال عنه عبدالله بن عتيق (٢) : «جعت دواوين بني مروان ، فلم أر ديواناً أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام » (٣) . ذلك أن هشام أصلح الديوان الكبير ، الذي أنشاه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد أن مسح بعض الحلفاء الأمويين ، وقسموا ماله ، فأعطى جميع الجنه ، دون اعتبار لجنسيتهم عطاءً ومفردات .

كذلك قسم الخليفه الأموي هشام بن عبدالملك على أعطيات المقاتله ، التي كانت تسمح للأشراف من غير عمل ، والتي كانت أشبه بمن يأخذ أجرأ دون عمل أو أقرب للاستغلال ، فصار لا يأخذ أحد العطاء حتى من الأمراء الأمويين ، إلا إذا

(١) وقد أشرنا فيما سبق في التمهيد كيف تم توزيع الحراسان في حراسان للأعطيات ، وكيف تم توزيع الباقي في أهل الحاجة ، تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثامن ، صفحه ١٢٩ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثامن ، صفحه ٢٨٥ .

قام بالعزو بنفسه ، أو أناب أحداً عنه ، وكان لهشام مولى اسمه (يعقوب) فكان يأخذ مطاء سيده ملثني ديار ، ويثوب عنه في القتال .^(١)

وكان الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك يستشير عمال دواوينه ، من أمراء ، المجتهدين كل البعد عن الفساد وقبول الرشوة ، والحكم بالهوى^(٢) وكان دقيقاً فسي بقديره بلصفات والمطاء ، يدل على ذلك ما رواه الطبري (أنه ولي بعض مواليه صبيعه نه ، فتمرها عجاءت بحله عظيمه كبيره قدم عمرها أيماً ، فأصغفت بعله ، ويعصت بها مع ابنه ، فقدم بها على هشام . فأمره حبر الصبغة ، فجراه خيراً ، فرأى منه انسياً فقال يا أمير المؤمنين إن لي حاجة ، قال وما هي ؟ قال ربيد عشرين عشرة دينار في المطاء ، فقال ما يخبيل إلى أحدكم أن عمرة دينار في المطاء ، إلا بقدر الجوز لا لعمري لا أفعل) .^(٣)

وفي عهد هشام بن عبد الملك طرأ بعض التعبير على دواوين الجند ، ففسد الطرم أهل السابقة في الإسلام ، وصار الجند فئة من المسلمين فاشية بدنسها ، وأصبح ترتبهم في الدواوين باعتبار الضعافة والبلاء في الحرب .

ولما ولي الوليد بن يزيد ، كان من صفاته من يمت مال المسلمين ، أن أخرى على رُعي أهل الشام وعميلتهم ، وكماهم ، وأمر لكل إنسان منهم بحدام ، وأجرى لعبالات الناس الطيب والكسوة . ورادهم على ما كان يخرج بهم هشام ، وراه الناس جميعاً في المطاء عشرة عشرة ، ثم راد أهل الشام بعد ريادة العشرات عشرة عشرة ، وراه من وفد إليه من أهل بيته إلى الصف^(٤) كما أنه قام بـ

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثامن ، صفحة ٢٨٥

(٢) الإسلام والحمارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٩١ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثامن ، صفحة ٢٨٥ مسمى أحداث سنة ١٢٥ هـ . وعبد الحديث عن بعض سور هشام .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الرابع ، الجزء الثامن ، صفحة ٢٩٣ وكذلك في كتاب الميرون والحداثي صفحة ١٢٢ .

من صدر عن الحج بمسؤول يقال له ريزاء ثلاثة أيام ، ويختلف دوايبهم ^(١) .

ورد الأعطيات إلى أهل المدينة ، ومكة ، بعد أن كان هناك مدد من مهنسياسا
عسهم ، عطفاً لهم على مطلبهم إلى زيد بن علي ^(٢) . ولعل الوليد بن يزيد فعل ذلك
كله ، استرضاء للناس ، لما كان عليه الحال من عدم الاستقرار والاعوجاج والإسراف ،
وقد ذكر الوليد الناس بذلك ، حين هموا بقتله ، معاهم أن يكفوا عنه ، إن كان
يقول ألم أردكم شي أعطيتكم ، ألم أرفع المؤن عنكم ، ألم أعط فقركم ، ألم
أحدم رعايتكم ^(٣) !

وظهرت للمرة الثانية الأهمية السياسية الخطيرة للعطاء ، كعامل لتكسيب

الأمصار ، فمددما خرج يزيد من الوليد على الحليفة الأموي الوليد بن يزيد كان
من كان له عطاء فلبات بعض عطائه ، ومن لم يكن له عطاء ، فله ألف درهم ،
معوقة ، فبعض أهل الشام ، وجميع من أنكر سيرة الوليد استظمية ، وبالنسبة فصح
يزيد بيت المال ، وأعطى الناس ،

وكان في بيت المال يوم قتل الوليد خمسة وأربعون ألف دينار ، ففرقها
يزيد عن آخرها ^(٤) . وتعمد الناس أن يسلم أعطياتهم كل عام ، ولورقهم كل شهر ،
حتى يكون أمثالهم كأسياسهم ، إن كان مما قاله في خطبته ، بعد أن يبيع بالحلالة
ودكره ابن الطقطقي في كتابه (أمية الناس ، إن لكم عليّ ألا أصح صحرأ عيسى
صحر ، ولا لعمه على لينة ، ولا أكرى سهرأ ، ولا أكرى مالا ، ولا أنقر مالا من بلد

(١) تاريخ الأمم والملوك المجلد الرابع ، الجزء الثامن ، صفحة ٢٩٢ .

وحت ، في صفحة ٢٩٤ من نفس المصدر (أنه لم يفلح في شيء يسأله لا ،

(٢) تاريخ الدولة العباسية ، صفحة ٣٤ .

(٣) وكان يقول ذلك ليزيد من عميلة السككوي وهو يزيد مخاطبه العموم جميعاً .
تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ١٢ من حوادث
سنة ١٢٦ .

(٤) تاريخ المعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٣٣٦ .

إلى بلد ، حتى أمد لعمرو ، وخصامه أخته بما يميميم ، عما حصل منه ، نقله إلى السيد الآخر الذي يليه ، ولا أعلق بابي دوسكم ، ولكم أعطيتكم في كل سنة ، وأرراقكم كل شهر ، حتى يكون أقماعكم كأدماعكم ، فإن وثبت لكم بما فنت ، فعليك بالسمع والطاعة ، وحس المؤامرة ، وإن سم أمر ، فكم أن تحلقوني ١٠٠٠٠ (١)

وبهم من هذه الخطبة أن العطاء في المعبر الأموي ، أصبح عادلاً صيماً ، لا يهوانى الحلفاء الأمويون عن تأكيده . وفي المجال ريباتته ، حتى يهأس لهم في مقابل ذلك الولاء والسمع والطاعة .

ولكن يريد بن الوليد لم يستطع تحقيق الوعود التي قطعها على نفسه هيب سوس الخلافة ، وذلك مدع الأعطيات في كل سنة . والأوراق في كل شهر ، إذ سوس ما يلص الناس ما كان الوليد بن يريد قد رادهم ، وذلك عشرة بمسمره ، ورد أعطيتهم إلى ما كانت عليه زمن هشام بن عبد الملك ، فسمى الناصر ١٢

وكانت المصلحة المباشرة لتفليس المظفات ، وسلبها المظاء ، أن اضطربت سبلدان على يريد بن الوليد بوحس الحكم ، فكان من خرج عليه ، المهادين بس الوليد بجمي ، وشابهه أهل حمص ، وبشر بن الوليد بفسرين ، وعمر بن الوليد بالأردن ، ويريد بن شيمان بعمسطين ، يساعد العباس أبو محمد بن عبد الله بن يريد بن معاوية ، وسليمان بن هشام . (٢)

١) النخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، محمد بن علي بن طباطب ، صفحة ١٠٦ ، ١٠٧ . ومكملة المحطة (١٠٠٠ ملكم أن تحلقوني ، لا أن أتوب ، وإن كسم تمسمون أن أحداً من يعرف بالعلاج ، يعطكم من نفسه ما قد بدت لكم ، وأردتم أن تباهوه ، فلما أول من يباهيه منكم ، إنه لا طاعة لمحقوق في معصية الخالق)

(٢) النخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، صفحة ١٠٦ .

وكذلك في تاريخ المعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٢٢٥ .

(٣) تاريخ المعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٢٢٥ .

ولم ألت الخلافة الأموية إلى مروان بن محمد، قطع العطاء سنة عن أهل مصر ، ثم كتب إليهم كتاباً ، يحذر فيه ، جاء فيه (إني إنما جئت عنكم العطاء مني السنة اسميه لعدو حموي ، فاحتجبت إلى المال ، وقد وجهت إليكم عطاء سنة بمصيه ، وعطاء هذه السنة ، فكلوه هيبثاً مريبثاً ، وأعود بالناس أن أكون أنا الذي يجري ، الله قطع العطاء على يديه) . (١)

وإلى جانب ما كان يخطط به بيت مال المسلمين من نفقات في صرف العطاء بـ السنوية ، والأوراق الشهرية ، كان يعمى الخلفاء الأمويين ، يدفعون للجنود من وقت لآخر ، مبالغ إضافية ، لقيامهم بمهام خاصة ، فقد دفع يزيد بن معاوية مائة دينار زيادة عن العطاء ، لكل جندي ، سمعت للسر لإعداد بعض الفرس والسوارات ، وذلك في مكة المكرمة ، والمدية المنورة ، كذلك كان الخليفة الأموي يزيد بن الوليد " الناقص " عرض على من يقدم لمحاربة الوليد بن يزيد ألفي درهم ، بينما أعطى الوليد بن يزيد للمدافعين عنه خمسمائة درهم لكل منهم .

وأعطى الخليفة الأموي مروان بن محمد كل من خرج من أهل الشام ، لمحاربة الحوارج في اليمن سنة ١٢٠ هجرية مائة دينار ، وقرناً عربيه ، وبعللاً لثقله^{١٢}

وكان هبى مروان بن محمد بقيادة عبدالملك بن محمد بن عتبة السعدي ، أما الحوارج فكان يتزعمهم أبو حمزة الطنجي . (١٣)

ويضاف إلى العطاءات السابقة لمحير العمور ، وتشجيع المخاربين ، كان بيت المال يحمل رضى الدولة الأموية ، صرف إعانات مالية لسيوخ القبائل ، تربطه

- (١) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول صفحة ٩٤ .
- (٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء السابع ، صفحة ١٠٩ . ١١
- (٣) الكامل في التاريخ ، الجزء الرابع ، صفحة ٢١٥ .

أن يمدوا الأمويين بعدد من المقاتلين عند الطيف فكان شيخ فحطان يأخذ مليوني درهم ، مقابل أن يمدّ الحكومة لأموه بألفي رجل عند طلبها ، كدسسه خص يريد الساني رواتب لثلاثة آلاف رجل في عمان ، ليكون على استعداد للخدمة عند استدعائهم (١)

وحلحلة العول بين المقدار الذي كان يشتركه المطاء كمصرف من مصارف بيت المال ، كان كبيراً جداً ، وكان يختلف من وقت لآخر ، تبعاً لاختلاف السياسة التي كان يمتدحها كل خليفة من الخلفاء الأمويين ، كذلك كان أسلوب الخلفاء الأمويين في استخدام الأموال لسجور الجيوش ، والفتوحات ، والقضاء على الفتن ، وبمدرات ، وإبقاء الحكم الأموي كان يقوم أحياناً على تفصيل عرب الشام على عرب العراق ، ثم أحياناً أخرى ، كان يقوم على تفصيل عرب العراق على الموالي مسيحيي القدس ، الذين ارتضوا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) رسولاً وسيداً ، وشاركوا إلى جانب العرب ، على قدم المساواة في المعارك ، وفي دفع حركة الفسوحات الإسلامية إلى داخل بلاد الهند والسند ، وأطراف التركستان وأفغانستان .

استصلاح الأراضي والنبوس بمراقى الدولة

ومن مصارف بيت المال في العهد الأموي ما كان يصرف لاستصلاح الأراضي ، وحفر القنوات ، وإحياء الأراضي والقضاء على المستنقعات

ففي عهد معاوية بن أبي سفيان ، قام واليه على حراج العراق عبد الله بن دراج (٢) باستصلاح أراضي الباطنة وهي لأراضي الواطنة المسمورة بين بصره والكوفة ،

(١) الإدارة العربية ، صفحة ٢٥٩

(٢) جاء في كتاب النوراء والكتاب للجيشبكري صفحة ٢٤ أن اسمه عبيد الله بن دراج وأخوه عبد الرحمن بن دراج

وأصبح صباعاً ، وبلغت عليها خمسة ملايين درهم .^(١)

ثم جاء الحجاج بن يوسف أيام الوليد بن عبد الملك فمار حطوه كبيره في
سبيل معيدها ، إذ ركو حركه استصلاح الأراضي هذه في منطقه البطائح ، الواقعه
بين نهري دجلة والفرات ، من الأراضي العراقيه الجنوبيه ، وكانت مسطحه
مستقيمه ، عاقله الاساج . فأراد الحجاج إصلاحها ، وقدر لها مائة مائة
من مائة المال بلغت ثلاثة ملايين درهم .^(٢) (فاستكثرها الوليد بمائة
عبد الملك . فقال له مسلم بن عبد الملك : أنا أنفق عليها ، على أن يعطيني
الأرضين المنخفضة التي يغل فيها الماء ، بعد إنفاق ثلاثة آلاف ألف درهم ، يسوي
إنفاق ثلثك وبمصلحة الحجاج ، فأجبه إلى ذلك)^(٣)

وفي العهد الأموي ، قام الحجاج بحفر سمر الحمير ، وذلك قبل اتحاده واسطاً
مدينه له ، حين أراد سمر الحمير من كسكر . كما قام بحفر نهري النيل والراي ،^(٤)
وأحيا ما على نهري النهرين من الأراضي ، وأحدث المدينه التي تعرف بالديسكل
ومقرها ، كما أحدث مدينه واسط ، وهي مسجدها وقصرها^(٥)

واكمل الحجاج بن يوسف حفر النهر الذي كان قد بدأه سعد بن عمرو بأمر
من سعد بن أبي وقاص ، وأسكن الحجاج إحياء أراضي البطائح ، (فمعد إلى صباع

- (١) فوج البلدان ، صفح ٢٩١ ، عند الحديث عن أمر البطائح
- وفي تاريخ اليعقوبي المجلد الثاني صفح ٢١٨ (أن الجبايه وصلت إلى مائة
خمسين مليون درهم) .
- (٢) وجاء في كتاب الخلافة والدولة لمؤلفه محمد علي صفح ٢١٢ ، أن الحجاج
أنفق على إصلاحها ثلاثة وأربعين مليوناً من الدراهم ، أحدث من نهوت مائة
العراق ولم يثر إلى المصدر .
- (٣) فوج البلدان ، صفح ٢٩٢ ، عند سياه الحديث عن أمر البطائح
- (٤) وسماه زاهياً لأخذه من الزاهي القديم .
- (٥) فوج البلدان ، صفح ٢٨٨ .

كان عبدالله بن درّاج مولى صناوية بن أبي سفيان استخوج له ، أيام ولايته حراج الكوفة مع المخيرة بن شعبه ، من موات مرقوس ، وبقوس مياه ، ومنايس واحام ، مرت عليها التسميات ، ثم قنع قصبتها ، فعازها لعبد الملك بن مرقس ، ومقرها ^(١) وقد أكثر النعمان من الأيدي العاملة داب الحيرة في الزراعة ، بعد استصلاحه الأراضي ، وذلك باستقدامه (قوماً من رطّ السد ، وأصاب من بها من لأسمم ، منهم أهلهم وأولادهم ، وجواميسهم ، فأمكنهم بأقل كسك ، حيث عنبو على البطيحة ، وتنازلوا بها) . ^(٢)

كذلك قامت الدولة الأموية بمحاولة بناء قطرة على نهر دجلة حينئذ استأذن خالد بن عبدالله القسري هشام بن عبدالملك فأذن له على أن يحصل المسئولية والنفقات في حالة ضلّه ، فعمل الفطرة وأعظم النفقة ، ولكن الماء طعمها ، فأمر هشام بن عبدالملك خالداً ما كان أسقى عليه من بيت نبال . ^(٣) كما أن الوليد بن عبدالملك حين وثى سليمان بن عبدالملك حمد فلسطين ، سرى البذل ، ثم أحدث مدينة الرملة ومقرها ، واحفر لأهل الرملة قناتهم والتي تدعى بردة ^(٤) .

كما أن خالد بن عبدالله القسري حفر النهر الذي يعرف بالعام . ^(٥) .

- | | |
|-----|--|
| ١ | فتوح البلدان ، عند الحديث عن أمر واسط العراق صفحة ٢٨٨ . |
| ٢١ | فتوح البلدان ، صفحة ٣٦٨ عند الحديث عن أمر الأساوره والوط |
| ٢٢ | فتوح البلدان ، صفحة ٢٨٩ . |
| ٢ | فتوح البلدان ، صفحة ١٤٩ . |
| ١٥١ | فتوح البلدان ، صفحة ٢٨٤ . |

وفي عهد الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزير ، تم حفر سهر عدي (١)

وفي عهد الخليفة الأموي يزيد بن الوليد تم حفر سهر عمرو ، وقد روى
البلاذري في كتابه -

(لما قدم عبدالله بن عمر بن عبدالعزير عاملاً على العراق ، من قبل يزيد
ابن الوليد ، آناه أهل البصرة ، فشكوا إليه ملوحتهم ، وحملوا إليه قاروريس
في إحداها ماء البصرة ، وفي الأخرى ماء من ماء البطيحة ، فرأى بينهما فعلاً
يقالو إنك لو حفر لما سراً شربنا من هذا العذب ، فكتب بذلك إلى يزيد ،
فكتب إليه يزيد ، إن بلغت بفتة هذا المهر حراج العراق ، وما كان في أيديها ،
فانطق عليه لعنر النهر الذي يعرف بنهر عمرو) (٢)

وهكذا يرى أن السيد الأموي قام بحفر وصيانة القنابات العامة ، والأنهار ،
كسهر الأيلة ، والأشورة ، والسباحة ، وسهر ابن عامر ، ولما كان سهر الأيلة
ومعقل ، يبلغ طول كل منهما حوالي الأربعة فراسخ ، (٣) فإنني أرحم أنهما كلت
ببنت المال انكسر من الأعباء المالية ، على الرغم من أن المصادر ومراجع لم
تذكر ذلك -

-
- (١) وجاء في فتوح البلدان ، صفحة ٢٦٢ (كتب عدي بن أرطاة إلي عمر بن
عبدالعزير ، وأمر أهل البصرة أن يكتبوا في حفر سهر لهم ، فكتب إليهم
وكيع بن أبي سود التميمي ، إنك إن لم تحفر لما سراً ، فما البصرة بما
بدل ، + + + + قالوا : فكتب عمر بأذن في حفر سهر ، فحفر سهر عدي)
(٢) فتوح البلدان ، صفحة ٢٦٢ -
(٣) فتوح البلدان ، صفحة ٢٥١ ، ٢٥٢ -

تجهيز الجيوش وتفقات الحروب

ومن هذه التفقات ما فعله معاوية بن أبي سفيان ، من تقوية للأسطول الإسلامي ، الذي أنشئ في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، وذلك لتأمين استقرار الحكم الإسلامي في بلاد الشام ، فوصلت عدد حفر هذا الأسطول في عهد معاوية إلى ألف وسبعمائة سفينة ، وذلك بعد إنشائه داراً لصناعة السفن بحراً . (١)

ومن هذه التفقات الحربية أيضاً ، مواصلة حركة الفتح والجهاد الإسلامي فهي اتجاهاً ، أحدهما شرقي ، والآخر غربي في إفريقيا ، وجبهة الروم والقسطنطينية ، وهي أواسط آسيا والهند .

ويذكر الحجاج أن الأموال التي أنفقت من بيت مال المسلمين على إعداد الجيوش التي اشتركت في بعض مراحل فتح الهند والهند بلغت مئتين مئوداً من الدراهم (٢)

تأسيس المدن وتعميرها

من مميزات بيت مال المسلمين ، في العهد الأموي ، الأموال التي كانت تصرف على تأسيس المدن الجديدة للمسلمين وتعميرها .

كتأسيس معاوية بن أبي سفيان لمدينة طرابلس الشام ، وتعمير سديمان بن مود الملك لمدينة الرملة . (٣)

(١) فتوح البلدان ، صفحة ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) فتوح البلدان ، صفحة ٤٢٧ ، وقد أشارنا إلى ذلك عند الحديث عن إبراء السائم في هذا البحث في التمهيد .

(٣) فتوح البلدان ، صفحة ١٤٩ .

ويذكر المقريري أنه في عهد عبدالملك بن مروان ، وقع الطاعون بمصر ،
مخرج ونبه على مصر حينئذ عبدالعزير بن مروان ، وشرل جنوا ، فأتجدهم—
داراً وسكنها ، وجعل بها الأعوان ، وبنى بها الدور والمباعد ، وعمرها أحسن
عمارة ، وغرس نخلاً وكرمياً . (١)

كما كان الخلداء الأمويون يهتمون بترميم المدن والمباعد التي يظومون
ببنائها ، فالوليد بن عبدالملك لما بنى الجامع الأموي بدمشق ، استجيب—
الشيعة من القسطنطينية ، وهي من مجمرات الروم آنذاك ، وزحف جدران الجامع
كلب بالشيعة ، وعلى أشكال شتى ، جعل الجامع والأشجار والأرهار (٢)

مطقات البريد

والبريد كما ذكره ابن الطقطقي في كتابه : -

(أن يجعل حيل مصبرات في عدة أماكن ، وإذا وصل صاحب الخبر المبرر
إلى مكان منها ، وقد سبق فرسه ، ركب غيره فرساً مضروباً ، وكذلك يفعل في
المكان الآخر ، حتى يصل بمرسه . وأما مضاهي الحموي فالبريد هو النا مشير
مبلاً ، وأثن أن الحايه التي كانوا قدروها بين برية وبريد ، هي هذا القدر . (٣)

وكان البريد لبرعه وصول الأعيان ، ومساعدات الأحوال ، لا تساع رعيه الدولة
الإسلامية آنذاك ، وكان من أهم مزارع بيت المال هو عمية سقيم حد البريد ،
وفي النمر الأموي أنقعت الدولة منذ عهد معاوية بن أبي سفيان المبالغ الطائفة ،
على إنشاء الوكالات البريدية ، حتى يمكن الرسل الحكوميين ، من تحميم الحبول ،
والموقف لراحة مضيرة ، حتى يسم هذا المعبر

(١) كتاب المواعظ والاعتبار يذكر الخطط والامار ، الجزء الأول صفحة ٢٢

(٢) أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة ، صفحة ٢٧٨

(٣) الفحول في الآداب السلطانية والدول الإسلامية صفحة ٥٠

أما سورج المصائم ، فقد قسمها الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الآية الكريمة ، قوله تعالى - " واعلموا أنما غنمنا من شيء ما من الله حصة وللرسول ولذي القربى والمساكين وابن السبيل - " (١) .
وأما أربعة أحسان العزيمة الباقية فكانت موزعة بين الفاتحين للدارس ثلاثة أسهم سمان لغزة وسيم له - (٢) ، ولطراجل سيم - (٣) .

وقد استمر الحال في العهد الأموي بالنسبة لسورج المصائم على الشكل -
والمساكين وابن السبيل على ما كان عليه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم (والعلقاء الراشدين .

أما سهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذي القربى فقد كانا يعرفان في مصالح المسلمين العامة ، كمنجبر الجيوش ، وسد الثغور ، والعمى على بقية الدولة وتمكينها ، في معظم أيام الدول الإسلامية .

وأخيراً فإنني أتقدم بهذا المبحث السواسع ، وغايته ما أرجوه ، أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة ، والبحث والتحليل ، الذي يهتم الله سبحانه وتعالى ، أنني قد بذلت فيه من الجهد ما وسعته طاقتي ، وقد محذري أستاذي لطول التمهيد ، لأنني سجدت فيه عن فترة امتدت إلى ٩٢ سنة هجرية من سنة ٤ هـ - ١٢٢ هـ .

ولا ينبغي هنا إلا أن أنوجه بالشكر الجزيل إلى جميع أستاذي ، ومشايخي بعمامة الأزهر الشريف ، وخاصة المحري العامل ، الأستاذ الدكتور بدوي عبداللطيف عوض مدير جامعة الأزهر سابقاً ، والمشرف على هذه الرسالة ، فقد حصني بالموجيه .

(١) القرآن الكريم ، سورة الأنفال آية ٤١ .

(٢) وهذا التفصيل يرجع لكل يربح الناس في إرباط التحليل في سبيل الله حيث أن سهم القربى إنما يوزع على صاحب القربى .

(٣) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٩ .

وأستني من خبراته بالكثير ، وأتار لي الطريق ، وأزول من أمامي العقبات ، وأرشدني إلى الخير كل الخير ، وسيل لي أن أتصل من غيره الذي لا تمس ماؤه ، وعمريسي بمطعمه ورعايته ، خلة سبعين الاثرف وهي عشر سواب في الاحتمبر و الدكتوراه ، وكانت لمصاحبه العاليه ، وسجيهاته السديه ، أكبر الأثر في بدوغ هذا البحث الحابه التي رجوسها من ورائه ، فحراه الله عسي وعن أمسا ، وطلبة العلم ، خير الحر ، ، وأسأله سبحانه وسعالي أن يطيل في عمره ، وأن يسم عليه بالمحبه ، وأن يظل هو وأصدقائه الأزهري ومشايخه ، متاعل مميته لأمتالي من طلبة العلم ، وأن يرفع الله بهم وعن طريقهم ، لنواء العلم والدين ، حتى يحق الله الحق ، ويبطل الباطل ، إنه نعم المولي ونعم المجيب •

الطالب / عبدالله جعفران سعيد السعدي

من طلبة دولة قطر مرحلة الدكتوراه

القاهرة في ٣٠ / ٥ / ١٩٨٩ م •

كلية اللغة العربية - قسم التاريخ والحضارة

دراسات عليا •

جامعة الأزهر الشريف •

قال الله تعالى :

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَيُنْصِرَكَ
اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ، هُوَ الَّذِي أَمْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . لِيَدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا .

القرآن الكريم

سورة النور ٥١ : ٥

الباب الأول

موارد الدولة في العصر الأول للدولة العباسية

١٢٢ هـ - ٢٢٢ هـ

الفصل الأول : مورد الزكاة

الفصل الثاني : مورد الخراج

الفصل الثالث : مورد الخراج

الفصل الرابع : مورد الخراج

الفصل الخامس : مورد الخراج

الفصل السادس : مورد الخراج



خلفاء العصر الأول للدولة العباسية

- ١- أبو العباس السفاح ١٣٢هـ - ١٣٦هـ / ٢٧٥٠ - ٢٧٥٤
- ٢- أبو جعفر المنصور ١٣٦هـ - ١٥٨هـ / ٢٧٥٤ - ٢٧٧٥
- ٣- محمد المهدي ١٥٨هـ - ١٦٩هـ / ٢٧٧٥ - ٢٧٨٥
- ٤- موسى الكاظمي ١٦٩هـ - ١٧٠هـ / ٢٧٨٥ - ٢٧٨٦
- ٥- هارون الرشيد ١٧٠هـ - ١٩٣هـ / ٢٧٨٦ - ٢٨٠٩
- ٦- محمد الأمين ١٩٣هـ - ١٩٩هـ / ٢٨٠٩ - ٢٨١٥
- ٧- عبد الله المأمون ١٩٩هـ - ٢١٨هـ / ٢٨١٥ - ٢٨٣٣
- ٨- أبو إسحاق المقتدر ٢١٨هـ - ٢٢٧هـ / ٢٨٣٣ - ٢٨٤٤
- ٩- الواثق بالله ٢٢٧هـ - ٢٢٩هـ / ٢٨٤٤ - ٢٨٤٧

قال الله تعالى :

” خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ،
وَصَلِّ عَلَيْهِمْ . إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ،
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ .

سورة التوبة آية ١٠٣

وقال تعالى :

” وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، لِلْيَسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ .
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

سورة العنكبوت آية ٢٤ ، ٢٥

الفصل في المذول

الزكاة

الركاة

أشرفت الدولة العباسية على جباية أموال الركاة من رعاياها الصغار ، وكانت هذه الأموال تجبي وفق مصد فررها الشرع ، ولا يستطيع الدولة أن يبردها أو تنقصها^(١)

١١ وقد كانت الركاة مفروضة على كل شيء يملكه المسلم ، ويعتبر أصلاً من أصول المصانع المستندة في الحياة العامة من الأموال والممتلكات انظاره ، ويشترط أن يحصي عليها حول كامل في دمة أصحابها ، ومن أهمها -

(أ) المواشي كالإبل والمفر والأنعام ، حسب العمر والعدد ، على شرط أن تكون سائمة ، برعى الكلأ من المراعي الطبيعية ، عتقل مصروفها (مؤوسها) ، ويتوفر إنجابها ، أما إذا كانت غائمة بحوث الأرض أو مضمومة ، لم تجب عليها الركاة .

(ولا تؤخذ في الصدقة (الركاة) هربة ولا عمياء ، ولا عوراء ، ولا ذات عوار فخذش ، ولا فعل العمم ، ولا الماخص ولا الحواصل ، ولا الرهبى - وهي التي منها ولد تربته) - ولا الأكيلة - (وهي التي يُسمها صاحب المسم ذباكلها) - . كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ٨٤ .

ب) ثمار البخل والكرم وما يشابهها مما يمكن إدخاره كالتور ونسقى، ويجمع الركاة عند تمام النصح ، على أن يطلع محصولها حينه أو سق من الأنس (نقوله) على الله عليه وسلم) ليس فيما دون خبسه أو ساق من ممر ولا حب مدلة) وتحمل مفاير الركاة حسب طرق الري ، فالأراضي السمي تُروى طبيعياً دون أي مجهود ، فركابها عُشْر محصولها ، والتي سقى بمجهود فركابها نصف العُشْر وما دون ذلك فالأمر مشروك فيه لتحليله أو الوالي .

ج) برزخ وتجب الركاة على ما يمكن إدخاره محصولها كالشمير والأرز والذرة والحمص والعدس والفض والكتان ... الخ - ولا تجب الركاة على السفل والحمص كالقنا، والخيال والبادسجل والبطيخ ، وركاة البرزخ تعرض حسب طريقة الري كما هو الحال مع ثمار الفواكه .

د) المعادن والذهب والفضة ، وتجب الركاة في رُبْع العُشْر ، وساب الذهب عشرون مثقالاً ، وساب الفضة مائتي درهم .

هـ) عروس الفحلرة - وتجب الركاة في رُبْع العُشْر .

وانتصبل موهود في كتاب الأحكام السلطانية للخزائن من صفحة ١١٦ . ١٢٨ وفي كتب الفقه الكمية والمعينة - مثل فقه الركاة للذكور يوسف القوماري . وكتاب الأموال لأبي عبيد في الجزء الثالث ١١ الخ

ولكن مورد الزكاة يرد له يرتفعة تبعاً لازدياد ممتلكات الأفراد .

وقد عالج المشرعون والعقلاء والعلماء في العصر العباسي الأول ، شئون الزكاة وأظنوا عليها اسم " الصدقة المفروضة " ، وذلك تمييزاً لها عن الصدقة الاختيارية ، والتي يدفعها المواطن بحسن إرادته ، وحوماً من ربه حل وعلا ، وتقرباً إليه دون أن يجبره أحد على دفعها .^(١)

كان للخدمة العباسي أن يتصرف في كافة موارد الدولة ، حسب براء سياسياً وامتناً أمام مصلحة الدولة ، وخير البلاد ، وخير رعاياها المسلمين .

أما مورد الزكاة ، فكان إنفاقها مضموراً على عدة وجوه حددها القرآن الكريم ، ولا يجوز الخروج عليها .^(٢)

كانت أسواق الزكاة تجمع في بادي الأمر في بيت المال ، فمن إيرادات الأخرى ، ولكن روي بعد ذلك ، أن يفرق لها خزانه خاصة بها ، وأصبح بها عمال يقومون بحملها . ووجد في كل بلد خزانه لركائها ، ينفق منها نوالي أو محاكم على السواحي المحددة لها . وقد حدث ذلك التعديل في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ، بناء على نصيحة القاضي أبي يوسف . لأنه رأى أن الزكاة يجب أن تنفق في الوجوه التي حددها الشريعة الإسلامية ، أما بقية الإيرادات كالجزية والخراج ... الخ فتتفق لمصالح جميع المسلمين .^(٣)

(١) ذكر الأسطخري في كتابه المسالك والممالك ، صفحة ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، أن الساماني في إقليم فارس كانوا مسئولين بتعمدة بيت المال سواء بالزكاة أو الصدقات أو المرائب الأخرى كالخراج وأغشار السفن وأحمالي المماد ، والمواشي ، ونجربة ، وغلة دار الحرب (حرب المقوقد) والمرامد والمصايع والمسملات ، وأثمان بدها وصرائب الملاحات والآجام ، وكانت العولة مشحولة عن جميعها .

(٢) قال حمالي في آية رقم ٦ من سورة التوبة : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمزلة قلوبهم وفي الرقاب ، والعلميين ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، قربة من الله ، والله عليم حكيم) .

(٣) كتاب الخراج لأبي يوسف ، صفحة ٨٧ .

حدثت بطورات هامة في حياة الركاء في عهد الرشيد ، ووضعت أسس ثابتة لحسابها ، منها أن مرتبات العاملين على جمعها ، والتي كانت تصرف إليهم من أموالها ، روي أن تقاسم مع المتحمل من هذه الأموال ، حتى لا تسبلك حرة^(١) كبير أمها ثم يوزع الباقي في الوجوه التي حددتها الشريعة من قبل .^(٢)

وكان يجوز الإتفاق من مال الزكاة على إصلاح طرق البلاد ومراقبتها^(٣) وقد تضمن التعديل أن ينفق الجزء المخصص للفقراء والمساكين من الزكاة في كل بلد على أهلها ، ولا يخرج منها لمصدق به على فقراء مدينة أخرى .

أما توزيع المبالغ المخصصة للمواحي الأخرى ، فمروك للحاكم أو الوالي ، مفهوم بتوزيعه فيما ينفق ومصالح المسلمين العامة والخاصة في المدينة . فإذ أخذت المدينة حاجتها من أموال الزكاة ، جاز توزيع ما تبقى من هذه الأموال على المدن المجاورة لها ، الأقرب فالأقرب^(٤)

(١) وفي ذلك يقول القاضي أبو يوسف في كتابه : كتاب الخراج صفحة ٨٧ : « هذا وليسها رجلاً ، ووجه من قبله من يوثق بدينه وأمانه أجريت عليهم من ثورق بغير ما ثورق ، ولا تُجر عليهم ما يستحق أكثر الصدقة » .

(٢) وسهم إصلاح طرق المسلمين يخرج بعد إخراج ثورق العاملين عليها ككتاب الخراج لأبي يوسف ، صفحة ٨٧ .

(٣) يقول كرم : « إن الحد الأقصى الذي كان يُعطى للفقير من مال الزكاة هو عشرون ديناراً في السنة لكفاية حاجته ، كذلك كان ينفق من أموال الزكاة على المستحقين في الدفاع عن المنطقة ، والدود عن حياص الدولة من قوات المتطوعين ، الذين لا يتبع [سهم في ديوان الجند] ، وقد أكد كرم على أهمية الأموال التي كانت تنفق من الزكاة لتحرير المبيد ، وقد ذكر الإمام أبو حنيفة بجوار استعادة المحتاجين من أهل الدمة بأصول الزكاة » .

The Orient under the Caliphs, by V. Kremer, P. 299-302
وبما في كلام كرم مناجاء في كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ٨٨ قال أبو يوسف :
(١٠) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « أنه أتني بعذقة ، فأعطتها كلها أهل بيت واحد » .

كانت الدولة الحباسية تعين عمالاً لحياطة الزكاة^(١) ، ويطلق عليهم عمال الصدقة أو " ولاة الصدقة " ^(٢) وهؤلاء العمال بدورهم يخطررون بعض آخر د موسى بهم وبأمانتهم ، ليعينوهم في جمعها من الناس

وكان بعض عمال الحراج يقومون بجمع أموال الزكاة في بعض الأندلس في أول الخلافة الحباسية ، وظل الحال على ذلك حتى توفي هارون الرشيد الخليفة ، فأشار عليه أبو يوسف القاضي أن لا يجمع بين الحراج والزكاة في شخص واحد ، فعمل الرشيد بالنصيحة فراء حة إحدى وسمين ومائة يمين أحد أتباعه وهو روح بن صالح البغدادي - وهو من قواد الموصل - على صدقات بني تلمب .^(٣)

كان على عامل الزكاة أن يكون رائده العدالة في معاملة الناس ، فلا يأخذ خير ما يملكونه في حصة الزكاة ، بل يأخذ المتوسط منها ، كما كان عليه ألا يظل مال الزكاة من بلد لآخر أو يجنيه قبل أن يحول عليه التحول^(٤)

وبملا من ذلك ، فإنه كان على عامل الزكاة أن يجني أمواله من الممتلكات الظاهرة ، بعد أن يلف على قيمتها الحقيقية^(٥) وأن يحقق في الشكاوى التي يقدسها

(١) كتاب الحراج لأبي يوسف ، صفحة ٨٦ ، ٨٧
٢١ جاء في الأحكام السلطانية للقراء ، صفحة ١١٥ ويشترط في عمال الزكاة أن يكونوا من المسلمين ، المادتين ، العالمين بأحكام الزكاة وفوائدها ، إن كانوا من عمال التفويض .

(٢) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٨٤ .
(٣) جاء في كتاب الحراج لأبي يوسف صفحة ٨٤ وليس لمصاحب الصدقة أن يتخير القسم ، مماخذ من خيارها ، ولا يأخذ من شرارها ولا من دوسها ، ولكن يأخذ المتوسط من ذلك على السواء وما جاء فيها ، ولا ينبغي لمصاحب الصدقة أن يجمع القسم من بلد إلى بلد ، ولا يؤخذ الصدقة من الإبل والمقر ونعمهم وحميمهم الأشياء التي تعد فيها الزكاة - حتى يحول عليها (الحول) .

وجاء في كتاب الأحكام السلطانية للقراء ، صفحة ١٢٢ أو يفرق زكاة كل ناحية في أهلها ، ولا يجوز أن تشتغل زكاة بلد إلى غيره .

(٥) الأحكام السلطانية للقراء ، صفحة ١١٥ وجاء فيه وليس بوالي الصدقات يظر في زكاة المال الباطن وتقره مخصوص بزكاة المال الظاهر

الناس ، من تصرفات أمواله- (١)

يختلف وضع عمال الزكاة ، فكان بعضهم عمال سفيد ، والبعض الآخر كان من عمال التفويض .

فعمال السفيد كان عليهم أن ينفقوا أوامر الخليفة أو الوالي بشأن الحصص الممنوعة على الناس ، ومقدار ما يخصصه من أموال ، ويكون العامل في هذه الحالة محملاً بقيمة الزكاة لا أكثر ، ولهذا السبب أيضاً كان يجوز في بعض الأحيان سعمال الدميين في هذه الوظيفة ، وذلك لأنها تقتصر على الجمع دون التقدير

أما عامل التفويض المكلف بالزكاة ، فكان له الحرية في تقدير قيمة أملاك الناس ، و المعروف في كافة الأمور المتعلقة بالزكاة في عهده عامة ودون أية شروط^{١٢}

ولذلك كان يشترط فيه كما أثرت سلطات الاسلام ، والعدل ، والسم بأحكام الزكاة .

وقد كان يجوز للمسلمين أيام العصر الأول للدولة عباسية أن يجرعوا الزكاة من ملوكهم أنفسهم ، إذا تأخر عامل الزكاة عن حصيلها مدة طويلة ولذلك كثيراً ما كان يوكّل إلى قاضي الناحية أمر الإشراف على جمع أموال الزكاة ، وجرت العادة من ناحية

(١) الأحكام السلطانية للعراق ، صفحة ١٣٤ وجاء فيه (وإذا ظهرت حيلته المايل كان الإمام هو المستدرك لحياته دون أرباب الأموال ، ولم يتعين أهل السبيل في خصوصه إلا أن ينقلوا إلى الإمام علامة ذوي الحاجات) .

(٢) جاء في الأحكام السلطانية للعراق ، صفحة ١١٥ (وإن كان مستقراً يعني من عمال السفيد) ثم عهده الإمام على قدر يأخذه ، جاز أن لا يكون من أهل العلم بها ، ويجوز أن يعقدوها من يحرم عليه الصدقات من ذوي القربى ، والعهد ، ويكون رزقه منها ، لأن ما يأخذه أجره زكاة ، ولهذا يستقدر بقدر عمله) . وقد قال الحرقي " ولا تدفع الصدقة لبني هاشم ، ولا لكافر ولا لعبد ، إلا أن يكونوا من العاملين عليها ، فيعطون بحق ما عملوا " .

أخرى أن يتولى إنفاذ الزكاة في وجوبها ، من وكل إليه أمر حميتها ،^(١)

وعلى عامس الصدقة أن يدعو لأهلها عند الدفع ، ترعيها لهم في المصارعة .

وتميزاً لهم من أهل الدمه في الحرية ، وإشغالاً لقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم)^(٢)

وفي العصر الأول للدولة العباسية ، سوح علماء الفقه والتحديث ، وظهرت فعاوى جديدة في الأمور التفصيلية لمورد الزكاة ، مثلاً إذا ادعى أرباب الأموال دفع الزكاة للعامل وأنكرها العامل ؟ أو إذا حثك الزكاة في يد العامل فبمهل نسبه ؟ أو إذا تلفت في يد رب المال فما هو الحل ؟ ... وأمور كثيرة ، وأحكام فقهية عديدة ، تناول بعضها الماوردي ، والغزالي ، والقاسمي أبو يوسف ، وإمام أبو حنيفة الذي توفي في عهد الخليفة العباسي المنصور ١٠٠٠ وقيصرهم كثير .

وقد بلغ إهتمام خلفاء العصر الأول للدولة العباسية بالزكاة وديون الصدقة ،

أن كان يوصي بعضهم شخصاً عند الوفاة بالأهتمام بالزكاة ، فقد ذكر الطبري أن

الخليفة العباسي الثامن أوصى أخاه الخليفة المصمم بقوله ١٠٠١ وخذ من أقوبائهم

(١) جاء في الأحكام السلطانية للغزالي ، صفحة ١١٩ (فإذا سأل أحد من المديونات من أرباب الأموال بعد وجوب زكائهم ، فإن كان بعد ورود عمله وشاغبه بغيرهم أنظروهم لأنه لا يقدر على أخذها إلا من طائفة بعد طائفة وإن تأخر عن جميعهم ونجاور العرف في وقت زكائهم أخرجوها بأنفسهم ، لأن الأمر يدفعها إليه ، متى طلبها ، وساقط مع عدم الإمكان) وحكم مراجع الزكاة في حالة تحلف عامل الصدقات موجود أيضاً في كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صفحة ١٢٢ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، آية ١٠٤ .
وجاء في كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صفحة ١٢٧ في معنى قوله تعالى (إن صلاتك سكن لهم) أرفع مأويلات ، أحدها قرينة لهم ، وهو قول ابن عباس (رضي الله عنه) ، والثاني رحمه لهم وهو قول طلحة ، والثالث تنبيه لهم ، وهو قول ابن قتيفة ، والرابع أمن لهم ، وهو من استحباب إن لم يسأل .

وجاء مثل ذلك في كتاب الأحكام السلطانية للغزالي في صفحة ١٢٩ .

مصدقاتهم ، ولا تحمل عليهم في شيء ، وأنصف بعضهم من بعض بالحق ...»^(١)

كان هالك ديوان للمدقات (الركاء) يحاصره الخلافة عند عهد الخليفة أبي جعفر المصمور^(٢) ، ودواوين قريته للمدقات في الولايات المجتوعة - واستمر الحال كذلك حتى في عهد من جاء من بعده من خلفاء العصر الأول للدولة العباسية ، ففي سنة ١٧١هـ ، يستعمل الخليفة هرون الرشيد على صدقات بني تميم روح بن مسمع البغدادي^(٣) ، وجاء في كتاب بغداد ، أن الخليفة المأمون عين أحمد بن يوسف رئيساً لديوان صدقات التيمرة^(٤) .

وقد أطلق عليه علي بن عيسى " ديوان البر " بعد أن تم إليه أموال الأوتار^(٥) غير أن مسكويه يوضح من خلال سرده لأحداث تلك الفترة كلاً من ديوان صدقات وديوان البر ، على أنهما ديوانان منفصلان ، وإن سواهما عجم واحد^(٦) ، ويخصص لنا مما ذكره ابن طباطبا - بعد العصر الذي يتناولها البحث - أن ديوان البر كان يضم عشرات الأوتار فقط^(٧)

-
- (١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس الجزء العاشر ، صفحة ٢٩٤ ، ومن أحداث سنة ٢١٨ هـ .
 - (٢) وفي نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٢٢ صفحة ٢٢٧ .
 - (٣) يذكر المصموري في كتابه البلدان ، صفحة ٢٤٠ أن مؤنجه كان تجاه حساب نكوبة .
 - (٤) اكمام في التاريخ المجلد الخامس ، صفحة ٨٤ ، وروح بن صالح هذا هو من قواد الموصل .
 - (٥) كتاب بغداد ، صفحة ١٢٨ { ابن طينور }
 - (٦) وعين عليه كاتبه أبو شعاع ، لتخفه الأمراء في تاريخ الوراء ، صفحة ١٢٨٦ .
 - (٧) هو الكاتب أبو أحمد بن عبد الوهاب بن الحسن (تجارب الأمم ، الجزء الخاص ، صفحة ١٥٦) .
 - (٨) محجري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، صفحة ٢١٦ ، وعند الحديث عن وزارة علي بن عيسى للمقتدر .

ومن خلال إطلاعنا على الكثير من المصادر والمرجع (١) أتد باندرج ما كتب
بجد رقب يشير إلى ارتفاع المدقات من هذا الإقليم أو ذلك، وأحيب بجد مبلغ ارتفاع
المدقات إلى بيت المال محتلفاً مع الإيرادات الأخرى، كقول المحققي عن مدقات
برقة .. ومبلغ الأعشار والمدقات والجوالي (الحويه) خمسة عشر ألفاً
دينار ، ربما زاد ، وربما نقص .. (١١) وخمسة عشر ألف دينار يساوي بربع دينار
بدينار = ١٥ درهم ١ ١٥٠٠ × ١٥ = ٢٢٥٠٠٠ درهماً .

وأحياناً أخرى بجد ارتفاع المدقات من قيمته معينة ، كقول ابن خردادبه
(٢) : « .. وصدقات بكر من وائل إلى صاحب طريق مكة وهي ثلاثة آلاف درهم » .

وأحياناً ثالثة كما بجد بين ثمانية هذه المصادر والمراجع أرقاماً مفردة
توضح ارتفاع المدقات من بعض الأقاليم . (٣)

فيذكر ابن خردادبه في عصر الخليفة العباسي الموفق بالله ، وبحلب
الموكل وغيرهما ، وكان قريباً من الأخيرة الحكومية حيث كان مملأ من البربر

(١) كتاب البلدان ، صفحة ٢٤٤ وجاء فيه : « وخراج برقة ثمانون ألفاً ، كان الرشيد
وجه بمولى له يقال له بشار ، فخرج حراج الأرض بأربعة وعشرين ألف دينار
على كل صيغة شيء معلوم ، سوى الأعشار والمدقات والجوالي ، ومبلغ
لأعشار والمدقات والجوالي خمسة عشر ألف دينار ، ربما زاد وربما نقص .. »
كتاب المسالك والممالك ، صفحة ١٢٧

(٢) هذا خلاص المصنف المطبوع ، والإحصائية ، وسبب أن الخليفة العباسي

المعتمد أنفق وشمس بمائة ألف ألف (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) درهم كما ذكره
الطبري في المجلد السادس ، الجزء الثاني عشر ، صفحة ٩ .
وجاء في التكملة في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٢٢٦ (١٠٠) وقال
ابن أبي داود : « تصدق المعتمد ، وهب على يدي مائة ألف ألف درهم » .
وكذلك ذكره الطبري في نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الثاني
والعشرين ، صفحة ٢٦٢ .

كما أنه تلقى معلوماته عن العمل بن مروان الذي كان وزيراً لتجميعه المخصص .
أن صدقات العرب بالعمرة بلغت (٦٠٠٠٠٠٠) ستة آلاف ألف درهم .^(١)

كما ذكر قدامة بن جعفر المصنف سنة ٢٢٢هـ أن صدقات العمرة أيام الخليفة
المعالي المأمون سنة ٢٠٤هـ كانت من الخطة (١٧٧٢٠) مائة ألف وسبعة وسبعين
ألف ومائتي كرو . ومن الشمر (٩٩٧٢١) تسحبون ألف كرو وسبعمئة وواحد
وعشرين كرو . ومن الجوز (٨٠٩٥٨٠٠) ثمانية آلاف ألف وخمسة وسبعين ألفاً وثمانين
مائة درهم

والكُرْس من الخطة أو الشمر كان يساوي في ذلك العهد سبعمائة ديناراً
٢ كرو = ٦٠ ديناراً
١ كرو = ٣٠ ديناراً

والدينار كان يساوي في عهد الخليفة المأمون كما ذكر قدامة كان يساوي
خمس مفر مرهياً
إدأ الدينار ١ = ١٥ درهم .^(٢)

ومجموع ما كان يرمض إلى بيت المال من صدقات العمرة فقط كما ذكر
قدامة بن جعفر *

(١٧٧٢١ + ٩٩٧٢١) × ٢ + ١٥ × (٨٠٩٥٨٠٠) = ١٣٤٧١٠٢٥٠ درهم

هذه ركاة العمرة وهي إقليم من أقاليم العصر الأول للدولة العباسية ،

توسعة الأرجاء في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، المبرامية الأطراف هي

كل عديب وصوب ... إدأ فكم يكون مجموع إيراد الركاة من جميع الأقاليم والولايات

العلم عند الله *

(١) المسالك والممالك ، صفحة ٥٩ وقد توفي ابن خردادبه سنة ٢٠٠هـ .

(٢) فهد من كتاب الخراج وصحة الكتابة ، صفحة ٢٢٩ .

وكم كتب أنصبي أن أحصل علي بعض إحصائيات أو الأرقام التي تدل على ما كان يوصل اليه المال أو بالأحرى إلى عمال الصدقات من أموال الركاء ، . . .
 ولكن كتب الماريج لا يعطينا هذه التفاصيل ، وأنصبي أن يأتي يوم محدد فيه من خلال الثروات المدبوبة ، والعبر معروفة مكانها ، كرهاماً وإحصائيات الركاء ، من خلال ديوان الصدقة الذي كان يكتب به الأرقام .

وحلابة العول إلى حيايه أموال الركاء ، وسعيه العمال ، واحتياهم ، وساح
 القاضي أبي يوسف للحلقة الماسي هارون الرشيد ، كل هذه العوامل ساعدت في خلق مجتمع إسلامي متكامل حتى آخر العصر العباسي الأول .

قال الله تعالى ،

” قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،
وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ، مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ،
حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ .

القرآن الكريم

سورة التوبة آية ٢٩

الفصل الثاني الجزية

- تعريف الجزية - فرضيتها
- الفرض من فرض الجزية في الإسلام .
- أهل الذمة في العصر الأول للدولة العباسية .
- شروط عقد الجزية ومقارنها .
- بعض الأمور والأحكام المتعلقة بالجزية وأهلها .
- التطورات التي طرأت على الجزية وأهلها خلال العصر الأول للدولة العباسية
- معاملة المسلمين لأهل الذمة في العصر الأول العباسي .
- هولا ارتفاع الجزية من بعض الأقاليم في العصر الأول للدولة العباسية

الحرية

والحرية عبارة عن مقدار معين من المال يوضع على رؤوس الرقاب ، ^(١) من أهل
الدية في دهر الإسلام .

وفي تعريف آخر هي الأموال التي كانت تُجبي من رعايا العصر الأول لدولة
العباسية من أهل الدية من المسيحيين واليهود ومن على شاكلتهم . (٢)

وقد فرصت هذه الحرية على من يملك يديه من أهل الكتاب ، في مقابل
رعايتهم من الجندية ، مع عملهم ، والدفاع عنهم ، وفي مقابل معمر بلادهم ،
وفي نظير الزكاة ، التي تؤخذ من المسلمين فقط .^(٣)

وحتى يتكافأ الدريقان ، لأن الدمييين والمسلمين رعية لدولة واحدة ، ويستعملون
بمرافق الدولة على سواء .^(٤)

وقد عُرفت الحرية أيضاً في العمر الأول للدولة العباسية باسم بجوالي .
وجاء في كتاب الخراج للفاصي أبي يوسف ، أن أصل هذه التسمية يرجع إلى بلسط

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صفحة ١٦٦ .

(٢) وجاء في كتاب الأحكام السلطانية للفسراء صفحة ١٥٢ عند الحديث عن وضع
الخراج والحرية أنهما لا يحتملان من ثلاثه أوجه ، ويترقان من ثلاثه أوجه
ثم تنفرد أحكامهما ، فأما الأوجه التي يحتملان فيها :
فأحدها : أن كل واحدة منهما مأخوذة عن مشرق .
والثاني : أنهما مالا في يترقان في أهل الفرية .
والثالث : أنهما يجبان بحلول الحول ، ولا يستحقان فيه

وأما الوجه الذي يترقان فيها . فأحدها أن الحرية نص ، والخراج
اجتهاد . والثاني أن أقل الحرية مقدر بالشرع ، وأكثرها مقدر بالاجتهاد
والخراج أكثره وأقله مقدر بالاجتهاد . والثالث : أن الحرية يؤخذ مع بقاء
الكفر ، وسقط بحدوث الإسلام ، والخراج قد يؤخذ مع الكفر والإسلام

(٣) الخلافة الراشدة والخلفاء الراشدون صفحة ٥٩ .

(٤) التاريخ الإسلامي العام ، صفحة ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

حاليه، وهو الذي أطلق على أمل الدمه ، الدين أخلاهم عمر من الخطاب رضى الله عنه (عن الحرية القوية ، ثم أصبحت هذه الكلمة مرتبطة بالحرية التي أجسدت معهم ، ثم تسلمت بعد ذلك كاسم لكل حرية وإلى لم يكن صاحبها حلاً من وطء^{١٤}

وقد كانت حرية الحرية في الإسلام أحف بكثير من الميراث التي كانت مرسماً دولة الرومان الشرقية على أهل البلاد قبل الإسلام ، ولذلك كانت الشعوب ، برحمتهم بفرحات المسلمين العرب ، ويحتفي بهم ، لأن الرجل يدفعه مراهم معدودة ، كان يأمن على دينه وعرشه وماله بخلاف الأمم الأخرى ، فكانت يد المظالم عامسة عليهم ، نصف بهم عسفاً ، وسولهم حسفاً ، حتى كان الرجل وما يملك ، منكسراً بلعكومه^{١٥} .

وقد فرصت الحرية بعض القرآن الكريم ، قال تعالى (فاسواً الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب ، حتى يحطوا بالحرية عن يديهم صاعرون^{١٦})

- (١) كتاب الفراج لأبي يوسف ، صفحة ٢ وذكر مثل ذلك ابن حوقل في كتابه المسالك والممالك صفحة ١٤٦ خلال حديثه من أعمال صيبين وذكر الحوارزمي في مفاتيح العلوم صفحة ٤٠ وبعد كلامه في فصل الثاني عن مواضع كتاب ديوان الفراج مايلي (مال الجوالي جسيم جاليه وهم الذين حلوا عن أوطانهم ، ويسمى في بعض البلدان مال الحمام ، وهي جمع جسيمة وهي الرأى) .
- (٢) دائرة معارف القرن العشرين ج٢ صفحة ١٠٦ .

وقد جاء في كتاب المظم الاسلاميه صفحه ١٢٢١ أن الحرية سميت من سمحنيات الاسلام ، فقد فرضها اليونانيون على مكان آسيا بصرى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد ، وفرضتها الدولة الفارسيه على رعاياها باسم Gezit كما فرضها الرومان باسم حرية الرأى Tributum Capitis وكانت الحرية التي وضعها الرومان والفارس هي سبعة أمثال الحرية التي وضعها المسلمون - (وهذا مايدفعنا إلى القول بأن حرية المسلمين لم تكن مصدر قلق وصيق لدافعها ، وما ساعد على ذلك أن المسلمين وصرو لها منذ البداية نظاماً عادلاً ، باعتبارها مراحات الأولى ومقدريتهم .

- (٣) للقرآن الكريم ، سورة التوبة آية ٢٩ .

وليس المراد بالصلار في الآية الكريمة الإدلال ، والإمهاق لأهل الكتاب ، بل المراد به الصمغ لحكم الإسلام .

وحاء في كتاب الأم للإمام الشافعي في تفسير قوله تعالى " وهم ماعرون " بمعنى أن يجزي عليهم حكم الإسلام ، ويخصمون له .^(١)

وعلى هذا فالجorie تؤخذ على رؤوس الرجال من أهل الدية ، إذ فعلوا البقاء على دينهم ، وبدع الجorie للدولة يكون لهم ما للمسلمين ، وعينهم ما على المسلمين .

أما فرضية الجorie عن طريق السنة النبوية الشريفة فقد روي عن بريدة أنه قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا بعث أميراً على جيش ، أو صاه يفتري الله تعالى في حافة صاه ، وسجن معه من المسلمين خيراً ، وقال له " إذ علمت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى حال ثلاث ، ادعهم إلى لإسلام فإن أحابوك فافعل وكف عنهم ، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجorie ، فإن أحابوك فافعل منهم وكف عنهم ، فإن أبوا فاحبسهم بقلعة وقتلهم " .^(٢)

وكذلك كتابه (صلى الله عليه وسلم) إلى حاكم البحرين سمندر بن صهارى " فمن موسى بن عقبة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كتب إلى السمندر بن صاه من محمد النبي إلى السمندر بن صاه ، سلام أنت ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإن كتابك حالي وسمعت ما فيه ، فمن على صلاسا ، واستقبل فبلغنا وأكل دبيرحتنا فذلك المسلم يومئذ في ذلك فعله الجorie .^(٣)

(١) كتاب الأم ٢ ج١ صفحة ١٢٦

(٢) المعنى ويليهِ الشرح الكبير ج ١٠ صفحة ٥٦٧ ، وكذلك كتاب الأم ٢ ج١ صفحة ١٢٢ -

(٣) فتوح البلدان^٤ صفحة ٩١ .

وعن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن شداد قال : كتب رسول الله
 " صلى الله عليه وسلم " إلى هرقل صاحب الروم " من محمد رسول الله إلى صاحب
 الروم ، إني أدعوك إلى الإسلام ، فإن أسلمت عليك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ،
 وإن لم تدخل في الإسلام فاعط الجزية ، فإن الله تبارك وتعالى يقول " فأنسلو
 الدين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ،
 من الدين أسوأ الكتاب حتى ينفخوا الجزية عن يد وهم صاغرون " ، ولا فلا تحل
 بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه ، أو ينفخوا الجزية ^(١)

الحرص من فرض الجزية في الإسلام :

هذا والحرص من فرض الجزية على أهل الكتاب ، حمايتهم والدفع عنهم ^(٢) ،
 خلافاً لما قاله بعض العلماء من أنها فرضت عليهم عقوبة على الكفر ^(٣) فمن لم
 يمكن المسلمون من حمايتهم ، فإنها سقط عنهم ، كما تنقضي عن شارك فسي
 الضال مع المسلمين ، وقد نصت على ذلك بعض المصنفات التي عقدها كبار قادة
 المسلمين أثناء الفترات الإسلامية والجهاد في سبيل الله ، كما في معاهدة خالد بن
 الوليد مع صاحب قس الناطف سنة ١٢ هـ ، وجاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم "
 هذا كتاب من خالد بن الوليد لعلو بن مسعود وقومه ، إني عاهدتكم على الجزية
 والمنعة ، على كل ذي يد بالحق وسما ^(٤) جميعاً على عشرة آلاف درهم سوى الخزرة ^(٥)

- (١) كتاب الأموال ج ١ صفحة ٢٠ ، قال أبو عبيد : إنه ليس المقصود من الفلاحين
 البراعمين فقط بل أهل مملكته جميعاً ، وذلك أن المعجم عند العرب كلهم
 فلاحون ، لأنهم أهل زرع وحرث .
- (٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ صفحة ١١٤ .
- (٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، المازدي صفحة ١٦١ .
- (٤) قس الناطف : بلدة على شاطئ الفرات ، وكان حاكمها علو بن مسعود
 موالياً للفرس ... من كتاب تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ، ح ١٦ صفحة ١٦ .
- (٥) يانقيا بكسر الهمزة ، متحضر من سواحي الكوفة من محجم البلدان
 ج ١ صفحة ٢٢١ وجاء في معجم البلدان ج ١ صفحة ٢٢٢ [إنك آمن بأمان الله
 على حقك دلك في إعطاء الجزية عن نفسك وحيثك وأهل قريبتك يانقيا وسميا لـ
 الخزرة : أي خزنة كسرى ، وكلفت على كل رأس أربعة دراهم .

القوى على قدر قوته ، والمُقل على قدر إقلاله ، في كل سنة ، وإنك قد نقبت على قومك بغير قومك قد رموا بك ، وقد قبلت ومن معي من المسلمين ورميت ، ورمي قومك ملك الدمة والمبعة ، فإن محاكم فلان الحريم ، ولا فلا حتى يصيبكم ، شهد هشام بن الوليد ، والمصراع بن عمرو ، وجبر بن عبد الله الحميري ، وحظنه ابن الربيع ، وكتب ليلة ثلثي عشرة في صفر^(١) .

كما أن أبا عبيدة بن الجراح (رضى الله عنه) رد على أهل الشام ما أحسد منهم ، لما خشي من عدم استطاعته وقدرته على حمايتهم من الروم ، عندما تكاثرت جموعهم . " وكتب إلى كل والي من حلفه في المدن التي مالج أهلها بأمرهم أن يردوا عليهم ما جُني منهم من الجزية والخراج ، وكتب إليهم أن يقولوا لهم : إما رددنا عليكم أموالكم لأنك قد بلغنا ما جُمع لنا من الجموع ، وأنكم اشترطتم علينا أن نسمعكم ، وأنا لا بقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما أحدا منكم ، ونحن لكم على الشرط ، وما كتبنا بيميننا وبسيفكم إن نصرنا الله عليهم . فلما كانوا دالسين لهم ، يردوا عليهم الأموال التي جموها منهم قالوا : ردكم الله علينا وبسرركم عليهم ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً ، وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا لنا شيئاً^(٢) . كما أن الحلقة الوثنية بالله في مهاجرة مصر الأول بندوة العباسية أقطت الحرب من الحراجة لأنهم كانوا عيوباً ومالج للمسلمين^(٣) .

ومما يقدم يتضح لنا في علاء أن الجزية فرضت في نظير لحماية وندفاع ، ومما في أدائها من إشراك في الدفاع أو ساعد المسلمين على هزيمة العدو والعمل على فبره^(٤) .

(١) تاريخ الأمم والملوك م ٢ ج ١ صفحة ١٦٠ .

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف ، صفحة ١٥٠ .

(٣) فتوح البلدان ، صفحة ١٦٦ .

(٤) النظام المالي الإسلامي للمقرن صفحة ٤٤ .

وقد كان للحرية مقام معين من حيث شروطها ، ودافعها ، في مواسم معينة ومقدورها ، والطوائف التي مؤحد منها - - الحج وقبل المتروكة بذلك ، فإنه من المحسوس أن تلقي الموت على أهل الذمة ، هؤلاء الذين كانوا يؤدرون الحرية . فمن هم ؟ لأن بعض الباحثين المحدثين لم يعرضوا لهم بالبحث إلا نادراً

أهل الذمة في العصر الأول للدولة العباسية :

أ - أهل الكتاب وهم :

١ - اليهود هم أمه موسى عليه السلام ، وقد سموا بذلك ، من قوسهم لموسى ^(١) ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩) ^(٩٧٠) ^(٩٧١) ^(٩٧٢) ^(٩٧٣) ^(٩٧٤) ^(٩٧٥) ^(٩٧٦) ^(٩٧٧) ^(٩٧٨) ^(٩٧٩) ^(٩٨٠) ^(٩٨١) ^(٩٨٢) ^(٩٨٣) ^(٩٨٤) ^(٩٨٥) ^(٩٨٦) ^(٩٨٧) ^(٩٨٨) ^(٩٨٩) ^(٩٩٠) ^(٩٩١) ^(٩٩٢) ^(٩٩٣) ^(٩٩٤) ^(٩٩٥) ^(٩٩٦) ^(٩٩٧) ^(٩٩٨) ^(٩٩٩) ^(١٠٠٠) ^(١٠٠١) ^(١٠٠٢) ^(١٠٠٣) ^(١٠٠٤) ^(١٠٠٥) ^(١٠٠٦) ^(١٠٠٧) ^(١٠٠٨) ^(١٠٠٩) ^(١٠١٠) ^(١٠١١) ^(١٠١٢) ^(١٠١٣) ^(١٠١٤) ^(١٠١٥) ^(١٠١٦) ^(١٠١٧) ^(١٠١٨) ^(١٠١٩) ^(١٠٢٠) ^(١٠٢١) ^{(١٠٢}

والطائفة الأولى بفرقتيها يدعون كوي السامرة من اليهود ، لإختلاف تقويمه الذي في أيديهم ، عما يبد الطوائف الأخرى ^(١)

وقد كانت اليهودية في حدير وبني كنانه وبني الحارث بن كعب وكنده ^٢ ، وحدث اليهود قبل الاسلام أحصاف مفاع الحجار ، واستعملوها في الرراعه والمداغ والتجارة ، وأدَّى احتلالهم لهذه البقاع ، واعمارهم بأنفسهم إلى كراهه العرب لهم ، ورغبتهم في إخراجهم من بلاد الحجار ^(٣) .

٢ - الممرانية

والممراني هم أمة عيسى (عليه السلام) ، وقد اختلف في سبب تسميتهم بهذا الاسم ، فقبل إنهم سموا بذلك . من قول عيسى للحواريين ، من أنصاري إلى الله ؟ ^(٤) وقول الحواريين " نحن أنصار الله " ^(٥) ، وقيل بل من مزونه هو وأمه بالماصرة من نهر فلسطين ^(٦) . وقد اعترفوا إلى فرق كثيرة ^(٧)

وقد انتشرت الممرانية في عُمان وعمرسوت والبس . وفي غيرها من البلاد العربية ، منذ القرون الأولى للميلاد ^(٨)

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا الجزء الثالث عشر صفحة ٢٧١

(٢) الأملاني المعينة لابن رسته ، المجلد السابع صفحة ٢١٧

(٣) الاسلام وأهل الذمه ، الطبري صفة ١٩

(٤) القرآن الكريم ، سورة الصف آية ١٤

(٥) القرآن الكريم ، سورة الصف آية ١٤ ، وسورة آل عمران آية ٥٢

(٦) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الجزء الثالث عشر صفحة ٢٧٣ .

(٧) انظر البدء والمأربح م ٢ ، الجزء الرابع ، صفحة ٤٢ وفي صبح الأعشى في صناعة الإنشا الجزء الثالث عشر صفحة ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ .

(٨) تاريخ بشاري العراق من انشأ الممرانية في الأقطار العربيه إلى أبا عبد صفحة ٥٢

وعنى الرعم من أنّ المسيحية دين حاوي أفضل من الوثنية إلا أنّ نعوت صبي
أرجاء شبه الحريه العربيه لم يقبلوا على اعتماده ، وذلك لارتباطه بالمفود سياسي
الاستعماري الروماني والحبشي ، وهذا بالإضافة إلى أنّ الحربي المدوي لا يعرض القيود
ولأوسر واتواهي التي تعرضا المسيحية ^(١) ، ومع ذلك فقد كاتب بعصاينة سي
ربيهة وخسان وبعض قصاعة .

٣ - المجوسية

(٢) وهي الملّة التي كان عليها الغرس ، ومن داب بديهم ، وهي ثلاثة فرق
الكيومرتية ، والشموية ، والبررد شمعة .

ولقد أخذت الحربة من المجوس ، فباسا على ما فعله السي على الله عليه
وسم ا مع بحوس حجر ، فقد مالحهم على الحربة ، غير مستحيل مباكحة سيالهم ،
ولا أكل ذبايحهم ^(٣) .

عن عروة بن الزبير قال كتب رسول الله (على الله عنه وسلم) إلى
المندرجين ساوى ، حاكم البحرين " سلام أب ، فإني أحمد إليك الله ، الذي لا
إله إلا هو بأما بعد ذلك ، فإن من على سلامنا ، واسفيل قسما ، وأكن ديهجتنا

(١) الإسلام وأهل السنة ، المحرر طلي صفحة ٢٨ .

(٢) الكيومرتية نسبة إلى كيومرت أو جومرت ، وهو مبدأ النسل عندهم
كآدم عليه السلام ، ولعنده مذهبهم عظيم اسير ، والبحر من الظلمة ، ومن
هنا انحدروا إلى النار فميدوها .
الشموية وهم على رأي الكيومرتية في تفصيل المور والتحرّ من الظلمة إلا
أنهم يقولون بقدسها .

والبررد شيعه أتباع الزردشت الذي قال : بوجدانية الله خائف النسيور
والظلمة وقد صف كتلاً سماه " الامسا " وجمع له شرحا سماه " الوبه " أي
ترجمه كلام الرب ، ثم عمل لكتاب الرمد شرحا سماه باد رمد ، وعميل
عساؤهم لهذا الخرح شرحا سموه " بارده " من كتاب صبح الأعشى في صناعه
الإثنا ، الجزء الثالث عشر صفحة ١٩٤ ، ٢٩٥ .

(٣) كتاب الحراج لأبي يوسف صفحة ١٢٩ .

فذلك المسلم الذي له دمه الله ودمه الرسول ، فمن أحب ذلك من المحوس فإنه آمن ، ومن أبى فإن الجربة عليه " (١)

وقد ذكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، قوم يعبدون النار ، ليسوا يهوداً ولا نصارى ، ولا أهل كتاب ، فقال عمر (رضي الله عنه) : ما أمري ما أصعب بهؤلاء ؟ ، فقال عبيد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) فقال أشهد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال (مُتَوَابِهِمْ سَنَةُ أَهْلِهِمْ الْكِتَاب) وكان عامل البحرين منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) انطلاقي الحزمي ، ثم أقره أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ، ثم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ثم عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢)

وقد أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) الجربة من محوس حجر وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) هم أهل كتاب بدلوا ، فأصبحوا وقد أُسِرَ بكتابهم (٣) وقد أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الجربة منهم لأجل كتابهم (٤)

كما أخذوا منهم الحثيلة أبو بكر وكذلك أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنهما) ، وكذلك طبق الخليفة عمر (رضي الله عنه) هذا التبرج على محوس المرقي وأسمم الحال على ذلك في العصر الأول للدولة المصيرية هاتان الطائفتان التوسقت العلماء على أحمد الجربة منهم ، وفيما عدا ذلك اختلفوا فيه .

قال أبو يوسف ١ " وجميع أهل العراق من المحوس ومعدة الأوثان ومبسدة السمران والعجارة والمبشرين والمارة يؤخذ منهم الجربة ، ما حلا أهل الردة من أهل الاسلام ، وأهل الأوثان من العرب ، فإن الحكم فيهم أن يحرس عليهم الإسلام ، فإن

(١) كتاب الأموال المروءة الأول صفحة ٢٨ وفنوح البلدان صفحة ٩١، ٩٢، وكتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤١ .

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف ، صفحة ١٤١ .

(٣) كتاب الأم للشافعي م ١٢٤ صفحة ١٢٤ ، وكذلك في كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤٠ والمقتني ولبه الشرح الكبير ج ١ صفحة ٥٧٠ .

(٤) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤١ .

(٥) كتاب الأم م ١٢٤ صفحة ١٢٤ . (٦) فنوح البلدان صفحة ٩١ .

أسلموا ولا قتل الرحل منهم ، وسبي النساء والمهملين^(١)

والقصد من ذلك توحيد أمه العرب ، فقد انتهت الوثنية من حرية العرب على أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولما تولى الخلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أخرج من كان باقياً فيها من النصارى واليهود^(٢) لما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " لا تكون قبلتان في بلد واحد " ^(٣) وعن جابر بن عبد الله يقول أحمرني عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول " لأخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، فلا أترك فيها إلا مسلماً " ^(٤)

وعن سفيان بن عيينة عن ابن عباس ، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أوصى بثلاثة فقال " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجبروا يهود بنحو مما كنت أجبرهم " - قال ابن عباس : وسكت عن الثالثة ، أو قد أغشيت^(٥)

٤ - الصابئة :

لزم كانوا يعبدون الكواكب ، وقد سموا أنفسهم بهذا الاسم في العصر الأول لندركه الصابئة وفي زمن المأمون ، واستعملوا ذلك حين هددهم بالقتل بسبب الفجأة لأن الصابئة اسم دين ورد في القرآن الكريم^(٦) - والكلدا يرون هم الذين يسمون الصابئة وكذلك الخرائينون وبغاياهم بخران والعراق^(٧)

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٢٩ ، والأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صفحة ١٦٢ .

(٢) تاريخ المدن الإسلامي ماح صفحة ٢٢١

(٣) سنن أبي داود م ٢ ج ٢ صفحة ١٦٥ ، وأرقام الأحاديث ٢٢-٢٠ ، ٢٠٣٠ ، ٢٩ ٢

(٤) (٥) سنن أبي داود المجلد الثاني ، الجزء الثالث صفحة ١٦٥ وأرقام الأحاديث ٢٢٢ ، ٢٠٣٠ ، ٢٠٢٩ .

(٦) رسوم دار الخلافة ، خلال الصابئة ، صفحة ٦ ، ٧ .

(٧) مفاتيح العلوم ، الحوارمي صفحة ٢٥ وحاء فيه أيضاً (أما الصابئون عنى الحفيضة فرقة من النصارى ، وبغايا التسمية بالهند والصين) .

وقد اشتهرت حوآن وثقافته قديما بمنازلهم ، وبحب منه منهم في مسند الدولة العباسية إلى بغداد ، واسموطسها ، وأمايت هذه الجماعة حقاً وأمرأ من العلم والأدب والطب ، ودهمتها قطنسها ودكاؤها إلى مثلد جلائل الأعمال في خدمه الخلفاء العباسيين ووزرائهم وأمرائهم (١)

ب - عبدة الأوثان .

ومن التطورات التي طرأت على مورد الحرية في العصر الأول للدولة العباسية أنه أصبح يؤخذ من عبدة الأوثان ، وذلك منذ عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ، حيث يرى القاضي أبو يوسف أن جميع أهل الشرك من المحوس ، وعبدة الأوثان ، وعبدة النهران ، والحدلر ، والمايشين ، والسامره ، تؤخذ منهم الجربة ما خلا أهل الرده من أهل الاسلام ، ولأهل الأوثان من لغرب لغرب الحكم فيهم أن يعرض عليهم الاسلام ، فإن ألبوا وإلا قتل الرجال منهم ، وسي النساء والصبيان (٢)

وقد اضللك العلماء في أحد الحزبه من عبدة الأوثان فقد اشترط لإسماء أبو حنيفة لأحد الحزبه من عبدة الأوثان ألا يكونوا عرباً ، بل يشترط أن يكونوا عجماً (٣) وقد سوسى الامام أبو حنيفة في عهد الخليفة العباسي ساسي أبي جعفر المنصور .

وأحد الحزب من عبدة الأوثان غير العرب يحضر من مسجديات العمر الأول للدولة العباسية .

(١) رسوم دار الخلافة لأبي الحسين هلال بن المحسن الصائبي صفحة ٥ ، ٦ وكذلك في كتاب صفحات مائحه من كتاب بحقه الأمراء في تاريخ الوراء ، صفحة ميحائيل عواد .

(٢) كتاب الجراج ، صفحة ١٢٩ عند الحديث عن (فصل في المحوس وعبسده الأوثان وأهل الردة) .

(٣) جاء في كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صفحه ١٦٣ ما يلي (وأحدها أبو حنيفة من عبدة الأوثان إدا كانوا عجماً ، ولم بأحدها منهم إذا كانوا عرباً) .

وقد اتفق المارودي ، والفراء ، في رأيهما حين رأيا أن الجزية لا مؤجد من
مريد ، ولا دهري ولا عاهد وثى^(١) هؤلاء هم أهم الطوائف التي كانت تدفع الجزية
في العصر الأول للدولة العباسية .

هذا ومن الأمور الحديثة بالذكر الإشارة إلى الشروط التي تكون بين أهل
الدعة بولاية الأمر في الدولة وهي

- ١ - أن لا يذكروا كتاب الله تعالى بظعن فيه ولا تحريف له .
- ٢ - أن لا يذكروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتكذيب ولا لإذراء .
- ٣ - أن لا يذكروا دين الاسلام بظم له ولا قدح فيه .
- ٤ - أن لا يصبوا مصلحة بزنا ولا باسم نكاح .
- ٥ - أن لا يمتسوا مسلما من دينه ، ولا يترعوا لعلمه ولا لدينه .
- ٦ - وأن لا يعمقوا أهل الحرب ولا يوثقوا^(٢) أغنيائهم .

مقدار الجزية :

لم يكن للجزية مقدار معين دائما في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)
والخلفاء من بعده ، فكانت تختلف باختلاف المعاهدات والاتفاقات التي يبرم بين
الحكام والضعوب المفتوحة . فقد أخذها النبي (صلى الله عليه وسلم) من أهل
أبنة واليمن حتى كل عالم دينار فأخذها من أهل بجران ألفي حقة في حقر ، وألفي
حقة في رحب ، وأخذ من أهل بضا ربيع عروكهم وغرولهم . والعروك حطب يسطرد
عديه - وربع كراعهم وثمارهم . ولما اتسعت الدولة الإسلامية ، وأنعم إليها ببلاد
كثيرة انجذاب ، رأى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بأن يجسد
مقدار الجزية ، على حسب احتمال الناس ، من الحقر والنعى . فأخذها منسي أول
ألمر من أهل الذهب أربعة دنانير ، ومن أهل الفضة أربعين درهما ، ثم جعلها
بعد ذلك :

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للمارودي صفحة ١٦٣ - - وكذلك في
كتاب الأحكام السلطانية للقاسمي أبي يعلى الفراء صفحة ١٥٤ .

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية صفحة ١٦٤ للمارودي وجاء فيه أيضا
(فبده المنة حقوق مكثره ، فتلزمهم بغير شرط ، وإنما بشرط إشتاراً »

١ - على كل رجل عامل فقير كتاب اثني عشر درهما .

٢ - وعلى متوسط الحال أربعة وعشرين درهما

٣ - وعلى الثماني ثمانية وأربعين درهماً .^(١)

وإذا جاء أهل القصة بخرس مثل الدواب والمتاع وغير ذلك أحد منبهم
بالثمة وقيل ، ولا يؤخذ منهم في الجزية مئة، ولا حلزير ولا خمر^(٢)

وتجب الجزية في آخر الحول . ولا يُطالب بها الذميون قبل ذلك^(٣) وعلى
أهل حال وقد كانت الجزية في العصر الأول للدولة العباسية تؤخذ على القسط تبلغ
أحياناً مئة ، وأحياناً خمسة أو أربعة أو ثلاثة أو اثنين ، غير أنها فرضت على
الحرث في أول الأمر في كل شهر ، لأن عمال المسلمين كانوا يتقاضون منها مرتباتهم
شهرية .^(٤)

يذكر يحيى بن آدم في كتابه أن الجزية كانت تجمع في بادئ الأمر بالمسروق
في كل شهر ، ويقول في ذلك : (بحث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حديثه
ابن الهيثم على ما علمت دخلت وبحث عثمان بن حنيف على ما دون حديثه ، فأبىاه
فأبىاه : كيف وضعنا على أهل الأرض ؟ فقالا : وضعنا على كل رجل أربعة

(٥) لهم ، وتأكيدهم لتعطيل العهد عليهم ، ويكون تركها بعد الفرض بقليل
لصدهم ...) وهناك أشياء مستحبة كتحجير عيالاتهم وأن لا يخلوا عن المسلمين
في الأبيد وأن لا يسمعوهم أصوات نوافسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم في
مزيور والمسيح ، وأن لا يجهروا بشرب الخمر ولا بإظهار الملبان ، وأن
يخفوا دفن موتاهم ولا يجهروا بتدب عليهم ولا بمساحة وأن يسموا من وكوب
الحمل عسافاً وهبلاً ، ولا يسموا من وكوب البغال والصير ... ذكرها
الحرودي في الأحكام السلطانية صفحة ١٦٤ ، ١٦٥ .

(١)، (١١) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٢٢ وذكر الأسديين صفاتي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ
وهو الوزير الأيوبي - في كتابه قوانين الدواوين صفحة ٢١٨ ما يلي (والجزية
الآن - أي في عهد - على ثلاث طبقات - عالياً ومبلىة لأربعة دنانير وشد
ووسطى ومبلىة دينارين وشرطان ، ووسطى ومبلىة دينار واحد وثمنا أربع
وعشرين) .

(٢) أنظر أحكام أهل الذمة ، ابن القيم الجوزية الجزء الأول صفحة ٢٩ وجاء في
كتاب قوانين الدواوين صفحة ٢١٩ . أوجرت المادة باستخراجها في مشهد
المعروف من كل سنة . وهي الآن - قبل عام ٦٠٦ هـ - تُشأدى في أيام من دي
الحج ، ويضاف إلى كل جريه درهمين أربع من رسم المشد والمصدقين .

(٣) رسائل المصنفين صفحة ١١٤، ١١٢ نشر مكتب (رسلان سنة ١٨٩٨م) دار الكتب المطبعة .

دراهم كل شهر . فقال : سأظنكم إلا قد أكثرتم ، ومن يطبق هذا ؟ فقالا إن
عندهم مصولا وأن لهم أسبا . (١)

ويصلل ادم ممر في كتابه عن أحد الجريه في العراق في أول كل شهر بقونه
(وذلك لأن عمال المسلمين ، كانوا ينقاصون مرتباتهم في كل شهر ، وكذلك كان
الحان في الأندلس في القرن الثالث الهجري ولكن في عام ٣٦٦هـ - ٩٧٦م صدر أمر
العليه الطائع بأن يؤخذ الجريه من أهل الدمة في المحرم من كل سنة ، بحسب
سلسلهم (٢) .

وبالطبع فإنَّ حماية الجريه كانت تستخدم في سداد هذه المربعات ، وبعد
ذلك أصبحت الجريه تُجبر على أنماط ، قد نزل إلى سنة أو خمسة أو أربعة أو
ثلاثة - كما كان الحال في الامبراطورية الفارسيه - أو اثنين (٣)

سيما يذكر المقريزي في كتابه أن الجريه كانت تُدفع تباعاً بسنة الفريه ،
وكانت تدفع على عدة قبل الخراج (٤)

وقد جرت العادة بأن يُعطى الدمي عند أدائه للجريه براءة تذيب أدائه بها
وإذا أسلم الدمي وعليه جريه سيرى مطلق عنه كلبا كما سقط المفويات ، وسقط
عنه أيضاً إذا مات بعد الحول وقبل الأخذ .

(٥)
ولا جريه على صبي ولا امرأة ولا محزون ، فإنَّ بدلت المرأة الجريه أصبحت له
لا جريه عليها ، فإذا تبرعت بها طوعاً قبلت منها ولم تكن جريه ولها الرجوع

(١) كتاب الخراج ، صفحة ٢٣

(٢) الحضارة الاسلاميه في القرن الرابع الهجري الجزء الأول ، صفحة ١٩٨

(٣) جاء ذلك في كتاب Kaldake, Tabari. s. 342 وورد أيضاً عند ديونيسيوس
Dionysius, ed Chabot, s. 61 وذكره كريباجك F. Karadacek ١١/١١١, ١٣٦, Samei Reiner

(٤) كتاب المواعظ والاعتبار يذكر الخطط والاطر ، المعروف بالخطط المقريزيه
انحر - الأول ، صفحة ٢٧٦ عند ذكر محويل السنة الخراجيه ، فيطيه إلى السنة
الهلالية العربية .

(٥) أحكام أهل الدمة ، ابن القيم الحوزية الجزء الأول ، صفحة ٢٩ . وكتاب الخراج
لأبي يوسف صفحة ١٢٢ -

متى شاءت (١)

وقد أعفى من الجزية أيضاً المرحوم والمصفاء الدين لا مورد لهم ، والرهبان في الأديرة والمواعظ ، ومن غاب من أهل الدعة عن بلده مدة طويلة ، وكذلك أعفى منها الفقير الحاجز عن أدائها ، والمصحف الثاني (٢)

وكانت تؤخذ من الصبي إذا بلغ ، والمحصول إذا أفاق ، والرهبان إذا حالطوا بدمس في مساكنهم وسمايشهم ، والفلاحين والحراثين الذين لا يفتنون .

وأما العبد فإن كان سيده مسلماً فلا جزية عليه باتفاق أهل العلم ١٠ ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يصدق عليه ، ولا من أعمى لا حرفة له ولا عمل ، ولا من دمي يصدق عليه ، ولا من مقعد ، والمقعّد والمرحوم إذا كان لهما يشاراً أخذ منهما وكذلك الأعمى (٣)

١ وإذا صولحوا على مصاعفة المدقة عليهم فوفقت ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع شيوخ ، وسراة وبني سلب بالقام (٤)

وصال الحرية ، مال في ، أي أنه مال حمل عليه المسلمون بالمسالمة لا ينحرب ويقتل بعد جمعه في غير المسلمين ، حسبما يراء الخليفة (٥) وكل هذه الأحكام تم تنفيذها في العصر الأول للدولة العباسية ، وقد وردت معظمها في كتاب الخراج للقياسي أبي يوسف . ولكن هل هنالك تغييرات حدثت على مورد الجزية في العصر الأول للدولة العباسية ؟

(١) أحكام أهل الدعة الجزء الأول ٤٥

(٢) وجاء في كتاب قوانين الدواوين للأسد بن سنان صفة ٢١٨ وأما الشيخ القاني وغيره ففيهما قولان ، والفقر - الدين لا كتب لهم ففهم أيضاً قولان الأول - يجب عليهم ، والثاني لا يجب عليهم ، ويطلبوا إذا أيسروا ، وإن كان منهم من يحرق يوماً ويغني يوماً ، فالمقصود أنه يؤخذ منه الجزية ... (٣)

(٤) كتاب الخراج لأبي يوسف صفة ١٢٢ .

(٥) الأحكام السلطانية - الفراء - صفة ١٥٥ .

(٥) كتاب الخراج ، لحي من قدم القرشي صفة ١٨ .

ليس بين أيدينا ، ومن خلال المراجع التي رجعت إليها هي كتابة هذا البحث أنه معلومات وافرة ، عن حرب أهل الدمه خلال الحمر الأول للدولة العباسية ، إذ لم تذكر كتب العقه ولا كتب التاريخ معلومات مفصلة عنها ، ربما لأن قواعد حماية الحريه وما يتعلق بها من أمور ، كانت قد اكتملت ، بحيث لم تكن في حاجة إلى تطوير .

وكل ما وجدته من خلال المراجع التي رجعت إليها هو التوسع في الأحكام الخاصة بأهل الدمه ، وشرح هذه الأحكام بالتفصيل (١)

وعلى أية حال فإن العباسيين لم يلجأوا إلى حريه على المسلمين فيها كانت جنسيتهم ، وأعطوا كل من أسلم من الحريه (٢) وتجنبوا الدخول في لاسلام ، وسواء من المسلمين الجدد والقداس ، نظرياً وملياً ، دون أنه يقف في الدخ

وكان بعض خلفاء بني أمية يرى أن الناس إما مسلمون فراراً من الحريه ، فلم يرفعها عنهم . (لكن عمر بن العريز (رضي الله عنه) كتب إلى بعض عماله بأمره أن يصح الحريه ممن أسلم ، وقال له : إن الله قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم دائماً ولم يجعله جانياً) (٣)

على أن ما قام به الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك من تقييد إعطاء على المسلمين المحررين فقط ، وما أخرجه عمر بن سيار عن إصلاح ليعرج قد أتمع في سائر أنحاء الدولة العباسية . (٤)

١) سواء في كتاب الحراج للقاضي أبي يوسف ١٢٩-١٤٢ أو في لأحكام المصنعة والولايات الدينيه للهارودي ١٦٦-١٦٦ أو في كتاب قواعد يدواوين للأسمدين صفاتي ٣١٧ - ٣١٩ عند الحديث عن الحوالي أو في كتاب لأحكام المصنعة لمصافي أبي يعلى القزويني ١٥٣-١٦٢ أو في كتاب أحكام أهل الدمه لابن القيم الحوزية في الجزء الأول أو الثاني وغيرها من الكتب الفقهيه والتاريخيه الكبيره الإدارة العرييه ، ص ١٠ - ق حبيبي صفحه ٢٥

(٢) كتاب الأموال ، صفحه ٦٠ .

(٣) وكان إعطاء سابقاً من المقررات المتويه لجميع المسلمين من الدولة والأمويين كان يحثون تحول أراضي الحراج إلى أراضي المشور وبالتالي نفس في الإيراد ومن التخلص منهما باتباع سياسة عمر بن سيار في إنعراج الإدارة العرييه صفحه ٢٥١ .

أدى التوقيع الذي جاء متبوعه انتاع هذين النظامين إلى سد البحر البسدي حدث في جبابه الجزيره ، متبوعه لورديان معدني الاسلام - لذلك فإن غالبية داغستان الجزيره في العصر الأول للدولة العباسية ، كانوا يدعون الحد الأدنى من المفاديسر المقرر^(١)

وكانت الجزيره في العصر الأول للدولة العباسية تُعتبر من موارد تدهيس الهامه ، التي تعتمد عليها الدوله في سيطرة مصروقاسيا ويتضح ذلك من خلال ما جاء في كلام الامطعري عند الحديث عن إقليم فارس ، وكيف كانت الجزيره من موارد الدخل الهامه في هذا الإقليم .^(٢)

كما ذكر قدامة بن جعفر أن الجزيره كانت تدخل من موارد بغداد الهامه وأنها كانت تبلغ مائتي ألف درهم ، وذلك بقوله (وما يدخل في شيء من الارضاع ، جربة رؤوس أهل الدية ، بحمره مدينه السلام ، وهي مائتي ألف درهم)^(٣)

ومن التطورات الهامه التي طرأت على الجزيره في العصر الأون بغدادية العباسية هو إسماع حيايسيا إلى عمال الخراج ، كما أشار القاضي أبو يوسف بذلك إلى الحقيقة العباسية طرون طرشيه (د يقول (وأما المواد فتقدم إلى ولا تطلب من الخراج ، أن يمشوا رجالا من قبلهم ، يتفقدون مدنيهم وأمانتهم ، بأسون الطريه فبأمور مناصب جميع من كان فيها من اليهود والمصارى وسجوس والمناشيس والساسره فإذا جمعوهم إليهم ، وأخذوا منهم على ما وصفت لك من الطبقات ، وتقدم إليهم في اسخال سارمنه ووصفته ، حتى لايسمدوه إلى ماسواه ، ولا بأخذوا من لم ير الجزيره واحده عليه شيء . . . ويعملها ولاه الخراج ، مع الخراج إلى بيت المال ، لأنه في المسلمين^(٤)

- ١- تطور النظم الإدارية والماليه في بلاد العراق والعرب صفح ٢٠٣
- ٢- المسالك والممالك الامطعري المعروف بالقزحي صفح ٩١ وجاء فيه لبيت المال على الماء ، والرموم أبواب المال ، التي تطلق عليها الدواوين ، من خراج الأرض ، والصدقات ، وأعمال السفن ، وأعمال المعادن ، والمرعي والجزيره وغلة دفر العرب والمراد ، والضياع والمستغلات ، وألمان الماء ، ومرائب الملاحات والأحام ١٠
- ٣- نيف من كتاب الخراج ومهمة الكلبه ، صفح ٢٥١
- ٤- كتاب الخراج ، صفح ١٣٤

ومن المميزات التي طرأت على الجزية في العصر الأول للدولة العباسية هو إلغاء نظام المصنف ، كأن يصنف صاحب القرية أو مسؤولها بدفع مبلغ معين عن حرية أهل القرية ، وبمفهوم صاحب القرية بالمحصل ، فيؤخر على الدولة عملاً الجرج الذين يقومون بهذه المهمة ، ثم يصح لهم مبلغاً ثابتاً ، وفي ذلك يقول أبو يوسف : « إن قال صاحب القرية ، وأنا أصالحكم عنهم ، وأعطيكم ذلك ولم يجيبوه إلى ما سألت ، لأن ذهاب الحرية من هذا أكثر ، لأن صاحب القرية يعطيهم على خصمائه درهم ، وفيها من أهل الدية من إذا أهدب منهم الجزية بلغت ألف درهم أو أكثر ، وهذا مما لا يحل ولا يصح مع ما ينال بخراج من صبي النقصان ، لعله أن يحصى من يصنفه أهل الدية ، فيميت الواحد منهم أقل من شيء عشر درهما ، ولا يحل أن يفسد من ذلك ، بل لعل غيبتهم من المياسير ، تسبب تلزمه ثمانية أربعين درهماً » (١).

ونظام مصنف الجزية هذا ، ليس له مزية غير أن مقدار الجزية يكون معروفاً ، وبالتالي فإنه يساعد على معرفة الدخل بالمصنف من مورد الجزية ، ولكن هذا النظام يهين الدولة حقها ، حيث أن المصنف يحصل على مبالغ قد تكون كبيرة جداً بما يعطيه للدولة ، وربما يُعطى للمصنف فرصة للتخفيف في جهاته الجزية لذلك فإن إلغاء هذا النظام في العصر الأول للدولة العباسية ساعد على حصول الدولة على مقدار أكبر من الحرية ، والرقى بأهل الحرية وحسن معاملتهم .

ومن المميزات التي طرأت على هذا المورد أيضاً في العصر الأول للدولة العباسية ، أن الخليفة الوائق بالثقة أسقط الجزية عن الجراحمة (٢).

(١) كتاب الجرج ، صفحة ١٢٤

(٢) جاء في فصوص البلدان ، صفحة ١٦٣ ، ١٦٤ (أن الجرحمة من مدينة عني جبل النكاح ، عند معبر الزواج ، فيما بين بياس وبولس ، يقال لها الجرجومة ، ومن أسرها ، كان في أيام استيلاء الروم على الشام وأنطاكية إلى مطر بسق أنطاكية ووالديها - -) وقد صالحوا المسلمين على أن يكسوا أعوانهم للمسلمين وعيوساً ومسلحاً في جبل النكاح سنة صدر الإسلام .

وقد كان بعض العمال أترسهم حرية رؤوسهم بأنطاكية (١)

أما ثانياً أسقط الخليفة الواثق بالله الحرية عن الحراجه *

فلا بهم كانوا يعزرون مع المسلمين ، فيمفلوا أكلات من يقتلونه مبادرة حيث كانوا

يعاملون كالمسلمين ، لأشهم كانوا أعمىناً * وعميولاً ومسالح لهم ١٠٠ وكان يؤخذ من

نحلاتهم ، وأموال موسريهم ، ما كان يؤخذ من أموال وتحفارات المسلمين *

(١) صوح البندان ، صفحة ١٦٦ وجاء فيه (وقد كان بعض العمال أترس رؤوسهم بالحرية)
الحراجه بأنطاكية حرية رؤوسهم ، فرغموا ذلك إلى الواثق بالله (رحمته الله) وهو خليفة ، فأمر بإسقاطها عنهم) *

إخلال أهل الذمة ببعض ما جاء في نصوص
المعاهدات التي كانت تبرم عادة بين أهل الذمة والدولة

استغ أهل الذمة بكثير من مروب الساسح الديني في العصر العباسي الأول ،
إذ أقاموا شعائرهم في أمن ودعة ، وشاركوا المسلمين في وظائف الدولة ، وــــي
مسارعه الصبي الحره (١١) .

غير أن أهل الذمة استغلوا وظائفهم في ظلم المسلمين ، حتى أن بعض
المسلمين لجأوا إلى أهل الملاح ودوي المكانه الرغبهه ، كي يرموا شكواهم إلى
خلفاء ، وقد أدت هذه السياسة بين أهل الذمة والمسلمين إلى عيبكلا ١٠٠٠ ، خــــج
عنه الانصراف عن خدمات حكيمة تعود على الدولة برباده الموارد الماليه نتيجة
لإهمام بخدمه الأرض ، ومراقب الدولة ، الأمر الذي أدى إلى نفس مبراسية الدولة
فقد انصرف أهل الذمة عن خدمة الأرض ، وأنجزوا أيضا من دفع الجزية ،
وعد ، يحالف المعاهدات التي أبرمت بين الدولة والحكام المسلمين من جهة ، وبين
أهل الذمة من جهة أخرى - فيذكر ابن القيم الحورية أن الخليفة المنصور ، لما حج
اجتمع المسلمون إلى شبيب بن شيبه ، وسأله عن حاله المنصور ، في أن يرفع عنهم
المظالم ، ولا يمسك المعارض من ظلمهم وعسفهم ، في مياهم ، ويمنهم من انبساله
عزماهم ، فكونه أبرهم أن يقيموا أموال بني أمية ، فحاطبه شبيب في ذلك ، فأمر
لنمصور بأن يكتب إلى الأعمال والبواحي ليرف من بها من أهل الذمة (١٢)

(١١) الحياه الاجتماعيه في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، رسالة
دكتوراه - اطلعت عليها في مكتبه جامعه القاهرة سنة ١٩٨٥م . وقد حصلت
صاحبة البحث على رسالة الدكتوراه سنة ١٩٦٨م وهي الدكتوراه مديحة محمد
رحمة الله .

(٢) أحكام أهل الذمة الجزء الأول صفحة ٢١٤ ، ٢١٥ - وجاء في كتاب بدعوة إلى
الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية) سهرتوماس - و- أرسوند
صفحة ٩٤ ، ٩٥ (وقد قام بعض الخلفاء بمحاولات غير مجديه لإمساكهم - أي
المسيحيين - عن الوظائف العامة ، وأصدر المنصور (٧٥٤-٧٧٥م) ، والحقوكل
(٨٤٧ - ٨٦١م) - مراسيم بهذا الصدد - والعق أنه يمكن أن تكون هذه =

ويؤكد هذه الرماية أن تولد في كتابه (1) ويظهر أن أمثال ثورات الاصطدام هذه قد أنبأها في بعض الحالات هؤلاء المسيحيون الذين شعلوا ماضيت عالية ، في عدمه الحكويه ، من جراء إساءة استعمال ملطيم ، وأناروا على أنفسهم بضمهم المسلمين شعوراً قويا من الاستياء وقد قيل أنهم استعزوا ماضيهم العاليه في سلب أموال المؤمنين ، وممايقهم ، وممايلهم بشئ كثير من العنقه والفضة وتجريدهم من أراضيهم وأموالهم ، وقد نقدم المسلمون بالشكوى إلى الخليفة المصور سنة (١٢٦ - ١٥٨ هـ) - ٧٥٤ - ٧٧٥ م - والمهدي سنة (١٥٨ - ١٦٦ هـ) - ٧٧٥ - ٧٨٥ م والسامور سنة (١٦٨ - ٢١٨ هـ) ٨١٢ - ٨٢٢ م وإلى كثير من خلفاء العصر الأول للدولة العباسية ، كما سمرموا ألباً لبعض كثير من مسلميهم باستخدامهم عيوباً للدولة العباسية ، ومطردة اتباع البيت الأموي الذي أقصبي من نكهم (١)

أما الخليفة العباسي المصور فقد أمر أن لا يدع أحد من أهل الدية ، يكذب لأحد من العمال على المسلمين بسبب التكاوي الكثيرة من المسلمين على أهلهم بدمه ويصح ذلك مما جاء في كتاب التوراة والكتاب في فونه (١) ولقد المصور حماداً التركي تعديل السواد ، وأمره أن يزل الأنبار ، ولا يدع أحداً من أهل الدية يكذب لأحد من العمال على المسلمين إلا قطع يده ، فاحمد حماد ما هو الواسطي ، جده سليمان بن وهب ، فقطع يده (٢)

(١) المراسيم راجعه بوجه عام إما إلى سبط شائع آثاره السلوك الحسن المسحور ، الذي بسلكه الموقوفون المسيحيون أو إلى سوراب من الشعب - وهذا الأخير غير وارد ولكمه دسيسة من المشرق أن تولد - ولو كان ذلك صحيحاً لما اتحد بعض الخلفاء أطباءهم الشحميين من المسيحيين كهارون الرشيد (١) الدعوة إلى الاسلام ، صفحه ٩٧ ، ٩٨ وكذلك ذكره بجلي في كتابه - Belin, pp 435-40, 442, 448, 456, 456-61, 479-80.

(٢) كتاب التوراة والكتاب ، صفحه ١٢٤ ، وجاء أيضاً أن ما هو به في الأصل ماهويه ، وهو تحريف

كذلك قويت شوكة أهل الدمه في عهد الخليفة المهدي ، فاجتمع المسلمون إلى بعض المالحين ، وسألوه أن يُعزّزه بذلك ويصحّحه ، وعلم المهدي بذلك ، (فوسى بمصره بن حمزه أعمال الأهواز وكور دجلة وكور فارس ، وفند حناداً أعمال بسواد وأمره أن يمرل إلى الأنبار ، وإلى جميع الأعمال ، ولا يتوك أحداً من ندمه يكسب لأحد من العمال ، وإن علم أن أحداً من المسلمين استكسب أحداً من نصارى قطعت يده ، فقطعت يده " شاهونه " وجماعة من الكتاب)^(١)

يقول آدم سر في كتابه : ومن الأمور التي تعجب بها كثرة عدد يهودي والمصريين غير المسلمين في الدولة الإسلامية ، فكان انصاري هم الذين يحكمون مسلمين في بلاد الإسلام ، والشكوى من حكمهم أهل الدمه في أشرار المسلمين وأبرائهم ، شكوى قديمة يحكى عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه سمع عوف أن أنبي موسى الأشعري كاتباً مصرانياً ، مرب فنده ، وفال ألا استحد رجلا حنيفاً . وكان المصريون المصري واليهود يفسون اليمن ، غائبهم شيطان المسلمين ، وقد جاء في كتاب ديهوان الانتاء الذي ألف عام ٨١٠ هـ - ١٤٣٦م ، صفة اليمن الذي كان يفسه اليهود في ذلك العهد ، وذكر أيما أن أول من استحدث هذه الأيمان لأهل اليهودية ، الفصل بن الرشح وزير الرشيد ، أحدهم له كاتب عنده ، ومنها استنبطت هذه الألفاظ^(٢) .

ومن سوء معاملة أهل الدمه للمسلمين ومخالفتهم لنصوص المعاهدات معهم في العصر الأول للدولة العباسية أن رأينا قيام بعض الحركات التي يقصدها مقاومة المصري ، موجهة أولاً إلى محاربة تسلط أهل الدمه على مسلمين ومسيحيين أهل الدمه وتحيرهم في دولة إسلامية ، شي لا يحملها المسلم الحق ، ومن ذلك : فقد^(٣)

(١) أحكام أهل الدمه الجزء الأول صفحة ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٢) (٣) الحملاء الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر المهمة في الإسلام .

الجزء الأول صفحة ١٠٥ ، ١٠٦ .

كان للحليفة العباسي العبدي كاتف ممراني على بعض صياغه بالبرهه ، فظلم الناس في معاملته ، فظلموا إلى مولر بن عبد الله القامي ، فأدبه سواراً ديباً بالعلم حين نثبت من ظلمه ، وأمره ألا يبرج واقعاً حتى يوفى المسلمين حقوقهم (١)

كذلك صرف الحليفة العباسي هارون الرشيد أهل الدمه عن أيمانهم ، وسعمل المسمين عوماً عظيم (٢) وفي سنة إحدى وستين ومائة (١٩١ هـ ، ١٨٠٠ م) أمر الرشيد بهدم الكنائس المختلطة ، وكذب إلى السدي بن شاذك بأمره بأخذ أهل دمه بمديته السلام بمعالجه هبثهم هبثه المسلمين في لباسهم وركوبهم (٣)

أما الحليفة العباسي المأمون ، فإنه لما بلغه كثرة مناهات نصاري ، وتظلم المسلمين منهم في مصر ، وكان موعوداً بها ، أمر بإحمارهم فكان عدده من صرف وسجن (٢٨٠٠) ألفين وثمان مائة ، وبقيت جماعة من اليهود ، فخرج تواقه " أحدث الأمم اليهود وأحب اليهود السامرة ، وأهبط السامرة بنو فلان فبسطوا ما بأسمائهم من دهن الحيش والحراج إلى شاء الله تعالى " (٤)

١) أحكام أهل الدمه الجزء الأول صفحة ٢١٧ .

٢) أحكام أهل الدمه الجزء الأول صفحة ٢١٧ .

٣) تاريخ الأمم والملوك ٥٥ ، والحر ، المأثر صفحة ١٠٠ ، وكذلك في كتاب الدمة إلى الاسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الاسلاميه مبرومس ، ر أولد صفحة ٩٥ وما ، فيه) وبدأت جماعة الأطباء من المسلمين بصورة أشد ٠٠ عند عهد هارون الرشيد (١٧ - ١٩٢ هـ - ٨٧٦ - ٨٠٩ م) الذي أمرهم بأن يلبسوا لباساً يميزهم عن غيرهم ، وأن يسلطوا للمسلمين من المناصب ، وهذه الحالة عسر لما ما لرتكنه لامبراطور البيزنطي مفلور (Haraphron) من عذر ، جعلت اسم المسيحي مبعثاً إلى هارون الرشيد (٠) ثم تطرق أولد إلى الأسباب الحقيقية فقال يرجع ذلك إما إلى الخلق في ولائهم الذي كانت تشبه دسائس المسيحيين العرب ، وأعد ، الاسلام وبدخلهم في تنويعهم أو إلى الشعور السيء الذي أثاره ذلك السلوك القاسم على الخيانة والقسوة .

(٤) أحكام أهل الدمه الجزء الأول صفحة ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،

عند أهل الدمه إلى سابق مكانهم في عهد الخليفة العباسي المتعصم ربيعاً^(١)

بعد ردعهم عن ظلم المسلمين ، (فقد كان في خدمة الخليفة المتعصم ، أخون مسيحي ، بلغا سرلة ساميه عند أمير المؤمنين أحدهما يُدعى سلمويه ، ويظهر أنه كان يشغل منصباً قريب الشبه من منصب الوزير في العصر الحديث ، وكانت الوثائق الرسمية لا تتخذ معه السيفيد إلا بعد توقيعه عليها ، على حين عهد إلى أخيه إبراهيم بحفظ خانم الخليفة ، كما عهد إليه بحراثة بيوت الأموال في البلاد ، وكان المنتظر من طبيعه هذه الأموال وسريتها أن يوكل أمر الاشراف عليها إلى رجل من المسلمين ، وقد بلغ من ميل الخليفة الشديد إلى إبراهيم أنه عاده لسي مرصه الأخير ، وغمره الحزن عند وفاته^(٢) .

وقد جمع أهل الدمه في العصر الأول للدولة العباسية أموالاً وفيرة مسمن احمرافهم ثمن المني واحمرافهم للمصاعف والتجاره ، (فحبريل الذي اتّخذه الخليفة هارون الرشيد طبيباً خاصاً له كان مسيحياً بطورها بلغ إيراد السوي (ر ١٨ ثمان مائه ألف درهم) من أملاكه الخاصة ، فعلا عن راتب قدره (٢٢٨٠٠٠ ر) سياشين ومئتمن ألف درهم في السنة ، مقابل عشايد بمالحة الخليفة ، وكان الطبيب الثاني وهو بحراسي أيضاً بنفامي (٢٢٢٠٠٠ ر) ثمنين وعشرين ألف درهم في السنة^(٣) .

وفي العصر الأول للدولة العباسية كان معظم دافعي الجزية ، يدفعون الحد

الأدنى ، (حتى أن بنيامين يقول إن اليهود في كل بلاد الاسلام يدفعون ديناراً واحداً ، وكذلك يقول بنساجيا إن اليهود في العراق لا يدفعون شيئاً بخليفة ، وإنما يدفع الواحد منهم في كل عام ديناراً واحداً لرأس الحالوت^(٤) .

(١) من سنة ٢١٨ = ٨٢٢ هـ (٨٢٢ = ٨٤٢ م) .

(٢) الدعوة إلى الاسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الاسلاميه ١ ، ميرسواس وأرنولد ، صفحة ٨١ .

(٣) الدعوة إلى الاسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الاسلاميه ، ميرسواس و . أرنولد صفحة ٨٢ .

(٤) الحصار الاسلاميه في القرن الرابع الهجري أو عمر السجدة في الاسلام ، ديم .

وكان يراعى الرهن في حماية الخريف من أهل الدمه ، وقد أثار القاضي
أبو يوسف على الخليفة العباسي هارون الرشيد أن يُعامل أهل الدمه بالنظر ،
وأن يعثرو عليها ويحبسون دون عسف حتى يدفعوا ما عليهم ، وفي ذلك يقول
القاضي أبو يوسف في كتابه (ولا يصرب أحد من أهل الدمه في استيذانهم
بحرية ، ولكن يرفع بهم - حتى يؤثروا ما عليهم ، ولا يحل لسواي أن يدع أحداً
من نصارى واليهود والمجوس والمماليك والسامرة إلا أحد منهم الحرية ، ولا يرحص
أحد منهم في برك شيء من ذلك ، ولا يحل أن يدع واحداً ، ويأخذ من واحد ، ولا
يسع ذلك ، لأن دماءكم وأموالهم إنما لمحرر بأداء الحرية)^(١)

وعلى أية حال ، فإن الخلفاء العباسيين لم يتدخلوا في الشؤون الدينية
للمماليك ومن على شاكلتهم ولكن عوملوا بما جاء في المعاهدات التي أبرمت بينهم
وبين الدولة من حسن المعاملة وممارسة عبادتهم .

(١) من الجزء الأول ، صفحة ٩٦ . وكانت تقديرات الحرية في أغلب الأحوال (١٢) درهماً على الفقير ، (٢٤) درهماً على المتوسط ، (٤٨) درهماً على النسي في السعة ، وقد اختلفت الفقهاء في تقديرها ، فأبو حنيفة بواقع على خمسة نسب ، وسرك مالك تقدير الحرية لمخليفة دون تحديد ، أما الشافعي فيجوز الحد الأدنى (١٢) درهم وسرك ما فوق ذلك للخليفة ، ويتفق مالك والشافعي على أنه متى حدد مقدار الحرية فلا ينبغي تحديده ، على أن يراعى في ذلك قدرة الأفراد المالية - ورأس حائوت - هو رئيس اليهود في بغداد وفي القاهرة كان يطلق سعر هجري .

(١) كتاب المراج ، صفحة ١٢٣ .

معاملة المسلمين لأهل الدمة في العصر الأول للدولة العباسية

قال الله تعالى في كتابه العزيز { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون }^(١)

وقد ذكرنا فيما مضى تفسير الشافعي في كتابه الأم ، في قوله تعالى (. وهم صاغرون أي خاضعون لحكم الإسلام)^(٢) ، أما ما يقوله بعض العلماء من أن المراد بتفسير قوله تعالى (. وهم صاغرون . . .) أي يدفعونها وههنا أدلة مستقيمة^(٣) ، فهذا لا يتفق مع سماعة الإسلام ، ولا مع ما كان عليه العمل في عهد الخلفاء الراشدين ، ويؤكد هذا ، ما تم في عهدهم من معاهدات وشروط صلح ، تنفيذاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (احتلوني في ديني ، وتحريره من سوء ، بمعاملة أهل الدمة بقوله : (ألا من ظلم معاهداً أو انتظمه أو كلفه فسوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ، فأنا حبيبه يوم نقباه)^(٤)

والنداء بمعاملة الرسول صلى الله عليه وسلم { الحسنة لهم . ومعاهداته معهم ، بما يتمم بكل إنسانية وتقدير ، ماداموا صفيين بما صوبوا عليه . سار خلفاء العصر الأول للدولة العباسية بما سار به الرسول صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا فإن السمة المميزة الشريفة تحمل قادة المسلمين ، على الرفق والإكتمال في عبادة الحرية من الذميين ، وحماية أرواحهم ، وأموالهم من مصادرات الجاهل^(٥)

- (١) القرآن الكريم ، سورة التوبة آية ٢٩ .
- (٢) كتاب الأم للإمام الشافعي ٢ الجزء الرابع صفحة ١٧٦ .
- (٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صفحة ١٦٢ .
- (٤) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صفحة ١٦٢ .
- (٥) سنن أبي داود المجلد الثاني الجزء الثالث صفحة ١٧١ وكذلك في تفسير القرطبي الجزء الثامن ، صفحة ٢١٥ .
- (٦) المعجم الإسلامي صفحة ٢٧٥ .

لذلك نعت الحلفاء الجياشون في مصر الأول من ابدونه العباسية ، بـ **الحلفاء** ،
 الاسلام القويمة ، بعدل حارم ، ودقة وعناية ، وحرصوا على راحة اهل الدمية ،
 وحمايتهم من كل من يريدهم بمكرهم ، عادوا معقدين للهد مع المسيحيين ،
 لايساونون مع عدوهم ولا يخونون عهدهم ، فصمتوا بهم حياء هنيئة هادئة ، خيرة
 كريمة ، وكانوا يكتبون بذلك الى عمالهم ، ويعاقبون بشدة من يهتكم عنه أنه
 اساء الى احد منهم ، من كان على العكس من ذلك ، فأهل دمه ممن وصلوا ، الى
 بمصائب العطب في الدولة ، كانوا يظلمون المسلمين ، وقد عرفت فيما سبق
 كيف ان المسلمين رغبوا ، شكواهم الى الحلفاء العباسيين .^(١)

في مصر الأول للدونة العباسية ، صار ينظر في أحوال أهل الدمة ، كما
 نصح القاضي أبو يوسف للخليفة العباسي هارون الرشيد ، فمن لم يكن قادراً على
 دفع الحربة ، فإنه يُحرق بها . ويغرس له عطاء من الصدقة ، وقد روى (أن عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه أمر بذب قوم وقلبه سائل يسأل - شيخ كبير هرب
 البصر - فحرب عصفه من خلفه وقال ، من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال يهودي ،
 قال ما أجدك إلي ما أرى ؟ قال أسأل العرب والحاجه والسن ، قال فأخمس
 عمر میده ، وذهب به إلى سرله ، فرسخ له مضي من الممرل ثم أرس إلى حارن بيت
 السن ، فقال انظر هذا ومرباه . فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نحدله
 عند الهرم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين " والفقراء هم المسلمون ، وهذا من
 المساكين من أهل الكتاب ، ووضع الحربة عنه وعن حربائه .^(٢)

(١) وذلك عند حديثي في هذه الرسالة وفي هذا العمل عن إحلال أهل دمه ببعض
 ما جاء في نصوص المعاهدات التي كانت تجرم عدة من أهل الدمة و بدونه .

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف ، صفحة ١٢٦ -

وقد استمر حسن معاملة المسلمين لأهل الكتاب ربما طويلا بعد عهد
الحلفاء الراشدين ، وقد أشار العلماء إلى هذه الأمور إلى اتساع القواعد التي كانت
في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والحلفاء الراشدين من بعده ، فيقبضون
الساوري مثلا " أنه يلتزم لهم بمعدل الحرية حقان أحدهما الكف عنهم ،
والثاني الحماية لهم . ليكفوا بالكف آمنين ، وبالحماية محروسين " (١)

وأورد أبو يوسف كثيراً من الروايات بحسن معاملة الخليفة هارون الرشيد
أن يأخذ بها في معاملته لهم وعامله كذلك ، و " حذر أن يضرب أحد من أصل
الدم في استبداء الحرية ، - ولا يجعل عليهم عبياً - أي أبنائهم
شيء من المكارة ، ولكن يرفق بهم " (٢)

وعندما يستن للمسلمين عجزهم عن حماية المعاهدين ، أو تجرهم عن الوفاء
بما ملكت عليه شروط الصلح والعهد ، أو ساء أهل الدمه في الدفاع عن البلاد ،
فيسم لا يأخذون منهم الجزية . بل يُسَمُّ لهم مع المسلمين ومن ذلك ما روى عن
الزهري أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أسلم لقوم من اليهود قاتلوا معه (٣)

وقد جاء في سنن الترمذي ، حديثا بريد ، وهو أن عبد الله بن أبي بردة عن أبي
موسى قال " قدمت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في نفر من أشعريين
جمر بأسيهم لما مع الدين اغتصحوها " (٤) وجاء في كتاب الأم " استئمان رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) بعد بدر بمسكين في غزاة جمر ، بعدد من يهود
بني قينقاع كانوا أعداء " (٥)

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية صفحة ١٦٦ .

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٢٢ وقد أشارنا إلى ذلك سابقا .

(٣) (٤) سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح م ٢ صفحة ٥٩ .

(٥) كتاب الأم للشافعي م ٢ ج ٤ صفحة ٢٦١ .

ومن ذلك أيضاً . " صالح حبيب بن مطعمه العبدي لأهل الحرورية ^(١) على أن يكون الحراحمة أعمقنا للمسلمين ، وعبودنا وسالحي في جبل اللكام ، وأن لا يؤخذوا بالحرية ، وأن ينفقوا آلات من يقتلون من عدو المسلمين إذا حصروا معهم حرب في معازيهم ، فقبل ذلك منهم عموماً عن دفع الحرية ، وأمثال ذلك كثيرة . ^(٢)

كما شملت حسن معاملة المسلمين فيمن أعرض وسأى بجانبه عن شريعتهم فلم يرموهم على اعتناق الاسلام ، بل تركهم أحراراً في عقائدهم ، يحتفلون ماشداً وأثروا ، وكيف لا وفرآي المسلمين يقول " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " ^(٣) ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " ^(٤)

بل وصل من تسامح العباسيين ، وحسن معاملتهم لأهل الذمة ، أن سمحوا ببعض أهل الذمة ببناء الكنائس ، ففي عهد الخليفة العباسي المهدي ، بُنيت في بغداد كنيسة للمسيحيين ، الذين كانوا قد أسروا ، خلال الحملات الكثيرة التي

(١) الحرورية - بضم الجيم - مدينة يقال لأهلها الحراحمة ، كانت على جبل للكام ، بالشعر الشامي ، عقد سعدن الراج ، فيما بين باني وبوقه ، قرب الطائفة من معجم البلدان لياقوت ج ١ باب الجيم صفح ١٢٢ .

(٢) صوح البلدان للبلاهي صفح ١٦٤

(٣) القرآن الكريم سورة البقرة آية ٢٥٦ .

(٤) القرآن الكريم سورة يونس آية ٩٩

وجهت لبلاد الدولة البيزنطية (1)

وبنى أهل سمالو كنيسة أخرى في هذه المدينة نفسها ، في عهد هارون الرشيد ، كما تلقى سرجيس Sergius مطران البصرة السطوري ، إيداً ببناء كنيسة في البصرة ، مع أن هذه المدينة قد أسسها المسلمون في عهد الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سنة 17 هـ = 638 م . كما بُنيت في العصر الأول للدولة العباسية كنيسة فخمة ، تمت جثمانى النبهش بن دانيال وحرقبال كما يزعم أرنولد في كتابه (2) ، ولما جاء الخليفة العباسي المأمون إلى مصر ، أذن لأثنين من فرائشه اللعاري ببناء كنيسة على جبل المقطم ، القريب من القاهرة كما سمح الخليفة للمأمون لأحد ذوي اليسار من المسيحيين — ويدعى بكام ، ببناء عدة كنائس على جزيرة بورة في مصر . كما شيد البطرك السطوري طيموثاوس Timothous المتوفى سنة 820 م ، كنيسة في تكريت ، وديراً في بغداد في عهد الخليفة العباسي المأمون (3) .

ولقد بلغ من تسامح الخلفاء العباسيين مع أهل الذمة وحسن معاملتهم لهم ، أن كسراً من مسيحيي مصر تركوا النصرانية بكل سهولة وحرية ، ودخلوا في الإسلام ، وخصوصاً بعد أن أذاع أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين بياناً ، اثر امتلاكه من الخليفة في سنة 132 هـ - 750 م - إذ (كتب إلى جميع مملكته ، أن كل من يصير على دينه ، رحلي كملاته ، يكون بغير جربة ، فمن عظم الخراج (4) والكلف عليهم ، أشكر كثير من الأغنياء والفقراء دين المسيح وتبوه (5))

(1) ، (2) ، (3) الدعوة إلى الإسلام - بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية سريثوماتي - د . أرنولد صفحة 86 -

(4) وبقيت بالخراج ها الجزية -

(5) الدعوة إلى الإسلام ، سريثوماتي - د . أرنولد صفحة 125 - ولكن أرنولد يناقش فيه في عدة فقره ، لهذا كانت الجزية كثره على أهل الفقه ، فلن تكون مكلفة وعظيمة على الأغنياء . لفرجة أنهم يتركون دينهم ويدخلون الإسلام ، ثم إن القاضي أبا يوسف أمر بتداع السلف الصالح لجميعه هارون الرشيد ، وخصوصاً في أهل الذمة ، وأعفى الفقير المسعوم من الجزية ، بل وحرره من بهت الحال من أموال الزكاة ، واعتبره مسكيناً ، وأما الحمي فلن يترك دينه بتوفير 80 درهماً .

ويقول المصنف ل ٠ أ ٠ سديو في كتابه عن الحليفة القبطي المأمون
وعن حسن معاملته لأهل الدمه - (وأحاط المأمون بحسن معاملته انبويان والعيسر
والقبط والكلدانيين ، فكان راقياً عن أي تمييز في مادة الدين ، فكان من الأمور
التي اضطلع عليها ، أنه إذا ما اجتمع لرباب عشر أسر من النصارى أو اليهـود
أو المجوس ، أمكنهم أن يقيموا كنيسة ، وأنه يمكن كل رجل أن يمارس المداصب
الخاصة به من جهة ديانة كلن)^(١).

ولقد حاولت في بحثي هذا أن أذكر شهادات المستشرقين ، من حسن معاملته
أهل الدمه في العصر الأول للدولة العباسية ، ولو أنه لما في حاجة إلى تشديد
ذلك الشهادات ، لأن مرجعنا وكسما تميز ذلك ، ولكن من باب شهد شاهد حسن
أهلها ، بل شهود من أهلها العلماء ، يقول سورتوجاس - و - لرمولد في كتابه
وهو يتحدث عن القبط في مصر ، وعن معاملته طغاة بني العباس في العصر
الأول للدولة العباسية لهم : (كانت هناك فترات ، كانوا يتولون فيها إلى
الخصاص الذي يتمتع أصحابها بالشهرة والسمعة في الدولة - فمثلهم مصاصب الوزراء
والكتاب في دواوين الحكومة ، وحددوا قيمة الضرائب التي تجب على الأرض التي
تغطي على سبيل الإلزام ، وجمعوا ثروة ضخمة في بعض الحالات ، ولقد أمـسـسـا
تاريخ كميـتـهم ، بكثير من الأمثلة ، من رجال الكنيسة ، الذين تمتعوا بمطـمـنـنـة
الأمراء ، الذين حكموا بلادهم ، وتبع القبط في صدهم بأقصى درجات الطمأنينة ،
وإلى مثل هذه الفترة التي تمتعت فيها الكنيسة بالسلام ، يرجع ذلك الحادث ،
الذي أدى إلى اندماج كثير من المسيحيين في جماعة المؤمنين)^(٢).

(=) نسي السع ، ولولا صاحبه الإسلام ، وأنه الدين الممدوي الذي يخلص
لكل زمان ومكان ، وبكل المرات ، ويدعوا لوحيدانية الله سبحانه ، وأنه
الدين المساوي ، الذي يسمو على الحقل والبرهان وأمر آخر من صهر ب
الإسلام لما دخل هؤلاء النصارى الإسلام .

(١) تاريخ الحرب العام ، امبراطورية العرب ، حملتهم ، مدارس الفلسفة
والعظمة والأدبية - صفحة ١٨٥

(٢) الدعوة إلى الإسلام - صفحة ١٢٨ . وكذلك نجد نفس المعنى في الكتاب الفرنسي

Renaudot (E. Histoire Patriarcharum Alexandrinorum
Jacobitarum (Paris, 1713). PP 189, 274,
430, 540, 603, 212, 225, 314, 540.

بل لقد وصل حسن معاملته العباسيين في العصر الأول من دولتهم لأهل الدمة درجة أن أراد ملك العروج شارلمان قيام علاقة جيدة بينه وبين حديفة بغداد أنذاك هارون الرشيد - فأرسل ونداً مؤلفاً من يهودي وفرسجيين ، حاسنين هديها إلى أمير المؤمنين ، وذلك بحجة طلب الحماية للمصريّ الذين يروون القدس ، فأجاب إلى ذلك بلطف الخليفة هارون الرشيد ، وأرسل إلى شارلمان رسائل ثمينه ، وأطياباً ، وأماويه وقبلا ، وسرادقا واسعاً على الطراز العربي ، وساعة دقيقة^(١) التي هبها الملك في البديهة .

ويلاحظ حسن معاملته لأهل الدمة ذروتها في عهد الخليفة الواثق بالله حيث يذكر سوري أن الخليفة الواثق بالله نادى بأرض أهل الدمة صائغ نفس ، بمسند أن القتل بدلاً منهم من الروم من بغداد وغيرها^(٢) .

ومن حسن معاملته المسلمين لأهل الدمة في العصر الأول لدولة العباسية أنه كان من أهم أعمال المحاسب واحتياجاته ، حماية أهل الدمة من أن يظلمهم أيّ مكره ، فقد كان المحاسب يصرح أن يصرح لهم أحد من المسلمين بأيّ أذى أو عُدّ^(٣) .

هكذا كانت معاملته المسلمين عادلة مصيفة لا تقلم شئ ولا جور ، ولقد شملت حتى المعاملة أخص كل صاعبي الحياة ، فلم يشددوا في فرض الضرائب المخففة ، بل عدلوا فيها بين الناس ، ولم يفرس على كل الأشخاص كما كان الحال عليه في عهد بعض الأمم السابقة بل اقتصر أمرها على حرية الرؤوس وحراج الأرض وعشور التجارة وقد بلغ من تسامح الخلفاء في العصر الأول لدولة العباسية وحسن معاملتهم لأهل الدمة ، أن منح الخليفة هارون الرشيد لطبيبه سمحاً مليون درهم ، لإهتمام الطبيب بالخلقة ، وحب الخلقة له^(٤) .

(١) تاريخ العرب العام ، ج ١ ، أ . سديو صفحة ١٩٥

(٢) سباه الأرب في ضوء الأدب ، الجزء ٢٢ ، صفحة ٢٧٠

(٣) كتاب سباه الرتبة في طلب الحسنة - الشيرازي - صفحة ١٠٦ وكذلك في الأحكام السلطانية والولايات الدينية - الماوردي - صفحة ٢٨٨ .

(٤) الحضارة الإسلامية - آدم مثر - الجزء الأول ، صفحة ١٩٥ .

ولقد عرفوا قبلاً المحاورين لبلاد المسلمين ما تمنى لهم أهل الديار من رعاية وحسن معاملة من المسلمين ، بكل احترام وتقدير حتى أن أهلها كانوا ينتظرون إلى أن يهبطوا بمثل تلك المعاملة في بلادهم ليمخللوا من أعباء الضرائب وأثقالها ، ومن المعاملة السيئة عند تحميلها . وكيف لا ؟ ورسول الإسلام محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) يقول " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ربحها لم يجد من مسيرة أربعين عاماً " (١)

ولقد عرنا بعض المؤرخين أن هذه المعاملة السيئة من أسباب انتصار المسلمين وغورهم في فتوحاتهم بعد أن سلم أهل البلاد من كثرة ما أصابهم في عهد الروم والفرس ، وحملهم برؤس بحكم العرب المسلمين لهم وبطشون إليه وكيف لا ؟ وهذا أبو يوسف قاضي الرشيد يكتب إليه والدولة العباسية في أوج عزها وعلوّها وبطشها فيقول " قد ينبغي يا أمير المؤمنين أهدك الله أن تتقدم في الراسخ بأهل دمه سمكاً واسى عليك محمد (صلى الله عليه وسلم) والمفقد بهم حتى لا يظلموا ، ولا يؤذوا ولا يكلّفوا فوق طاقتهم . ولا يؤخذ شيء من أموالهم ، لا بحق يجب عليهم فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال " من ظلم معاهداً أو كسبه فوق طاقتة علنا حميحه " (٢)

ولعل من ساء الفائدة أن يقول كلمه في نهاية الفصل ، من ارتفاع الحرية من بعض الأنظار ، في العصر الأول للدولة العباسية ، وهو ما عثرنا عليه من خلال بعض الأحداث التاريخية ، من بعض المراجع ، وكانت أمياًشاً أكبر من ذلك ، كنت أنسى المشور على الأرقام الحقيقية للأموال المفدية والحمية التي كانت تصل إلى بيت المال في العصر الأول للدولة العباسية ، ولكن لم يخالفنا الحق كثيراً من خلال المراجع الكثيرة التي رجعت إليها سواء القديمة أو الحديثة .

(١) بلوغ المرام من أدلة الأحكام صفحة ٢٣٠ .

(٢) كتاب الفراج لأبي يوسف صفحة ١٢٤ ، ١٢٥ .

من هذه الأحداث التي عرفت مقدار نظريته على بعض الأندلسيين ،
 المعاهدة التي تمت بين هارون الرشيد قائد الجيش العباسي آنذاك ، في عهد أبيه
 الخليفة العباسي المهدي ، وبين إيريه الوصية على قسطنطين كبريه ، عندما
 هزم الجيش العباسي جحافل الروم ، ودخلوا آسيا الصغرى من ناحية كبدوكية ،
 وكسروا جميع الفرق التي أرسلتها لقتالهم إيريه ، فاعترضوا اليأس هذه القيمة ،
 فعميت المعاهدة ، وإعطاء الجزية ، وأصبحت مدن كليكية^(١) تدفع جزية
 مقدارها (٢٠,٠٠٠) ديناراً ، وأصبحت مدن جزية في كل سنة^(٢) .

كما أنه في عهد الخليفة العباسي المعتصم تم إرسال السفراء بتحديد
 المعاهدة مع ملك النوبة في مصر ، والتي كانوا يفتنواها بقدمون جربة في كل عام
 وهي عبارة عن (٣٦٠) عبداً (ثلاث مائة وستين من العبيد) ، بالإضافة إلى
 أربعين عبداً يقدمونهم إلى والي مصر^(٣) .

-
- (١) جاء في مجمع البلدان ، المجلد الرابع صفحة ٤٧٧ كذلك كتابان بهيمنة
 لم تكن موضع بين سياستين ، وأرمينية ، وهو موضع كان فيه ابن براهيم
 البطريق ، يخرج منه شهر يصب في دجلة .
- (٢) البدايه والمباهيه ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٤٧ - وجاء في
 تاريخ العرب العام د ل - ١ - سيديو صفحة ١٨٦ ، ١٨٧ أن مقدار الجزية
 كان ستمائة ألف ديناراً
- (٣) الدعوة إلى الاسلام ، سيوتوملي ، د - لرتولد صفحة ١٣١ -
 وكتاب المعاهدة السابقة بين العرب الفاتحين وبين النوبيين ، ويقضي بأن
 يقدم النوبيون في كل عام ثلاث مائة وستين من العبيد ، بالإضافة إلى أربعين
 عبداً يقدمونهم إلى والي مصر ، على أن يقدم العرب بعتلان وتريمت
 والملايين .

وكاست الجزية التي نزل إلى بيت المال من مصر في عهد الخليفة العباسي

(١)

هارون الرشيد أربعة ملايين دينار .

١١ فتح الحرب لمصر ، بنظر د لجنة التأليف والمراجعة والمقرر ١٩١٤ م صفحة ٤٠٣ وجاء فيه (وأصبح عبث الجزية ثقيلًا ، لانزواء النفوس ، وأصبح أصحاب الحرية من اليهود والمصارى بعد حين ، وقد صاروا في فئة ظاهريه ، بسبب من كان يسلم منهم عاماً بعد عام فكفى هذا الأمر فاسداً ، إذ هو بمثابة رشوه ، تشجيع المصارى على الخروج من عليهم ، فوق ما كان من أثره من نقص مقدار الأموال عاماً ظاهراً ، وكان نقص الجزية سريعاً ، فبدأ كل من مقداره في أيام عمرو اثني عشر ألف ألف دينار ، وفي أيام خلفه ١٠٠٠ عبيد الله بن سعد أربعة عشر ألف ألف ، إذ بها في خلافة معاوية خمسة آلاف ألف ، بعد أن أسلم عدد عظيم من العرب ، ثم إذا بها في خلافة هارون الرشيد أربعة آلاف ألف ، ثم ثبثت الجزية على ثلاثة آلاف ألف إلى أواخر القرن العاشر (١٠٠٠)

أما الرد على هذه الفقرة فطويل جدا ، ولكن باختصار شديد

أ - إن من بقرأ باب الجزية في هذا البحث المتواضع سيصل إلى الحقيقة وهي أن الجزية على أهل الكتاب مقابل الدفاع عنهم ، والدود من هؤلاء مد الأعداء ، ومقابل تمنع هؤلاء بمرافق الدولة المحسنة دون أن تكون عليهم أية ضريبة أخرى غير الجزية .

ب - إن المسلم يشارك مع الدولة في الدفاع عن البلاد ويدفع بركته ، وفي حانه يشارك أهل الكتاب مع المسلمين في الدفاع ورفع عنهم الجزية ، بل يسلم لهم مع المسلمين في المنافع .

ج - وعن قوله في دخول المصارى واليهود إلى الاسلام هروبا من الجزية فلا أرى ذلك ، لأن الكثير من أهل الكتاب يدخلون الاسلام في هذه الأيام ، ودون صحوط الجزية ، أو صعط الدولة عليهم ، وإن وجدت حالات كهذه فهي نادرة ، والصادر والشاذ لا حكم له ، ولا يعتبر قاعدة يصمد عليها المؤلف في ابداء آرائه .

د - المؤلف لا يريد أن يعترف بأن الاسلام هو دين الحق والمصطفى والبرهان ، ودين مساوي لم يخاله التحريف ، كبقية الأديان الأخرى ، وصانعها المسلمين الحسنه لأهل الدمه ، وخصوصا في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والراشدين والعصر العباسي الأول ، جعلت هؤلاء يذهبون إلى الاسلام .

هـ - لم تكن الجزية تنقل كاهل أحد من الناس ، لأنها كانت على درجات ، اثني عشر درهما ، وأربعة وعشرين ، وثمان وأربعين ، كل على قدر طاقته وفي حالة العجز ، لم يطالب هؤلاء بالجزية بل فرض لهم من بيت المال وخصوصا لتكثير في السن ، والمراحم شهد بذلك ، وكان معنى من =

ويذكر ابن خردادبه أن جربة وإقليم واسط كانت { ٢٠,٠٠٠ } ثلاثين ألف درهم^(١)

أما جربة مدينة السلام { بعدد } فكانت { ١٣,٠٠٠ } مائة وثلاثين ألف درهم^(٢).

وجاء ضمن قائمه قدامه بن جعفر أن جربة مدينة السلام كانت { ٢٠٠,٠٠٠ } مائتا ألف درهم ، وذلك في أيام الخليفة العباسي المأمون سنة ٢٠٤ هـ^(٣)

(٤) الحزبه الأطفال والنساء والشموخ . (انظر معاملة المسلمين لأهل الذمه في العصر الأول للدولة العباسية) .

ب - وأخيراً يقول القاضي أبو يوسف في مقتطفات من كتابه الخراج والذي وضع في زمن الخليفة العباسي هرون الرعيد صفحة ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، أن الجربة مقابل أن يقوم المسلمون - (بحقن دماهم ، وعلى أن يقاتلوا من مآولهم من عدوهم ، ويدفوا عنهم) وفي موضع آخر يقول (لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا فصرّاً من قصورهم التي كانوا يتحصنون فيها إذا برل بهم عدو لهم ، ولا يسمون من حرب المواقيس ، ولا من إخراج المسلمين في يوم مدهم) . ويقول أيضاً (فإن أدوا الجريسة فليس ما للمنفعة ، وعليها المبيع لهم) وعندما أقبل أبو عبيدة سن الجراج راجعاً من الشام ، (فكلمنا مرّ بمدينة لم يكن صالحه أهلها ، بهت رؤسائها يظلمون الملح ، فأجابهم إليه ، وأعطاهم مثل ما أعطى الأولين) ويقول أيضاً (وحملت لهم - لأهل الذمه - أيتما شيع ضعف عن العمل أو أمانيه آفه من الاوقات أو كان شياً فافتقر ، وصار أهمل ديمه يتصدفون عليه ، طرحت جريسته . وعمل من بهت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ، ودار الاسلام) . هذه المعاملة الحسنه من المسلمين جعلت أهل الكتاب في كل مكان يدخلون الاسلام ، ويسلمون كما يقول بطور .

(١) المسالك والممالك ، صفحة ٥٩ وجاء فيه : (وحوالي واسط ثلاثون ألف درهم ٠٠)

(٢) المسالك والممالك . لابن خردادبه صفحة ١٢٥ وجاء فيه (٠٠٠) وكانت الجوالي بمدينة السلام مائة ألف وثلاثين ألف درهم ٠٠٠٠)

(٣) نبد من كتاب الخراج وصحة الكتاب ، صفحة ٢٥٦ وجاء فيه (٠٠٠) وما يدخل في شيء من الارتفاع ، جربة رؤوس أهل الذمه ، بحصيرة مدينة السلام ، وهي مائتا ألف درهم -)

وفي سنة ١٩٠ هـ وعندما فتح الخليفة هارون الرشيد حصن المقاتلة وحاصر هرقته ، سجد اميراطور بيزنطة بفقور بأداء الجزية بعد هزيمته ،^(١) وكانست جزية رأسه وبظرفته (٥٠,٠٠٠) خمسين ألف دينار ، وبالدراهم (١٥x٥٠٠) = ٧٥٠٠ درهم .

كما اشترط عليه الخليفة العباسي هارون الرشيد أن تكون الجزية السنوية (٢٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف دينار ، فأجاب بفقور إلى ذلك^(٢)

وبهذا تكون الجزية السنوية بالدراهم (١٥ x ٢٠٠,٠٠٠) = 1,٥٠٠,٠٠٠ درهم أربعة ملايين وخمسمائة ألف درهم .

وجاء مقدار ارتفاع الجزية أحياناً ضمن المراجع محتفظاً مع الموارد الأخرى ، فيقول النبطي عن جزية بوقه :

(٠٠٠ وسلم الأعشار والصدقات والجوالي خمسة عشر ألف دينار ، ربما زاد ، وربما نقص)^(٣)

ولم يذكر أحد المؤرخين مقدار ما كان يمل إلى بيت المال من الأقاليم الأخرى الكثيرة ، ولم يذكرو أيضاً عدد من فرصت عليهم الجزية في كل إقليم

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية ، بروكلمان ، صفحة ١٨٩ .

(٢) كتاب دول الإسلام ، الجزء الأول ، صفحة ١٢٠ - من أحدث سنة ١٩ هـ

(٣) كتاب البلدان ، صفحة ٣٤٤ .

قال الله تعالى :-

” أَمْ قَسَّأَلَهُمْ خُرْجًا فَخَرَجَ رَبِّي
خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ”

الفرقان الكريم

سورة المؤمنون آية ٧١ .

الفصل في النكاح

النكاح

- النكاح في عهد خلافة العصر الذهبي للدولة العباسية .
- ديوان النكاح - ومهامه .
- منافع النكاح .
- مقدار النكاح - قوائمه .
- الطوائف .

الحجاج في العصر الأول للدولة العباسية

الحجاج في عهد الخليفة العباسي الأول (أبو العباس السفاح) -

يسنح مما جاء في كتاب العنبري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية أن أول جباية منتظمة ، وصلت إلى العباسيين هي خراج خراسان ^(١) .

ومما لا شك فيه أن وصول خراج خراسان ، أو بالأحرى بعض جبايتها ، إلى العباسيين باسظام ، وفي هذا الوقت المبكر ، كان من أهم عوامل قيام دولتهم ، حيث لم يكن لهم مصدر مالي خلافاً ، وكان يستعمل في الاتفاق على بث الدعوة وبشرها .

فما يروي أبو العباس ، اسهر أبائهم ، وهوى الأمور إليه ، وسلم إليهم الدواوين ^(٢) . فقل بينها إلى أن قتل ، عقلم أبو العباس أبا الجهم الوريث ، إلا أنه لم يسم بوريثه ، وقد حال بين يده الحجاج ^(٣) . (وكان حاله حين يركب في معسكر فخطبه يشق خراج كل ما اختصه فخطبه من الكور ، وتقلد العمام ونسجها بمن الجند ، فكان ينادي : إنه ما أحد من أهل خراسان إلا ولحال عليه يد وصية ، لأنه فسط الخراج ، فأجس فيه إلى أهله) ^(٤) .

(١) جاء في كتاب العنبري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن طباطبا صفحة ١١٤ (بما قدر الله أعمال الملك إلى بني العباس ، هيأ لهم جميع الأسباب - فكان إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بالحجاز أو بالشام جالساً على مصلاه ، مشغولاً بنفسه ومبادئه ومصالح عماله ، ليس منه من الدنيا طائل ، وأهل خراسان يقتلون عنه ، ويبدلون نفوسهم وأموالهم دونه ، وأكثرهم لا يعرفه ، ولا يفرق بين اسمه وشعبه ، وانظر إلى إبراهيم الإمام ، هو بذلك الحال من الانقطاع بداره ، واعتزال الدنيا وهو بالحجاز أو بالشام ، وله مثل هذا المعسكر العظيم في خراسان ، يبدلون نفوسهم دونه ، لا يعن عليهم ماله ، ولا يعطى أحدهم دابة ولا سلاحاً ، بل هم يحبون إليه الأموال ، ويحبسون إليه الخراج من كل سنة) .

(٢) العنبري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية صفحة ١٢٣

(٣) العموم والحدائق في إخبار الحقائق ، المؤلف المجهول صفحة ٢٠٨ .

(٤) كتاب الوريث والكتاب صفحة ٨٧ .

فاقره أبو العباس على ما كان ينقله من النجاشي ، وأسد إليه بعد ذلك ديوانسي الخراج والحمد ^(١) .

ويستخرج من كتاب تاريخ الأمم والملوك وعندما يتحدث الطبري عن أحداث سنة ١٢٢ هـ وحتى أحداث عام ١٢٦ هـ أن حاند بن برمك ظل مولياً هذا المنصب طوال حكم أبي العباس ^(٢) .

وقد كانت له بعض إضافات أو التعديلات على مورد الخراج ، وقد قام بتقسيط الخراج ، كما أشارنا إلى ذلك سابقاً ^(٣) ، (وكان سبيل ما تبنت في الدواوين ، أن يثبت في صنف ، فكان خالد أول من جعله في دفاتر) ^(٤) .

وقد اهتم الخلفاء العباسيون بمسألة عامة بتنظيم الموارد المالية للدولة ، وزيادة دخلها ، فأشرفوا إشرافاً مباشراً على الجهات والمناطق ، فتسعت الدولة بثغرها واسع منذ بدايتها . بفضل الله وبفضل التنظيم المالي الذي وضعه الخلفاء العباسيون الأول .

وبنصح ذلك عندما أمر أبو العباس لمن شهد مولده فخراب (بجمعته خمسمائة ، ورفع أرقبهم إلي ثمانين) ^(٥) - وذلك بعد وصوله أخيراً بغداد بالفتح ، وهزيمة مروان ابن محمد وهرويه .

(١) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ٨٩ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك المجلد الخامس ، الجزء السابع ابتداءً من صفحة ١١٧ - ١٥٤ هـ وكذلك في كتاب الخراج والمظن المالية للدولة الإسلامية صفحة ٢٨٩ .

(٣) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ٨٧ ، وفي صفحة ١٧٥ من هذا البحث تفصيل ذلك .

(٤) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ٨٩ ، وجاء في موج الأعشى في صناعة الإنشا ، الجزء الأول ، صفحة ٤٨١ في فصل كتابه الأموال وما في معناها مايلي (أول من جعل الحساب في دفاتر خالد بن برمك ، فيما قاله الثعالبي ، وكان قبل ذلك في أدراج من كاعد ورق) - والكاعد القوطاس ، وهي مغربة عن الفارسية

(٥) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء السابع ، صفحة ١٢٢ ، وعمد الحديث عن أحداث عام ١٢٢ هـ والمقصود بالثمانين ، أي ثمانين درهماً . وموقفه الرابع موجودة بالتفصيل في المصدر المشار إليه هنا .

ولكن التنظيم المالي الأساسي للدولة العباسية ، ومخط أمورها ، ووضع قواعدها ،

إنما حدث في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر الممصور .

الخروج في عهد الخليفة أبي جعفر الممصور .

وقد ظل العمل بوجه عام بالتنظيم المالي السليم ، غير أن أبا جعفر الممصور أدخل بعض التنظيمات ، يقول صاحب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية عن الخليفة العباسي أبي جعفر الممصور أنه « كان من عظماء الملوك ، وحرمانهم وعقلاهم ومبائهم ، ودي الآراء العائيه صميم ، والتدبيرات المديده ، وقوراً شديد الوقار ، حسن بخلق في الخلوة »^(١) .

ويقول عنه في موضع آخر : « وأعلم أن الممصور هو الذي أمر الدولة ، وبسط المملكة ، ورتب القواعد ، وأدام الناموس ، وأجبر أئمة »^(٢) .

وقد قام الخليفة العباسي أبو جعفر الممصور بإجراءات وتنظيمات ، رادف من دخل مورد يخرج عندما قرب المواد أو زال الممصور الخارج عن الحطة والتغير برفاً ، وصيرته مقاسمة ، وهما أكثر غلاب السواد ، وأبغى اليسر من العيوب والنحل والشعر على رسم الخروج »^(٣) .

ونظام إلقاء الخارج عن الحطة والشعر برفاً ذو غوائد وموائد عظيمة صمما -

- ١ - تستطيع الدولة أن تمتلك محروفاً دائماً من تلك المواد الأساسية ، يستطيع بها أن يحرر الأسواق المصاربه في حالة ارتفاع الأسعار ، ويستطيع أن يمنع الاحتكار .
- ٢ - ونظام المقاسمه أنعمل للمزارع والدولة سماً ، فالمزارع يدفع الخارج من المزرع ، دون تحمل مسئولية التخزين والمقل والبيع واحتلاف الأسعار من يوم لآخر ، وأفضل للدولة يستطيع بهذا الخروج القميص ، إعطاء أوراق الحقد في حالة عدم توفر

الورق ، وتستطيع أن تخزن للأزمات الاقتصادية الطارئة .

(١) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن طباطبا صفة ١٢٥ .

(٢) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية صفة ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، المارودي صفة ٩٠ عند الحديث عن ولاية المظالم في الباب السابع .

٣ - نظام المقاسمة يؤدي أيضاً إلى توتر الموائد ، وبأسعار رخيصة ، وبأساسي يؤدي إلى انخفاض مستوى المعيشة ، وهذا ما حدث فعلاً في عهد الخليفة العباسي المنصور ، فقد روى الخطيب البغدادي ، عن رجل عاصر هذا العهد وهو دود ابن صغير بن شبيب بن رسم البخاري فقال (رأيت في زمن أبي جعفر كمشاً بدرهم ، وحمللاً بلربنة دوانق ، والتمر حتى رطلاً بدرهم ، والربيت ستة عشر رطلاً بدرهم ، والسم ثمانية أرطال بدرهم ، والرحل يعمل بالروبحار في السور كل يوم بثمان حبات)^(١) .

ومن إجراءات الخليفة العباسي الثاني الخواجة ، أنه أمر بجمع تحويل الأراضي الخواجة إلى أراضي عشيرة ، كما فعل الخليفة الأموي العادل عمر بن عبدالعزير من قبل^(٢) وهذا الاجراء كان من شأنه زيادة إيرادات الدولة من موزع الخراج .

١ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، المجلد الأول صفحة ٧٠ وعند الحديث عن الرخص زمن المنصور ، وفي نفس المصدر والمطبعة جاء التالي (١٠٠) فان بدأت الحسنة ابن سلام الحواقي ، قال سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين يقول كان بفسطاط علي لحم البقر في جثانة كسده تسعين رطلاً بدرهم ولحم الخنزير حتى رطلاً بدرهم ، ثم ذكر الحسل ، فقال؛ عشرة أرطال ، والسم اثني عشر رطلاً . قال الحسن ابن سلام ، فقدمت بغداد ، فحدثت به عباس ، فقال كانت في تكلي قطعنة ، فسلخت عن ظهر الدمي ، فأحسنت بها ، فاشترت بها ستة مكاكيل دليبيق الأرز) - شرح الروزجاء: العمل اليومي بالقرسنة .

Heathcote: "The Arab Kingdom and its fall", pp. 289-290 (٢)

وبمفصل ذلك جاء في كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية صفحة ١٥١ ، وفي كتاب تاريخ العرب لفيليب حتي الجزء الثاني صفحة ٢٨٥ ، وفي كتاب العرق في العصر الأموي صفحة ٧٣ ، ٧٤ وفي كتاب الخراج والمظن المالية للدولة الإسلامية صفحة ٤٠٣ ، وباحصار شديد أن عمر بن عبدالعزير سلك بالفاصلة التي وضعها عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) ، والتي يحصر أرض الخراج ملكاً للأمة محرم على المسلمين بيعها ، وقد كان يتوأميه قد مؤسماً في النصف في الأراضي الخواجة بالبيع أو غير ذلك ، فتصير عشيرة بعد ذلك ، فجمع عمر بن عبدالعزير البيع وجعل حداً ليدنه تبعه القاتلون عام مائة من الهجرة ، وكذلك فعل الحليفة العباسي أبي جعفر المنصور .

ومن إجراءاته الحرجية أيضاً أنه أمر بإعادة النظر في مقادير " الوطاشيف " المربوطة على الكور ، مقلداً عملاً التركي ذلك ^(١) .

وبعني الخليفة العباسي المصور بذلك السعدي وأعاد النظر في مقادير المراثب المعروفة على الكور بالسواد ، بحيث تحقق العدالة لكلا الطرفين ، المزارع ، والدولة .

وكان الخليفة المصور يراقب عمال الحراج ، مراقبه شديده ، ويتمح ذلك من خلال وصيته لابنه المهدي عندما أراد الحج والعمرة ، وكانت فيه وعده ، وذلك في قوله (٠٠٠) وأسي ، الحق بممالك وكنايك ، وحد نفسك بالمعيط ، وسقط من ثبت على بابك ، وسهل أدلك للناس . وانظر في أمر المزارع إليك ، ووكل بهم عبداً غير ناسك ، وبغابريلايه ، ولاتم وإيالك ، فإن أباك لم يسم عند ولي الخلافة ، ولادخل عبده المعص إلا وقبضه مستيقظ ، هذه وصيي إليك ، والله خديصي عليك ، ثم ودعه ، وبكى كل واحد منهما إلى صاحبه ^(٢) .

وكان الخليفة المصور يأمر عماله ألا يقبلوا من الناس إلا الصبت المصبوط العيار من العملات في الحراج ^(٣) .

وكان يقول : ما أحوجني إلى أن يكون علمي بأبي أربعة نفر . لا يكون عني سياسي أعف منهم ، ليس له بأمر المؤمنين من هم ؟ قال هم أركان الملك ، ولا يطلع الملك إلا بهم ، كما أن السرور لا يطلع إلا بأربع قوائم ، إن قصت واحدة ، وهي أنا أحدهم

(١) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٢٤ .

(٢) الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس ، صفحة ٤٤ .

(٣) فتوح البلدان للبلاذري صفحة ٤٥٥ ، وجاء في الكامل في التاريخ الجزء الخامس صفحة ٤٦ مايلي (دعا المصور بعامل قد كسر خواجه ، فقال له أذ ما عليك فقال والله سأملك شيئاً ، وأدس مؤذن أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال يدأبني المؤمنين هب ما علي لله وشهادة أن لا إله إلا الله ، فحلى صيلته) وجاء في صفحة ٤٨ من نفس المصدر (أن المصور كان إذا عزل عاملاً أخذ ماله وبركه في بيت مال مفرد ، شاه بيت مال المقالم ، وكتب عليه اسم صاحبه

فقام لأأجده في الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطه بمصف المصيف من القسوي ،
والثالث صاحب حراج يسقمي ولايظنم الرعية ، فإني عن ظنهما عني ، والبراه ثم عص
على أمهته السبابة ثلاث مرات ، يقول في كل مرة اه اه ، قيل له ومن هو هذا المفسر
المؤمنين؟ قال صاحب برهيد يكتم بخير هؤلاء على الصحة^(١) .

ومن عنده الخليفة المباسي المصور بمورد الحراج مذكرو الطبري في كتابه
(أن المصور كان شعله في مدر سهاره بالأمر والمهي والولايات والعزل ، وشحن التجو
والأطراف ، وأمن السبل ، والنظر في الخراج والمقنات ، ومصلحة معاش الرعية ، بطرح
عائلهم ، والنظف لمكوسهم وهدشهم ، فإذا على المنصر جلس لأهل بيته ولا من أحب
أن يماصره ، فإذا على المشاء الآخرة ، نظر فيما ورد عليه من كتب الشعور والأطراف
والأقدي ، وشاور سواره من ذلك فيما أرب ، فإذا مضى ثلث الليل قدم إلى فراشه
وأنصرف سواره ، فإذا مضى الثلث الثاني ، قام من فراشه فأصبح وصواه ، وصف في
صحرايه حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيعطي بالباس ، ثم يدخل فيجلس في إيواله ،^(٢) .

لم يكن اهتمام الخليفة المباسي المصور مقصوراً على مورد الحراج فحسب بل
امتد اهتمامه للمسجات الرامية والبرازمين ومساكنهم ، وحلّ لزمانهم ومساكنهم ،
ولد أشار الطبري إلى موضوع الاهتمام بالمسجات الرامية وأسعارها ، فيقول
" إن ولاية البريد في الآفاق كلها ، كانوا يكسبون إلى المصور أيام خلافته في

كل يوم بصر القمح والخبوب والأدم ، وبصر كل ماكول ، وبكل مايقفي به الفاسي
في مواجبهم ، وبما يعمل به الوالي ، وبما يرد بيت المال من المال ، وكل عسدت ،
وكانوا إذا صلوا الصروب ، يكسبون إليه ، بما كان في كل ليلة إذا صلوا العدا ، وإذا
وردت كتبهم ، نظر فيها ، فإذا رأى الأسعار على حالها أمسك ، وإن تغير شيء من
عن حانه ، كتب إلى الوالي والحامل هالك . وسأل عن الحل الذي مضى ذلك عن سمره

(١) تاريخ الأمم والملوك، المجلد الخامس، الجزء التاسع صفح ٢٩٧ . الكامل في التاريخ
الجزء الخامس، صفح ٤٦

(٢) تاريخ الأمم والملوك، المجلد الخامس، الجزء التاسع صفح ٢٩٩ وكذلك في انكاس في
التاريخ، الجزء الخامس، صفح ٤٧ .

فإذا يرد الجواب بالملة تلتطف لذلك يرفعه حتى يعود سحره ذلك إلى حاله .. (١)

وأما الاهتمام بالمرارعين ومشاكلهم ، فتح حرم الخليفة العباسي المصنوع في أمـسـور
الحراج ، وشدته في حيمه ، فإن شكاوى المرارعين ومشاكلهم ، كانت تلقى أدناً منحه
من عمال الحراج في عصره ، إذ كانوا يوففون بالمرارعين في حالات الكوارث التي تنم
بأزمهم ، أو محاصيلهم ، مذكر النجسباري في كتابه أن عمارة بن حمزة سـال
أبا عبد الله وهو إذ ذاك على الحراج لرجل من أهل خراسان تخلف صياحه وخربسست
بسبب فيضان نهر دجلة ، وأن صلاح أمر هذا الرجل وصياحه في مأجور حرجه نسفة
كسبه ، وكان مبلغه مائتي ألف درهم ، لم يقوى به على عمارة صيغته فأجابه إلى ذلك ،
بل وصل الأمر إلى أن أبا عبد الله كتب إلى عامل الخراج بإسقاط خراج الرجل لسنينته ،
وإسلامه مائتي ألف درهم ، يرتجع منه في العام المقبل (٢).

وساعد الخليفة العباسي أبا جعفر المصنوع على ذلك البراسخ الاخلاقي ، الرصانة
التي وجبها أحد كبار الكتاب والأدب العربي المعروف عبد الله بن المقفع ، فقد وثقه
إليه رسالة مطوّلة ، تذكر منها ما جاء خاصاً بسرد الخراج ، فقد أشار ابن المقفع
على أبي جعفر الأيوبي أحداً من جيد خراسان شيئاً من الخراج (فإن ولاية الخراج
مفسدة للمفائدة) (٣) ، كما أشار عليه بوجوب الفصل على سقيم أمور الحراج ، مشيراً

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، والحادث مذكور بالتفصيل في الملاحظات
الثلاثة عن نفس المرجع .

(٣) من كتاب حمير رسائل العرب ، لأحمد زكي ، الجزء الثالث ، صفحة ٢٥ وسابعدها -
مطبعة البياهي الحلبي - ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

ويذكر صاحب الحراج والنظم المالية للدولة الإسلامية صفحة ٤٠٠ أن هذه الرسالة والمسي
عرفت باسم رسالة المحاربة) نشرت قبل كتاب حمير رسائل العرب في مجموعة "رسائل
البيضا" ، وعنها نقل أحمد أمين في كتابه محي الإسلام ج ١ ص ٢١٣ وعلق على الرسالة ،
أما كيف تكون ولاية الخراج مفسدة للمفائدة ؟ فيوضح ابن المقفع ذلك في رسالته فيقول
(وتم يرل الناس يتحاضون ذلك منهم ، وسجونه عنهم ، لأنهم أهل دالة ودعوى بلاه - وادا
كان حلاب للدراهم والدينانير احترأ عليهما ، وادا وقع في الحبالة ، صار كل أمره مدخولاً
صيحته وطاعته ... الخ) =

إلى ماكان يوجد من مساويي ، إذ قال (إن أصول الوظائف على الكور ، لم يكن لها ثبت ولاعلم ، وليس من كورة إلا وقد عمّرت وظيفتها مراراً ، تخفيفت وظائف بعضها ، وبقيت وظائف بعضي فليس للمعمال أمر يقتضون إليه ، ولايحاسبون عليه ويحاسبون بينهم وبين الحكم على أهل الأرض ، بعد مايتأقنون لها في العماره ، ويوحون بها فعمل مايعمل أيديهم ، عميرة المعمال إحدى اثنين إما رجل أحد بالبحر والصحف من حيث وجد ، ويسمى الرجال والرسابق بالمعالة من وجد ، وإما رجل صاحب مساهمة يسخر من روع ، ويترك من لم يودع ، محروم من أمر ، ويسلم من أحرب ٥٥٥٥ ثم قال مقترحاً - علو أن أمير المؤمنين أعمل رأيه في الوظيفة على الرسابق والفيسري والأرضين وظائف معلومة ، وتدوين الدواوين بذلك ، وإثبات الأمور - لرحوبنا أن يكون في ذلك صلاح للرعية ، وعمارة للأرض ، وجسم لأهواب الحياة وعشم الممارا .

هذا ويلاحظ أن الخليفة العباسي بدأ إجراءات الإصلاح فيما يتعلق بدخراج وعياله ٥٥٥٥ قبل وصول رساله عبداللّه بن المظفر إليه . لأن في الرسالة نفسها مايدعي على أنه قد شرع في ذلك . قبل تلقيه لها . إذ يقول الكاتب الكبير ابن المظفر محمداً رسالته " وليس بعد هذا في أمر الدراج ، إلا رأي قد رأينا أمير المؤمنين أحد به . وم نره من أحد قبله من سخر المال وبغدهم ، والاستعاب لهم ، والاستبداد بهم" . وأرجح أن لاملاحات التي اتجه إليها الخليفة المنصور ، بدأت قبل ذلك ، في أوائل عهده بالعلامة ، وذلك بعد استقرار الأرض ، وإخماد الفس والتورات التي قامت آنذاك

ومن إجراءات الخليفة المنصور الجراحية أنه استحدث كيلاً جديداً لقبية الدراج العيني ، سُمي بالقهر الهاشمي ، ومقداره اثنان وثلاثون رطلاً^(١) ، وجاء في الأحكام وما افترجه ابن المظفر على الخليفة العباسي المنصور أن يحدد ميعاد صرف المرتبات ، ورمع هذه المرتبات لتتساوى مع مستوى المعيشة ، وارتفاع مستوى المعيشة ناتج بسبب بعض الاضطرابات السياسية والاقتصادية في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، وقد تكلمنا فيما سبق كيف تحول هذا العلا إلى رخص ورجاء في النصف الثاني من عهد الخليفة العباسي المنصور . وخصوصاً بعد هباء بعده .

(١) كتاب الدراج ، ليعني بن آدم ، صفح ١٢٩ ، وجاء فيه (قال يحيى سمعت جاس بن صالح وسعيان في زمن أبي جعفر ، فأمراني في كعارة اليعني بغير ربيع بالهاشمي - القول حظه - لعشره ماسكين ، وكانا اثنين وثلاثين رطلاً)

السلطانية (وأب الباشمية الكبرى فهي مرزق الملك ، وأول من ذهب إلى الباشمية المصير ، وهي أطول من ذراع السوداء بحسن أصابع وتلمي أصبع)^(١)

وكن الخليفة العباسي المصير حريصاً على أن يكون احتياطي الخراج الموجود بهيت المال كافياً لسفقات الجند ، وبعثاته الحنكة ، كما يعقل معظم القنده والرؤساء في عصره هذا ، كما أن النشاط الاقتصادي والمالي ، وأعمال الجباية قد سيطرت نشاطاً كبيراً ، وازدهرت في عهده ، ويصح ذلك من خلال وصفه لاهيه (١٠٠) واسطر هذه المدينة ، فأبانه أن سميدل بها ، فإنها بهيك ، وعرك ، قد جمعت لك هههه من الأموال ما إن كسر عليك الخراج عشر سمن ، كان عندك كفاية لأركان الجند والسفقات ، وعطاه الدرية ، ومصلحة الثغور ، فاحتفظ بها ، فإنك لاتزال عزيزاً مادام بهيت ساند هاههه (١٠٠)^(٢) .

لقد جاء اهتمام المصير بالخراج ساهماً من اهتمامه ، أن الخراج أهم أركان الدولة ، وأكبر مواردها ، كالمذكور في عصره الحاضر لكثير من الدول المتحده لكه ، فلابد من الاهتمام بهذا المورد الرئيسي ، ورعايته أشد الرعاية ، ومعرفة كل شيء عن هذا المورد والمساعدات التي يحدث مجيء وكل يوم على هذا المورد وأصحابه ،

وكان لولاية البريد دور بارز في إيجاد العلاقة القوية بين الخليفة المصير وبين رعايته ، وبلغ من انتظام البريد وسرعته ، أن عماله ، كانوا يوافونه بالبريد مرتين في كل يوم ، إذا على المغرب ، وافوه بما حدث طوال النهار ، وإذا ما لمسي الصباح كتبوا إليه بما جرى في الليل من أمور^(٣) .

- (١) لأحكام السلطانية للفراء ، صفحة ١٧٤ ، وجاء فيه (١٠٠) الذراع الباشمية .. يكون ذراعاً وشعماً وعشراً بالأسوداء ، وتغصن عنها بالباشمية الصغرى ثلاثه أربع شعرها ، وسعيد ريانده لأن ريادة مسح بها أرض السواد وهي التي يدور بها أهل الأهوار .
- (٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء السابع صفحة ٢١٩ . وكذلك في الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس صفحة ٤٢ .
- (٣) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء السابع ، صفحة ٢٩٩ .

وكان الخليفة العباسي المنصور . يوصي عماله أن لا يقبلوا في الخراج إلا

الهمبرية ، والخالدية ، واليوسفية ، وهي أحوذ نفوذ بني أمية ^(١) .

وبم يكن يرمد في سفير إدارته ، إذا تقصى الأمر ، وذلك حتى تكون أكثر

حسماً للأمور ، واستجاراً للأعمال ، وبأديباً لمن يتول له نفسه بالمحاسبة ، فتراه

يسبلي خاند بن بريك مدة في أول عهده ، ثم يعزله ، ويوليه الأقاليم الفارسية ،

ويتم في مكانه أبا أيوب الموريساني ، ويحمد إليه الوزارة ثم يخلعه الدواوين ^(٢)

ثم يعزله عنه في عام ١٥٢ هـ ^(٣) ، ويخلد الخاتم الفحل بن سليمان نطوسي ، وكتابه

الرسائل والسر أمان بن صدقة ، ومبايعه لمعاذ مولا ، وديوان خراج البحرة وبواحيها

لنصاره بن حمزة ، وديوان خراج الكوفة ولرصاص الحمرو بن كبلج ، ثم يعين مكانه ثابت

بن موسى ومنه محمد بن جليل ، ويخلد الربيع بن موسى بن أبي غرور بصفاته ، والعرض

عليه ثم يسوره ^(٤) . ومن هنا يتضح لنا أنه كيف كان الخليفة العباسي المنصور يُعير

إدارته ، محافظه على مولد الدولة وبخاصة الخراج ^(٥) .

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٥٥ ، والنفوذ الهمبرية سببه إلى عمر بن هبيرة

الذي ولي العراق ليزيد بن عبدالملك ، فتعود الدراهم وحلص الفضة أهلج من

نخليس من قبله ، والنفوذ الخالدية. نسبة إلى خالد بن عبدالله المجلي الذي

تولى حرب الدراهم لبشام بن عبدالملك ، فاشد في نفوذ أكثر من شدة ابن

هبيرة حتى أحكم أمرها ، والنفوذ اليوسفية نسبة إلى يوسف بن عمر ، الذي

أخرط في الشدة على الطبيعين ، وأصحاب النصار عندما تولي مسئولية حروب

الدراهم ، وفتح أيدي المشاكين ، وحرب أهلهم .

(٢) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ٩٧ .

(٣) الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية ١٤ ، ١٤١ وكذلك كتاب

الوزراء والكتاب صفحة ١٢٤ .

(٤) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٥) وقصه مذكورة في معظم المراجع مع وزيره أبي أيوب الموريساني ويمكن الرجوع

إلى الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية صفحة ١٤٠ ، ١٤١ عندما

أخذ الوزير من الخليفة المنصور ثلاثمائة ألف درهم لإصلاح الميعة - مرعته

في الأهواز ولم يفعل الخ .

الحراج في عهد الخليفة المهدي -

كان من أهم التطورات التي استحدثت على نظام الحراج في عهد الخليفة العباسي المهدي ، عدول الدولة عن نظام المساحة ، الذي كان يعمل به منذ زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، بل وعمل ذلك في الدولة العباسية ^(١) ، ويعمل بنظام المقاسة ، إذ ينقسم من المصادر الأصلية أن الخليفة العباسي الثاني أبا جعفر المنصور ، كان قد بدأ يأخذ بنظام المقاسة ، وقد أشرنا إلى ذلك في موضعه ^(٢) .

يقول صاحب الأحكام السلطانية والولايات الدينية (ولم يزل المواد على المصاحبة والحراج إلى أن عدل لهم المنصور رحمه الله في الدولة العباسية عن الحراج رضى المقاسة ، لأن الممر نقص ، فلم تفر العلات بحراجها ، وخرب السواد ، فبطلت مقاسه ، وأمر أبو عبد الله على المهدي ، أن يعمل أرض الحراج مقاسة بنصف إن سفي سبعا ، وفي الدوالي ^(٣) ، على الملت ، وفي الدوالي ^(٤) ، على الربع ، لأشقي

(١) يعني أن يشير إلى أن نظام المقاسة طبق على وجه العموم في السواد ، إلا أن هناك مناطق كثيرة في بلاد الفرس ، ظل حراجها يُجبي على أساس نظام المساحة ، وجاء في الممالك والممالك للأصطخري المعروف بالحرفي في صفحته ٩٥ (فأما حراج الأرض ، فعلى ثلاثة أصناف على المساحة ، والمقاسة ، والطونين ، التي هي مقاطعات معروفة ، لا تزيد ولا تنقص ، ررع أم لم يزرع ، وأما المساحة والمقاسة ، فإن ررع أخذ حراجها ، وإن لم يزرع لم يزرع ، وعامة الفرس مساحة إلا الرعوم ، فإنها مقاطعات إلا شيئاً يسيراً من المقاسات ، ويختلف الأمر في البلدان على المساحة -)

(٢) انظر صفحة ١٧٧ -

(٣) الدوالي مادة الدلو ، والدالية المنجوس ، وقبل المنجوس يديرها الصغيرة ، والباعورة يديرها الماء ، ابن سيدة والدالية الأرض تُسمى بالدلو والمنجوس لسان العرب لابن منظور صفحته ١٤١٧ ، الحرج ، الثالث باب الدال ، وجاء في الجوهري الحاصي من لسان العرب صفحته ٤٢٧٢ ، ٤٢٧٤ باب الميم ، المنجوس ، الدوالب التي يُستقى عليها ، ابن سيدة وغيره المنجوس أداء المسألة التي يدور ، وقبل المنجوس البكرة -

(٤) الدواليب جاء في لسان العرب صفحته ١٤٠٦ باب الدال مادة دلب الدوالب والدوالب كلاهما واحد الدواليب وفي المحكم على شكل الماعورة ، يُستقى به الماء ، فارسي معرب ، وفي هامش الحراج والنظم الجانية بلدونة لاسلامية صفحته ٤٦١ ويظهر أن الدالية سابقة صغيرة ، والدوالب سابقة كبيرة لأرض من شديدة الارتفاع -

عليهم سواء ، وأن يعمل في النخل والكرم والشجر مساحة خراج بقدر يحسب قربة من الأسواق ، والفرس ^(١) ، ويكون قلمين مثل المقاسم ، وإذا بلغ حاص نعله مايفي بخراطين ، أحد عنها خراجاً كاملاً ، وإذا نقص نوك ، فهذا ماخرى في أرض السواد ^(٢) ، وقد نقل البلاذري عن يحيى بن آدم قوله " وأما مقاسم السواد ، فإن الناس كانوا السطان ، في آخر خلافة المنصور ، فقبض قبل أن تفسدوا ، ثم أمر المهدي بهسما فطوسموا فيها ، دون عقبه حلوان " ^(٣) . وذكر القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحبلي السوفي سنة ٤٥٨ هـ مايلي " ولم يرل السواد على المساحة والخراج إيسى أن عدل بهم المنصور في الدولة العباسية عن الخراج إلى نفسه ، لأن الصخر رخص ، ثم تقف الطلات بهراجها ، وضرب السواد فجعله مقاسم - وأشار أبوعميد عيسى المهدي أن بعض أرض الخراج مقاسمة بالنصف إن بقي سهلاً ، وفي الدوالي على الثلث ، وفي الدواليب عني الثلث . لاني عليهم سواء ، وأن يعمل في النخل والكرم والشجر مساحة خراج ، ويقرر بحسب قربة من الأسواق والفرس ، وإذا بلغ حاصل النعة مايفي بخر جين أكرم خراجاً كاملاً ، وإذا نقص ترك " ^(٤) .

كذلك ذكر الفيلسفي أن (أول من وضع الخراج على الأرض ، و تجربة على الجماجم في الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين مسح السواد ، ثم رسم بالمقاسمة أبو جعفر المنصور حين خرب السواد) ^(٥) .

- (١) الفرس جمع فرسه: هي البلد تكون على ساحل البحر مرفأً للمحلى (عامى صفحة ١٨٥ من الأحكام السلطانية للفراء) .
- (٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صفحة ١٩٨ . وكذلك في الأحكام السلطانية ، للفراء ، صفحة ١٨٥ وجاء في موضع آخر من كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صفحة ٩ مايلي " إلى أن خسرت السواد مزال المنصور الخراج عن المنطقة والشعير ورقاً ، ومبره مقاسم ، وهذا أكرم غلات السواد ، وأبقى البسبر من الحبوب والنخل والشجر عني رسم الخراج " ^(٣) فتوح البلدان ، صفحة ٢٧١ وذلك عند الحديث عن يوم حلولا ، الواقعة وقبل الحديث عن (ذكر تميمير الكوفة) .
- (٤) الأحكام السلطانية ، للفراء ، صفحة ١٨٥ .
- (٥) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الجزء الأول صفحة ٤٨٢ عند الحديث عن الأوائل في الخراج والتجربة .

أب ابن طباطبا والمعروف بابن الطقطقي بعد أن ذكر في كتابه أن أباعبيد الله
معدويه بن يثرب كان كاتب المهدي ومات في قبل الخلافة ، وعندما توفي الخلافة هُوي
إليه تدبير المملكة ، وسلم إليه الدواوين - يقول في كتابه عن أبي عبيد الله " وكان
مقدماً في صناعته ، فاجتمع أبوراً ، منها أنه نقل الخراج إلى المقاسمة ، وكان السultan
يأخذ من الملاك خراجاً مقررأ ، ولا يقاسم ، فلما ولي أبو عبيد الله الوزارة ، قرر
أمر بالمقاسمة ، وجعل الخراج على النخل والشجر ، واستمر الحال في ذلك إلى يومنا ،
وصف كتاباً في الخراج ، وذكر فيه أحكامه الشرعية ، ودفنته ، وقواعده ، وهو أول
من صنف كتاباً في الخراج ، سمى الناس بعد ذلك فصقوا كتب الخراج " (1) .

وفي رأينا أنه لا نعلم من بين الروايات الخمسة ، إذ يُنمى منها ، أن نظام
المقاسمة قد بدأ الأخذ به ، في أواخر عمر الخليفة المصور ، بالمقاسمة لبعض
المحاصيل ، كالحنطة والقمير (2) ، على أن النظام القديم ظل سارياً على النخيل
والفواكه وأشياءها وذلك أن سعر الحنطة والقمير قد انخفض ، فأصبح الخراج يسوي
جراً كبيراً منها ، وفي ذلك ظلم كبير للمزارعين ، ولا يصله الخليفة المباسي المصور ،
وهو الخليل لأنه محمد المهدي " يا أبا عبد الله - لا تصلح السلطان إلا بالتفهم ،
ولا تصلح رعيته إلا بالطاعة ، ولا تنعم البلاد بمثل العدل ، ولا تدوم بركة السلطان ،

(1) المعري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية صفحة 144 ، 146 .

(2) النظم الإسلامية ، صفحة 241 وجاء فيه أن وفد أئمة أبو جعفر المصور الصربية
المقدية ، التي كانت تفرض على الحنطة والبنوفان ، وأحل محلها نظام
المقاسمة ، وهو دفع الضرائب نوعياً بنسبة عامة من المحصول ، على أن
النظام القدي القديم ظل على النخيل والفواكه وأشياءها (3)
وجاء في مختصر تاريخ العرب والتمسك لسيد أمير عتي صفحة 367 ، وأيضاً في
كتاب تاريخ الحصار الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف
القرن الخامس الهجري صفحة 114 أنه أئمة أبو جعفر المصور الصربية المقدية
التي كانت تفرض على الحنطة والقمير ، وأحل محلها نظام المقاسمة ، وهو
أن تفرض الخراج على الأرض بنسبة مئوية من غلتها ، على حين أنقى الصربية
المقدية على المحاصيل الأخرى .

وجاء مثل الذي نقدم في كتاب تاريخ الإسلام السليسي والتدريسي ونشأسي
والإحصائي الجزء الثاني ، صفحة 179 .

وطاعه إلا بالمال ، ولا تقدم في الحياطة بمثل فعل الأخبار ، وأعد الناس على العقو
أقدهم على العقوبة ، وأعجز الناس من ظلم من هو دونه " (١) خامه وأن المزارعين
حين استعروا وأحسوا بهذا الظلم ، بدأوا يركبون الزراعة ، مما أدى إلى خسرات
السواد - أي أن الخراب يوجب على بركهم للزراعة ، نتيجة وعمره المحصول ، ورفض
نعمه ، واستعراق الحراج لأعلمه ، فلما فطن الحلقة المصور للأسياب التي ذكرتها ،
طبق سياسة المقاسمة ، وبهذا السج استطاع أن يتركهم في الاتساع ، ودفعهم إلى
المزيد من الإنتاج للحصول على مكاسب أعلى.

أما قول ابن طباطبا عن أبي عبد الله وزير المهدي " وأخبركم أمورا منها أنه
ظل الحراج إلى المقاسمة" ، فإننا نوقف النظر في كلمة " اخترع " وكلمة " بقى " ،
ثم أعدت النظر في روايه الماوردي صاحب الأحكام السلطانية ، لأذكر أن وزير المهدي
سكنحل ظل نظام المساحة ، إلى نظام المقاسمة ، بوصفه القواعد التي أشار إليها
الماوردي في كتابه ، وهي: أن يدفع المزارع نصف غلته ، إن كانت الأرض ممتدة
الخصوبة ، ولاتحتاج إلى ريّ بجهد كبير ، وإذا سطر عليهم الريّ ، كان عليهم أن
يدفعوا بدولة المباسم الثلث أو الربع أو الخمس ، وهذا خاص بالزراعة ، أما الخسار
من مغل وكرم وشجر ، فيبقى على نظام المساحة ، ويعدل حراجها ، حسب قوتها من
الاحواق ، ونشر بها من موثني المصدر ، أما ما ذكره القاضي الفراء في كتابه الأحكام
السلطانية صفحة ١٨٥ فإنه يتوافق مع ما ذكرنا من أن الحليفة المباسي المصور قام
بمعدل الحراج من المساحة إلى المقاسمة في السواد ، ولكن الذي اقترح قومنا
النظام ، وأُسِّمَ على الحليفة المباسي المهدي هو أبو عبد الله وزيره .

كما أن رواية القلقشندي لاتتطابق مع الروايات الأربعة السابقة من أن الخليفة
مباسي أبي جعفر المصور هو أول من رسم بالمقاسمة ، حين قرب السواد ، ثم بعد
ذلك مع وضع قواعد المقاسمة ونظمه بواسطة أبي عبد الله وزير المهدي - كذلك كانت

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء السابع ، صفحة ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

هناك بعض المناطق موست على الحمسين (١) وذلك كالمناطق التي يرونها بهـر
الحله ، القريب من واسط (١) .

والذي يختم ويصمتح من قول صاحب فتوح البلدان ، (ثم أمر المهدي بهـ
فقسمو، فيها ، دون عقبة حلوان) هو أن نظم المقاسمه ، أصبح عاماً ، وإلا فمجدوى
ذكره " دون عقبة حلوان " وهي أحد حدود العراق .

وخلاصة القول أننا لا نرى تعارضاً بين ما ذكره المصادر بخصوص تحويل الحراج
إلى نظام المقاسمة ، وأنه تم في عهدين ، هما مهدي الميمور ، والمهدي .

وهذا المقام ، والذي يختم من رواية الماوردي (٢) ، أنه كان عاماً بالسواد، أوجد
فيها بعد نظاماً موحداً ، لمعظم المواسمي والساس . وطريقه مدالة ومفهومة للجباية ،
تمنع التمثال من التمثيل أو التمثيل ، فأصبح الحراج مناسباً مع الحصول ، مما طمأن
المزارعين والماملين في قطاع الزراعة إلى ريادة إلتاجهم ، وجعل من السهل الحصول
على حق الدولة .

ولو علمنا أن أبا عبد الله وزير الخليفة العباسي المهدي ، قد صنف كتاباً
في الحراج ، ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وفوائده (٣) ، لأدركنا أنه كان عملياً في

(١) كتاب الحراج وصحة الكتاب لأبي فرج ندامة بن جعفر ، صفحة ٢٤٢ ، وجاء فيه
أوصى المهدي أمر المهدي أن يحفر من أعمال واسط ، فحفر ، وأوصى مامله من
الأرضين وجعلت غلته لملاي أهل الحرمين ، والمطقات هناك ، وحكى أنه كسب
شرط لم يؤول عليه من المزارعين أن يقاسوا عليه على الخمسين خمسين سنة
فإن انقضت الخمسون ، لم يحروا على الشرط المشروط عليهم وجاء ، مثل ذلك في
كتاب تطور النظم الإدارية والمالية ، صفحة ٢١٢ ، وجاء في فتوح البلدان صفحة
٢٨٩ عند الحديث من أمر واسط العراق مملية الأمر المهدي أمير المؤمنين
بحفر بهر المله ، فحفر وأوصى مامله من الأرضين ، وجعلت غلته لملاي أهل
الحرمين ، والمطقة هناك ، وكان شرط لمن تألف إليه من المزارعين الشرط الذي
هم عليه اليوم خمسين سنة على أن يطاسوا بعد انقضاء الخمسين مقاسمة النصف .

(٢) لأحكام السلطانية والولايات الدينية صفحة ١٩٨

(٣) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاملاية صفحة ١٤٥ ، ١٤٦

استكمالاً لعمل نظام المقاسمة إلى نظام المقاسمة ، بأن ذلك استغرق منه جهداً كبيراً ،
ولاشك أن نظام المقاسمة قد حقق كسراً من القوائد ، فقد أوجد نظاماً موحداً لجميع
المواحي ، في المناطق التي طبق بها ، على أساس تقديرات المحصول ، التي يصحب
الملاعب فيها ، وكان الخراج بذلك يتناسب مع المحصول ، وقد أفاد نظام المقاسمة
الدولة ، إذ سهل عليها الحصول على حقوقها ، بعد أن وضحت هذه الحقوق ، وبحددت
وأدى ذلك كله إلى إطمئنان الناس ، وزيادة الإنتاج ، وبالتالي كسره الخراج ، وانتشار
الميران^(١) .

وبعد تطبيق نظام المقاسمة في عهد الحليفة المهدي ، أصبح هناك ثلاثة أنظمة
لجباية الخراج في الدولة العباسية هي :

١ - نظام المقاسمة ويجبى الخراج بمقتضاه على المحصول ، فإن زُرعت الأرض أُجبى بها
الخراج ، وإن لم يزرع لا يؤخذ منها^(٢) .

٢ - نظام المساحة ويجبى الخراج بمقتضاه على مساحة الأرض ، سواء أزرعت أم لم
تزرع^(٣) .

(١) كان نظام المقاسمة معمولاً به في عهد دولة الفرس بين السواد والمواعين ، حتى
جاء عهد حمزة إلى نظام المساحة ، ولكن هذا السبيل في نظام المحصول
لم يربطه الخراج في عهد دولة الفرس ، لم يسم إلا في عهد عبد بن فيروز وفام
بالسفيد ابنه كسرى أنوشروان ، ثم أقر الحليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي
الله عنه) هذا النظام بعد فتح السواد وبلاد الفرس ، فقل هذا نظام - نظام
المساحة - معمولاً به منذ عهد أي في عهد الحلفاء الراشدين ، وكذلك في
عصر بني أمية ثم الخراج الأول من العصر العباسي إلى حين قرب وفاة الحليفة
العباسي الممزر - الأحكام السلطانية ، للفرار ، صفحة ١٨٥ ، وكذلك في الخراج
والنظم الحالية للدولة الإسلامية ، صفحة ٤١٢ .

(٢) المسالك والممالك ، للاصطخري صفحة ٩٥ .

(٣) جاء في الأحكام السلطانية للفرار ، صفحة ١٦٧/٥٠ فلا بد لوائح الخراج من اعتبار
الأوجه الثلاثة من اختلاف الأسمين ، واختلاف البروع ، واختلاف الشرب ، ليعلم
قدر ما تحمله الأرض من خراجها ، فيقصد العدل فيما بين أهلها ، وأهل الخي
من غير زيادة بحرف بأهل الخراج ، ولا نقصان يصر بأهل الخي ، وفي هامشي
يقول المصدر وفي نفس الصفحة أشار المحقق أن الماوردي ذكر شرطاً رابعاً وهو
قربها من البلدان ، والأسواق وبُعدها ، لزيادة أثمانها ونقصانها

٢ النظام الثالث هو الخراج الذي كانت تحببه الدولة ، وفق شروط المصاهرات العديدة ، التي عقدتها بعض المناطق مع جيوش العبج الاسلامي^{١١} .

أكرم الخليفة العباسي المهدي إصلاحاته الجيدة في مجال الخراج ، فمن لاهرات التي اتخذها أنه أمر بالكتابة إلى جميع العمال بالكف عن إلحاق الأذى بالندس أثناء حيايه الخراج ، أو تحميل مأنجر منه^(١٢) .

وبرتب على ذلك أن صار الخيال في عهده ، يراعى ظروف بواع ، فيقسطون لهم الخراج ، كما حدث حين فسق يحيى بن خالد المرمكي الخراج ، حين ولي أمصور فارس في عهد الخليفة العباسي المهدي ، كما أعفاهم من خراج الشجر^(١٣) .

كذلك أصدر الخليفة العباسي الثالث المهدي أوامره بإرجاع كثير من أراضي التورية التي فرض عليها الأمويون الخراج ، إلى وضعها الأصلي ، فعادت إلى نظام المشور^(١٤) ، وفي سنة ١٦٧ هـ ، ومع الخليفة العباسي المهدي الخراج على الخوانيت^{٥١} .

(١) وقد أطلق الاصطوري في كتابه المسالك والممالك صفحة ٩٥ على النظام الثالث اسم الفرس ، وقال عنها : هي مقاطعات معروفه لايزيد خرجها ولاينقص سواء لزومت أم لم تزوج^{١٢}

(٢) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٣) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٥١ ، وكان خالد بن برمك والد يحيى قد فسق الخراج على أهل خراسان ، وقد أقرها إلى ذلك في صفحة ٥٧٨ من هذا البحث

(٤) في فوج البلدان صفحة ٢٦١ (وبالفرات أرمون أعلم أهلها عيب ، عيسى دخلها المسلمون ، وأرمون خرجت من أيدي أهلها إلى قوم مسلمين بهيبات وغير ذلك من أسباب الملك ، فصارت عثية ، وكانت خراجيه ، فردها الحداج إلى الخراج ، ثم ردها عمر بن عبدالعزير إلى المدقة . ثم ردها عمر بن عبيدة إلى الخراج . فلما ولي هشام بن عبدالملك ردها بمسما إلى المدقة ، ثم المهدي أمر المؤمنين جعلها كلها من أراضي المدقة).

(٥) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، صفحة ١٢ ، وجاء فيه (وأول من وضع على الخوانيت الخراج في الاسلام أبوالمؤمنين أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور في سنة سبع ومئتين ومائة ، وولى ذلك سعيد الجرجسي) .

وذكر المقريري أن موسى بن مصعب والي الخليفة العباسي المهدي على صلاة وحراج مصر ، جعل خرجاً على أهل الأسواق ، وعلى الدواب ^(١) .

أهم الخليفة العباسي المهدي ، بتخفيف الأعباء المالية على المزارعين وذلك بتخفيض المراثب والكسور ، وتنظيم جبايتها فقد روى الساردي أنه ^(٢) " كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قسّ الحراج على أهل السواد ، وصاح من موالي المسترق والمغرب ، ورقاً ، وحباً ، وكانت الدراهم ، والدنانير ، مصرية على وزن كسرى وفيهر ، أي في عهد عمر بن الخطاب . وكان أهل البلدان ، يؤدون ضامي أديهم من المال عدداً ، ولا يفترون في فصل بعض الأجران على بعض ، ثم قسد الناس ^(٣) فصار أرباب الحراج ، يؤدون الضريبة ، التي هي أربعة دنانير ، وسبكوها بالنواقي ، الذي يربط بين السطال . فلما ولي يزيد العراق طالب بأداء النواقي ، وأترجم الكسور إلى أن ولي عبد الحميد ابن مروان ، ففكر بمن الورعين ، وقد وزن الدراهم ، على نصف وحسن المثقل ، وترك المثقل على حاله ، ثم إن المحتاج من بعده ، أباد المطامير بالكسور ، حتى أسقطها عمر بن عبد العزيز ، وأعادها من بعده ، إلى أيام المنصور ، إلى أن أسقط السواد ، فأزال المنصور الحراج عن الحنطة والقمح ورقاً ، وصوّره مقاسمة ، وهما أن يرغلات السواد ، وأبقى البسر من الحبوب والنخل والشجر على رسم الخراج ، وهو كما يلزمون الآن الكسور والضمن . فقال المهدي " مبارك الله أن أرم بضاي قلماً ، فقدم النمر به أو تأخر ، أسقطوه من الناس . فقال الحسن بن مخلد إن أسقط أسير المؤمنين هذا ، ذهب من أموال السلطان في السنة ثمان مائة ألف درهم ، فقال المهدي عليّ إن أقرر حقاً ، وأزيل قلماً ، وإن أجحف بيت الناس " .

وهكذا يتضح لنا بوضوح أن الخليفة العباسي المنصور أزال الحراج عن الحنطة والحبوب ، وصوّره على الناس مقاسمة ، ولكن من غير أن يسقط الكسور

(١) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، صفحة ٢٠٨ .

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، صفحة ٩٠ .

(٣) ومع الناس ، أي ظلموا (بعضهم) عندما ساد عليهم الغمران ، وأندهمهم النحر والصيرفة .

فلما تولى الخليفة العباسي المهدي ، أسقط هذه الكسور ، رغم عمده السابق ،
أن ذلك يذهب من بيت المال مبلغ أسا عشر مليون درهم في كل سنة .

الخراج في عهد الخليفة الهادي .

كانت خلافته قصيرة ، لم سجاوز السنة والشهرين ، والأمور الخراجية في عهده
كانت تسير كما رسم لها الخليفة العباسي السابق - المهدي - وكل ما استطاع تعبيره ،
هو استبدال بعض الولاة .

وفي مصر مثلاً ، أقر الخليفة العباسي الهادي الفعل بن صالح بن عيسى بن
عبدالله بن عباس على الصلاة والخراج في بداية عهده ، ثم عزّره واستبدله ، وولّى
عليّ بن سليمان بن عليّ بن عبدالله بن عباس ، فجعله على الصلاة والخراج ^(١) .

وقد محمد بن جميل ديوان خراج الحرافيس ، وولي عبدالله بن زياد بن أبي
لهلى ديوان خراج الشام وسهلها ^(٢) .

وقد استورد الخليفة العباسي الهادي الربيع بن يونس ثم أسودر بعده إبراهيم
بن ذكوان الحرائي ^(٣) .

(١) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، صفحة ٢٠٨ وذكر
مثل ذلك في نهاية الأرب في فنون الأدب للمؤبري ، الجزء الثاني والعشرين
صفحة ١٢٥ .

(٢) تاريخ الأسم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء الحاشي ، صفحة ٢٢ ، في أحداث
سنة ١٦٩ هـ ، وجاء فيه : " وأقرّ عليّ حرّس عليّ بن عيسى بن صالح ، ومسمّ
إليه ديوان الجند ، وولّى شرطه عبدالله بن مالك مكان عبدالله بن حارم ، وأقرّ
الحارم في يد عليّ بن يقطين " .
وجاء مثل ذلك في كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٦٧ .

(٣) لصخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية لابن الطقطقي صفحة ١٥٤
وكذلك في كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٦٧ .

وكان الخليفة العباسي الهندي سحيقاً يعطى عطاء من لا يحشى سواداً ، لأن أموال
الخراج والتميع ، كانت ساتهم بانمظام ^(١) ، كما أن هذه الأموال مضمونة ، لأنفسها
تسير وفق موابط محكمة ، وضبطها الخلفاء السابقون .

فمن أمثلة إيفاقه من أموال الخراج ما ذكره الطبري رفوه ا بهراني: أحمد إلى
أخي - ويقصد هارون الرشيد - ألف ألف دينار ، وإذا منح الخراج ، فاحمل إليه
بصف منه ، وتعرض عليه باقي الخراج من مالها ، وماأحد من أهل بيت العباسية .
فياخذ جميع ماأريد ، قال: لفعل ذلك ^(٢) .

وبالطبع فإن هذا الاتفاق من الخراج كان مفرج سياسي ، حيث أنه كان يربط
أن يحمي هارون الرشيد على أن يخلق نفسه ، ويحصل الحكم في ابنه القاصر جعفر
وستحدث بالتفصيل عن إيفاقه من بيت المال وأفرجه الإعلامية والسياسية من ذلك
عند الحديث من نطفات المولود .

(١) الخراج والمظن المالية للدولة الإسلامية صفحة ١٢٤

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر صفحة ٣٦ ، ٣٧

من ضمن أحداث سنة ١٢٠ هـ .

الخراج في عصر الخليفة هارون الرشيد -

عمل الخليفة المعبى هارون الرشيد ، على تخفيف عبء الجباية عن المباس ،

فقد جاء في الكامل في التاريخ عند ذكر أهم أحداث عام اثنين وسبعين ومائته

(١) وفيها وضع الرشيد على أهل السواد المُنشَر الذي كان يؤخذ منهم بعد الصف (١)

ومن هنا يضح لنا أن الخليفة المعبى هارون الرشيد أمر بإلغاء مربيته

مُنشَر ، التي كانت تُجبي من أهل العراق ، بإيمانه إلى سبة الصف ، المطرقة على

المحصول ، بحكم نظام المقاسمة .

ويستعي الإشارة هنا إلى مربيته العشر أو نصف العشر ، فقد ذكر يحيى بن آدم

أنه كان على المسلمين الذين يشترون أرض الخراج - ولو أن شراء أرض يخرج كسب

مكروها - أن يدفعوا قيمة الخراج المفروض على الأرض ، علاوة على مُنشَر أو النصف

العشر ، المفروض عليهم في المحاصيل الزراعية بحكم ركاء المال (٢)

أما إذا اشترى المسلم أرض أهل الملح ، فإن الأرض تصبح مشربة ، وليس

عليها خراج (٣)

وهذا ما قصد المؤرخون مثل الطبري وابن الأثير وغيرهما عندما يحدثون عن

إلغاء مربيته المُنشَر التي كانت تؤخذ منهم بعد الصف في بداية عصر الخليفة

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء الخامس ، صفحة ٥١ وكذلك في

الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس ، صفحة ٨٦ .

(٢) جاء في كتاب الخراج ليحيى بن آدم ، صفحة ١٦٢ (فإن يحيى سألت الحسن

ابن صالح عن مسلم له أرض خراج ، فقلت: عليه الخراج عن أرضه ، وعليه فيها

أخرجت الركاة ، المُنشَر أو نصف العشر ، ثم قال سمعت هذا عن عمر بن

عبد العزيز أنه قال: عليه العشر والخراج .

(٣) وجاء في موضع آخر من كتاب الخراج ليحيى بن آدم صفحة ٥١ ، ٥٢ إنسان

حدثنا يحيى قال: سألت الحسن بن صالح ، فكرة شري أرض الخراج النسي

أحدثه عشرة مومع عليها الخراج ، فلم ير بأساً بشري أرض أهل الملح ، فإن

فإن اشتراها مسلم ، ملئت أرض عشر ، إلا أن تكون أرض يد حوّل أهلها على

أن يوضع الخراج عليها قال يحيى وإن كان وضع الخراج عليها فهي أرض

خراج لا يُشترى .

المباضي هارون الرشيد ، لا كما ذهب إليه بعض المؤرخين المحدثين ^(١١) من أنه مريبه ريدت في أواخر عهد الخليفة المباضي المهدي ، حين اجتمعت الأمور بعين الشبي ، ووجدت الحاجة الشديدة إلى المال ، فهو رأى حاجتي لاعتماد على مصدر أو مرجع ، وهو سماج غير صحيح لعدم رجوعه إلى كتاب الحراج لبيحي بن آدم .

وربما في الاهتمام بأمر الحراج ، وجه الخليفة المباضي هارون الرشيد رسالة إلى أبي يوسف بنفوب بن إبراهيم القاضي ، مائلاً إياه ، أن يجمع له كتاباً جامعاً ، يرسم الرشيد على أساسه ونظامه ، سياسة الحراجية ، مستفيداً بالخبرات التي سبقته فيعمل به في حياته الحراج والمصروف والعشور ، والحوالي ، وغير ذلك ، مما يجب عليه النظر فيه ، والعمل به ، حتى يتمكن من العدل بين الرعية ، وإصلاح أمورهم الدنيوية .

ورد القاضي أبو يوسف على الخليفة المباضي هارون الرشيد ، بكتاب فقي اسمه " كتاب الحراج " ، سجل فيه واقع الحال ، وعدّد بعض المشاكل والمصاوي ، وعرض الحلول المرصية ، والتي تقمّض مع الروح الإسلامية .

وقد اشتهر الخليفة المباضي هارون في تطوير نظام الحراج من منوره أبي يوسف القاضي ، الذي استطاع أن يجد حلاً لكثير من مشكلات الحراج ، واستعرض فيما يلي لبعض هذه المشاكل الرئيسية في كتابه وباختصار ، ثم سمرس الحلول التي طرحها أبو يوسف القاضي لحل هذه الحالات ، وقد كانت حلولاً جذرية ناجحة بكثير من مشكلات الحراج .

أولاً ، أهدأبويوسف تطبيق نظام المقاسمة مع العلامين ، لأن فيه تخفيفاً لمصلحة العامة ، لكنه اتجه إلى تخفيف نسب المقاسمة التي وصلت في عهد الخليفة المباضي المهدي ،

(١١) وهو الدكتور/محمد صياء الدين الرئيس ، في كتابه الحراج والمظن المالبي لدولة الإسلامية صفح ٤٦٢ وجاء فيه أن هذا الخبر مقبوع ، أنه كان ريد على الناس عشر فوق المصيف ، الذي كان مقدر ، ويظهر أن ذلك كان في أواخر خلافة المهدي ، حين اجتمعت الأمور بعين الشبي ، ووجدت الحاجة الشديدة إلى المال ، فكان حذف هذه الزيادة إنصافاً ، ولاشك للناس .

فأصبحت كالناني

- أ - $\frac{1}{2}$ خمسي المحصول من الأرض التي تُروى سحبا (ري بالراحة) بدلاً من النصف^(١)
- ب - $\frac{2}{3}$ خمس ونصف الخمس على الأرض التي تروى بالدوالي بدلاً من الثلثين
- ج - $\frac{1}{4}$ وجعل على النخل والكرم والبساتين الثلث بدلاً من تقدير حراجها بالمساحة^(٢)
- د - $\frac{1}{4}$ أما غلات الصيف ، فقد أبقى عليها الربع^(٣) ، وكانت تُسقى بالدوالي ،

وفي هذا يقول أبو يوسف القاضي " رأيت أبقى الله أمر المؤمنين ، أن يشار من عمل الحنطة والشعير من أهل السواد جميعاً ، على خمس يسبح منه ، وأما الدوالي فعلى خمس ونصف ، وأما النخل والكرم والرطاب والبساتين فعلى الثلث ، وأما غلات الصيف ، فعلى الربع ، ولا يؤخذ بالحرس في شيء من ذلك ، ولا يحرر عليهم شيء منه يباع من النخل ، ثم يكون المضافات هي أنصاف ذلك ،

- (١) ذكر خداسة بن جعفر ، في كتاب الحراج وصحة الكتابة ، صفحة ٢٤٢ أن الخليفة العباسي المهدي ، طبق نظام الخمس في بعض المناطق مثل نساطق المحيط ببحر الملك من أعمال واسط .
- (٢) يقول الاصطخري في كتابه المسالك والممالك ، صفحة ٩٩ - أن النخل كانت تخضع بصرية الحنجر في بعض المناطق مثل البصرة وكربلاء ، فيقول سعد أن يتحدث عن إقليم كرمات ومواقعها ، وليس عليهم فيها إلا العشر لسطحان مثل عابالمصرة .
- (٣) وقد أبقى القاضي أبو يوسف بعض الأملاك من الخراج ، فيقول في كتابه الحراج صفحة ٩١ (وليس في القصب ولا في الحطب ولا في الخشب ولا في السب ولا في السعف عُشر ولا خمس ولا خراج) . ويقول في صفحة ٥٦ من كتابه " وليس على الحمر التي لا يباع لها ، ولا على الأعلاف ، ولا على الحطب عُشر ، والذي لا يبطئ في أيدي الناس هو مثل البطيخ والفتاء والحمير والقرع والبادجسان والجزر والمقول والرياحون ، وأسماء هذا ، فليس في هذا عُشر " ، وأما ما بقي في أيدي الناس ، مما يكال بالقياس ، ويوزن بالأرطال ، كالحنطة والسمسم والدره والأرز والحبوب والسمسم واللوز والبلدق والحمير والفسق والزعفران والبرص ، والكزبرة والكرابوا والكمون والبصل والثوم وما أشبه ذلك فإنه أخرجت الأرض من ذلك خمسة أوسق أو أكثر ، ففيه العُشر ، إن بقيت سحبا أو سقى السماء ، ونصف العُشر إن بقيت بحرب أو دالية أو سقية وخمس أوسق أي ٢٠٠ صاع ، بحساب الوسق ٦٠ صاعاً ، والصاع $\frac{1}{4}$ رطل

أو يقوم ذلك قومه عدله ، لا يكون فيها حمل على أهل الخراج ، ولا يكون على السلطان مرر ، ثم يؤخذ منهم ما يلزم من ذلك ، أي ذلك كان أحد . على أهل الخراج ، فعلى ذلك بهم ، وإن كان البيع وقسمه التمس بمهم ومن السلطان أحف ، فعلى ذلك بهم^(١) .

وبرى أب يوسف القاسمي يشهد في معظم أركانه بالقرن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وسائر عليه السلف الصالح . فيقول أبو يوسف عن موضوع قسمه المحسوس الذي حدثنا عنه " حدثنا سلم الحرامى ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (دفع حبر إلى اليهود مائة مائتة بالمصنف ، وكان بيعت إليهم عبد الله بن رباح ، فخرم عليهم ، ثم يخرمهم ، أي المحسوس خافوا ، أو يكون لهم ، حرصوا ، أتم ، وحرروني ، فيدولون بهذا فامت السماوات والأرض^(٢) .

ثانياً : نعم القاضي أبو يوسف بمقال الخراج ، ويتن للخليفة العباسي هارون الرشيد موافقهم ، والشروط التي ينبغي أن تتوفر فيهم ، فيقول في ذلك " وليت . . أن تتحد قوماً من أهل الملاح والدين والأمانة ، يحوسبهم الخراج ، ومن وليت منهم ، فليكن قديماً ، عالماً ، متبراً لأهل الرأي ، عفيفاً لا يطمع الناس منه على عورة ، ولا يخاف في الله لومة لائم . . تجوز عيادته إن عهده ، ولا يخاف منه حر في حكم إن حكم ، . . وقد يجب الاحتياط عيوس يوس شيئاً من أمر الخراج ، والبحث عن مداهم ، والحوال من طرائقهم ، كما يجب ذلك فيما أريد للحكم والقضاء ، وتقديم إلى من وليت أن لا يكون عوفاً لأهل عمله ، ولا مخدراً لهم ، ولا مستحقاً بهم ، ولكن يلبس بهم جلباً من الخير ، يشوبه بطرف من البدة ، ولا استقامة ، من غير أن يظلموا ، أو يحملوا بالايحيت عليهم ، واللبس للمسلم ، والمصلحة على الفاجر ، والنقد على أهل الدعة ، وانصاف المظلوم ، والتدء على الظلم ، والعفو عن الناس ، فإن ذلك يدعهم إلى الطاعة ، وأن يكون جليلهم للخراج كما يرسم له ، ويرك الابتداع بينهم

(١) كتاب الخراج ، صفحة ٥٤ وفي محل (ما ينبغي أن يعمل به في السواد ١٠

(٢) كتاب الخراج ، صفحة ٥٥

يعاملهم به ، والمساواة بينهم في محله ، ووجهه حتى يكون القريب والبعيد ،
والشريف والوصيع عنده في الحق سواء ، وسرك اتباع الهوى ، فإن الله مبر من اتقاه ،
وأثر طاعته ، وأمره على من سواهها...^(١)

وسم يكتف القاضي أبو يوسف بذكر مواصفات عمال الخراج والشروط التي ينبغي
أن يوافر فيهم ، بل اقترح على الخليفة العباسي هارون الرشيد مراقبة عمال الخرج ،
وبذلك باختيار أناس من أهل العلاج والصفاء لمراقبة العمال والمؤال عنهم ، وهو
ما يعرف في وقتنا الحاضر بالمحبرين ، والمخابرات ، وبث المفتشين والجواسيس لمعرفة
سيره هؤلاء العمال . وفي ذلك يقول أبو يوسف " ولنا أرى أن تيمث يوماً من أهل العلاج
والصفاء ممن يوثق بدينه وأمانته ، يسألون عن سيره العمال ، وما عملوا به في البلاد ،
وكيف جبو الخراج على ما أمروا به ، وعلى ما وقف على أهل الخرج واستقر ، فإذا
ثبت ذلك عندك وصح ، أخذوا بما استعملوا من ذلك أشد الأخذ ، حتى يؤدوه بعد
المقوبة الموجبة ، والنكال ، حتى لا يمتدوا ما أمروا به ، وما عهد إليهم فيه ، فإن كان
ما عمل به والي الخراج من الظلم والصف ، فإما يحمل له فد أمر به ، وقد أمر
بحبره ، وإن أخلت بواحد منهم المقوبة الموجبة ، انسى غيره ، وانلى وحده ، وإن
سم تفرع هذا بهم ، تمدوا على أهل الخراج ، واجترأوا على قلمهم ، ونمستهم ،
وأغدهم بما لا يجب عليهم ، وإذا صح عندك من العامل والوالي تعد يظلم وعصف
وجهه لك في رعيك ، واحسان شيء من الفئ أو حيث طمعت أو سوء حيرته ، لحرام
عليك استمالة ، والاستمالة به ، وأن تقلده شيئاً من أمور رعيك ، أو تشركه في شيء
من أمرك بل عاقبه على ذلك ، عقوبة تردع غيره من أن يعرض لمثل ما عرض به...^(٢)

ثالثاً : وحدث القاضي أبو يوسف عن الرق بأهل الخراج وكيفية التعامل معهم فقال :
" ولا يزهد أهل الخراج برق عامل ولا أجر مدى ، ولا احقان ولا تركة ، ولا حيونه طعمه

(١) كتاب الخراج صفحه ١١٥ ، ١١٦

(٢) كتاب الخراج صفحه ١٢٠

المنظر ، ولا يدعى عليهم بمقيمه ، فتؤخذ منهم ، ولا يؤخذ منهم ثمن صنف ولا قراطين ولا أجور الفيوج ، ولا أجور الكيلين ولا مؤنة لأحد عليهم في شيء من ذلك ، ولا قسمة ولا نأشبة سوى الذي وسمنا من المقاسمة^(١) .

وفي موضع آخر يقول: " ولا يؤخذ منهم ما قد يُسموه رواجاً ندراهم يؤدونها في الحرج ، فإنه يلحقني أن الرجل منهم يأتي بالدراهم ليؤديها في حرجه ، فيقطع منها طائفة ، ويخال هذا رواجها وصرقها^(٢) " .

وعندما يتحدث القاضي أبو يوسف ويقول أنه يلحقني ، فإنه يحصل عدد وجسوه ١

١ - لقد يكون بئس من سره حكم الدولة الأموية ، وما كان يحدث في بعض الأحيان من مخالفات لتعاليم الإسلام في عهد بعض الولاة الأمويين وخلفائهم .

ب - وقد يكون قد بئس من الفترة السابقة لحكم الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد .

ج - وأخيراً قد يكون بئس من الفترة التي عاشها القاضي أبو يوسف والخليفة العباسي هارون الرشيد . وطلب من الخليفة إصلاح هذه الأمور لتأخذ تعاليم الإسلام وصفا الطبيعي في البلدان الإسلامية آنذاك .

ولذا كتب القاضي أبو يوسف للخليفة هارون الرشيد برسالة التماس لتعديل والنوالة على الأقاليمة ، بحسن معاملته الرعايا . عملاً بمبادئ الإسلام^(٣) .

رابعاً كتب أوصى القاضي أبو يوسف في كتابه الموجه إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد بأن يحرم ظلمات المزارعين ، في كل ما فيه مصلحتهم ، كحرق الأشجار أو كبريها ، وأن يكون النصفة على ذلك من بيت المال العام ، مادام مصلحته عامة . وفي ذلك يقول أبو يوسف : " ورايت أن تأمر عمال الحراج ، إذا كانوا قوم من أهل حراجهم ، فذكروا

(١) ، (٢) ، (٣) كتاب الخراج لأبي يوسف ، صفحة ١١٤ .

لهم أن في بلادهم أنهاراً عديدة قديمة ، وأرضين كثيرة عامرة ، وأنهم إن سرحسو لهم تلك الأنهار ، واحصروها ، وأجروا الماء فيها عموت هذه لأرض الناصرة ، يراد في حراحيهم ، كتب بذلك إليك ، فأمرت رجلاً من أهل الحير والصلاج يوثق بديمه وأمانته ، فتوجه في ذلك ، حتى ينظر فيه ، ويسأل عنه أهل الخيرة والبصيرة به ، ومن يوثق بديمه وأمانته من أهل ذلك البلد ، ويناور فيه غير أهل ذلك البلد ، ممن له بصيرة ومعرفة ، ولا يخبر إلى نفسه بذلك متعمداً ، ولا يدفع عنها به مفسده ، فإذا اجتمعوا على أن في ذلك صلاحاً وزيادة في الخراج ، أمرت بحفر تلك الأنهار ، وجعلت النفقة من بيت المال ، ولأنهم المتفق على أهل البلد ، فوسم بن يعمروا خيراً من أن يحربوا ، وأن يفرروا^(١١) خيراً من أن يذهب مالهم ويحربوا^(١٢) .

ويقول في موضع آخر " وإذا احتاج أهل السواد إلى كرى أسباهم^(١٣) العظام ، التي تأخذ من دجلة والفرات ، كربت لهم ، وكانت المنطقة من بيت المال ، ومن أهل الخراج ولا يحسن ذلك كله على أهل الخراج . وأما الأنهار التي يجرونها إلى أرضهم ومزارعهم وكرومهم ورطابهم وبساتينهم ، ومعاليمهم^(١٤) ، وما أشبه ذلك ، فكريه عليهم خامسة ليس على بيت المال من ذلك هي"^(١٥) .

ومضي القاضي أبو يوسف لشرح أحكام نظم وفوائد حفر الأنهار والنفقات وبما السدود ، ويقول في موضع ثالث " فأما البثوق والمسميات ، والبريدات^(١٦) ، التي تكون

(١) يملأ من الزفر ، وهو المال الكثير الوافر كما جاء في بيان العرب لاسي منظور ، المجلد السادس ، صفحة ٤٨٨ في مادة زفر .

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف ، صفحة ١١٨ ، ٢١٩ .

(٣) جاء في بيان العرب لاسي منظور صفحة ٣٨٦٨ المجلد الخامس ، مادة كسرا حائلي: كرى المهر كزبات استحدث حفره .

(٤) ومباقلهم المكان الذي يزرعون به البقل .

(٥) كتاب الخراج لأبي يوسف ، صفحة ١١٩ حيث أن أهل الأرمي وأصحابهم يستطيعون أن يتحملوا نفقات حفر النفقات المضيرة ، والترح الفرعية .

(٦) جاء في هامش كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١١٩ ، البثوق جمع بثق وهو ما حفره الماء في جانب النهر والمسميات جمع مسماء وهو سد ، يسمى في وجه الماء ، والبريد في اصطلاحهم مفااتيح الماء وهي غارسية .

في دخله والغرات ، وتغيرهما من الأنهار الحظام ، فإن السعة على هذا كنه من بيت المال ، لا يحمل على أهل الخراج من ذلك شيء ، لأن مصلحة هذا على لاسام حاكمه لأنه أمر عام لجميع المسلمين^(١)

حاصلاً بحسن كتاب أبي يوسف القاضي مهدي الحليفة العباسي هارون الرشيد عن الأخذ أو تطبيق نظام النقيض^(٢) في السواد أو غيره من البلاد ، لأن النقيض لا يبالى بهلاك الرعية ، حتى يطلع أمره في قبائله ، كما أنه يبقى له من الأموال بعد ما تنقل به مبلغاً كبيراً ، وهو يحمل على ذلك كنه بالتدق على الرعية

وفي ذلك يقول أبو يوسف " رأيت أن لا تنقل شيئاً من السواد ، ولا غير السواد ، من البلاد ، فإن النقيض إذا كان في قبائله حمل على الخراج ، عسف أهل الخراج ، أي ظلمهم ، وحمل عليهم ما لا يحب عليهم ، وظلمهم ، وأخذهم بما يجحف بهم ، ليسم بما دخل فيه ، وفي ذلك وأسأله ، خراب البلاد وهلاك الرعية ، والصنفين لا يبالى بهلاكهم بملاح أمره في قبائله بولطه أن يستعمل بعدما ينقل به تملاً كثيراً وليس يمكنه ذلك إلا بشدة منه على الرعية - ١٠٠٠ - والحمل على أهل الخراج ، ما ليس بواجب عليهم ، من الخلم الظاهر ، الذي لا يحمل ولا يسع^(٣) .

ثم بين القاضي أبو يوسف ، أنه إن كان لابد من النقيض ، فلا بد من موافق بعض الشروط لمن هذه الحالات ، فيقول في كتابه " وإن جاء أهل الطوج - أي أهل ناحية - أو مصر من الأمصار ، ومنهم رجل من البلد المعروف ، سور ، فقال أنا أضمن من أهل هذا الطوج ، أو أهل هذا البلد خراجهم ، يرموهم بذلك مقدوا هذا أخف عليه ، يخر في ذلك ، فإن كان صلاحاً لأهل هذا البلد والطوج قبل ومن ، وأشهد

(١) كتاب الخراج ، لأبي يوسف ، صفحة ١١٩ .

(٢) جاء في هامش صفحة ١١٤ من كتاب الخراج (النقيض) من نقبلت نعم من صاحبه ، إذا المرته بحق .

(٣) كتاب الخراج لأبي يوسف ، صفحة ١١٤ .

عليه ، وصيّر عنه أميراً من قبل الإمام ، يوثق بدينه وأمانته ، ويحرق عليه من بيت
سائر فإن أراد ظلم أحد من أهل الخراج أو الريادة عليه ، أو بحمله شيئاً لا يجب
عليه ، منعه الأمير من ذلك أشد المنع^(١) .

سادساً ولريادة الخراج ، وعمارة البلاد ، ولتحقيق العدل والإصاف ، يقترح أبو يوسف
القاضي على الخليفة العباسي هارون الرشيد أن يجلس للناس ، ويسمع لشكاوي
المرءعين ، من تفديرات عمال الخراج لمحصلهم ، ومرفعاتهم منهم ، وكيفيه معاملتهم
لأهل الخراج وفي ذلك يقول أبو يوسف " إن العدل وإصاف المظلوم ، وبحسب الظلم
معهم في ذلك من الأجر ، يريد به الخراج ، ونكره به عمارة البلاد ، وانسكة مع العدل
نكون ، وهي تفقد مع الخبز ، والخراج المأجود مع الخبز ينقص البلاد به ويخرب ..
فمن تقربت إلى الله عز وجل بأمر المؤمنين بالجلوس لمظالم وعينك في الشهيدين
أو شهادتين ، مجلساً واحداً ، نسمع فيه من المظلوم ، ونسكن على الظلم ، وجوت
أن لا تكون ممن أصحبت عن حوائج رعيته . ولعلك لا تجلس إلا محباً أو محبوساً .
حي يسير ذلك في الأبحار والمدن ، فبذلك الظالم وفوقك على ظلمه فلا يحترقه على
الظلم ، وبأمن الضعيف المشهور جلوسك . ونظرك في أمره ، فيقوى قلبه ، ويكسر
دماره ... " (٢)

سابعاً- من المعروف أن الخراج حق مظلوم على مساحة مظلومة ، وقد اعتبر في الظلم
بها ثلاثة مقادير .

أحدهما : مقدار الجريمه بالخراج المسموح بها .

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف ، صفح ١١٤ ، ١١٥ ، وكان للخليفة العباسي هارون الرشيد
خيارين وكما جاء في كتاب الخراج صفح ١١٥ " وأمر المؤمنين أعلي عيماً بما رأى من
دينه ، وما رأى أنه أميل لأهل الخراج ، وأقر على بيت المال ، عمل عليه ، من القربى
والولاية ، بعد الإعداد والنقد إلى المفضل والوالي برفع الظلم عن الرعيه ، والوعيد
إن حطهم بالاطاعة لهم به أو بما ليس بواجب عليهم ، فإن فعلوا من أوقى - له بها
أوعده به ، ليكون ذلك راجعاً وتغياً لغيره إن شاء الله " .

(٢) كتاب الخراج صفح ١٢٠ ، ١٢١ .

والثاني- مقدار الدرهم المأخوذ به -

والثالث: مقدار الكيل المسموفى به -

والأدراج سبعة ^(١) أقصرها القاصيه ، ثم اليوسفية ، ثم السود ، ثم الهاشميه
المصري وهي ديبلالية ^(٢) ، ثم الهاشميه الكبرى وهي الريادية ، ثم العمريه ^(٣) ، ثم
المأمورية .

فأما الدراج اليوسفيه فهي التي يدرع بها الفقه الدور بمدينة السلام ، وأول من
وصفها أبو يوسف القاضي وأما الدراج السود ، فهي أطول من دراج الدور ، وأول من
وصفها، الحليفه العباسي هارون الرشيد ، فدرها بدراج خادم أسود كان على رأسه ، وهي
التي يتعامل بها الناس ، هي درع البر والسجاره والأهنيه ، وصافي بعل مصر ^(٤) .

ومن هنا يعرف أنه تم استحداث دراجين في عهد الحليفه العباسي هارون الرشيد ،
الدراج اليوسفية ، والدراج السوداء ، وذلك لتحقيق من المصاحه ، ورسوخ العذر بين
البريه .

وكذا صدقناه صلباً من من فيمن من كتاب الحراج للفاصي أبي يوسف وبكر
السؤل الذي حبر الكثير من الكتاب والمثمنين ، هو إلى أي حد أحد الحليفه العباسي
هارون الرشيد باقتراحات الفاصي أبي يوسف في مورد منهم جداً ، كمورد الحراج ؟

(١) جاء في الأحكام السلطانيه للفراء ، صفحته ١٧٤ وتسمى الدراج القاصيه درج الدور ،
وأول من وصفها ابن أبي ليلى الفاصي ، وبها يتعامل أهل كلواى .

(٢) الدراج الهاشميه المصري فهي أطول من الدراج السوداء ، وأول من أحدثها
بلال بن أبي بردة ، وذكر أنه دراج جده أبي موسى الأشعري ، وبها يتعامل الناس
في البصره والكوفه . أما الدراج الهاشميه الكبرى فقد أحدثها علي في هذا القرن
عند الحديث عن الحراج في عهد أبي جعفر المنصور . وكذلك في الأحكام
السلطانيه للفراء ، صفحته ١٧٤ .

(٣) الدراج العمريه فهي دراج عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) التي منح بها أرض
السواد .

أما الدراج المأمورية فقد وصفها الحليفه العباسي المأمون بن هارون الرشيد
وسمى حدث عنه في حله الأحكام السلطانيه للفراء ، صفحته ١٧٤ .

(٤) الأحكام السلطانيه ، للفراء ، صفحته ١٧٤ .

يذكر اليعقوبي في تاريخه " أخذ الرشيد الخمار والساه^(١) والذهاقين وأصحاب
مصراع والمباعين للخلاب والمطبلين . وكان عليهم أموال مجتمعة ، فولى مطابعتهم
عبدالله بن الهيثم بن سام ، فطالبتهم .. وكان سنة ١٨٤هـ^(٢) .

مع ملاحظته أن القاضي أبي يوسف صاحب كتاب الخراج ، توفي سنة ١٨٢هـ -
اشتهر وشاعرت وماتت توفي ربيع الآخر من هذه السنة^(٣) ، ويذكر اليعقوبي في موضع آخر
أنه عمل الرشيد ، علة جديدة ، ألتمت منها ، فدخل إليه الخميل بن عيسى ، فرأى
الناس يؤحدون بالشد في الخراج ، فقال لهم هذه الشدة ، وإنني سمعت
رسول الله يقول من عذب الناس في الدنيا ، عذبه الله يوم القيامة ، فأمر الخليفة
هارون الرشيد من تلك السنة بمعاملة أهل الخراج معاملة حسنة^(٤)

وكان القاضي أبو يوسف قد سبق من أحد الناس بالشد في الخراج ، وهذا أثرنا
إلى ذلك في حينه من هذا الفصل .

كنا أن نسبة الحمسين التي أفرجها أبو يوسف لم ينفذها الخليفة العباسي
هارون الرشيد ، وإنما شددت في عهد ابنه الخليفة العباسي المأمون كما يرى
ابن طيات وفي ذلك يقول " ومن أصراماته - أي الخليفة المأمون - مقاطعة أهل
السود بالحمسين ، وكانت المقامعة المصروفة اليهم^(٥) .

ويذكر الطبري ، ومن أحداث سنة أربع وثلاثين ومائة أن الخليفة العباسي
هارون الرشيد أخذ الناس بالبطايا ، وولى استخراج ذلك عبدالله بن الهيثم بن سام .

(١) التناؤه جاء في لسان العرب لابن منظور صفحة ١٥٠ مادة تنأ ، وتناً بضم نون
أي أفرم وقطن ، والمقمود بالتناؤه المقيم في البلاد .

(٢) تاريخ اليعقوبي المجلد الثاني ، صفحة ٤٦٥ .

(٣) كتاب دول الاسلام ، للذهبي ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، صفحة ١١٧ أحداث
سنة ١٨٢ هـ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٤٦٥ .

(٥) البحري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، صفحة ١٧٥ وعند الحديث عن
مخلافه المأمون

فأخذها منهم بالحسب والسند^(١) .

كما أكد ذلك ابن كثير ، ضمن أحداث سنة أربع وثلاثين ومائة فيقول " فيها
أي في سنة ١٨٤ هـ - رجع الرشيد من الرقة إلى بغداد ، فأخذ الناس بأداء بقايا
الخراج الذي عليهم^(٢) " .

ورأى القاضي أبو يوسف ألا ينصرف حكام الأقاليم ، في تعبهم بسبب الخراج ، ولا
يؤدى الخليفة ، وألا يتحول إلى أرض عشر أو العكس ، ولكن هذه القاعدة لم تطبق
بدقة ، فقد ذكر البلاذري أنه حول بعض مناطق الفرات من الخراج إلى المدفوعة ،
حيث أهلها لعلي بن الرشيد ، على أن يرفعوا له ، ويقاسمهم^(٣) .

هذا صدقته بعض المؤرخين من عدم أخذ الخليفة العباسي هارون الرشيد
بالمراجعات للقاضي أبي يوسف .

ولكن بعض المؤرخين الآخرين يؤكدون أنه أخذ بالمراجعات القاضي أبي يوسف ، فقد
عن علي بن عيسى بن ماهان عن ولاية خراسان ، وصادر أمواله ، لنفسه مع أهلها ،
وجبايته خراجاً منهم فوق طاقتهم .

وفي الخليفة فإن الخليفة طبق ما جاء في كتاب القاضي أبي يوسف بوجه عام .

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء الناصر ، صفحة ٧ ، ٧١ ،
وجاء فيه " قدم هارون مدينته السلام ... فلما صار إليها ، أخذ الناس
بالبقيا وولئ استخرج ذلك فيما ذكر عبد الله بن الهيثم بن سالم بالحسين
وأنصرف ، وولئ عمداً البر ، برقي مكة واليمن وولئ داود بن يزيد بن حاتم
السلبي المد ، ويحيى الحرشي الجبل وسهرويه الرزازي طبرستان ، وقدم بأمر
إبريقية إبراهيم بن الأغلب ، فولاهما إمام الرشيد " .

(٢) البداية والنهاية للحافظ بن كثير ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة
١٨٤ .

(٣) فتوح البلدان ، صفحة ٢٦٤ ، وجاء فيه " كان أهل الشيبية من القيسية
جعلوها لعلي بن أمير المؤمنين الرشيد ، في خلافة الرشيد ، على أن يكونوا
مراجعين له فيها ، ويحفظ مقاسمهم ، فتكلم فيها فحفظت عُشبة من الصدقة
وقاسم أهلها علي ما رموا به ، وغام ثلث بأمرها شعب بن زياد الواسطي " .

وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن الخليفة هارون الرشيد لم يعد بمصره دقيقه
 ماجاء في كتاب الخراج كما أثرت سابقا - وإن كنت أرى أنه بعد بعض ماجاء في
 كتاب الفاسي أبي يوسف من المسائل والأمور والأحكام ، والأدلة كثيرة .

يقول البيهقي في كتابه وقع احصار هارون أبي الخليفة العباسي هارون الرشيد -
 على عتي بن عيسى بن ماهان لإمارته خراسان ٥٠٠ وبسط علي يده ، يظن الناس ، ولم
 يكن لأحد حراً على كشف أمره ٥٠٠ ففصل علي شافه خراسان ، وبعض الأقاليم الأخرى
 في ولايته .^(١)

وقد قال يحيى البرمكي عنه (إيه أمير أهل خراسان ، وأصائل سافة الأقباط ،
 والمطعماء ، واستحوذ على صناعهم وأموالهم ، ووقع حيث أمير المؤمنين في الفاسية ،
 وخراسان ثم عظيم ، وهدر كالفرك منه قريب)^(٢) .

وبما سمع الخليفة هارون الرشيد بسيرة هذا الوالي ، استاء وغضب لهذه المعاملة
 وأمر بنصيب عيسى بن ماهان من الولاية ، ونصب هاشم بن الأعين^(٣)

وجاء في الميون والحدائق في أخبار الخلفاء (ثم أمر هاشم بن أمي بعد
 ذلك علي بن عيسى ، برّد المطالم ، فكان الرجل يحضر ، فيدعى ، فيأمره بالخروج
 إليه من دعواه ، فرّد على الناس أموالاً عظيمة ، ثم صار هاشم إلى الجديع ، وحظب
 الناس ، وبسط أموالهم ، وعرفهم أنه لما انتهى إلى أمير المؤمنين - هارون الرشيد -
 ساء صيحه هذا الفاسي خراسان أولي للنفس عليه ، برّد مطالم الناس ، وأمر
 برضاة الخاص ، والعام ، وحلهم على الحق ، وأمر بقراءة عهده عليهم ، فأظهرو
 الناس السرور بذلك ، وانفسخت أموالهم ، وعلت بالمهاجرين والمكبر أصواتهم ، وكثر

(١) تاريخ البيهقي ، صفحة ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٢) تاريخ البيهقي ، صفحة ٤٤٥ .

(٣) تاريخ البيهقي ، صفحة ٤٤٧ .

الدعاء للخليفة بالبقاء ، وحسب الجراء .^(١)

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تطبيق العدل وسماحه لسلام

ويذكر الطبري في موضع آخر من كتابه ، وفي حوادث عام ١٩١ هـ أن الخليفة العباسي هارون الرشيد أرسل هزيمة بن أعين وأمره أن يسوئ من الفاسق عيسى بن عيسى وولده وعماله وكتابه ، وأن يخذ عليهم وظائفه ، ويحل بهم سطوته ، ويستخرج منهم كل مال يصح عليهم من خراج أمير المؤمنين ، وفي المسلمين ، فإنه ستطف ما عدهم وقبلهم من ذلك . نظر في حقوق المسلمين والمعاهدين ، وأحدهم بحق كسب دي حق حتى يردوه إليهم (١٠٠٠) .^(٢)

ويذكر بعض المؤرخين الآخرين بأن الخليفة العباسي هارون الرشيد ، كان يسمع يتكوى أهل الخراج ، ويُلقي ظلماتهم ، ولا يصف في الخراج وفي حياته ، فيذكرهم البلاد أن الخليفة هارون الرشيد " مرَّ بهمدان ، وهو يريد خراسان ، وأمره أهل غرويس ، فأظهروه بمكانهم من بلاد العدو ، وفتاتهم في مجده ، وسألوه النظر لهم ، وسحبهم مائة درهم من عشر علائقهم في الثمرة ، فصير عليهم في كل سنة عشرة آلاف درهم منظمة"^(٣) وهكذا خفي خراج غرويس ، ليتمكن أهلهم من مواجهة صفات الدفاع والعز .

كما خفي الخليفة هارون الرشيد خراج بعض مناطق إقليم فارس ، إلى تُششي فيمنه ، تلجبه للمرابحين ، وتحفيظاً للعدل ، وعمرها على استمرار إداره مورد الخراج

(١) الميون والحدائق في أخبار الحقائق ، للمؤلف المحبوس ، صفحة ٢١٥

وحداء في نهاية الأرب في صون الأرب ، الجزء الثاني والعشرين صفحة ١٥٨

صمن أحداث سنة ١٩١ هـ أن الرشيد عزل عن خراسان عيسى بن عيسى بن ماهان

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر صفحة ١٠٢

(٣) فتوح البلدان ، صفحة ٢١٩-

كما أن احتياط الخليفة العباسي هارون الرشيد لم يحمي بن خالد البرمكي ، وولد له الفضل ، وجعفر ، بمنولوا أمور الخراج في عهده ، كان احتياطاً موقفاً إلى حد بعيد ، وقد حقق هؤلاء البرامكة نجاحاً كبيراً فيما أسند إليهم من أمور الخراج ، وقد اهتموا بأعمالهم الرعي ، وحفر الأنهار والترع ، والقنوات ورعاية مصالح المزارعين ، وإلغاء المبالغ المتبقية عليهم والتي عرفت " بالمطايا " (٢) .

وكان جعفر بن يحيى يقول : " الخراج عمود الملك ، وما استعور بمثل المعدن ، ولا استنير بمثل الظلم " (٣) (٤) .

وهو قول موجز ملخص ، يبين لنا مدى إدراك جعفر لأهمية خراج ، ومهميته في استغناؤه واستعراجه .

وإلغاء المطايا سنة ١٢٩ هـ وقبل وفاة الخافي أبي يوسف صاحب كتب خراج ، لهو دليل قاطع ، على أن الخليفة العباسي هارون الرشيد ، أخذ بإجراءات انقاصي أبي يوسف ، وطبقها ونسجها لاختلاف المؤرخين ورؤى أن الخليفة العباسي هارون

- (١) المسالك والممالك ، للأصطخري ، صفحة ٩٠ ، وجاء فيه بعد الحديث عن خراج شهرار الذي سقى سبغاً لخراج كوار على القلبيين من هذا - من خراج شهرار - لأن جعفر بن أبي زهير السامي ، كلم الرشيد ، فردده إلى ثلثي الربيع ٠ ٠ ٠ ٠
- (٢) جاء في كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٩١ (وما صار العمل إلى حرمان ، أزال سيرة المور ، وبني الحياض والمساجد والرباطات ، وأحرق دفاير البقاي ، واد الحمد والقواد ، ووصل الروار والكتاب في سنة سبع وسبعين ومئة بمشرة آلاف ألف درهم)
- (٣) استمرر جاء في لسان العرب لاسي منظر ، صفحة ٤٢٩٢ ، المحمد بن سديدس وهي مادة نرز المرر فعل صمات وهو الاستحفاء من فرع ، وبه سمى لوجمل سورة ، ومارره .
- (٤) عيون الأخبار ، لابن قتيبة الديبوري ، الموهومي سنة ٢٧٦ هـ ، المجلد الأول ، الجزء الأول صفحة ٦٦ .

الرشيد ، أحد بيمص هذه الاقتراحات إن لم يكن معطفا ، وقد يكون طبق هذه الاقتراحات تدريجياً ، وإلا لما عمّ الرخاء في أرجاء المعمورة في عهده .

وفي سنة ١٢٩ هـ ألحق البغايا على المزارعين ^(١) .

وفي سنة ١٤٤ هـ وقع الظلم عن الناس في أداء الخراج ، رغم أنه طالبهم بها في بداية السنة ولكن انتهى ذلك في شهر آخر من نفس السنة كما يذكر اليعقوبي ^(٢) .

وفي سنة ١٩١ هـ عزل علي بن عيسى بن ماهان عن ولاية الحراج ومدير أمواله وكُفّي كل ذي حق حقه من المزارعين والمواطنين ، وكان سبب العزل تمسكه في جملة الحراج وظلم المزارعين ^(٣) .

وفي سنوات أخرى ماله لم يحددها المؤرخون فخص خراج ثمر قرويس ليضغكي أهلها من مواجبة نفقات الدفاع والعزو ، كما خص في موضع آخر خراج بعض أفانيسيم مارس ^(٤) .

ولو أن الحليفة النعاسي هارون الرشيد لم يرغب في تطبيق اقتراحات نعاسي أبي يوسف ، لما طلب منه وضع هذا الكتاب القيم ، الذي يعتبر وثيقة تاريخية هامة ،

(١) كتاب الوزراء والكتّاب ، صفحة ١٩١ .

(٢) تاريخ اليعقوبي المجلد الثاني ، صفحة ٤١٥ .

(٣) الكامل في التاريخ لأبي الأثير ، الجزء الخامس ، صفحة ١٢٦ ، ضمن أحداث سنة ١٩١ هـ . وجاء فيه : وأحد أمواله - أي أحد هريضة بن أعين أمور علي بن عيسى - فبعت ثمانين ألف ألف ، وكانت حراسته وأساتته على ألف وخمسمائة بعير . فلما فرغ هريضة من أحد أموالهم - أموال علي بن عيسى وأبنائه وأصحابه وأنصاره - أقامهم لمطالبة الناس ، وكتب إلى الرشيد بذلك ، وسمر علي بن عيسى إليه على بعير بعير وطاء ولأعطاء . وجاء مثل ذلك في تاريخ الأمم والملوك ، م ٥ ، ج ١٠ ، صفحة ٢٤٠ ، وفي كتاب دول الإسلام لذهبي ، الجزء الأول ، صفحة ١٢١ ، ومعظم المراجع الإسلامية .

٤١ فتوح البلدان ، صفحة ٣١٩ ، وفي المسالك والمعالي للاسطحري صفحة ٩٥ ، وقد أشرب إلى ذلك في الصفحة السابقة .

ليس عن عهده وقصره التي عاشها ، وقصره الخليفة العباسي هارون الرشيد ، ولكنها وثيقة تاريخية في قراءات مختلفة ، في عهد الدولة الإسلامية .

وهكذا يرى أن الخليفة العباسي هارون الرشيد كان يعد كل حبل في دولته ، ويهدم كل الاهتمام أن يحفظ عن الفلاحين ، وكان عتائه ورجائه وقصاه لا يأنوسه بحداً لأنه يهدم لكل ما يفسد المسلمين . فقد (ترك بعض أهل الصياع في فلسطين أرضهم ، فوجه رعيهم أحد كبار قواده ، فدعا قوماً من أكرامها ومرتزعتها إلى ان يرموا إليهم ، عسى أن يخفف عنهم من حراجهم ولين معاملتهم . فرجعوا ... فأولئك أصحاب التخافيف)^(١) .

" وجاء قوم منهم بعد ، فودت عليهم لرصوعهم ، على مثل ما كانوا عليه وهم أصحاب الردود " ^(٢)

وقد (ولى الرشيد أحدهم ، بعض أعمال الحراج ، فدخل على الرشيد يؤدعه ، وعنده يحيى وجعفر بن يحيى ، فقال الرشيد ليحيى أوميا ، فقال له يحيى ولتر ومتر ، وقال له جعفر أنصف والنصف ، فقال له الرشيد .. اعدن ، وأعصن)^(٣)

ومن أعمال الخليفة العباسي هارون الرشيد من استحدثت نظاماً جديداً في حصول الحراج . وأبدع طرقاً جديدة في جبايته وإدارته ، فقد عزل الخليفة هارون الرشيد موسى بن عيسى عن مصر . وولاه جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، فولاه عيسى ابن سيران حراجها ومبايعها وحربها فقال عمر بن سيران لعلاء أبي ذرة (لانظرن من الهدايا ، إلا ما يدخل في الحراب ، لا تقبل دابة ، ولا حربة ولا غلاماً ، فعمل الناس يمشون بهدياهاهم ، فعمل يرد ما كان من الألفاظ)^(٤) ، ويقبل المال والشباب ، ويأسي

(١) ، (٢) الإسلام والحصار العربي ، الجزء الثاني ، صفحة ٢١٤ ، ٢١٤ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء الخامس ، صفحة ١١٢ ومن أحداث سنة ١٩٣ هـ عند ذكر بعض حور الرشيد .

(٤) جاء في لسان العرب لابن منظور صفحة ٤٠٣٦ ، الجزء الخامس ، مادة لطف واللفظ واللفظ شهر والتكرمة واللفظ لطف به لطفاً ، ولطفه ، وألطفه .

بها عمر ، فيوقع عليها أسماء من بعث بها ، ثم وصح الحبايه ، وكان بمصر فقوم
 بعدوا المظل وكسر الحراج ، فبدأ يوحل قلوته ، فقال والله لأنؤدي ماغيبك من
 الخراج إلا في بيت المال بمدينة السلام ان سلمت قال: فلما أؤدي ، فتحمل عليه ،
 فعلى تد جلب ولا أحب ، فأشخصه مع رجلين من الحند ١٠٠ فكتب معهم إلى الرشيد ،
 إنني دعوت بفلان بن فلان ، فطالبته بما عليه من الحراج ، فلواسي ، واستنظسرتي ،
 وأنظرته ، ثم دعوته فدايع وقال إلى الانطاط ، فأثبت ألا يؤديه إلا في بيت المال بمدينة
 السلام ، وحمله ما عليه كذا وكذا . قال فلم يلوه أحد بشي من الحراج ، فسادى
 الحراج النجم الأول ، والنجم الثاني ، فلما كان في النجم الثالث ، وقعت المطالبه
 والمظل ، فأحضر أهل الخراج والمجار فطالبهم ، فدفعوه ، وشكوه الصلقة ، فأمر بإحضار
 تلك الهدايا ، التي بعث بها إليه ، ونظر في الأكياس ، وأحضر الجهد ، فصور
 ما فيها ، وأجرها عن أهلها ، ثم دعا بالأسقاط ، فسادى على ما فيها ، فباعها ، وأجرى
 أنصافها عن أهلها ، ثم قال يا قوم حفظت عليكم هداياكم إلى وقت حاجكم اليها ،
 فأدوا إليكم مالا ، فأدوا إليه ، حتى أعلو حال مصر فاحسروا ، ولا تعلم أنه أعنى مال
 مصر غيره (١).

فإذا كان الرشيد وماله هذه سياحتهم وإدارتهم ، فلا بد أنه أحد بمرمظهم
 المرحات القاضي أبي يوسف إن لم يكن كلياً ، وقد سمي الثاني أباه " أيدم المروى "
 لسمارتها ، وكثرة خبرها وخصها ، وكانت دونه كما يقول ابن طبطبا . " كانت دونه
 الرشيد من أحسن الدول ، وأكثرها علماً وروفاً وخيراً ، وأوسعها رقعة ومنهجه ، جسي
 الرشيد معظم الدنيا ، وكان أحد عماله صاحب مصر ، ولم يجمع على باب خليفة من

« وأنطقت انحنه . يقال جامعا لطفه من علان ، أي هديفاً ، ولأنطقت الهدايا
 وتكون في المال من المأكول والمشروب والمشموم ، هاشم صفح ٢١٢ من كتاب
 الإسلام والعمرارة الحربية ، الجزء الثاني . »

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفح ٦١ ، مصر
 أحداث صفح ١٧٦ هـ .

العمدة ، والشعر ، والعقب ، والقراء ، والقصة ، والكتاب ، والمدماء ، ما جمع على باب الرشيد ، وكان يصل كل واحد منهم أجزل حلة ، ويؤخذ إلى أعلى درجه ، وكان فاضلاً شاعراً ، راوية للأخبار والآثار والأشعار ، صحيح الدوق والمميز ، مهيباً عند الخاصة وسامية ^(١١) .

وكان الحليفة الحماسي هارون الرشيد ، يُعاسب عبّاله إذا لم تمنح سياستهم الخراجية ، ولم ينجحوا في إمداد البلاد ، وتعميم الرخاء على الرعية " فلما دخل عليه عامله بدمشق ، يرفق في قيده ، قال له الرشيد : ولبيك دمتق وهي جنة بستان عذر ، تنكفأ أمواجها على رهاص كالزراعي ، ولرده منها كفايات المؤن إلى بيوت أمواله ، فما برج بك السعدي لأغاثهم فيما أمرتك ، حتى يحلبوا أحرار من البحر ، وأوجش من القفر . . . " ^(١٢) .

كتب أن كتاب الحليفة الحماسي هارون الرشيد بخطه وبمه إلى هريفة بن أعين حين ولاه نجر خراسان وأصفه وخواجه ، ليو دليل وأصح على أن الحليفة الحماسي

(١١) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ص ١٥٢ ، ١٥٨ . وجاء في كتاب الإسلام والحصارة العربية ، الجزء الثاني صفحة ٢١٢ ماضي (ولقد كان الرشيد أشد ما يكون من الانبعاث ، لكل حادق وحل من شؤون الملك ، ومن أشد الملوك محناً عن أمرار رعيته ، وأكثرهم بها عناية ، وأحسهم مهيباً أمراً ، يطمع الرجال ، ويعلم عن مساوي سجن من رجاله ، ويسمى في عسكره البلاد ، ويكف الأذى عن الرعية ، ويأخذ بأيدي العمدة ، ويجمع إليهم ، ويأمن بهم ، ولما رأى أن ملكه في خطر محقق من بخود من برملك ووزرائه وحاشيته ٠٠٠ أمر بالقصاص عليهم ومصادرتهم وقتلهم بوجه فرس ٠٠٠ والفرس يحاولون منذ القرن الأول ، أن يمددوا الملك لهم مرسياً ، ويخرجوه عن مبعثه العربية ، ومثأت من قتلهم قصة طويلة ، بداها ولحمها العبدية بل الاختلاقي ، شمل الرشيد بها السلي من نفسه ، وعن سياسة بلاده) .

(١٢) زعفران ، جمع المدير ، وهي الفطحة من الماء بمادتها السيل . أي يتركها . جاء ذلك في لسان العرب لاسي منظور ، صفحة ٣٢١٢ ج ٤ مادة عذر . من كتاب الإسلام والحصارة العربية ج ٢ صفحة ٢١٦ .

هارون الرشيد ، قد أعد باقتراحات العاصمي أبي يوسف حيث يقول في كتابه " هـ
 ما عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين إلي هرمقة بن أعين ، حين ولاه شعر حراسان
 وأعماله وحراجه ، أمره بتقوى الله وطاعته ، ورعايته أمر الله ومحبته ، وأن يحفظ
 كتاب الله إماماً في جميع ما هو بهيوله ، فيحذر خلاله ، ويحرم حرامه ، ويقف عند
 مناهجه ، ويحال عنه أولي العقه في دين الله ، وأولي المنع بكتاب الله ، أو يبرده
 إلى إمامه ، لمؤبه الله عز وجل فيه رأيه ، ويعزم له على رشده .

.. فاعمل بأباحاسم مما عيشت إليك ، فزني آثرت الله وديني على هوي ، وارادني
 وكذلك فليكن عملك ، وعنيه فليكن أمرك ، دبر في عمار الكور انديس نمر بهم ، في
 صعودك مالا يسوحش معه إلى أمر يرهيبهم ، وظن يرهيبهم ، واسط من آمان أهل دينك
 الشر ، ومن أمانيهم وعدهم ، ثم تعمل بما يرمي الله منك ، وحنيفه ، ومن ولاد الله
 أمره إن شاء الله . هذا عهدي وكتابي بخطي ، أشهد الله ولائكنه وحمدة عرشه ،
 وسكن مساوانه بوكحي بالله شهيداً ، وكتب أمير المؤمنين بخط يده ، ثم يحمسه ولا
 الله ولائكنه " (١)

وقد اتفق معظم المؤرخين على أن الحلقة المباشرة هارون الرشيد كان يصلي
 في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا إلا أن يصرح له علة ، وكان يمدق من صلب
 مائه في كل يوم بألف درهم بعد ركائه ، وكان إذا حج ، حج معه مائة من الفقهاء
 وأبنائهم عواداً لم يحج أحد ثلاثمائة رجل بالمنفقة المأهولة ، والكسوة الباهرة ، وكان
 يقضي آثار المصور ، ويطلب الممثل بها ، إلا في بدل الحال ، فإنه لم ير خليفة فيه ،
 كان أظلم منه للحال (٢)

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٠٢ أحداث
 سنة ١٩١ هـ .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ، الجزء الخامس ، صفحة ١٢١ ، وتاريخ الأمم
 والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١١٢ ، أحداث سنة ١٩٢ هـ
 وعند ذكر بعض سير الرشيد ، وكذلك في العجري في الآداب السلطانية والدون
 الإسلامية ، صفحة ١٥٥ ١٥٠ وغيرها من المراجع والمصادر .

وخليله هذه معاته ، لا بد وأنه أحد معظم اقتراحات القاضي أبي يوسف ،
الذي اقترحه في كتابه الخراج ، وسحدث إن شاء الله في الباب الثاني من هذا
البحث عن معقات الدولة لحفر القنوات والقرع ، وبعد نظره في المحافظة على هذا
الحورد الهام الخراج في عهده .

كما أننا سنسأل في نهاية هذا الفصل قوائم الخراج ، في عهد الرشيد ،
وكم وصلت آثار عهده ، والتي كان لها أثر بالغ في الرواج الاقتصادي بالدولة
العباسية بحامه ، وفي بغداد بحامه ، لدرجة أن قال هارون الرشيد لسحابة رآه بها
وهو مستلقي " امطري حيث شئت ، فإن حرامك ساعدي " .

الخراج في عصر الخليفة الأمين والخليفة المأمون :

كانت الولايات النابغة للخليفة محمد الأمين يؤدي الخراج إليه فبمجرد الفتنة^(١) تم إى الحرب الأهلية التي شنت بين الأخوين الأمين والمأمون ولتسبب في الخليفة العباسي هارون الرشيد ، أدت إلى نتائج مالية سيئة وعموماً باستنزاف لمورد الخراج بحاسة ، والموارد الأخرى بحاسة .

ذلك أن إقصاء الدولة العباسية إلى إقليمين متحاربين ، أدى إلى إضعاف من تدبير الأمور الداخلية ، ومراقبة الحياة ومثال الخراج ، وبالتالي كانت النتيجة الحتمية ، نقصان الخراج ، وإرتباك الدولة .

وبالمقارنة بين قيمة الخراج في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد كما أورده الجيشاري^(٢) وقيمة الخراج في عهد الخليفة العباسي المأمون كما أورده قدمه ابن جعفر^(٣) يتضح لنا أن حصة الدولة قد إنخفضت بحوالي ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ درهم ، بسبب الحرب المثار إليها ، وما أدت إليه من فتن وإضطرابات ، وما أسفرت عنه من إغراق للدواوين ، وذلك في سنة ١٩٧ هـ . بحيث تم سفلر الأمور ، وينظم الخراج ، إلا في سنة ٢٠٤ هـ ، التي تعتبر أول سنة يوجد حسابها في الدواوين ، كما أشار إلى ذلك قدمه بن جعفر^(٤) .

- (١) حاء في فتوح البلدان صفحة ٢٤٠ عند الحديث عن فتح همدان. ولم يزل مرة بن الرديمي يؤدي الخراج عن سمر في أيام محمد الرشيد على مقاطعة قاطعة عليها إلى أوقعت الفتنة .
- (٢) كتاب الزهراء والكتاب استءاء من صفحة ٢٨٩ وحتى صفحة ٢٨٨ ، ويستأول هذه القائمة في آخر هذا الفصل بالدراسة والتحليل .
- (٣) كتاب الخراج وصحة الكتابة ، عند حديثه عن أول سنة يوجد حسابها في الدواوين سنة ٢٠٤ هجرية ، ابتداءً من صفحة ٢٢٦ وحتى صفحة ٢٤٠ . وبالطبع سوف تتأول هذه القائمة أيضاً في عهد المأمون بالدراسة والتحليل في آخر هذا الفصل .
- (٤) وفي ذلك يقول قدمه بن جعفر صفحة ٢٢٦ ، ٢٢٧ : (ولست بدى بذكر إرتفاع الموائد بحسب ما هو عليه في هذا الوقت ، وعلى عبرة سنة ٢٠٤ وهي أول سنة يوجد حسابها في الدواوين بالحصرة لأن الدواوين أحرقت في الفتنة التي كانت في أيام الأمين ، المعروف بابن ربيعه وهي سنة ٨٢) وقد صحح المأثر سنة ٨٢ إلى سنة ٩٢ في هامش الكتاب ، والصحيح سنة ١٩٧ هـ .

ومن العوامل والأميات المباشرة التي أدت إلى قلة إيراد مورد الخراج أن الدولة العباسية ، إتجهت في ذلك الوقت إلى منح بعض القواد حكم مناطق واسعة من أراضيها ، كما فعل الخليفة المأمون ، حين ولي طاهر بن الحسين خراسان وما يتبعها سنة ٢٠٥هـ^(١) ، وكان هدف الخليفة العباسي المأمون ضبط القسم الشرقي من الدولة ، ومنذ عام ٢٠٥هـ ، صار ولاية خراسان وما يتبعها وراثية في آل طاهر ، فبقيت كذلك إلى ما بعد منتصف القرن الثالث الهجري ، وكان آل طاهر محصين لبيي العباس ، يُعونون لهم الخراج ، ويدافعون عن الثغور ، ولكن ولائهم هذه الأراضي الشاسعة ، أدى إلى عدم السيطرة بدقة على البيعة والخراج ، وتحسين أحوال المزارعين ، وخطر القنوت والتمرد المطلوبة ، مما أدى في النهاية إلى انخفاض مورد الخراج ، ويبدو أنه من الخطأ القول بأن ولاية الطاهريين عكست خراسان وما يتبعها ، أدى إلى قيام دولة إقطاعية ، أو أنها قامت على ترسيم من دولة بني العباس ، بل كان الطاهريون في عناية الإخلاص للدولة العباسية ، يستوردون الخراج للدولة العباسية ، لدرجة أن عهد إليهم بشرطة بمقدار نفقاتها ، لنظرهم ثقة ببي العباس فيهم^(٢)

هذا ومن العوامل التي أدت إلى قلة جباية الخراج ، تخفيض خراج بعض مناطق الدولة العباسية ، ففي غمرة الخلافات بين الأخ وأخيه ، بين المأمون والمأمون جند المأمون من خراسان رُبع الخراج^(٣)

(١) تاريخ الأمم والملوك المجلد الخامس ، الجزء العاشر صفحة ٢٥٥ ، ضمن أحداث سنة خمس ومائتين وجاء فيه (فمن ذلك تولية المأمون فيها طاهر بن الحسين من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق) .

(٢) الخراج والمظن المالية للدولة الإحصائية صفحة ٤٦١ .

(٣) العيون والحداث في أخبار الحقائق ، صفحة ٣٢١ ، وجاء فيه (ثم إن لمأمون ، رُبع المظالم ، وأكرم القواد ، وأبناء الملوك ومنى العباس ، وإسماعيل قلوب الرؤساء ، وحط عن خراسان رُبع الخراج ، فحسن موقع ذلك ، وسروا به ، وقالت الخراسان ابن أخنسا ، وابن عم الممي (علي الله عليه وسلم) ، العالم الحادل الراهد) ، ومثل ذلك في كتاب السوراء والكتاب معحه ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

كما أن مرار تحفيص الخراج عن المواد سنة ٤٢٥ هـ ومقاصصهم على الحمسين^٣ بدلاً من المصنف^(١) كانت بدايته طيبة لعهد الخليفة العباسي المأمون ، ولكن هذا القدر كان من العوامل التي أدت إلى قلة جباية الخراج .

ويذكر الطبري أن المأمون ، إتحد الخدير الملح^٤ وهو عشرة مكاكيك ، بالمكوك الهروي كيلاً^(٢) مرسلاً .

ويذكر القاضي الخراء أن الخليفة العباسي المأمون إستحدث درعاً سماه معرفت بالذراع السامونية^(٣) .

كذلك فإن الخليفة العباسي المأمون لما أقام بخرى^٥ ، أثناء سيره إلى الري ، سقط عن أهلها من الخراج إثنتين مئتين مبرهما التي ألف درهم^٦ ، وكان ذلك في عام ٢٠٣ هـ^(٤) وطبع أهل قم في سبيل ذلك ، وسأله المأمون أن يستدعهم شيئاً من خراجهم ، فلما رفض الخليفة المأمون ، إمتنعوا عن أداء الخراج ، فوجه

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٥٥ ، ومثل ذلك في العنبري في آداب السلطنة والدول الإسلامية صفحة ١٢٥ ، وكذلك في البداية والنهاية المجلد الخامس ، الجزء العاشر صفحة ٢٥٦ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٥٥ ، وكذلك في البداية والنهاية المجلد الخامس ، الجزء العاشر صفحة ٢٥٦ وجاء فيه (وضعه القدير المنجم وهو عشرة مكاكي بالمكوك الأهوزي) .

(٣) الأحكام السلطانية ، صفحة ١٧٤ ، والذراع السامونية ، يتكون بالذراع الموداء دراهميس وتسعي ذراع وثلاثه أمانع ، وأول من وضعها المأمون ، وهي التي يتعامل الناس بها في ذرع البريدات والكور ، وكري الأنهار ، والحفاش .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٥٦ ، من أحداث سنة ٢٠٣ هـ وجاء فيه (ورجل المأمون في هذه السنة من طوس يريد بغداد ، فلما صار إلى الري ، أسقط من وظيفتها ألفي ألف درهم) . وجاء مثل ذلك في كتاب بحارب لأسم ، لابن مكيه ، الجزء السادس صفحة ١١١ ، من أحداث سنة ٢٠٣ هـ ، كما جاء في فتوح البلدان صفحة ٢١٦ عند الحديث عن فتح الري وقومس ولم يزل وظيفه الري إنسي عشر ألف ألف درهم حتى مَرَّ المأمون بها فصرعها من حراسان يريد مدينة السلام فأسقط مئتين وظيفتها ألفي ألف درهم وأسجل بذلك لأهلها) .

المأمون لمحاربهم علي بن هشام بم أمدد يعطيه بن عبيد ، فحارب أهل قم وهدمها
سورها ، وجعلها سبعة ملايين درهم (سبعة آلاف ألف) بعدما كثر يتظلمون
من النبي ألف درهم ^(١) وكان ذلك سنة ٢١٠ هـ .

ومن الأعيان التي أدت إلى نقص الخراج ، ما أشار إليه ابن مكيه من أن
الحنيفة المأمون أول ما قدم العراق فطر أن يقلد الأعمال إلا للشيعة الذين كانوا
معهم من حراسان ، مما أدى إلى تعطيل أعمال الدواوين - إذ ظالت عطلة كتاب
السواد ، وعملاته ، وكانوا يحضرون دافره في كل يوم حتى ساءت حال أكرهم ٠٠٠ -
ولم يكن هؤلاء الشيعة - يصلحون إلا لحفظ ما تحصل إستخراجه ، وصار في أيديهم ،
وأما شروط الخراج وحكمه ، وما يجب تسجيل إستخراجه ، وما يجب تأخيرها وما
يجب إطلاقه ، وما يجب معفه ، وما يجب إنقائه ، وما يجب الإختصاص بسببه ،
لما يعرفونه ٠٠٠) ^(٢) فأمر المأمون بتقليد عمال السواد وكتابته أمر الخراج ، وأن يصم
إلى كل واحد منهم واحد من الشيعة .

كان الحليفة العباسي المأمون يحاسب عمال الخراج محاسبة دقيقة ، فعند
حرب آل عمارة الذين عرفوا بآل الجلفندي ، وكانت لهم مملكة مريضة ، ومباح كبيرة
وقلاع على سيف البحر بفارس ، وكانوا مسيطرون على شاطئ الخليج العربي مسن

(١) محارب الأمم لابن مكيه ، الجزء السادس صفحة ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ومثل ذلك في الكامس
في التاريخ الجزء الخامس صفحة ٢١٢ من أحداث سنة ٢١٠ هـ وبعد ذكر حلع أهل قم ، وقم
بهم القاتل وتبديده الميم بين أصبهان وبين ساوه وأهلها شبعة . وهذا في فنون بلدان
صفحة ٢١١ (وكان المأمون وجه علي بن هشام المروزي إلى قم ، وقد عسا أهلها ، وحالفوا ،
ومنعوا الخراج ، وأمره بمحاربتهم ، وأمدد بالجيوش ، ففعل ، وقتل رؤسهم وهو يحيى
ابن عمران ، وهدم سور مدينتهم وألفقه بالأرض ، وجعلها سبعة آلاف ألف درهم وكسراً ،
وكان أهلها قبل ذلك يتظلمون من النبي ألف درهم) .

(٢) محارب الأمم ، الجزء السادس ، صفحة ٤٥٠ ، ٤٥١ .

حبه إقليم فارس ، جهتم ماروا عليه ، وقطعوا عوائد منقطعهم من بيت اتصال^(١)

كما يروى ابن طيمور أن الخليفة العباسي المأمون (حين قحطبه بن الحسن
الهمداني ، والي الجبل ، لأنه قهر في جمع خراجها)^(٢)

كذلك فإنه عاقب أهل قم ، حين إسمعوا عن أداء الخراج كما مر بنا^(٣)

ولقد يكون الخليفة العباسي المأمون ، قد إنبع هذه السياسة الدقيقة فسي
محاسبة الخراج وعمله ، حتى لا يكون ذلك سبيل عبرهم في الاحتجاج على تقدير
الخراج وجبايته

وكان الخليفة العباسي المأمون قد إنبع نحو تطبيق السبب الي حددها
الطامي أبو يوسف أيام والده الرشيد للخراج ، وذلك على نطاق واسع ، وولي جباية
خرج السواد للطاقم بن إبراهيم أخي الطامي أبي يوسف ، فباشر عمله بمدن وأمانة^(٤)

ويذكر ابن كثير أنه عندما سكنت النفس ، وإنراحت الشرور في عهد الخليفة
العباسي المأمون ، طغى المأمون خراج بلاد كثيرة ، وأرقق مائتات في مواضع كثيرة^(٥)

ويذكر المفريدي أنه عندما ولي الخليفة العباسي المأمون أحاء المعتمد على
مصر ، قام المعتمد بتولية صالح بن شيرازاد على خراج مصر ، (فظلم الناس وراود

(١) المسالك والممالك للأعطري ، صفحة ٨٥ ، ٨٦ - وجاء فيه

(ومهم أبو حنيفة أندي خرج مملها على فارس ، يدعو إلى نفسه ، حتى يمسك
بمأمون من خراسان مجيد بن الأشعث ، فواقعه في صحراء كس من شيراز ، وفرق
حيثه وقتله) .

(٢) كتاب بعداد ، صفحة ٩٨

(٣) أنظر صفحة ٢١٩ .

(٤) كتاب الأوراق ، للصولي صفحة ٢٠٦

(٥) البداهة والمهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٥١ ، وجاء فيه

(ووضح - المأمون - شيئا كثيرا من خراجات بلاد شتى ، ووفق بانداس فسي
مواضع كثيرة) .

عليهم في حراجهم ، فاستقى أهل أسفل الأرض وعسكروا^(١) فأرسل إليهم حينئذ فحارسوه ، فأنهروهم ، وهكذا قام أهل الخوف - وهم عرب مصر - بسورهم عتيقه ، ثم بدأ إلا بضمير الخليفة المأمون بنصره ، وذلك لشعورهم بعدم مساواتهم مع أهل السواد الذين تم تخفيض مقدار الخراج لهم . وقد احتج أهل الخوف لأكثر من مرة في العصر العباسي الأول على مقدار ضريبة الخراج ، سواء في حالة الريادة أو المحاسبة الدقيقة أو إجراء مسح للأراضي الرديئة . ومن ذلك خروجهم أمام الخليفة المهدي ، كذلك خروجهم في عهد هارون الرشيد سنة ١٧٨ هـ ، وفي سنة ١٨٦ هـ ، وفي سنة ١٩١ هـ^(٢) وكذلك خروجهم في عهد الخليفة المأمون سنة ٢١٤ هـ^(٣) ومن هنا يسمح لنا أن جباية الخراج ومقداره لم يكن ثابتاً وكان يختلف باختلاف الملهدان.

الخراج في عهد الخليفة المستعصم والخليفة الواثق بالله :

وفي خلافة المستعصم ظلت جبايات الخراج على حالها ، غير أنه كان يعمل على ربايتها عن طريق العملة ، وكان يذول (ين في العمارة أميراً محبوسه ، فأولها عمران الأرض التي يحيى بها العالم . وعليها يركز الخراج ، وتكثر الأموال ، وتكثر المباني . ويرجع الأسرار ، ويكثر الكم ، ويتبع الصنائع ، وكان يتسول نوربه محمد بن عبد الملك إذا وجدت موصفاً ، من أنفقت فيه عشرة دراهم جامني بعد سنة أحد عشر شهراً ، فلا تؤامرنني فيه)^(٤) .

وفي هذا القول للخليفة المستعصم دليل على حرصه على أمور الدولة المالية ، ومما يسه الكبرة والغثافة بالاستثمار ، لذلك نجد أنه حينما توفي سنة ٢٢٧ هـ كانت تركته ثمانية آلاف ألف درهم^(٥) . ومن اهتمامه بحملة الأرض ما ذكره العقري في

(١) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول صفحة ٣١١ .
(٢) (٢١) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، صفحة ٨٠ ، ٢٠٩ .
(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الرابع ، صفحة ١٢ .
(٤) العقري ، صفحة ١٨٦ .

في كتابه (ولما فرغ المعتصم من الحفظ ، ووضع الأساس لبناء في الجانب
الشرقي من دجله وهو جانب سُورَمَنْ رأى عقد حصاراً إلى الجانب الغربي من دجلته
مُنشأ هناك الممرات والبساتين والأحسة ، وجعل الأشجار من دجله ، وصير إلى كل
قناة عمارة ناحية من النواحي ، وجعل المحل من بغداد والبصرة وسائر السواحل
وجعلت العروس من الحريرة والشام والحبل والري وخراسان وسائر البلدان ، فكثر
الماء في هذه العتلة ٠٠٠ وكتب الأرض مسويحة ألوف سبعين - فركا كل ما عرس
فيها ، وزرع بها حتى بلغت علة الممرات بالمهر المعروف بالاسحاقي ٠٠٠ وجرح
الزرع أربع مائة ألف دينار في السنة (١)

وكان عبد الله بن طاهر والياً على حراسان ، والأعمال المصنوعة إليها
ومنها طبرستان في عهد الخليفة المعتصم ، معجداً بحراجها كلها

وفي عهد الخليفة المعتصم إسنج (مايرديار)^(٢) ودي طبرستان و لرويان
وديناموند عن دفع الحراج ، وكان في البدايه ماضراً آل طاهر ، لا يحمل إليهم
بحراج ، بل يرسله مباشرة إلى الخليفة المعتصم ، ثم بعد ذلك عمي وكفر ومسم
عن دفع الحراج كليلة لا إلى آل طاهر ولا إلى الخليفة ، فثمل إليه المعتصم ميدانه
ابن طاهر الذي سهر جيشاً بقيادة عمه الحسن بن الحسين بن مصعب فهزم (مايرديار)
وأسره وحمله إلى سمرقند وأتى وأتى بأبيه - (وبلغت غلات وسفلات سمرقند وأتواها
عشرة آلاف درهم في السنة في عهده) - (٣)

(١) كتاب البلدان لديمقوبي ، صفحة ٣٦٤ .

(٢) ما يرد في بن قارن بن وندهر ، ولاء الخليفة العباسي المأمون طبرستان و لرويان
وديناموند بعدما أسلم وسماه محمداً ، فلم يزل والياً على وفاة المأمون ، وأقره
المعتصم على عمله ، ولكنه كفر وعذر بعد سنة من أشهر من خلافة المعتصم ،
فكتب إلى عبد الله بن طاهر بن الحسين لأبيه ، فأسره وسعت به إلى سمرقند
رأى سنة ٢٢٥ ٠٠٠ صوح البلدان للبلاذري صفحة ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، وذكر الحادثة
بالمفصل في تاريخ الأمم والملوك ، المحل الخامس ، الجزء العاشر صفحة ٣١٨ وما بعدها

(٣) كتاب البلدان ، الديمقوبي ، صفحة ٣٦٢ .

على الخليفة العباسي الوثائق بإشراف على الشؤون المالية في الدولة ، ومن أهم الأحداث المالية في عهده ، محاسبته للكُتَّاب والعمال محاسبه شديده ، ومصادريه للأموال التي يتك فيها ، ومتحدث إن شاء الله عن ذلك بالتفصيل في فصل المصادر بـ ، ولكمما يعمل من خلال حوادث المصادر التي كانت في عهد الخليفة أدوات إلى نتيجة مهمة جداً . هي أن الدولة لم تعد بأسس عماليها ، وكتبت دولويته على أموالها ، ولم تترك لهم التحمل على الخراب بل سخر عهد الخليفة بضمم وخصخصة الوثائق بالمحاسبه الشديده لهؤلاء العمال .

كما عمل الخليفة الوثائق على تحقيق عبء الضرائب على الناس حيث أمر سنة ٢٢٢ هـ بترك جبايه أعتار سعر البحر ^(١) ، وكان المقصود من هذا الإجراء تيسير أمر التجار والسحاره والتموين .

وليس بين أيدينا ما يدل على أن الوثائق أحدث تغييراً على السياسة الجراحيه التي كانت متبعه قبل . ويبدو أن الجبايه قد استغرت في عهده إلى حد كبير . فقد قدر له في سنة ٢٢٢ هـ " ما يرفع من الخراج والمدقات سوى الحميات والتجديات من جميع المملكه . فبلغ أرمي ألف وثلاثمائة ألف ومئتين ألفاً ومئتين وأربعه ومئتين ديناراً ونصفاً (٢٦٤ ٢٢٠ ٢٢٢) دينار " ^(٢)

هذا وقد ذكر المسعودي أن خراج الكرخ كان ثلاثة آلاف ألف وأربعمائة ألف درهم . ثم انخفض في عهد الخليفة الوثائق فبلغ ثلاثة آلاف ألف . وبلاستاته ألف درهم ^(٣)

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد السادس ، الجزء الحادي عشر ، صفحة ٢٤١ وجاء في تاريخ اليعقوبي ، ٢م صفحة ٤٨٢ مائتي :
" وعرف الوثائق أموالاً جمه بمكة والمدينه وسائر البلدان " وأعتقد ما كان يؤخذ من يرد في بحر الصين من المُشرا .

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم صفحة ٦٨ .

والحميات : كما جاء في هامش نفس المدة صراحة .

(٣) كتاب البلدان ، صفحة ٢٢٢ والكرخ بالقرب من نهاوند ببلاد العرس .

ومما تقدم يضح لنا أن نظام الحيازة ومقدار الخراج لم يكن ثابتاً خلال العصر الأول للدولة العباسية ، وإنما جمع لظروف سياسية واقتصادية ، اختلفت من عهد إلى عهد ، كما اختلفت باختلاف البلدان .

وتُعتبر قائمة ابن خردادبه ^(١) ، أفضل بيان لحيازة الخراج في عهد الواثق والمعتز لأنه استقاها من العمل بن مروان ، صاحب ديوان الخراج ، في عهد الواثق ، وهذا بلغ مقداره الخراج في عهده (٨٤٠م-٨٥٥م-٨٧٤م) ^(٢) ، وهو بذلك يُقل بحوالي (١٠٠٠ ر. ٥٩٠) درهم عن قائمة قدامه بن جعفر ، التي تمثل الخراج في عهد المأمون ، والمتضمن ، غير أن الأمر المدهش بالملاحظة أن ابن خردادبه لم يطور في دائمه الخراج مبدد من المعدل ^(٣) ، كما أن التقديرات التي ذكرها لم تكن له وحدة ، فجاء تقدير بعض مناطق أكثر مباحاً في قائمة قدامه بن جعفر - وفقاً عن ذلك فاس خردادبه أورد في قائمته الخراج المحلي لبعض المناطق ^(٤) .

ونسأول قوائم الخراج بالتفصيل في سبابه عد الفصل إن شاء الله تعالى .

(١) المسالك والممالك ، من صفحة ٧ وحتى آخر الكتاب .

(٢) الخراج والمظم المالية ، صفحة ٥٢١ .

(٣) مثل ماء البصرة وطريق الفرات ، وطبرستان ، وقد مر الدكتور محمد صبيح الديس الرئيس ذلك الصواب أن ابن خردادبه عني بالمعلومات الجغرافية ، وذكر المسالك ونظري ، وكان يذكر خراج الأقاليم عرساً خلال ذلك ، ويمرر كذلك الرأي أن تقديرات الخراج كانت متمايزة ، خلال وصفه للبلاد والسواحي

(٤) مثل خراسان وسجستان .

ديون الجراج في العصر العباسي الأول

منذ أن صار قلدونه الإسلامية أملاك حاصلة بالحريرة العربية عند فتح خيبر^(١) ، كان لابد من شئ، إداره حاصه لتلك الأراضي ، تحتوى على السجلات والدفاتر ، مبيها بها مقدار صلاحه تلك الأراضي والأملاك ومايرزق فيها ، ثم المحاسبه عليها وعلى الرغم من عدم اهتمام المؤرخين العرب بالحديث عن المواجهي الاقتصادية بمفقه عدسه مثل الوثائق والمسمدات العاليه ، إلا أنه وجد اهتمام بدوين ديون الجراج في قدره البحث الذي نحن بصدده^(٢) .

أما بالنسبه للمناطى والحيات التي تم سحبها ، فقد كان الجلاء عند عهده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يعيرون بلجبايه جيب عمالا مستقيين عن الولاة وانطواء ، وادراً ماكانو يكلون أمرها إلى أساس أو رجاء لهم در يد وخبرة بهذا الشأن . وقد أطلق على هذا العنفل ، الذي كان يقوم بجبايه الجراج ، أو بالأحرى بجميع مهام منصبه ، مسملاً استغلالاً مأماً عن الأمير اسم "صاحب الجراج"^(٣) .

(١) كان فتح خيبر بمعه عموه ، واليهض الآخر . وهي الأكثر - مبعاً على الجلاء - وقد تسمها النبي صلى الله عليه وسلم . فلما هارت لأموال في يديه ، لم يكن به من العمال من يكفه عمل الأرض ، فدفعها إلى اليهود يعملون عليها مقابل نصف ماخرج منها ، ثم بول على ذلك حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، فلما كان عمر وكثر المال في أيدي المسلمين ، وفروا على عمارة الأرض ، أعلن اليهود إلى الشام ، وقسم الأموال بين المسلمين فخرج البلدان ، صفحة ٢٩ ، ٤٠ - وكان مدالله بن رواءه يذهب كل سه يستدبر الصمولى ، وجباية نطقه .

(٢) أما الزاى الذي لايرجح وجودها ، فيعتمد على أساس واحد . هو أن المال كان يقسم أولاً بأول .

(٣) مختصر تاريخ العرب والتمدن ، صفحة ١٦٤ . وكذلك في تاريخ العرب (حتى) ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٩٢ .

صاحب الحراج

كان من أهم شروط احتيلار صاحب الحراج (عامل الحراج) أن يكون من أهل
 الصلاح والدين ، والأمانة والفقه والملم^(١) ، عارفاً بالسطوح والمساحة ، جبيراً بالحساب
 والمقاييس ، وهو نفس الصفات التي كانت مشروط في العاملين معه في ديوان الحراج .
 " ومن لوازم هذا الديوان معرفة المساحة والحساب والصرب ونقطة ، والأمانة^(٢)
 والمداينة ، ثم أخذ الحق ، ولا يهين ، ولا يهين ، لأن النصف سريح المصرة وهراب البلاد"
 وكانت هذه الشروط تختلف باختلاف الوظيفة الحراجية كما أوضح الماوردي في
 كتابه .

أوعامل الحراج^٣ بمسرفي محلة ولايته ، الحريه ، والأمانه ، والكفايه ، ثم يختلف
 حاله باختلاف ولايته . فإن سولي وضع الحراج أصغر منه أن يكون فيها من أهل لاجنباء ،
 وإن ولي جهته الحراج ، محنت ولايته وإن لم يكن فيها مجسداً ، وكان أجر عامل الحراج
 وكذلك الصالح يستخرج من مال الحراج^(٤) .

(١) كتاب الحراج للقاضي أبي يوسف ، صفحة ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) آثار الأول ، الحسين بن عبد الله ، صفحة ٧١ .

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ، صفحة ١٧٢ .

ويستند الماوردي على قوله (وورق عمل الحراج في مال الحراج) على أن ورق
 عامل المدة في مال المدة من سهم العاطلين عليها ، فكذلك يجوز المسامحة
 وعمل الحراج . وجاء مثل ذلك في كتاب الأحكام السلطانية للمر . صفحة ١٧٢
 فقد كان يشترط في عامل الحراج الحريه والأمانه وأن يكون متقفاً في الأمور الدينية
 وهو ليس الحراج ، وخصوصاً إذا سولي وضع الحراج . لأن له حق يعطى في شكاوى
 الناس في المنطقة من تقديرات الحراج عليهم ، وعدم مظالمهم للقانون ، وكان
 على عامل الحراج أن يكون رقيقاً بالناس خلال عملية التقييم ، وأن يميز عليهم
 إذا عجزوا عن أداء ما عليهم ، حتى تتيسر أمورهم ، واشترط فيه المعرفة بالحساب
 وقوانين المساحة حتى لا يهبط في تقديرات الحراج أو يخطئ فيها .

كان صاحب الخراج يبدي بحيايه الخراج عند إدراك العطل ، وبصبح بــــــــــــــــار ، وكان اصباح الخراج في البدايه من يوم المورود^(١) وهذا اليوم كما يقول الجاحظ (ردى بدحول فعل الحر) واستيقان السنة ، واصباح الخراج ، وبوليه العــــــــــــــــان ، والاسدال ، وصرب الدراهم والدنانير ، وبذكيه بصوب النيران وصب الماء ، وتقريب القربان ، وإشادة البعيان ، وما أشبه ذلك^(٢) .

وكان الفرس يكتسبون الحسن للفرس بين منبها وبين سبه الشمس ، في كل ماشه وصت عشره منه شهراً^(٣) . وقد كان العرب قبل الهجره يمشي عام ويبف على عهد كمي يمشون ستمهم الهلالية التي يمشون احدى عشر يوماً عن السنة الشمسية ، فمر يرون عليها شهراً كل ثلاثة سنين ، لموافق السنة الشمسية يوماً ، وبصير الحج في فصل واحد من السنة

(١) يوم المورود : هو أول أفردي من ماه من شهر الفرس ، والثالث من كيهك من شهر القسط ، وهو آخر كانون الأول ديسمبر ، حتى رأي الحنيفه العباسي المصنف ان هذه الأوقات هي زمان الصبر على الرعيه ، فنقل المورود في جميع بلدان إلى النجاشي والمشرقي من خراسان و بوبوا ، حيث إدراك الممار والعطل ، وهو ما يعرف " بالمورود المصحف " آثار الأول صفح ٧٢ كما أن بعض المؤرخين يكتسبها المورود .

(٢) كتاب الباج في أخلاق الملوك صفح ١٤٨ ، ١٤٩ ، وجاء في صفح ٥٨ من نفس الكتاب أن هدية المورود كانت بحرم على الملك وتقوم ، وعمدت تصب ماشه فصاحب أو أراد أن يمني ماء له ، أو عرس يصعب له هديه فبسمين بها على ما تبينه ، كما أن هدية المورود كانت تصب في ميولن الخفاهة .

(٣) صبح الأعشى ، الجزء ١٢ ، صفح ٦٠ وجاء فيه أيضاً (عرف أن الشمس تقطع نفسك في ثلاثمائة وخمسه وسمين يوماً ، وربع يوم ، وأن الرود يكتس في كل أربع سنين يوماً فيطرحونه من العدد ، فيجعلون شباط ثلاث سنين متوابعاً لثانية وعشرون يوماً ، وفي السنة الرابعة يمشون من ذلك الربع اليوم يوم نام ، فيصير شباط ١ فمراير ١ سنة وعشرين يوماً ، ويسمون تلك السنة الكبيسه .

فلما جاء الاسلام يوم الغاء كل ذلك ، نشأ عن عدم كسب السيئ أن حل ميعاد
جباية الخراج قبل فتح الروم مما أمر بالمرارعة ، مع أن الشريعة الإسلامية السمحاء
تدعو لعدم جمع الخراج إلا بعد الحصاد وليس قبله^(١) .

لذلك فقد اجتمع الدهاقنة في زمن الخليفة الأموي هشام بن عبدالمطلب إلى حارس
ابن عبد الله النمري ، وشرحو له ذلك ، ولم يحفل به ، فأمر بدس ذلك ، وقد
حشى الخليفة هشام أن يكون ذلك من قول الله تعالى (إنما أنصمي ربهده في الكفر)^(٢) .
فلما كان أيام الرشيد اجتمعوا إلى يحيى بن خالد البرمكي ، وسأله في تأخير
المزور نحو شهر ، فعزم على ذلك ، فكلّم أعدائه فيه ، وفادى بسبب سجنه
بأصرب منه^(٣) .

وقد ذكر الفيلسفي (أن أول من أحر المبرور المموكل على الله ، أحد طينف .
بني العباس ، وذلك أنه بينما هو يطوف في متصد له ، إذ رأى رجلاً أحمر ، فقال .
قد استأدمني عبد الله بن يحيى ، في فتح الخراج ، وأرى الروم أحمر ، فقبل له
إن جباية الخراج الآن قدسرو بالماس ، إذ تلحقهم إلى أسهم بفرس مابؤدون كسي
الخراج ، فقال لهذا شيء حدث أو لم يزل كذا ؟ فقبل به بل حدث . . . فأحضر
المموكل حينئذ إبراهيم بن العباس ، وأمره أن يكسب عنه كتاباً في تأخير المبرور
بعد أن تحسب الأهام ، فوقع الاتفاق على أن يؤخر إلى مجيء وعشرين يوماً من حزيران^(٤) .

(١) فسر بعض المفسرين قوله تعالى في سورة الكهف آية ٢٥ " وابتوا في كهلهم
ثلاثمائة سنين ، وأرسلوا سعاً " . حتى يكون كل ثلاثمائة سنة شمسية ،
ثلاثمائة وسبع سنين هلالية ، ويهم من الآية أنه لا مانع من كسب السيئ ، طالما
أن تكسب يؤدي إلى المدالة ، وجباية الخراج بعد حصاد المبروريات .

(٢) صحيح الأعمش ، الجزء ١٣ صفحة ٦٠ ، والآية من سورة النوبة رقم ٢٧

(٣) المصدر السابق الجزء ١٤ ، صفحة ٦٠ .

(٤) صحيح الأعمش ، الجزء ١٣ صفحة ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .

لكن الخليفة المنصور انتقم ماأمر به الموكل ، فلما ربي المنصور آخره ربي بخدي والعشرين من حزيران ، حرصاً على مصلحة العلاجين^(١) .

كان الخراج يَحْيَى دمه واحدة ، وأحياناً على دحمين ، كما حدث في أحـراء كثيرة من طراسان^(٢) .

وقد عومل داخلوا الخراج معاملته حسنة في العصر الأول لسدوله بعباسية ، إذ منع الحلفاء استخدام القوة أو الخدعة مع الممتنعين منهم ، أو المتأخرين عن الدفع ، وخصوصاً بعد أن وضع الفاطمي أبو يوسف كتابه الخراج بأمر من الخليفة هارون الرشيد ، كما أن المباسيين صاروا على سياسة حكمه ترمي إلى مدد إرهاب الصراخيين بالمراتب

الدواوين المركزية والفرعية للخراج

كان بحاضرة الخلافة ديواناً مركزياً للخراج ، هو بمثابة ديوان المالية المركزي ، إذ كان يحتفظ فيه سجلات ، يدون فيها تقديرات خراج مناطق الدولة المختلفة ، وأنواع الأراضي بكل منطقة^(٣) وكانت مهمته جمع المراتب من ثمر السواد - أمشي ولايات الدولة - وتلقي المفادير الخاص من المراتب بالولايات ، بعد دفع المسحقات المطبوعة للولايات من دفع رواتب الموظفين ، ومواجه حاجات السفقات الأخرى^(٤) . وقد ذكر الخوارزمي أن السجلات والأعمال التي كانت تتم في ديوان الخراج هي :-

- (١) صبح الأمشي - الجزء الثالث عشر ، صفحة ٦١ ، ٦٢ .
- (٢) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ٨٧ .
- (٣) تاريخ الجملته الإسلامية في الشرق ، صفحة ١٢٢ فقد احتفظ بعباسيون في ديوان الخراج بمسجلين مدونين بها ، وتقديرات الخراج على مناطق الدولة المختلفة والمعدلات التي تحدث بها ، وتضمين أنواع الأراضي بكل منطقة ، أراضي خراج ، أراضي عشيرة ، صواني وغير ذلك ، حتى يرجع إليها في هذا الديوان والوزراء في حالة عمل قوائم الخراج ، ووضع مقديراته ومراجعه إيراداته ، وكان هناك نسخة بصورة من هذه السجلات في دواوين الخراج بالولايات
- (٤) الادلة العربية ، ص ١٠٧ حسي ، صفحة ٢٩٦ .

قانون الجراج :-

أي أصل الذي يرجع إليه ، ويسمى الجباية عليه ^(١) فقد كان يحتفظ في دواوين الجراج بيده المجلات التي يرجع إليها في تقدير مبد الجراج ومقداره ، ونفسه صدر الجبايات على أصلها .

الأوارج :-

ومعناها المنقول ، لأنه ينقل إليه من القانون ، ما على كل انسان . . . ويحصل منه ما يؤدبه دفعة بعد أخرى . إلى أن يسموه ما عليه ^(٢) ، إذاً عهد داصر يثبت ما يدفعه كل فرد . وما يسمى عليه ، وكان يرعى في داصر الأوارج ألا سرك سطور عالية من الأرقام حتى لا تسجل استعلا سباً ، وكان يُكَلَّم على هذه السطور بخطوط دعسي خبثها من البيانات وتسمى التراكبات .

الروكامج :-

يسيره كتاب اليوم . لأنه يكتب فيه ما جرى كل يوم من الجراج أو نفقه أو غير ذلك ، أي أنه كانت سجل فيه مفاد برحبايات الجراج اليومية ، والمفادات التي سقطت منها . وكانت تجري عملية مطابقة الإيرادات بالانصاف كل شهر ثم مرة واحدة في نهاية السنة ويطلق عليها الحنمة .

الحنمة ب

كتاب يرفعه الحبيب في كل شهر بالاسخراج والجميل والمفقات ، وسامل ، كأنه يضم حسابات الشهر .

الحنمة الحاسمة :-

ويعمل كل سنة مخبومه على كل ما هو سميت بالحنمة . وذلك لتصفية الحسابات الحاسمة لديوان الجراج ، وكان يحدث في كثير من الأحيان أن ينقص حسابات الجراج عن

(١) هرون الجراج كلمة يونانية مأخوذة . معاني العلوم . صفحة ٢٧

(٢) الأوارج إعراب أوله ، ومعناه المنقول .

الأصول الموضوعة لها ، بسبب بحر الفلاحين أو ثلث المحصول ، أو غير ذلك

التأريخ -

وصفاء أن ينظم المقعد لهذه أبواب ، ليسهل عدده بالحساب ، فكان اسم يكون معروفاً بعته دفعات الدين ^(١) .

الفهرست

تذكر فيه الأعمال والدعاوى التي تكون في الديوان ، وقد يكون لتأثير الأشياء ^(٢) .

العريضة -

شبهة بالتأريخ ، إلا أنها تعمل لأبواب يحتاج لأن يقدم الغرض بينها ، فيبتدئ أولاً من الأكثر من بابين منها ، ويوضح ما يفصل في باب ثالث ، وهو الباب المنصوص الذي تعمل العريضة لأجله . كأن تعمل عريضة للأصل والاستخراج ففي أكثر الأحوال ينطس الاستخراج من الأصل ، فيوضع في السطر الأول من سطور العريضة ثلاثة أبواب ، أحدها للأصل ، والثاني للاستخراج ، والثالث لفصل ما بينهما ، ثم يوضع في السطر الثاني والثالث والرابع ، إلى حيث انتهى تفصيلات الأصل والاستخراج لفصل ما بينهما ، وينتهي كل واحد منهما بأربعة باب ، وتنتهي جملة كل باب بحته ^(٣) . ومن هذا يعرف أنه

(١) التأريخ أو صفاء النظام ، لأنه كسواء يعمل للمقد ، لهذه أبواب ، يحتاج إلى علم جعلها . وأنا أقول أنه تفصيل من الأوزاج يقول لركبت تأريخها ، لأن التأريخ يعمل للمقد شبهة بالأوزاج . فإن ما يثبت تحت كل اسم من دفعات الدين يكون معقولا ، ليسهل عدده بالحساب ، وهكذا يعمل التأريخ مفتاح العلوم صفحة ٣٧ .
(٢) مفتاح العلوم ، معناه ٢٩ ، ومن الدعاوى والأعمال المستحقة في الدواوين ،
الذي يورثه نعمة الجماعة الصفولة من السواد . الترفيع خط بخط في التأريخ أو العريضة إذا خلا باب من السطر ، لكي يكون الترتيب محفوظاً ، وهو بحسب الصغر في حساب الهند الإيجيد . تفسيره المصنوع وهي لفظة معربة الأوشج تفسيره المظوي والمجموع وهي لفظة معربة أيضاً الذرور ذكر المباح وسواء الذي يثبت فيه مقادير ما يسهل من الأرتين .

(٣) مفتاح العلوم ، الخورزمي ، صفحة ٣٢ .

مرت المادة بثلاث حيايات للحراج في هذه العتباتي سمي عريضة يمين قيسيا
مقدار الأمل ومقدار ما جمع منه ، ويؤخذ الفرق بين المقدارين .

البراءة -

وهي حجة ببراءة الجهد أو الحزن للمؤدي بما يؤديه إليه^(١)

الموافقة والحامدة -

حساب جامع يرفعه الحامل عند قراءه من العمل ، ولا يسمي موافقه مالم يرفع
باتفاق بين الراعي والمرفوع إليه ، وإن انفرد أحدهما ، دون أن يوقع الآخر على
تفصيلاته سمي بحامدة .

من هذه الاصطلاحات المحاسبية الدفعية بمكس القوس ، أن ديون الحراج بهذه
التقسيمات ، كان يخضع ما هو مبيع في أحدث الإدارات المالية بيوم في وقتنا هذا

ومن الأمور المصطنعة كدلتالي تدفع الحراج ، أنه كان لكل ولاية ديون للحراج
يمنح ديوان الخراج المركزي في بغداد ، وكانت ديون الحراج في الولايات ، بمثابة
حواش للدولة ، يستوفى من مال الحراج ، الصفقات الراسية ، وأعطيت الحد ، ثم
يحمل ما يتبقى إلى بيت المال العام بمعية السلام^(٢) ، فكانت هذه الدواوين الفرعية

(١) وكانت هناك إدارة تعمل في إطار ديوان الحراج ، أطلق عليها إدارة الجبهدة ،
وسمى بمدير المرائب والرياداتالي تصاف إلى أهل معادير الحراج كمفتش
لمرائب عماله ، أو مخرجه جميعه أو كإمامات على المبالغ المتأخره منسبه ،
وبذلك كان الجبهدة التعامل في هذه الإدارة بالزعمون عمال الحراج ، وكثيراً
ما كانوا يمهملون على هذه الأموال الإسمية التي أطلق عليها " من الجبهدة"
وهي حملة الأموال التي يحصلون عليها من إضافات لأجود لها في الأصل بغير
تاريخ الحراج الاقتصادي صفحة ١٦٢ ، ١٦٤ .

(٢) حوار الأمم بالحرء الخامس صفحة ١٩٣ ، ١٩٤ وجاء في كتاب مطامير الحسوم
صفحة ٤٠ الصفقات الراتبه هي المايته التي لا بد منها وفي كتاب الخصصاره
الاسلامية لادم ممر مثل ذلك في الحرء الأول صفحه ١٩١ وفي هامش بعض
الصفحة أنه كان ولاية الموالي في الدولة البيرونية يتلقون الصفقات من جبهدة
دخل ولايتهم .

تقوم بجميع أعمال النفقات ، ومواجهه المكاييف كرواتب العمال ، والمقررات ، بسبويه
 ورواتب الجند وعطائهم ، وشفقات الأعمال ذات المالح العام ، والنفقات الطارئة ،
 وغير ذلك من مصروفات الدولة ^(١) - فكان ديوان الخراج يعيدو الإدارة المالية للولاية ،
 وهي كما نرى أنها إدارة غير مركزة .

وعنى ذلك فقد كان كل ديوان من دواوين الخراج في الولايات يتقسم إلى قسمين
 يشرف أحدهما على النفقات ، ويبرسل مايتبقى إلى بيت المال العام ، ويحاسبه الخلاء ،
 والباقي يشرف على الموارد ^(٢) . ولذلك فإن خزانة بغداد لم تكن تحصى إلا بدار الخلاء
 ومخازنها ، وشئون الدواوين بها ، وبالجبر الشرفي من بغداد أما الجبر العربي
 فكان طاماً بما يرد من مجموع الولايات .

وبعد بداية العصر العباسي الأول كان الأمامون يكمون معظم موظفي دواوين الخراج
 لعربهم السابقه ، وممارسهم لهذا العمل ، لذا كان العمل في معظم دواوين الخراج
 موكولاً لهم ، ويبدو أن هؤلاء الأمامون كانوا أوفى في المطالبة بالخراج من غيرهم

كذلك كان أمر الجباية أماناً يوكل لأهل الديار - من اليهود والنصارى ومن على
 شاكلتهم - ولم يحرموا من ممارسة هذه الوظائف العاطفالي لانس بالدين ^(٣) .

لم يكن من دواوين الخراج في الولايات الإسلامية ديوان أصعب مطلقاً ، وأكثر
 تنوعاً من ديوان فارس ، وذلك لاختلاف ربوعها ، وتغريب الأخرجه على أوضاع بدوية ،
 واختلاف أبواب أموالها ، وشعب الأعمال بها على المنقذين بها حتى لا يكاد يتيسر
 الرحن الواحد الاحتلال بذلك الأعمال كلها إلا في الفرد ، وماعتمد أحد منهم جميع
 من العلم بأبواب الدواوين إلا بقرأ بمرأ ^(٤) - وكان بفارس قوم يقال لهم أهل البيوتات
 بموارد أعمال الدواوين ، منهم قد حبيب صفيه من سوالي باهته ، وآل المحروبان بن
 راديه من أهل شيراز ، وآل مراد بن شاه وميرهم ممن سيمو في أعمال بدوين ^(٥) .

- (١) الإدارة العربية ، صفحة ٢٢٠ وعند الحديث عن دواوين الولايات .
- (٢) تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق صفحة ١٢٢ .
- (٣) وقد أقرنا إلى ذلك في عمل الحرية .
- (٤) (٥) المسالك والممالك للإصطخري صفحة ٨٨ ، ٨٩ . عند الحديث عن دكرطيفان
 الناس بفارس) وكان صاحب ديوان خراج فارس يسمى بعدد كبير من العمال
 لمعاونته في إدارة شؤون هذا الديوان .

ومن أهم المنظومات التي طرأت على ديوان الخراج ، أن تخلطه بمهدي وضع منه ١٦٢هـ دواوين الأرملة ، وولي عليها عمر بن بريح مولاه ، فولي عمر بن بريح النعمان ابن عثمان أباحازم خراج العراق^(١) - فكان ديوان الروم هو الديوان الأعلى المشرف على الدواوين الفرعية ، وهو ما يمكن تشبيهه بالخيار المركزي للحسابات أو المحاسبة المالية العليا في وزارة المالية في عصرنا هذا .

يسمى منظم المؤرخين ديوان الخراج في العصر العباسي الأول من أهم دواوين الدولة^(٢) وكان رئيسه يستشار في كافة الأمور المتعلقة بالخراج ، أو تعديل مقاديره ، قبل أن يحدد فيها الخطة أو الوزير قراراً^(٣) ، كما أن رئيس ديوان الخراج في الولايات كان يشترك في عملية تقدير المظاء والأرداق للجدد والموظفين ، سيما لموارد الخراج وكميته في الولاية .

كان يعمل في ديوان الخراج عدد من الكتاب ، الذين يباشرون أمور السجلات ، وفريق آخر من العامين يطلق عليهم المسحرجون^(٤) ، يخصصون بحسابه الخراج من نواحي الأقاليم المختلفة ، كما كان هناك أيضا المساحون^(٥) وهؤلاء يقومون بتقدير مساحات الأرض ، وتحديد المزرع المزروع فيها ، وكمية محصولها ، ويشبهون ذلك في دفتر خاص يعرف بالندورون^(٦) ويعمل هؤلاء الموظفون ، تحت إشراف عامل الخراج ،

(١) كتاب الندوراء والكتاب ، صفحة ١٤٦ ، وكذلك ماريخ الأسم والندوراء الجبر ، التاسع صفحة ٢٤٢

(٢) Hattai, History of the Arabs, P 320.

(٣) قاموس ديوان الرسائل ، صفحة ١٢٢ ، ١٢٤ - وكان الديوان في بغداد يشرف على المصانع التي ترسل إليه من دواوين الولايات كما أشرنا ، أما دواوين الخراج في الولايات فتحتص بجمع خراجها .

(٤) تاريخ اليميني صفحة ٢٨٤ ، ٤٩٢ ، ٨٠٤ -

(٥) الأحكام السلطانية ، الفراء ، صفحة ١٦٨ (فإذا وضع المساح الخراج على مساح الأرض ، كان مضمرا بالصفة الهلالية ، وإن وضع على مساح الزرع فقد قيل يكون معتبرا بالصفة الشمسية ، وإن جعله مقاسمه كان مضمرا بكمال الزرع ومخفيه -

(٦) معانيخ العلوم ، صفحة ٣٩ والندورون ذكر المساح وسواده الذي يثبت فيه تقدير مايسمى من الأرض

الذي كان يسبح الخليفة مباشرة في المناطق التي يسيطر عليها : الخلافة والعربية منها ،
 أما المناطق البعيدة ، فكان عمال الخراج يعملون تحت إشراف ولاية لأقاربهم الذين
 يبيعون الخلافة العباسية . وفي الواقع أن العباسيين اهتموا منذ البداية بديوان
 الخراج ، فحينما استقرت سلطة الخليفة العباسي أبي العباس السفاح أسد إدارة هذا
 الديوان إلى خالد بن برمك^(١) . منظم شؤنه بحكمه وإشرافه وحجبه . وعلم العباس
 برحق ، وأحسن إليهم . وأهم الخليفة المنصور بديوان الخراج ، فخصص له مكاناً في
 بغداد ، وعهد به لأحد الكتاب لإدارته ، وأعطاه مكاناً ببغداد يهيئ عليها مكانه^(٢) .
 كذلك عسى الخليفة الصدي بشؤون الخراج ، وأجرى تبديلاً هاماً في نظام حساباته وحامه
 في العراق ، التي أصبح خراجها يُجمع على نظام المقاسمة بدلاً من نظام المسحقة
 القديم^(٣) ، وأدى ذلك إلى زيادة الحمل بديوان الخراج ، حيث أصبح عليه أن يقدّر المحاصيل
 ويحدد أماكن حرسها ، ويقدّر سبب المقاسمة عليها ، ويحمل همه الدولة بينها . وقد
 أنشأ الخليفة المهدي ديوان رسام الخراج في بغداد لميط حسابات الحسابات والبركات^(٤)

كان يشرف على شؤون ديوان الخراج في عهد الخليفة هارون الرشيد يحيى بن
 خالد البرمكي . وقد أجاز له الخليفة أن يكتسب عمال الخراج في الولايات ، دون

(١) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العشر ، صفحة ٥٥

(٢) كتاب البلدان ، اليعقوبي ، صفحة ٢٤٠ ، ٢٤٥ وجاء فيه أ وفي وسط الرحبة
 القصر الذي سُمي بابه باب الذهب . . . وحول الرحبة كما تدير مزار أولاد المنصور
 الأصغر ومن يقرب من خدمته - وببيت المال ، وحرمة السلاح ، وديوان نواب
 وديوان الخراج . . . (١) وأصل أن يجمع إلى القنطرة الجديدة ، وأنه يجمع من باب الكوفة
 في الخارج الأعظم قطيعه سليم مولى أمير المؤمنين صاحب ديوان الخراج .

(٣) ولد تحدثنا بأسباب عن نظام المقاسمة في بدايه هذا الفصل .

(٤) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء الأخير ، صفحة ١٥٠ وكما
 ذلك سنة ١٦٨ هـ

الرجوع إليه^(١) - وقد حاول الخليفة هارون الرشيد أن يعالج مشكلات الخراج التي ظهرت في ذلك الوقت ، واستشار في ذلك قاصيه أبي يوسف ، الذي استجاب لوعبه ، ووضع حداً دقيقاً لمقتدير الخراج ، وبعد حادثة نكب البراءة صار الخليفة هارون الرشيد يشرى إشرافاً مباشراً على شؤون ديوان الخراج ، ثم عين عملاً حذو ديوان الخراج في الولايات^(٢) .

وفي عهد الخليفة العباسي المتصمم انتقل ديوان الخراج إلى سامراء بعد أن تم بناء هذه المدينة الجديدة في العراق^(٣) .

بعض الظواهر المالية المتعلقة بالخراج :-

كان من الطبيعي نتيجة لنقل الخراج على صغار الملاك ، ومحاسبه الجباة بهم المحاسبه الشديده ، ووجود بعض صفاء النفوس من الجباة واشتراطهم ، وسوء مناصرة المال بظلمة أدى إلى ظهور بعض الأمور المالية ، التي سمى بحبيبه مثل الاجراء ولايعتر والتفيل ، وسعسعر مما يلي لهذه الأمور المالية الطارئة ، في عصر لأولى للدولة العباسية .

(١) كتاب الزوراء والكتاب ، صفح ١٧٨ ، وجاء فيه { وكانت الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج مؤرخ باسم يحيى بن خالد ، ولم تكن تنفذ إلا عن الخليفة } .

(٢) جاء في كتاب الزوراء والكتاب ، صفح ٢٥٤ (ولما نكب الرشيد ببراءة فأن أريد أن استحسن قوماً لم يحملوا معهم فعيل له لا يجد أحداً ثم يكن يخدمهم ، فاعيد أشتب ، أي أفتل - من وقع في مصه من عيون أصحابهم ، ففقد محمد بن أبي جراح الأهواز وصاعها ، وقتل علي بن عيسى من برد وبرود خرج فسمسلس وصاعها ، وولي الفيص بن أبي الفيص الكسري خراج كسكر وصاعها ، وولي الخصيب بن عبد الحميد مصر وصاعها) .

(٣) الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس ، صفح ٢٢١ وعندما قامت الحروب بين السعيفين والمصر سنة ٢٥١ هـ ، أكتب السعيفين إلى عتال خراج يكن بلده أن يكون جعلهم الخراج والأموال إلى بغداد ، ولا يحمل منها إلى سامراء شيء .

١ - الإلحاء أو التلحقة .

هو أن يلجئ الضعيف صيغته إلى القوي ، كمن يلجئ عبيد ، وقد يلجئ القوي المرمية التي ألجأها صاحبها إليه ^(١) . وكنت المرمية باسم الملحق إليه ، حيث يقوم هو بدفع فرائجها . وقد اضطر صغار الملاك أن يلحقوا أرسمهم بالأقوياء ، فراراً من كثرة المراءش عليهم . وشده بعض الجباء ومحاسنهم لهم المحاسن الشديدة ، ويعد الإلحاء كانوا لا يدعون عبيداً إلا القُطر فقط ، وكانت الأرض محروية بأسياء كـبـسـار المراءش . ولكمية في الواقع كانت تملأ في أيدي أصحابها الأصهب ، تدعى كان لهم الحق في بيعها ووراثتها ، وإن كانت محروية بأسياء من أُلحقت إليهم . وهكذا صعب أُرسمي واسمه إلى ممتلكات الخلفاء أو الأمراء أو كبار رجال الدولة والحاشية عن طريق نظام الإلحاء ^(٢) .

صار الإلحاء نظاماً قائماً بذاته بين مواضع الكتاب في ديوان الخراج ^(٣) ويذكر البلاذري أن أهل المراءش - إحدى قرى أذربيجان - ألحوا أرسمهم إلى مروان بن محمد ، وهي التي قبضت بعد ذلك مع صباغ بني أمية ، وصارت لبعض بنيان تحليفه هارون الرشيد ^(٤) .

١ - مفاتيح العلوم ، صفحة ٤١ .

(٢) يرجع أصل الإلحاء إلى العصر الأموي . فقد ألجأ كثير من ملاك الأرض بالسواد ، أرسمهم خلال ولاية الحجاج بن اليماني في خلافة الوليد بن عبد الملك إلى مسلمة بن عبد الملك كتاب الخراج وصنع الكتاب ، فداه بن جعفر صفحة ٢٤١ وكان ذلك عندما رغب مسلمة بن عبد الملك حرم المهرتين المسميتين بالمسيئين ، والذي كلفه ثلاثة ملايين درهم . كان الخليفة الأموي الوليد يسكنها عندما كتب إليه الحجاج بعد مقتل البشور - - لضمها مسلمة بن عبد الملك . وألحها الناس إليه صباعاً كثيرة للتصريح به - فتوح البلدان صفحة ٢٩٢ .

(٣) مفاتيح العلوم ، صفحة ٣٩ .

(٤) فتوح البلدان ، صفحة ٢٢٥ وحده ، لو كان أهل المراءش ألحوا ربي مروان ، فاصبده وتأنى وكلاؤه الناس ، فكتروا فيها للممرور وعصروها . ثم انبأ قبضت مع ما قبض من صباغ بني أمية . وصارت لبعض سبب الرشيد أمير المؤمنين . ويذكر ابن الفقيه في محضر كتاب البلدان صفحة ٢٨٤ أنه عندما قبضت عن بني أمية صارت لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور .

وألحاً كثير من العجم من أهل أنرييخان أراضيهم إلى أسبوت الذين مرحوا إلى هذه المنطقة من مصر والشام ، فصار أهلها مزروعين لهم ^(١) .

ويذكر البلاذري أيضاً أنه (كان للقاسم بن أمير المؤمنين ، رشيد ولي حرجان وطبرستان وتروين ، فالحاً إليه أهل رجحان مياهم ، سمرأ به ، ودفعاً لمكروه الصالحين ، وظلم العمال عنهم ، وكتبوا له عليها الأثريه ، وصاروا مزارعين له ، وهي اليوم من الصباع ، وكان القافران عثرياً ، لأن أهله أسلموا عليه ، وأحبوه بعد الاسلام ، فالحاوه إلى القاسم أيضاً ، على أن جعلوا له عثراً ثانياً ، سوى عثري بيت اصغار ^(٢))

وقد استمرت ظاهرة الإلحاح في العصر العباسي الأول ، وذكرنا لنا المصادر أمثلة لما كان صفاً ، ومن ذلك أن رجلاً من الأهواز ألحاً صيغته إلى أبي أيوب الموريساني وزير المنصور مقابل مائة ألف درهم في كل سنة ^(٣) ، على أن يحمل الصيغة اسم الوزير . كتب أن أهل الخبازة وهي صاحمه لهر يمدن - ألحوا مياهم بعليفة المأمون . وقبلوا أن يكونوا مزارعين له ، على أن يعمروا ويسموا من الصالحين وغيرهم ، فقبل الحليفة المأمون ذلك ، وأمر بتفويتهم وموسمهم وعلى عمارتها ومصلحتها فمات من صباع الخلافة ^(٤) . وهذا يعني عدم مطرحة الخلفاء العباسيين للإلحاح .

(١) فتوح البلدان صفحة ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) فتوح البلدان صفحة ٢١٩ . والأثريه من الشراء أي ممدات الشراء والمكينة .

(٣) كتاب الوزراء والكتّاب ، صفحة ١١٨ وحده فيها جاء رجل من أهل أهواز إلى أبي أيوب ، وهو وزير ، فقال له إن صيغتي بالأهواز قد حمل عليّ فيها المنصب ، فإن رأي الوزير أن يُخبرني اسمه أجعله عليها . وأحمل إليه في كل سنة مائة ألف درهم فقال قد وهبت لك اسمي ، فافعل ما بدا لك ، وخرج الرجل ، وحال النحور ، فأحضر الرجل المال ، ودخل على أبي أيوب وهو لا يعرفه ، فجلس إلى أن حب الناس ، ثم دعا منه وفتح عليه قمبه ، وأعلمه أنه قد انتخب باسمه وأنه قد حمل المال ، فأمر باحضاره ، فأدخل . ووضع بين يديه ، وبهين الرجل شاكراً داعياً . وانتدع أبوأيوب بمكي فقال له أهله ومن حضر حارأيض موضع سرور وفرح عقب ببكاء وحرر غير هذا ، فقال ويحكم !! إن شيئاً بلغ هذا من إقبائه ، كيف يكون إذباراه ؟ قال فما بعد بين الوقت وبين نكبتة .

(٤) فتوح البلدان ، صفحة ٣٠٥ .

ويذكر ابن حوقل أن نظام الإلجاء كان متبعاً في فارس على نطاق واسع ، فكأن بها عدد كبير من الضياع ، يحمل أسماء الخلفاء ، وأمراء من البيت العباسي ، بعد أن ألحاهم إليهم أصحابها . وكان يخفف خراج هذه المناطق عن أهلها بمقدار كبير ، يحمل في الربع أحياناً ، إكراماً لمن ألححت إليهم ^(١) وعند موافقة الطرفيين عيسى الإلجاء ، كانت تكف عقود بين المزارع الذي يملك الأرض ، والحامي الذي ألححت إليه لأرض ، أصبح بمقتضاء هذه الأرض ملكاً لمن ألححت إليه ، وإن ظلت في يد أهلها وذلك مقابل مبلغ معين من المال ^(٢) ، يطلق عليه ضمير الإلجاء ، وهو غير المضمّر المطروح بحكم الركاء على مساحات الأرامي . ويصبح ملاك الأرض الأمليين مجرد مزارعين وبهمي ثمرس وتعاقبه أصبحت هذه الأرامي أحياناً ملكاً لمن ألححت إليهم وخصوصاً في حاله عدم وجود الورثة . إلا أن الاصطحري يذكر أن هذه الأرامي مع ذلك ظلت في يد أهلها ، يتوارثون وراعتها ، على أن يحطوا من ألححت إليه حقه ^(٣) .

٢ - الإيجار :

هو الحماية ، إذ تُحمى المصلحة أو القرية ، فلا يدخلها غاص ، ويومع عليها شيء من الغصب ، يؤدي في السنة لبيت المال ، في حاكمه الخلفاء أو في بعض السواري ^(٤) .

(١) المسالك والممالك ، ابن حوقل صفحة ٢١٧

(٢) الوزراء والكتاب ، صفحة ١١٨ .

(٣) المسالك والممالك ، الاصطحري ، صفحة ٩٦ وجاء فيه لويفارس صمد فد ألحاهم أربعين إلى الكبراء من حاشية السلطان المملوك ، فهي بخري بأسمائهم ، وحصف عشم الربع ، فهي في أيدي أهلها ، بأسماء هؤلاء ، يسامون بها ، ويتوارثونها .

(٤) مفاتيح العلوم ، صفحة ٤٠ عند الحديث عن مواضع كتاب ديوان الخراج . وكذلك في كتاب الخراج وصحف الكتابية للمصنف السابعة ورقة ٩٨ (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٤٥ فقه يميني) وقد قام الدكتور طلال حميد رفاعي بدراسة وتحقيق المصنف الخاصة من كتاب الخراج وصحف الكتابية ، والكتاب مطبوع بمكة المكرمة - الميرييه - مكتبة الطالب الحاسمي .

وكان الإيثار في الدولة الأموية^(١) ، واستمر في الدولة العباسية ، فقد أوجرت سيفطين - وهو أحد دعاء العباسيين - صياح من عده طاسيج ، فسبب إليه ، وأطلق عليها " إيثار يقطين"^(٢) .

ويلاحظ أي باحث ، وكما ينصح من الأمثلة المذكورة في المصادر المختلفة ، أن قاهرني الإلجاء والإيثار ، لم تكونا موجودتين إلا في المناطق النائية ، البعيدة عن حاضرة الخلافة ، إذ يمارس فيها بعض صفاء النفوس من عمال الحراج شديهم ، فيمطر أمجابهما إلى إلجائها أو إيثارها - ويكون سمجها ذلك بالنسبة لدولة ، هو الاخلال بنظام الحراج .

ويبدو أن قاهرني الإلجاء والإيثار قد نقلتا إلى الدولة الأموية عن نظام الحمائية Pultrunage Autoprotega ، والذي كان موجوداً لدى الروم والفرس ، إذ أن قاهره الإلجاء هي نفس نظام الحمائية^(٣) . ثم انتقلت هذه الظاهرة إلى الدولة العباسية^(٤) .

٣ - التخلي "الالتزام" أو نظام ضمان الأرض له

وهو أن يجعل شخصاً ما ذنبلاً وصامساً - أي كفيلاً - بتحمير حراج وأحده لنفسه مقابل قدر معلوم يدفعه ، وهو ما عرف فيما بعد باسم نظام الإلتزام ، فيستفيد الحليفة

(١) ومن أمثلة الإيثار في العصر الأموي مذكرو البلاذري في فتوح البلدان صفحة ١٥٣ مرأى عبد الملك بن مروان الحليفة الأموي ، أمتج مبره المباسي فطنج أوغرها له رسي اليمن ، فأوفرت بعده .

(٢) كتاب الحراج وصيحه الكساب فذاته بن جعفر ، صفحة ٢٤١ وجاء فيه (وسبب إيثار يقطين ، ولم يكن له ذكر في أيام العرب ولا قيساسيين من أراضي سوادقلى عهدهم أن يقطين صاحب الدعوة أوعرب له صياح من عده طاسيج ، ثم صار ذلك إلى المنطان ، فسبب إلى إيثار يقطين والطسوح أي صاحبه وجمع طاسيج أي سواحي .

(٣) الأوضاع الاقتصادية في العراق ، صفحة ٢٢٢ .

(٤) ويذكر البلاذري في صوح البلدان صفحة ١٧١ أن الحليفة العباسي الموكل - بعد الفسره التي يماولها البحث - أبطل الإيثار الموجودة بالشعر ، حين أصبحت لا تعي بصفاته

تحويل المال، ويستفيد المتقبل الفرق بين ماله وماله. وقد استمر هذا النظام على نطاق واسع في العصر العباسي الأول^(١)، فشمّل الأراضي من كافة أقاليم، سواء أكانت أراضي الخراج أو القطائع، أو الأراضي السلطانية، وبولي نصيب أفراد بعضهم في هذه العملية، وكانوا يرحلون الملاك والدولة ويخفونهم من أعين ومكاتب جمع الأموال، والمعامل مع الملاحين.

وقد كان الصحابة (رحموا الله عنهم) في صدر الإسلام يشددون في منع النقيب، فيروي الماوردي أن رجلاً من بني النخاس (رحم الله عنه) يبيع من أجله بمائة ألف درهم، فمريه مائة سوّد وعلية حياً، سحريراً وأدباً^(٢).

ثم صار خلفاء بني أمية يخصصون الخراج لمبالغ يبيع هؤلاء المال بملء صلباً من المال للدولة، ثم يخصصون بجهاب الملاك، والاسيلا، في ما يبيع من ممتلكات كان مقدّره^(٣).

(١) كان هذا النظام موجوداً في العصر الأموي، ولكنه أحد ينشر باستدراج في العصر العباسي، وأصبح هذا النظام سائداً في معظم أرجاء الدولة في القرن الثالث والخامس الهجري - الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، صفحة ٤٩٥، ٤٩٦.

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، صفحة ١٩٩، ويقول الماوردي في محله ١١٩٨ ما يلي: يخصص العمال لأموال المير والخراج، فيأخذ لا يتخلل به في التسرع حكم، لأن العامل مؤمن، يستوفي ما وجب، ويؤدي ما جعل، فهو كسوكين يدي إدا أدنى الأمانة لم يمس مملوكاً، ولم يملك ريادة، وضمن الأموال بقدر معلوم، يعني الانتماء عليه، في تملك مراه، وعزم مانقش، وهذا مدعي بوضع البعالة، وحكم الأمانة فيبطل.

(٣) كتاب الوزراء والكتّاب، صفحة ٦١ ومن أمثلة تصبى فيها، بني أمية المخرج لمصالحهم ما ذكره البشير في من أن رجلاً في الدولة الأموية اسمه مروح وكميصة أبا المنى، تفيل مراح هشام بن عبد الملك بمهر الرومان، مرد عليه حسان المبطي ألف ألف درهم، فسلمت الصباغ إليه.

ومن خلال الفبحث والحراسه يتضح لنا أنه كان هناك نوعين من النسخ أو النسخات
أو تصحيح الحراج -

الأول تصحيح النواة - أيّ العمال الذين يمسون الأعمار - حيث يوظف على العمل
مألاً معيناً ، يدفعه في السنة إلى بيت المال ، ويؤلى هو قبض الحراج ، لايطالبه
بخليفة إلا بالمال المصروب ، وهذا النوع من التقبل يتخلل في الشرع لاسلامى ، لأن
الفاعل مؤمن ، محمودى ماوجب ، ويؤدي ماحصل ، فهو كالتوكيل الذي أدى الأساس ،
لم يضمن نقصاناً ، ولم يهلك زيادة^(١) .

والثاني هو تصحيح الحراج للمتضمن ، وهم أساس من أهل المي والسيار أو النسيو
والسطن ، فكانوا ينقلون الأراضي ، أيّ يحمونها من سوي الحراج بصل معين ، يدفع
عليه بالمرابدة ، فبعض الواحد قرية أو بلد أو كورة ، يدفع ماغلبها من حراج ،
ويستولي على الباقي ، وهو نظام ربما يكون العرب قد اتبعوه من الرومان ، وقد أخذ
هذا النظام بسطر بالمديح في العصر العباسي صد بدايه ، فيذكر الطبري^(٢) أن
الحليفة العباسي أبي جعفر السمر عرس علي محمد بن الأشعث صان حراج مصر ،
فلم يقبل محمد بن الأشعث^(٣) ولكن في عهدالحليفة هارون الرشيد رفع محفوظ بن
سليم أن يمس حراج مصر عن آخره ، بغير موطن ولاعصا ، فولاه الرشيد الحراج^(٤) ،
ومنه كذلك فعل الرشيد مع إبراهيم بن الألب في إفريقية ، فصار ابن الألب يحمل

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، صفح ١٩٨ -

(٢) كتاب البواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، صفح ٢٠٦ وجاء
فيه : سنة إحدى وأربعين ومائة ، تمت أبو جعفر إلى سول بن العرس ، بن أعرس
محمد بن الأشعث ، صان حراج مصر ، فإن صم فاشهد عليه ، وأشحن ربي ، وإن
أبى فاعمل على الحراج ، عرس عليه ذلك ، ماأبى ، فاستقل سول الدواوين ،
فاستد ابن الأشعث الناس ، فقبل به هم عند صاحب الحراج ، وجاء في تاريخ
الأهم والملوك من العرب الخامس ، صفح ١٢٧ عن أحداث سنة ١٤١هـ وفيها عرس
موسى بن كعب عن مصر ، وولها محمد بن الأشعث ، ثم عرس عصب ، وولها
سول بن العرس (دون الاشارة إلى موضوع عرس صان حراج مصر على ابن الأشعث
(٣) كتاب البواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، صفح ٢٠٩ -

إليه في كل سنة أربعين ألف دينار^(١) . وقيل الفصل بين مروان الأهواو بسنة وأربعين مليون درهم ، وكان إعطاء خراسان وأعمالها إلى آل طاهر في القرن الثالث بطريقه الصمان أيضا ، لأنهم كانوا ملتزمين بتوريد خراج معين هو أربعة وأربعون مليون درهم^(٢) وقد استمر معارضة العلماء لهذا النظام بمعرفته للشريعة الإسلامية ، ولأنه يؤدي إلى ظلم الفلاحين .

في عهد الخليفة هارون الرشيد عدد القاضي أبو يوسف في كتابه مسوي همد نظاما عاما زهاء ألفي ألف المود ولاغيره ، وكان مما عاله وذكرناه فيما سبق، أو أبيت الاتقيل شيئا من المود ولاغير المود من البلاد . من المستحيل إذ كان عسي قهسه فعل من الخراج نصف أهل الخراج ، وحمل عليهم ما لا يحب عليهم ، وظلمهم وأحدهم بما يجحف بهم ليسلم مما دخل فيه ، وفي ذلك وأمانه حراب البلاد ، وهلاك الرعية ، والمستقبل لا يمانى بهلاكهم بعلاج أمره في قبالبه ، ولعله أن يستعمل بعض ما ينزل به فضلا كثيرا ، وليس يمكنه ذلك إلا بتدء منه على الرعية . وإنما أمر الله

(١) الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس ، صفحة ١٠٤ من أحدث سنة إحدى وثمانين ومائة ، وعند ذكر ولاية إبراهيم بن الأغلبي إفريقية وجاء فيه (١٠٠٠ ومثلو - أهل إفريقية - إبراهيم بن الأغلبي علي أن كتب إلى الرشيد ، يطلب منه ولاية إفريقية ، فكتب إليه في ذلك . وكان علي دينار ممر كل سنة مائة ألف دينار تحمل إلى إفريقية مملو . فقول إبراهيم عن ذلك ، وبدل أن يحمل كل سنة أربعين ألف دينار فأحضر الرشيد ثقبه . واستشارهم بهم يوبه إفريقية ، وذكرهم كراهة أهلها ولأنه محمد بن مقاتل ، فأغار هزيمة بإبراهيم بن الأغلبي وذكر به مداره من عقله ودينه ، وكفلبه . وأنه قام بحفظ إفريقية عن ابن مقاتل ، فولاه الرشيد في المحرم سنة أربع وثمانين ومائة (١٠٠) .

(٢) المسالك والممالك ، لابن خرداذبة ، صفحة ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) الأمثلة كثيرة فالخليفة المأمون وظف عبد الله بن طاهر على خراج خراسان وسنة يبعه سنة ٢١١ هـ . ٢١٢ هـ . وتقل أيضا عمران بن موسى السد ، البغد ، البيهقي ، صفحة ١٢٢ . وكان أبو الفصل بن يحيى يجمع خراج فارس في عهد المهدي الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، صفحة ٧٧ .

عن واحد أن يؤخذ منهم العفو ، وليس يحل أن يكلعوا فوق ظاهريهم^(١) .

وبلاحظ الباحثة أن خطوة هذا النظام المالي تكمن في أنه أدى حاضره في نوعه الأول - بصين الحال - إلى استقلال العمال بولاياتهم وهو أمر إن دلّ على شيء، فإنه يدل على البعد السياسي الخطير لمورد الحراج ، بالإضافة إلى جوانب سلبية أخرى كثيرة منها تدهور أحوال الفلاحين فضلاً عن إهمال شؤون الزراعة

وقد أجاز أبو يوسف القاضي المصان ، إذا رضي أهل المنطقة التي سيتم ضرائبها من سيتولى ذلك العمل ، ووجدوا في ذلك الوضع خيراً لهم من التعامل مع عمّال الدولة مباشرة ، ولكن أبا يوسف حتى في هذه الحالة يشترط أن يكون هناك مندوب من أهل الخيفة ، يراقب معاملة المصان للمصان ، فإن جاز أو ظلم معه من ذلك^(٢) .

كانت عقود المصان تختلف من حالة لأخرى ، حسبما يراه الخليفة ، وبوافق عليه صاحب المصان ، ويشهد به^(٣) ، وكانت هذه العقود تحتفظ بها بدوينة ، في حراسته خاصة ، المرجوع إليها ، عند حدوث خلاف حول مبلغ المصان^(٤) ، وليس من المفروض على

(١) كتاب الحراج لأبي يوسف ، صفحة ١١٤ ، وفي الأحكام السلطانية بغيره ، صفحة ١٤٦ أن ابن عمر قال (الفبالات ربا) وتفسير حديث ابن عمر معناه أن حكم الطبالة حكم الربا في البطالان ومصاد المقدر ويرى كثير من الفقهاء الذين عاشوا في العصر العباسي أن عملهم المصان لا يفتق وأحكام الاسلام ، كما اعتبر عقود المصان من العقود الباطلة التي لا يجوز الاعتراف بها ، ويرى أن استناد عقود المصان إلى عمّال الدولة عمل غير شرعي إذ يحدونه من أبواب ربا ، وذلك أن المصان يدفع المبالغ المقررة بحكم المصان من محصول لا يعرف مقدار ما يخرج منه ويضع في نفس الوقت في الربح واستخراج الأموال .

(٢) كتاب الحراج لأبي يوسف ، صفحة ١١٤ ، ١١٥ ولكن شروط أبي يوسف والأوضاع التي ذكرها لم تكن مراعى دائما .

(٣) كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، صفحة ٢٤ .

(٤) ويذكر صاحب كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، صفحة ٢٨ ، ٢٩ أن حشده الخزانة كانت في عهد المقدر ملينة بخجج المصان المحلقة ، وكان النوريسمر يشرف عليها إشرافاً مباشراً ، وكان يحضر المصان من المحزر الأثرياء ، أو عمّال الدولة الأوفياء ، حتى يستطيعوا أداء ما عليهم ، ولم يكن من المعروف فيه استناد هذا العمل إلى القواد ، لأن ذلك يشجعهم على التضييق ، ويضع في أموال الدولة .

الدولة ، أعضاء عقد الضمان لمن يستطيع دفع مبالغ مالية أكثر من غيره ، لأن الضامن في هذه الحالة كان يعرض على الناس أموالا ليسوعوي منهم مبالغته ريباهه على غيره ^(١) . ومن الأمور التي يحسن اتباعها في الضمان ، تحديد أصول الأموال التي ستجمع من الناس في المنطقة التي سيتم ضمانها ، وتحديد قيمة الضمان على حد الأساس ^(٢) . واسناد عقد الضمان إلى أصل وأحسن المتقدمين له ^(٣) .

وقد طبق معظم الخلفاء المباسييين هذه القواعد السليمة عند أخذهم أحياسهم بظاهره الضمان أو الائتمار ، وتطبيقه في الولايات وخموصه الماثبة منها .

(١) لأن نظام الضمان كان يقوم على أساس أن يقدم الضامن إلى الدولة ممتلكه في التوراء أو الخلفاء ، مبلغا معيناً من المال ، عن مساحة معينة من الأرض ، على أن يتولى هذا الشخص في حاله قبول الضمان ، حيازة الأموال المفروضة على المنطقة بملئى عقد الضمان الذي في يده بزيادة بعض الأرباح له .

(٢) Bowen, The life and times of Ali Ibn Isa, P 176.

(٣) غير أن حاجة الدولة في بعض الأحيان إلى المال ، كانت مضطر بعض الخلفاء أو الوزراء إلى عدم مراعاة تلك القواعد ، وخصوصاً في الفترات المتأخرة ، وبعد الفسقة التي يتناولها هذا البحث . فمرئ مثلاً الخليفة المقتدر بقبل ضمان الأهوار والسواحل وأصبحت بزيادة على الحد المقرر مقدارها ١٠٠٠ دينار ، كما أن الوزير أبا عباس الحميري ، أسند ضمان أعمال فارس وكرمان إلى إبراهيم بن عبد الله بن عبد الوهاب الحميري ، بزيادة على قيمة الضمان المفروض بجارب الأمم ، الحرة العاصي ، صفحة ١٥٤ ، وقد عاتبه حتى بن عيسى لب العاصي الحميري على هذا التصرف خلال مفاخرته له ، وقد ان حفظ الأصول أولى من طلب الأرباح ، كذلك نجد بعض الحميري ذكر في

Bowen, The life and times of Ali Ibn Isa, P 176.

معليير الخراج

كان تقدير الخراج في العصر الأول للدولة العباسية متروك إلى أذن الحاكم ،
الذي كان يأخذ في اعتباره ثلاثة أمور :-

أولها : جودة الأرض أو رديتها .

وثانيها : طريقة الري بحمد أو بغير حمد .

وثالثها : نوع المحصول

وقد اتجهت في حياته الخراج ثلاثة طرق أهمها قد أشرف إليها سابقاً .

إحداها تمثل في المصوح والانتفاقيات التي أبرمت بين المسلمين وبين أهالي بعض
الأقاليم والسواحي ، فهم يدفعون الخراج سواء حسب المعاهدات القديمة ،

وثانيها تمثل في نظام المساحة ، وهو ربط خرج معين على مساحة محددة من
الأرض ، فتقوم الدولة كل عام بحسابه هذا الخراج حيلة أو أقساطاً ، دون النظر إلى
ما يحدث من اختلاف كمية المحصول أو ارتفاع لأسعار ، وهو النظام الذي طبقت
الحليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أرض المواد .

وثالثها : هو نظام التقاسيم ، وهو عبارة عن أخذ نسبة معينة من المحصول ، فلتقسم
الدولة مع الناس ما تنتجه الأرض من محصول بمسبة معروفة كأن يأخذ الثلث وسرو
الثلثون لعمارة عيون ، دون اعتبار للمساحة ، فيمير الخراج بطريقه الذي يذهب
المحصول ، كما يتأثر بالأسعار .

وكان الخراج في العصر العباسي الأول يرتبط حياته بعدة أمور أساسية ،
ذكرها الماوردي في كتابه^(١) (أحدها مقدار الخرج بالذراع المصوح به ، والثاني
مقدار الدرهم المأخوذ به ، والثالث مقدار الكيل المصوح به)^(٢) .

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، صفح ١٧٢

(٢) في حلق الدفع المقدي ينظر إلى قيمة الدرهم الذي يدفع به الخراج ، وفي حلق
الدفع العيني كان ينظر إلى مقدار الكيل الذي يسوفى به .

ومن المعايير التي كانت مستخدم في حيازة الخراج " الجريب " و " القعير"^(١) .
وهما اسمان لمعايير مسلحة ، وهي نفس الوقت اسمان لمكيال . فالجريب كان يطلق
أولاً على مكيل ، ثم أصبح يطلق على مساحة الأرض التي يسوعب ذلك المقدار من
الحب ، الذي يحويه الجريب كمكيال ، يقال (أقطع الوالي فلاناً جريباً من لأرض أي
مزرع جريب)^(٢) .

أما بالنسبة لمقدار مساحة الأرض ، فقد كانت تقدر بالجريب والقعير والعشير
والنصبة والذراع .

فالجريب : عشر قصبات في عشر قصبات = $10 \times 10 = 100$ قصبة ،

والجريب = ٢٦٠٠ ذراع مكسرة .

والقعير : عشر قصبات في قصبة = $10 \times 1 = 10$ قصبات .

والقعير = ٢٦٠ ذراعاً مكسرة وهو عشر الجريب .

والعشير : قصبة في قصبة = $1 \times 1 = 1$ قصبة .

والعشير = ٢٦ ذراعاً وهو عشر القعير

والنصبة ستة أذرع = ستة أذرع = ٢٦ ذراعاً^(٣)

وقد أشرنا سابقاً وفي هذا العمل إلى أن الأذرع سبعة ، أشهرها العاصية ثم
البوسفية ، ثم السوداء ، ثم الباشمية المصري وهي الملاية ثم الباشمية الكبرى وهي
الريانية ثم العمرية ثم الميزانية^(٤) .

١ . وجاء في تدوير العقود في ذكر العقود ، المطبوع ، صفحة ١٠١ . (الجريب
مقياس للأرض ومقداره عشر قصبات في عشر قصبات ، على أنه يختلف عن ذلك
قليلاً باختلاف المكان والزمان ، والجريب في العمل مكيلاً وسمه مايكفي من
الحب ليدل مساحة معينة ، وسميت تلك المساحة لذلك باسم الجريب) .
وجاء في نفس المراجع مايلي (القعير وسمته في الأرمينية قعيراً) ، مكيل قديم
للحبوب وسمه مايقرب من ربع أردب ، وهو أيضاً مقياس للأرض بمقداره مائتي
وأربعة وأربعون ذراعاً ، والسمي الأول هو المقصود هنا ، والجمع أفعرة ، وقفران .
(٢) لأن العرب ، صفحة ٥٨٢ ، مادة جرب وجاء فيه (الجريب من الأرض ، مقدار
معلوم الذراع والمساحة وهو عشرة لققرة ، كل قعير مائة عشرة أعشير .
فالعشير جزء من مائة جزء من الجريب) .

(٣)، (٤) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صفحة ١٢٢ . ١٧٤ وتحدثت عن
هذه الأذرع بالتفصيل في صفحة ٢٠٤ من هذا الفصل .

أصنف الكثير من المؤرخين القدماء والمحدثين وبعض المستشرقين في تقدير مساحة الجريب^(١) . وقد سكر الدكتور محمد عبد الدين الريس بعد مقارنات ودراسات مستفيضة من النصوص إلى أن العدان المصري = $\frac{7}{1}$ ٢ من الأجره^(٢) .

وأن الجريب = ١٣٦٦ مترًا مربعاً .

والحشير = ١٣٦ مترًا مربعاً .

والدراع = ٧٧ سميمبراً - والقصبه = ٧,٧ سم . والأصبغ = ٩٢٥ راسم .

كان من أهم الأذرع التي استخدمت في العصر الأول للدولة العباسية ، الدراع الباشميه الكبير ، التي أحد سبائكها الخليفة المنصور في التفسير ، والدراع بسبوسداه ، التي استخدمتها الرشيد ، وسامل بها الناس من بعده في الصباني ، وتقدير المساحات ، وقياس الأطوال ، كما استخدمت في عهد الرشيد أبعد الدراع اليونانيه سبه إلى القامى لمي يوسف ، واستخدمت في عهده لأول مرة في تقدير مساحة أراضي الدور في بغداد . أما أشهر هذه الأذرع ، فهي الدراع المبرانية التي استخدمت في عهد الخليفة المأمون^(٣) .

وعلى أية حال فإننا نستطيع القول بأن هذه الأذرع كانت تختلف من إقليم إلى آخر ، فالماوردي يذكر مثلاً . أن الدراع الباشميه المصري ، كانت هي المستخدمة في البصرة والكوفة^(٤) .

- (١) ومن هؤلاء المستشرقين فون كريبير ، ويصفوت لرلين ، والآب انساني الكرمطسي ، ومن المؤرخين المحدثين محمد الخصري ، ومحمود بك وأحمد بن محمد المفري ، الذهومي ، وعلي باشا مبارك ، وجرجي زيدان ، طبع .
- (٢) المراج والمظم المالية للمولة الاسلاميه ، صفح ٢٠٠ - ٢١٠ والبحث موجدسود في الفصل التاسع من هذا الكتاب من صفح ٢٨١ وحتى ٣١٦ .
- (٣) الأحكام السلطانيه والولايات الدينيه ، الماوردي صفح ١٧٤ .
- (٤) جاء في الأحكام السلطانيه صفح ١٧٤ (وأما الدراع الباشميه المصري وهي البلايه ، فهي أطول من الدراع السوداء بأصبعين وتنتهي أصبع ، وأول من أحدثها بلال بن بردة ، وذكر أنها دراع حدة لى موسى الأشعري ا رضى الله عنه ، وهي أنفس من الريانيه بثلاثقربان عثر . وبها يستعمل الناس بالبصرة والكوفة ،

كذلك فإن هذه الأذرع وغيرها . استخدمت في تقدير مساحة الأراضي واعتبر ذلك أساساً لتقدير أموال الخراج فيها .

ومن الأمور الهامة التي كانت تدخل في تقدير الخراج هو عينة الدراهم التي يدفع بها صاحب الأرض مقدار خراجه ، إذا كان الدفع يتم نقداً ، وبجر أهليه هذا الأمر مكرراً لاختلاف أوزان وأنواع الدراهم في العصر الأول لدولة العباسية ، ذلك أن الدراهم كانت على أيام الفرس مصروبة على ثلاثة أوزان مـبـ .
 درهم على وزن المتقال ، وزنه عشرون قيراطاً .
 ودرهم وزنه اثنا عشر قيراطاً .
 ودرهم وزنه عشرة قيراط

فلما احتيج في الإسلام إلى تقدير الزكاة ، أخذ متوسط هذه الأوزان الثلاثة ، وأصبح الدرهم أربعة عشر قيراطاً من قيراط المتقال^(١) .

إلا أن وزن الدرهم لم يثبت على هذه الحال ، وسعدت أنواعه وأوزانه بشكل كبير في العصر الأول للدولة العباسية ، فقد اشتمل الناس في ذلك العصر ، أنواعاً كثيرة من النقد ، لذلك كان من الضروري تقدير أنواعها ومجموعها ، لتسوى الدولة حقوقها كاملة^(٢) .

كما كان يوجد في العصر العباسي الأول إلى جانب وجود الدرهم ، وهو عملته فضية ، كان يوجد الدينار وهو عملة ذهبية .

١ الأحكام السلطانية والولايات الدينية المأوردي ، صفحة ١٧٥
 (٢) ومن هذه الأنواع من الدراهم الدرهم البجلي ، والدرهم الهيمي ، والدرهم الطبري ، والدرهم الإسلامي والدراهم المسديرة التي ضربها عبد الله بن الزبير ، والحاسي ، والمعتوش ، والدراهم الممقرشة ، والساسير سدرومية ، والدرهم برد كجرويه وحميمية ، والمكروه ، والهبيرية ، والنمالدية ، والبرصية ، الخ
 الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، المأوردي صفحة ١٧٥ ، ١٧٦ ، وشندور العقود في ذكر العقود صفحة ٩ ، وسليمانيا .

وكانت قيمه الدينار كما جاء في كتاب الأموال عشرة دراهم^(١) وأحياناً الدينار يساوي سبعة دراهم - فهذا هو سعر صرفه - وأحد هذا السعر يسمّى بمرور الأبياسم والحنين في العصور التالية ، فصار يساوي في النصف الثاني من العصر الأموي اثني عشر درهماً +

أما في العصر العباسي الأول فصار الدينار يساوي خمسة عشر درهماً أو أكثر^(٢) .

ويمكن لأي باحث أن يقسم الدولة الإسلامية في العصر العباسي لاول إلى سطينتين قديمتين كما نوضح لنا قوائم الخزاج التي في أيدينا -

الأولى: وهي مصر والشام - أي المشرق التي كانت تابعة للدولة البيزنطية - وهذه منطقة الذهب ، إذ أن أساس التعامل فيها هو الدينار .

والثانية: هي التي كانت تابعة للدولة الفارسية ، وأساس التعامل فيها الدرهم فهي منطقة الفضة^(٣) .

وضع ذلك فقد كان التعامل في حدود الدولة مقبولاً بأحد البندين ، وذلك بعد تحويله إلى البند الثاني في المنطقة بحسب "سعر الصرف" الصادر في السوق ، والذي كانت تحددته الأحوال المخاربه ، دون تدخل الدولة .

نظام النقد للدولة العباسية في عصرها الأول بهذا عامة كان خاصاً بسروج الأموال أو كسادها وهو ما يسمّى في عصرنا الحالي بمشكلة (الباي ميتاليسم) (Bimetallism) .

-
- (١) كتاب الأموال ، الجزء الثالث ، صفحته ٦٢٤ ، ٥١١ وفي صفحته ٥١٤ (وسعر الدينار هو ستة سبعة دراهم) .
- (٢) انخراج والمظن المالية للدولة الإسلامية ، صفحة ٢٧٤ .
- (٣) جاء في كتاب شروط العقود في ذكر العقود صفحة ٧٢ - في أيام الخليفة العباسي المأمون صرحت بقوله - دراهم وديناتير - باسم الامام الرضا (عليه السلام) .
- (٤) ويطبق هذا النظام في كثير من الدول المتقدمة صناعياً وتكنولوجياً ، ويخضع لنظام البرنز والطلد ، وحاجات الأسواق للعمالات الحرة - انخراج والمظن انصبيه صفحته ٢٧٢

وقد وصف المقريري في كتابه^(١١) على وجود المذهب الديني في مصر والشام ،
والدرهم في العراق بحيثيت رسول الله (على الله عليه وسلم) :
قال رسول الله (على الله عليه وسلم) منعت العراق درهماً وفقيراً ، ومنعت
الشام مذهباً ونملاً ، ومنعت مصر رديها وديارها) .

وفي العصر الأول للدولة عباسية ضرب الدراهم والدنانير في عهد الخلفاء
عبدالله بن محمد السفاح ، وأبي جعفر المنصور ، والمهدي محمد بن جعفر ، وهارون
الرشيد ، والأنس بن محمد بن هارون الرشيد ، والعامر عبدالله بن هارون الرشيد ،
وظلت كما هي في عهد الأموي أيام المنصور والونق .

وفي عهد الخليفة السفاح ضربت الدراهم بالأنبار ، وعمتها على نفس الدنانير
وكسب عليها مكة العباسية ، وقطع منها وبقها حية ، ثم بقها حية^(١٢) .
وفي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور بقى الدرهم ثلاث حبات ، وصيحت تلك
الدراهم ثلاثة أرباع قيراط .

ثم ضرب الخليفة المهدي محمد بن جعفر مكة مدورة فيب بطله ، ولم يكن لموسى
الهادي بن محمد المهدي مكة تعرف .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد ، موّر السكك إلى جعفر بن يحيى البرمكي
فكسب أسد بمدينة السلام ، وبالمجدي من الري على الدنانير والدراهم وصيّر بطلان
الدرهم قيراطاً إلا حبة^(١٣) فلما انتهى أمر البرمكية في عهد الخليفة هارون الرشيد ،
صيّر السكك إلى المهدي ، فصر الدراهم على مقدار الدنانير .

(١١) مدور المفقود في ذكر المفقود صفحة ٢٢ .

(١٢) القيراط: أربع حبات .

مدور المفقود في ذكر المفقود صفحة ١٧ وما بعدها .

(١٣) جاء في مدور المفقود في ذكر المفقود ، ص ١١ لوهارون الرشيد أول خليفة برفع عن
مباشرة الأمير بنفسه ، وكان الخلفاء من قبله يمولون المظفر في عياد الدراهم والدنانير
بأنفسهم ، وكان هذا مما يؤه باسم جعفر بن يحيى ، إذ هو شيء لم يشرف به أحد قبله

وكان خلاص السدي جيداً ، أشد الناس خلاصاً لذهب ولفضة وفي عهد الخليفة لأمين محمد بن هارون الرشيد ، صيّر دور العرب إلى العباس بن الفضل بن يزيد قنصش في السكة بأعلى السطر (ربي الله) ، ومن أسفلها (العباس بن الفضل) .

فما عهد لأمين إلى ابنه موسى ، ولقبه بالمطبق بالحق ، سطر بالله ، ضرب الدنانير والدرهم باسمه ، وجعل زنه كل واحد عشرة .

وفي عهد المأمون ، ضرب الدنانير والدرهم ، وأسقط منها اسم أخيه محمد الأمين ، وسميت الرباعيات ، وكان حربه لذلك وهو عمرو ، وقيل مقتل أخيه ولم يجد المأمون أحداً يسقش الدرهم . فسقط بالمحراط ، كما سقطت الخوانيم وما برحت النفود على مذكر أيام المأمون والمعتصم والوافق (١) .

أما الأساس المهم من أسس تفكير الخراج فهو المكابيل ذلك أن كثير من مناطق الدولة ، كانت مدفع خراجها عبثاً ، أو على الأقل جانباً عنه ، كما يسمح لها جلباً خلال الاطلاع على قوائم الخراج المختلفة .

ولد من من المكي (على الله عليه وسلم) وأصحابه والتابعين ضابطه أصناف من مكابيل هي : الصاع ، والمد ، والقسط ، والفقير ، وسكوك ، والمسحوق ، والمحموم ، والفرق (٢) ، هناك إلى ذلك الأردب ، الذي أورده البلاذري ، حين ذكر أن عمرو بن العاص ، (حين وضع الخراج على أرض مصر ، جعل على كل حريث دهناراً وثلاثة أرداب طعاماً ، وعلى رأس كل عالم دهنارين ، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

(١) هذه الأشارت على تاريخ ضرب النفود في العصر الأول للدولة العباسية ، منجم من كتاب شعور العقوة في ذكر النفود من صفحة ١٧ وما بعدها .

(٢) كتاب الأموال لأبي عميد ، الجزء الرابع ، صفحة ٦٦٧ أقن أبو عميد وحدث الآثار قد سجلت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين بعدهم بشروطه أصناف من المكابيل الصاع ، والمد ، والفرق ، والقسط ، والمدى ، والمحموم ، والفقير ، والمكوك ، إلا أن عظم ذلك في المد والصاع .

والفرق ، ستة عشر رطلاً بالمواقي والفرق ، ستة أسياط ، جمع قسط وهو مكيبس يسع نصف صاع ، والمد ، مكيبال يسع ثمانية عشر رطلاً تقريباً ، والصاع خمسة أرطال وثلاث ، والمحموم وهو الصاع فيه ، وإيماسمى مخبوماً ، لأن لأمره جعلت على أعلاه حبة مطبوخة لثلاث فيه ، ولا يقص منه ، والمدى أربعين رطلاً وبيضاً والمكوك صاعان وربع من كتاب الاسوال صفحة ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ .

والأردب أربعة وعشرون صاعاً ، وهو مكبال صغيم لأهل مصر^(١) كما يضاف الكيلحة نسي أوردتها الطبري ، حين ذكر أن الخليفة هشام بن عبدالملوك ، كتب إلى حاكم القسرى ، ألا يبيع شيئاً من العلائق ، حتى تبلغ غلات أمير المؤمنين ، مما أدى إلى غلاء الأسعار ، حتى بلغ الكيلحة نرساً^(٢) .

أما الحرب فقد أوردته أبو يوسف الداعي مبيناً (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) قال كم يكفي العيل؟ قال وأمر بحرب يكون سبعة أشهر ، فحرب ، وجمع عليه ثلاثين مكيماً فأشبههم ، وعمل بالعشي منه . قال فمن ثم جعل يعقل جزيين في الشهر^(٣) .

كذلك ورد الأرمق والأواق في قوله (صلى الله عليه وسلم) نسي فيما دون خمس دود صدقة ، ولا فيما دون خمس أواق صدقة ، وليس فيما دون خمسة أوقى صدقة . قال عمرو بن يحيى : والأوقى مثلهما مثنون صاعاً^(٤) .

كانت الدولة المملوكية في عصرها الأول تظفر بمعامل المزارعين ، ونقصان نسبة الحراج منها ، مقدرة بهذه المكاييل التي كانت تختلف باختلاف السواحي والأقاليم .

(١) فتوح البلدان ، صفحة ٢١٧ عند الحديث عن فوج مصر والمغرب وجاء في لسان العرب صفحة ١٦١٩ مادة ردب الجزء الثالث الأردب مكبال معروف لأهل مصر ، يقال : إنه يأخذ أربعين صاعاً من الطعام يبيع نسي من .

(٢) تاريخ الأمم والملوك المجلد الرابع ، الجزء الخامس ، صفحة ٢٥٦ من أحداث سنة ١٢٠ هـ . وهنا ينبغي أن تصحح المعلومة التي جاءت في دائرة المعارف الإسلامية من أن الكيلحة عرفت منذ القرن الثالث الهجري ، والصحيح كما ذكره الطبري أن هذا الاصطلاح عرف في الربع الأول من القرن نسي الهجري . وفي سنة ١٢٠ هـ بالمصط .

(٣) كتاب الحراج ، صفحة ٥١ وفي محل كيد كان فرض عمر لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رضي عنهم .

(٤) كتاب الطواغيت ، لأبي يوسف ، صفحة ٥٩ . وكذلك في كتاب الأموال ، الجزء الرابع ، صفحة ٩٢١ . وعمرو بن يحيى هو راوي الحديث .

ومن الطبيعي أن تكون الدولة المباسية قد توسعت في الاعتماد على هذه المكاييل واستخدمتها منذ عهد الخليفة المهدي الذي أصدر قرار نظام المقاسمة، وأرسى قواعدها . وذلك يقضى بالطبع ضرورة تقدير المحصول بهذه المكاييل المخصصة . وقبل الانتقال إلى قوائم الحراج أريد الإشارة إلى كمال استخدام كثيراً في قوائم الحراج المختلفة والوسمية التي تعرف في العصر الأول للدولة المباسية، وهذا الكيس هو الكُرّ ، وكان يقدر به كميات الخبثات المأخوذة للحراج . ومن نصبت معرفة هذه القوائم وتقييمها دون معرفة الكُرّ .

وقد ورد ذكر الكُرّ في كتب المؤرخين فيذكر العبداني^(١) أنه يحكى من خالده مع بريد الأخول عندما شكى بحس حاله لبريد بأمر بإحضار أبي جندل ، ورأس ، تاجر من كانا يبيعان الطعام . فأتى بهما ، فقال قد علمتما أنني ببيعكما بهارحة ثلاثين ألف كُرّ ، على أن ابن أخي هذا شريككما فيها بأسعر . ثم إلتفت إليّ - بحس ابن خالده - فقال، لك من هذه الأكرار عشرة آلاف كُرّ ، فإن دفعت إليك ثلاثين ألف دينار ربحتك ، وآثرت أن يخرج إليهما من حصيلك ، فعلت ، وبأن أثرت أن يبيع علي هذا الابتاع ، فعلت ١٠٠٠ الخ القصة .

والكُرّ : ستون قنبراً ، واللفيز ٦٤ رطلاً .
 أي أن الكُرّ = ٦٠ × ٦٤ = ٣٨٤٠ رطلاً عراقياً .
 كما أن الكُرّ = ٧٢٠ مائلاً^(٢) .

(١) كتاب الوزراء والكتاب ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

وفي كتاب المختلأ للمجاهد ، الجزء الأول صفحة ١٣١ نصف الجاحظ رجلاً فيقول :
 ألو كان في كفه كُرّ حردل ، ثم لم يده لعد الأيسى بالأكره ، لما سقطت من
 بين أصابعه حبة واحدة . الخ

(٢) الحراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص ٣٤٦ ، ٣٤٧

- فوائض الخراج -

ومن الوثائق التاريخية النادرة والحاسة بالحصر الأول مدونه المباسية قوائم الخراج المصنفة ، التي تبين مقادير عبايات الخراج من الأقاليم والمواحي بحسبها في مدوله المباسية

وسبقنا هذه القوائم الخراجية في نفس الوقت على أنواع المروص التي كانت تدفع كخراج أو مع الخراج إلى جانب المبالغ المقدية ، وذلك على مدار نصف قرن أو أكثر قليلاً ، أي من عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد إلى عهد الحفيد المباسي الواثق أو المتوكل .

وهذه الفوائض هي -

١ - قائمة الجبشباري الخراجية

وقد بين الجبشباري أن أباه الوزير عمر بن مطرف - الكاتب من أهل مرو - قد أعد هذه القائمة ^(١) في أيام الخليفة هارون الرشيد لغرضها على يد يرسره يحيى بن خالد البرمكي ، حتى يطلع بها على ما يحمل إلى بيت المال المركزي من جميع المواحي من المال والأسمدة .

وبعد هذا ندلنا ويترسنا على أن دواوين الخراج ، بل النظام المباسي والإداري في العصر الأول للدولة المباسية ، قد بلغ حداً كبيراً من النظام والدقة ، حتى أن دواوين الخراج كانت تقدم كشفاً إحصائياً دقيقاً ومفصلاً بما يرد عليها من الأقاليم والمواحي المختلفة للوزير .

(١) وأبو الوزير عمر بن مطرف ، كان بمقتضى ديوان المشرق لمهدي ، وهشمو ولي عهد ، ثم كتب له في خلافته ، وكتب للخليفة موسى الهشمي ، ولخليفة هارون الرشيد - كتاب الوزراء والكتاب صفحة ٢٨١ .

وقد أخطأ بعض المؤرخين المحدثين من عرب ومشرقيين^(١) ، حين اعتبروا قائمة ابن خلدون لعمر الحليمة المأمون ، هي أقدم وثيقة عن الحراج ، وهم يدكرو القاشه الموجودة في كتاب الوراق ، والكتاب لعمر الحليمة هارون الرشيد

وهناك ملاحظه على قاشه الحراج عند الجبشباري^(٢) ، ولو راجعنا حسبه التقدير الذي أوردها في قاشته لوجدناه يقول
العين خمسة آلاف ألف دينار .

والدينار = ٢٢ درهم ١ حسب قوله ايها وهذا سعر الدينار في عهده ١

مستحقة حامل العرب عنده بعد تحويل الدينار إلى درهم

بساوي = ١٢٥٥٢٢ ر ١ مائة ألف ألف وخمسة وعشرين ألف ألف وخمسمائة واثنان وثلاثون ألف درهم ١ .

ولكن في الواقع حامل عرب ٥ مليون دينار = ٢٢ درهم = ١١٠ مليون (مائة وعشرة مليون درهم ١ وليس (١٢٥٥٢٢ ر ١ كما ذكر الجبشباري .

كما أن حامل جمع جنابي المين والورق بالأرقام التي ذكرها الجبشباري هو

١٢٥٥٢٢ ر ١٠٠٠ + ١٠٠٠ ٢٢ ر ١٠٠٠ = ١٢٥٥٢٢ ر ١٠٠٠ درهم وهذا هو الجمع الصحيح ،

ويمكن الجبشباري حسابهم ، وكان حاصل الجمع (١٢٥٥٢٢ ر ١٠٠٠) درهم . مماشاه
ألف ألف وثلاثين ألف ألف وملاصغته ألف واثنى عشر ألف درهم .^(٣)

(١) ومن هؤلاء المؤرخين عزمي زهران في كتابه تاريخ المدن الاسلامي ، ومحمد المصري بك في كتابه محاضرات تاريخ الأمم الاسلاميه (اندوة الحياضه) ، والدكتور شاكرو مصطفى في كتابه دولة بني العباس ، والمصطفى في كتابه تاريخ العرب وكذلك فون كريبز (Tac ur ent under the Caliphs) ويظهر أن هؤلاء المؤرخين لم يكموا قد اطلعوا على كتاب الوراق ، والكتاب بلجشباري ، أو أن الكتاب لم يطبع حين ألغوا كتبهم ، حيث أن طبعه الأولى لكتاب الوراق والكتاب تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الجباري ، وعبدالحفيظ شلبي كانت سنة ١٢٥٢ هـ - ١٩٣٨ م - مطبعة الحلبي

(٢) ردت قاشه الجبشباري في كتابه الوراق والكتاب من صفحة (٢٨) إلى صفحة ٢٨٨ .

(٣) كتاب الوراق والكتاب صفحة ٢٨٨ .

وبالدالي فإن حملة التقدير حسب جمعنا سيكون : -

$$١٠٠٠٠٠ + ١١٠٠٠٠٠ = ١٠٠٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$$

(خمسمائة وأربعه عشر مليون وسبعمائه وثمانيه آلاف درهم)

وعلى العموم فإن قائمة الحشيشاري ستمر السجل الوافي لحاجه بحرج فسي

المر الأول للدولة العيله ، وفي أكرم أوفاته استقرراً واردهاراً .

فائمة الخراج للجيشياري

الترتيب	اسماء الأقاليم	بمقدار القيمة من الأموال بالدرهم	الأمتعة والعروض
١	أشمان غلات السواد	٨٠٠٠٠ ر ٧٨٠٠٠ درهم	-
٢	أبواب المثل بالسواد	١٤٠٠٠ ر ١٤٠٠٠ درهم	الخلل الجرانبيه ٢٠ حبة - الطين بلحتم ٢٤٠ رطلاً -
٣	كنكسر	١١٠٠٠ ر ١١٠٠٠ درهم	-
٤	كوير دجلة	٢٠٠٠ ر ٢٠٠٠ درهم	-
٥	خلوان	١٠٠ ر ٨٠٠ درهم	-
٦	أهواز	٢٥٠٠ ر ٢٥٠٠ درهم	السكر = ٢٠٠٠ رطل - ماء الزبيب = ٢٠٠٠ رطل - الرمان وسحرجل = ٢٥٠٠ رطل - عذبة النور = ٢٠٠ رطل - الأنبيات (المانجه) = ١٥٠٠ رطل - وكانوا يحدون منها مربي الطين السراي = ٢٠٠٠ رطل - الزبيب بالكز الشافعي ٢ أكرار -
٨	قرمان	٢٠٠٠ ر ٢٠٠٠ درهم	المنافع اليمنى والخبثي = ٥٠٠ ثوب وخبيص بلدة بكرمان ، وقد ذكرها صاحب كتاب الخراج والمنافع المالية بالخطأ فقال : المنافع اليمنى والخبثي (صفحة ٥٠٧) وهي الواقع المنع اليمنى والخبثي المنع = ٢٠٠ رطل - والكمون = ١٠ رطل -
٩	مكسيران	٤٠٠ ر -	الطعام بالقمير الكيرخ = مليون قير -
١٠	السند ومايلها	١١٠٠٠ ر ١١٠٠٠ درهم	القمير = ٢ قبيلة - التيساب الحبشيه = ٢٠٠ ثوب القوط = ٤٠٠٠ قوطه - السود البيدي = ١٥ ثوب -

بقية قائمة الخراج للحبيشاني

الرقم	اسماء الأقاليم	مقدار الحقيقة من الأموال بالدراهم	الأمثلة والعروض
١١	تابع السند وما يليها حجستان	٦٠٠٠ ر ٦ درهم	المنال = ٢٠٠٠ روح وديك سسوى الفرغل والجوربوا التياب المعينة = ٢٠٠ ثوب الفايد = صوب من الحنوا = ٠٠ ر ٢٠ رطل
١٢	خراسان	٢٨٠٠٠ ر ٢ درهم	مفر النصة ، الأماء = ٢٠٠٠ بقرة البراديس = ٤٠٠٠ برزوز الرقيق = ١٠ رأس المناج = ٢٢٠٠ ثوب الاعليج = ٣٠٠٠ رطل الانريسم = ٢٠٠٠ صاع مفر النصة ٢ الأماء = ١٠٠٠ بقرة الأكسية = ٧٠ كساء الرؤمان = ٦٠ رؤساء
١٣	خرجسان	١٢٠٠٠ ر ١٢ درهم	
١٤	فوس	١٠٠٠ ر ١٠ درهم	
١٥	طبرستان ، والنرويان وذيماوش	٦٢٠٠٠ ر ٦ درهم	الفرش الطبري = ٦٠ قطعة الأكسية = ٢ كساء السياب = ٥٠ ثوب المباديل = ٣٠٠ مبدل الحامات = ٦٠٠ جام
١٦	الري	١٢٠٠ ر ١٢ درهم والرقم الصحيح هو ١٢٠٠٠ ر ١٢ درهم	حيث جاء في فتوح البلدان ، صفحة ٢١٦ وقتها حديثه عن فتح الري وفوس (ولم تروى وظيفته الري اثني عشر ألف ألف درهم ، حتى مر بها المؤمن ٠٠٠ فأسقط من وظيفتها ألفي ألف درهم ، وأجل بذلك لأهلها) - وذكر في الرقم بالمسبة للري فسي ساريخ الأمم والمنولة الحرة العاشر صفحة ٢٥٩ ضمن أحداث سنة

بقية قائمة الخراج للحبشيلري

الأسعة والمسرور	مقايير الحبشية من الأموال بالدرهم	أسماء الأتاليين	رقم
٢٠٣ هـ . وأيضاً نفس الرقم في كتاب سجلات الأمم لابن مسكويه ج ٦ صفحة ٤٤٤ . الرمان = مليون رمانة . الخوخ = ١٠٠٠ رطل .		سابع مقدار الحبشية من الرقي	
الشمع = ٢٠٠٠٠ رطل . العسل = ٢٠٠٠٠ رطل	١١٠٠٠٠٠٠ درهم	أصفهان سرى خمش ورسانيق ميسى راديس .	١٧
الزيت والزعانين = ١٠٠ مناً . الحمل الأرويدي = ٢٠٠ رطل	١١٠٠٠٠٠٠ درهم	همدان ودهستان	١٨
—	٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم	ساحل البصرة والكوفة	١٩
—	٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم	شهر زق وصابليها	٢٠
الحمل الأبيض = ٢٠٠٠ رطل	٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم	الحوصل وما يليها	٢١
—	٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم	الجزيرة والفروات والديارات	٢٢
—	٢٠٠٠٠٠٠ درهم	أذربيجان	٢٣
—	٢٠٠٠٠٠٠ درهم	موصل وكرج	٢٤
في الرقيق مائة رأس . البر والطحين . ثم يذكر أمهات تقدير في الأصل من العسل = ١١ رطلاً . ومن البراء = ١ برء . ومن الأكسية = ٢٠ كساء . البسط المحفور = ٢٠ بساطاً الرقم = ٨٠ قطعة . المالح = ١ رطل الطريخ = ١٠٠ رطل البزاق = ٢٠ بزايقاً . البغال = ٢٠٠ بغل .	—	جبلان	٢٥
	١٢٠٠٠٠٠٠ درهم	أرمينية	٢٦

بقية قائمة الخراج للجهتياري

الترتيب	أسماء الأقاليم	مقدار الجباية من الأموال بالعمانية	الأمثلة والعروض
٢٧	قنطرة والمواصم	١٩٠,٠٠٠ دينار	—
٢٨	حمص	٢٢٠,٠٠٠ دينار	الزبيب = ١٠٠٠ راحلة
٢٩	دمشق	١٦٠,٠٠٠ دينار	—
٣٠	الأردن	٩٦,٠٠٠ دينار	—
٣١	فلسطين	٢٢٠,٠٠٠ دينار	—
	ومن جميع أيمان الشام من الزبيب = ٣٠٠,٠٠٠ رطل •		
٣٢	مصر (سوى ينيس)	١,٩٢٠,٠٠٠ دينار	—
	ودياط والأسمون (فإن هذه وفدت للنفقات (١)		
٣٣	برقة	١,٠٠٠,٠٠٠ درهم	—
٣٤	إفريقية	١٢,٠٠٠,٠٠٠ درهم	ومن البسط ١٢٠ بساطاً
٣٥	اليمن	٨٧٠,٠٠٠ دينار	الكتاب غير مذكور العدد •
	سوى التهاب		
٣٦	مكة والمدينة	٢٠٠,٠٠٠ دينار	—

(١) لاحظ في هذه القائمة أنها بالعمانية وليست بالدراهم وخموساً من قنطرة والمواصم إلى مكة والمدينة ما عد برقة وإفريقية فإنهما المدحيسان المذكوران بالدراهم وليسا بالعمانية حسب عملة كل ناحية والقيم

٢ - قائمة ابن خلدون الحراجية

يقول ابن خلدون في مقدمته (وجد يحط أحمد بن محمد بن عبد الحميد بن...
بما يحمل إلى بيت المال بمقداد أيام السامور ، من جميع البواحي ، فلكه من حرب
الدولة) (١) .

وعند مقارنه قائمة الخراج عند ابن خلدون وقائمة الحراج عند الجيشاري ،
وجد أن هناك تطابقاً كبيراً بين أجزائه أقاليم كثيرة في العاشمين ٥٥٠ وهذا يسبب
دفع بعض المؤرخين المحدثين (٢) إلى القول بأن قائمة ابن خلدون هي نفس قائمة
خراج في كتاب الوراء والكتاب الذي أوردها الجيشاري ، أساساً لاجتلاف تسميته
لقائمين حول مبالغ الأخرجه في بقية الأقاليم . إلى تحرير النسخ ، وقد استطاع
هذا المؤرخ أن يحدد زمن قائمة ابن خلدون بمهد الرشيد ، مؤيداً بـتوكيد
ذلك من أقوال البلاذري ، والطبري (٣) .

وبصفة عامة فإنه مما يدل على أنه قد يكون هناك تحريف من النسخ في هذه
القائمة أو تلك . أن قائمة ابن خلدون وحسباً منصوصة لبعض الملاحظات في أسماء
البلدان والبواحي والأقاليم التي حمل فيها الخراج ، وهو ما استطاع بعض المؤرخين
المحدثين (٤) من استراكه وسرد هذه الملاحظات . ولكنه أكد أن قائمة ابن

(١) مقدمه ابن خلدون ، الفصل الخامس عشر (حمل في أن آثار الدولة كلف على
نسبة قوتها في أمثها) . صفحة ١٤١ .

(٢) وهو الدكتور محمد صبا الدين الرئيس مؤلف كتاب الخراج ونظم المالكة
للدولة الإسلامية .

(٣) فتوح البلدان صفحة ٢١٦ ، و تاريخ الأمم والملوك الجزء العاشر صفحة ٢٥١
مؤلف كتاب الخراج ونظم المالكة للدولة الإسلامية يرى أنه من غير المعقول
أن يكون خراج الري هي زمن السامور اسي عشر ألف ألف درهم ، ولكنه حقق
في زمن الرشيد ، حيث أن السامور لم يقط عن أهل الري ألفي ألف درهم سنة
٢٠٢ هـ . وقد أكد هذا الرقم ما ذكره ابن خلدون في كتابه المالكة
والممالك صفحة ٢٢ من أن خراج الري - عشره آلاف ألف درهم

(٤) تاريخ المماليك الإسلامي ، عرهي ويدا ، الجزء الثاني صفحة ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

خلدون ، ربما كتبت بعد سنة ٢٤ هـ ، حيث أن الديوان حرق في أيام الفتح بيني
الأميين والمأمون ، ثم لم يدون الحساب إلا بعد سنة ٢٠٤ هـ ٠٠٠ والمأمون حكم ٢٢
سنة من سنة ١٩٦ هـ ، وحتى سنة ٢١٨ هـ . وأكد بعض هذا المؤلف من أن ابن
خلدون استحوذ على أوراق رسمية في أيام الخليفة المأمون من الدخل والخرج ، كما
يرجع إليها في تحقيق ما يكتبه في هذا الشأن ويحوه ، وابن خلدون مؤرخ نفسه ،
كثير السفر والمحمي وقد قال مريحاً أن هذه الجباية وردت على بيت المال في أيام
الخليفة المأمون - ^(١) وأي باحث يقع حائراً أمام أدلة المؤرخين ، فكل مريو له أدلة ،
ومن قال بأن قائمة ابن خلدون الحراجية هي نفس قائمة الجبشباري الخراجية -
أدله ، ومن قال بأن قائمة ابن خلدون قائمة جديدة إنما سجلت في عهد المأمون
له أدلة . وابن خلدون مؤرخ نفسه ، وقعت في يده بعض الأوراق الرسمية ، اعتمد
عليها في تلخيص فترة المأمون وسرد هذه القائمة التي يحورسها الآن . وأمين أنا إلى
المرأي الثاني ، بأن كل قائمة حراجية قائمة بداسها ، ولكن هنالك بعض الأخطاء
والملاحظات على هامش القائمتين بسبب المسامح . والله أعلم .

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ، ج ٢ ، صفحة ٢٠٥ .

قائمة الخراج لابن خلدون

رقم	أسماء الأقاليم	مقتلر العناية من الأموال بالدراهم	الأمثلة والخروج
١	غلات السود	٢٧٨٠٠	ومن الحلل النحرانية = ٢٠٠ حلة ، ومن طين الحمم = ٢٤٠ رطلاً .
٢	الكبكر (والصحيح كحكر)	١١٦٠٠٠٠٠	=
٣	كوز دجلة	٢٠٠٠٠٠٠ (١)	=
		والصحيح	
		٢٠٠٠٠	
٤	جلوان	٢٠٠٠٠٠٠ (٢)	=
٥	أهواز	٢٠٠٠٠	ومن السكر ٢٠٠ رطلاً
		والصحيح	
		٢٥٠٠٠٠٠	
٦	فارس	٢٧٠٠٠٠٠٠	ومن ماء الورد ٢٠٠٠٠٠٠ قارورة ، ومن الرهيت الأسود ٢٠٠ رطلاً .
٧	مكران	٤٠٠٠٠	
٨	السند وماليه	١١٠٠٠٠٠	ومن المواد الهندى ١٥٠ رطلاً
٩	جيبان	٤٠٠٠٠٠٠	ومن الثياب الصغيرة ٣٠ ثوب .
			ومن القنيد ٢٠ رطلاً
١٠	خرسان	٢٨٠٠٠٠٠٠	ومن مقر القصة (٢٠٠) مقره
			ومن المرادين (٢٠٠) ومن الرقيق ألف رأس .
			ومن الصماغ (٢٠٠) ثوب ومن الاصبيح (٣٠٠) رطلاً .
١١	جرجان	١٢٠٠٠٠٠٠٠	ومن الإبريسم (١٠٠٠) رطلاً .

(١) جاء في مقدمة ابن خلدون في الفصل الثامن عشر صفحة ١٤١ ، ١٤٢ أن إيراد خراج كوز دجلة ١ عشرون ألف ألف درهم وثمانية دراهم ، وجميع المصادر الأخرى تؤكد أن إيراد خراج كوز دجلة (٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم)

(٢) وجاء أيضاً في نفس المرحم السابق صفحة ١٤٢ (أن خراج الأهواز ١٠٠ خمسة وعشرون ألف درهم مرة) ، وجميع كتب المحدثين الذين نقلوا من مقدمة ابن خلدون يؤكدون أن خراج الأهواز (٢٥٠٠٠٠٠٠ درهم)

وبمقارنة هذه القائمة بقائمة الجبشماري يعيل الباحث إلى رأي المؤرخين المحدثين ، لأن الفرق شاسع بين الأرقام المذكورة عند الجبشماري وقائمة ابن خلدون فلا يمكن أن يكون الفرق في إيراد الخراج بالمسبة للأهواز من ٢٥ مليون إلى ٢٥ ألف .

بقية قائمة الخراج لابن خلدون

التسلسل	أسماء الأقاليم	مقدار الجباية مثلاً أموال بالتراحم	الأمثلة والمفروض
١٢	قوسمي	٩ر٥٠٠ر٠٠٠	ومن نظر القيمة (١٠٠٠) نظرة .
١٣	طبرستان (أو الرويان) وسهاوند . والصحيح الرويان من إقليم الدينم .	٦ر٣٠٠ر٠٠٠	ومن الفرش الطبري (٦٠٠) قطعة . ومن الأكسية (٢٠٠) كسا . ومن شباب (٥٠٠) ثوب . ومن التماديل (٣٠٠) ومن الجامات (٣٠٠) (١٦) .
١٤	السره	١٢ر٠٠٠ر٠٠٠	ومن الحسل ٢٠ر٠٠٠ رطل .
١٥	همدان	١١ر٣٠٠ر٠٠٠	ومن رب الرمانين ١٠٠٠ رطل
			ومن الحسل ١٢٠٠ رطل .
١٦	ساجين البصرة والكوفة	١٠ر٤٠٠ر٠٠٠	=
١٧	ماسبدان (أو الديمار) والصحيح إما الديمر أو الريان (٢)	٤ر٠٠٠ر٠٠٠	=
١٨	شهر زهد	٦ر٤٠٠ر٠٠٠	=
١٩	الموصل وما يليها	٢٤ر٠٠٠ر٠٠٠	ومن الحسل الأبيض ٠٠ ر ٠٠ ر ٢ رطل (٣)
٢٠	أذربيجان	٤ر٠٠٠ر٠٠٠	=
٢١	الجزيرة وما يليها من أعمال العراق	٢٤ر٠٠٠ر٠٠٠	ومن الرقيق ١٠ أرأي . ومن الحسل (١٢٠٠٠) رق . ومن المرأة عشرة ومن الأكسية ٢ كسا .

(١) جاء في تاريخ السعدن الاسلامي ، الجزء الثاني صفحة ٢٠٦ بعد الحديث من خراج طبرستان و ترويسان وسهاوند من الأمثلة ٠٠٠ (٢٠٠) حابة والصحيح (٣٠٠) من الجامات .

١٢ جاء في هامش صفحة ١٤٢ من مقدمة ابن خلدون (قوله والديمار) نفاهر أنها الديمر ، وفي الترجمة التركية ماسبدان وريان ، وفي تاريخ السعدن الاسلامي الجزء الثاني صفحة ٢٠٢ ، وأما الديمار فلا يسمى لها في بلاد الاسلام ، وقد يبدل إلى ندهن أنها ساسا تحريف بديمر . قصبة ماء الكوفة ، لو لم تكن قد وضعت على اسم نفاهين معاً لسي هذه القائمة ، فهي على العكس مبدلة من (الرويان) وهي كورة يقرب كسكر في العراق (٢) ولأرى أن هذا الرقم خطأ من النسخ فلا يمكن جمع عشرين مليون رطل من ناحيه أو حتى عدة أقاسم . والرقم الأقرب إلى الصحة عشرين ألف رطل .

بقية قائمة الخراج لابن خلدون

السن	أسماء الأقاليم	مقدار الجباية من الأموال	الأمته والعروض
٢٢	أرمينية	١٢٠٠٠ ر ١٢٠٠ درهم	ومن القبط المسجون ٢٠ ومن الرقم (نوع من الوثني) ٥٢٠ رطل ومن المصالح المسير ما هي (١٠٠٠ ر ١٠ رطل) ومن الصوبج (نوع من الأسماك البحرية) (١٠٠ ر ١٠ رطل) ومن البنال ٢٠٠ ومن المبردة ٣٠
٢٣	برقبة	١٠٠ ر ١٠٠ درهم	-
٢٤	إبريطيه	١٢٠٠ ر ١٢٠ درهم	ومن البسط (١٢٠) بساطاً
٢٥	كرسان	٢٠٠ ر ٤٠٠ درهم	ومن القناع اليماني ٥٠٠ ثوب ومن التمر ٢٠٠٠ رطل
	والجميع	٣١٨٠٠ ر ٦٠٠ درهم	
٢٦	فلسطين	٤٠٠ ر ٤٠٠ دينار	ومن الزيت ١٠٠٠ حمل زيت
٢٧	دمشق	٤٢٠ ر ٤٢٠ دينار	-
٢٨	الأردن	٩٢ ر ٩٢ دينار	-
٢٩	فلسطين	٢١٠ ر ٢١٠ دينار	ومن الزيت ١٠٠ ر ٢٠٠ رطل
٣٠	مصر (١)	٩٢٠ ر ٩٢٠ دينار والصحيح ٢٩٢ ر ٢٩٢ دينار	

(١) جاء في كتاب تاريخ المدن الإسلامي ، الجزء الثاني صفحة ٢٠٢ أن الخراج في مصر (٢٠٠ ر ٩٢ دينار) على عبايتها في عصر المأمون ، وهذا الخطأ إنما يرجع إلى المتأخر .

وبعد الرجوع إلى كتاب المسالك والممالك لابن خردادبه صفحة ٨٤ إتضح لنا - من قوله (وحمل منها موسى بن عيسى في دونه بمصر العباس ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار) - أنه كان يحمل من مصر أكثر من ألفي ألف ، ويؤكد هذا الرقم لمقريبي في الجزء الأول صفحة ٩٩ . كما جاء في كتاب الخراج وصفة الكتابة لجعفر بن لد مسة صفحة ٢٥١ (أن خراج مصر والاسكندرية ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار) .

هبة قائمة الخراج لابن خلدون

التسلسل	أسماء الأقباليين	مقدار الجباية من الأموال	الأمثلة والملاحظات
٢١	الهممن	٣٧٠٠٠ دينار	سوى الصناعات (ولم يذكر) =
٢٢	الحجاز	٣٠٠٠٠ دينار	
	المجموع	٦٧٠٠٠ دينار	
	ومجموع إيراد الخراج من جميع الأقاليم والنواحي بالدرهم باعتبار أن الدينار = ١٥ درهم (١)		٦٧٠٠٠ دينار = ١٥ × ١٠ × ٦٧٠٠٠ = ١٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم
	وباعتبار الدينار = ٢٢ درهم (٢)		٦٧٠٠٠ دينار = ٢٢ × ١٠ × ٦٧٠٠٠ = ١٤٩٤٠٠٠٠ درهم

١ الدينار = ١٥ درهم (من كتاب الخراج وصيغة الكتاب) لحفظ بن خلدون صفحة ٢٤٩ .

٢ الدينار = ٢٢ درهم (من كتاب الوزراء والكتاب) صفحة ٢٨٨

٢ قائمة قدامة الحراجية :

أوضح فيها مقدار ما يتم حيايته من مختلف سواحي (طاسيج) السواد من الحنطة والشعير ، وكذلك مقدار ما يحصل عليه من أموال بالزراهم ، ثم بعد ذلك ذكر ارتفاعات الأقاليم الأخرى .

ومثل قائمة بيان للحالة المالية بحامة ، والحراجية بحامة في التعبير لأول للدولة السياسية ، وبالمحدد خلال الربع الأول من القرن الثالث لبحري ، ابتداءً من سنة ٢٠٤ هـ ، لأنها أول سنة يوجد حسابها بالدواوين ، بعد إحراق الدواوين أثناء الغشة بين الأحمس أبي هارون الرشيد ، الأحمس ، والمأمون .^(١)

قائمة قدامة تعطي صورة لمقادير الحراج في عهدي الخليفة ولعالمون ، والخليفة المستنصر ، ويسمح من هذه القائمة أن جملة الحراج ، لم تكن تفل عشرين لربعمائة مليون درهم (١٠٠ ر - ٤٠٠ ر) ، وهي بذلك تفل من ما ورد في قائمة نجهتاري بحوالي مائة مليون درهم - وهو ما يعني أن معدلات نجابة قدامه انخفضت مما كانت عليه في السابق .

وسما يؤخذ على هذه القائمة أن هناك تناقضاً بين ما كتبه قدامة منس إلى ارتفاع الخراج من بعض الأقاليم ، فمراه عند الحديث عن إقليم الأهواز والكرد التسي تسع هـ الإقليم يقول إن ارتفاع الأهواز وما يشتمل من كرد شمالية عشر ألف ألف درهم^(٢) ، ولما يذكر القائمة عند قوله (تفصيل ذلك عيماً وورفاً) يقول إن ارتفاع الأهواز ثلاثة وعشرين ألف ألف درهم^(٣) محصار الباحث أي رقم يأخذ به ، وكذلك

(١) الحراج وصحة الكتابة ، لقدسه بن جعفر ، صفحة ٢٣٦ ، ٢٣٧

ويقول فيه (ولمبتديي تذكر ارتفاع السواد ، بحمت ما هو عليه ٠٠ وعنى عبره سنة ٢٠٤ ، وهي أول سنة يوجد حسابها في الدواوين بالحمرة ، لأن الدواوين أحرقت في الغشة التي كانت في أيام الأمان ، المعروف بابن ربيعة ١٠٠) .

(٢) الحراج وصحة الكتابة ، صفحة ٢٤٢ .

(٣) الحراج وصحة الكتابة ، صفحة ٢٤٦ ٠٠٠ هذا التعبير في كمية الحياية لمنس الأقليم بعد سبع صفحات فقط من نفس الكتاب ونفس المؤلف .

تتكرر نفس المشكلة في بعض الأقاليم الأخرى ، مثل إقليم مامبدان ، فترقم السابق مليون ومائة ألف درهم ، ثم في القائمة مليون ومائتي ألف درهم ،

كذلك الحال بالنسبة لأقاليم قروبي ، وطرستان ، ونكويست ، وديار ربيعته ، وأرض وميافارقين ، وحمص ، وعلطين ويمكن جدولته الأرقام كالآتي -

م	أسماء الأقاليم	مقدار الجباية المذكورة أولا (١)	مقدار الجباية في القائمة (٢)
١	الأهـسـولـ	١٨٠٠٠٠٠ درهم	٢٣٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم
٢	مامـبـدـان	٠ ر ١٠ درهم	١٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم
٣	قروبي	٠٠ ر ١٦٢٨ درهم	١٨٢٨٠٠٠٠٠ درهم
٤	طرستان	٠٧٠ ر ١٦٢٢ درهم	٢٢٨٠٠٠٠٠٠٠ درهم
٥	نكويست	٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم	٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم
٦	ديار ربيعته	٠٠ ر ١٦٢٥ درهم	٩١٦٢٥٠٠٠٠٠٠٠ درهم
٧	أرض وميافارقين	٠ ر ٤١٠٠٠ درهم	٠ ر ٤٢٠٠٠ درهم
٨	حمص	١١٨٠٠٠٠ دينار	٢١٨٠٠٠٠٠ دينار
٩	علطين	١٩٥٠٠٠٠ دينار	٢٥٩٠٠٠٠ دينار

(١) الخراج وصيغة الكتابة ابتداء من صفحة ٢٤٢ إلى صفحة ٢٤٧ .

(٢) الخراج وصيغة الكتابة ابتداء من صفحة ٢٤٩ إلى صفحة ٢٥١ .

وبلاحظ أن معظم المؤرخين المحدثين أخذ بالأرقام الموجودة في القائمة دون الرجوع إلى خمس أو ست صفحات سبق القائمة ليرى الفرق بينما ذكر في هـسده الصفحات والقائمة .

٣- قائمة أدلة الخراجية (١)

٢	أسماء الأقاليم	مقدار الجباية بالدرهم
١	السواد	٢٥ ر ١٢٢,٧٤ (٢)
٢	الأهواز	٢٣,٠٠٠ ر ٢٣,٠٠٠
٣	فارس	٢٤,٠٠٠ ر ٢٤,٠٠٠
٤	كرمستان	٩ ر ٠
٥	مكران	١ ر ٠
٦	السيستان	١٠ ر ٠
٧	حيتستان	١ ر ٠
٨	خراسان	٢٨,١٠٠ ر ٢٨,١٠٠
٩	جلستان	٩ ر ٠
١٠	ماء الكوفة	٥ ر ٠
١١	ماء البصرة	٤ ر ٠
١٢	فارس	١ ر ٠
١٣	مايسدان	١,٢٠٠ ر ١,٢٠٠
١٤	صرجة لؤلؤ	١ ر ٠
١٥	الإفطارين	٢,١٠٠ ر ٢,١٠٠
١٦	قم وقاشان	٢,٠٠٠ ر ٢,٠٠٠
١٧	لؤلؤ بيجان	٤ ر ٠
١٨	الرقى وداوند	٢٠,٢٠٠ ر ٢٠,٢٠٠
١٩	لرستان	١,٨٩٨ ر ١,٨٩٨
٢٠	لورستان	١ ر ٠
٢١	جرجستان	٤ ر ٠
٢٢	خبرستان	٢,٢٨ ر ٢,٢٨
٢٣	تكريست	٩ ر ٠

(١) هذه القائمة موجودة في كتاب الخراج وصيه الكتاب ايمد = من صفح ٢٣٦ وحتى

صفحة ٢٤١ ، مع الملاحظات التي أقرنا إليها في الصفحة السابقة.

(٢) كس ارتفاع الحطة = ١٧٢,٢٠٠ كس ، ومن الشعير = ٩٩,٧٢١ كس ومن السويق =

٩,٥٨٠ ر ٨ درهم ، ومن الكزبي = ٦ ديمار ، والكزبي = ٢ ديمار والديمار =

١٥ درهم ، المصدر السابق صفح ٢٣٩ ، ومطوية صاييه بمطه نعل إلى الرقم

الذي ذكرته من الحطة = ١٧٧,٢٠٠ × ٣٠ = ٥,٣١٦,٠٠٠ ديمار، ومن الشعير =

٩٩,٧٢١ × ٣٠ = ٢,٩٩١,٦٢٣ ديمار ، ومجموع قيمة الحطة والشعير =

٥,٣١٦,٠٠٠ + ٢,٩٩١,٦٢٣ = ٨,٣٠٧,٦٢٣ ديمار ، وبالدرهم = ٨,٣٠٧,٦٢٣ × ١٥ =

١٢٤,٦١٤,٤٥٠ ر ١٢٤,٦١٤,٤٥٠ ، مجموع إيرادات السواد من الحطة والشعير والسويق =

٨,٣٠٧,٦٢٣ + ١٢٤,٦١٤,٤٥٠ = ١٣٢,٩٢١,٠٧٣ درهم . ويلاحظ في كتاب الخراج والنظم بمطبة صفح ٥٢١

أن المؤلف لم يلتزم بهذه الحسابات التي ذكرها قدامه في كتابه الخراج ، ولكن

نفسه له حجة بما رأى وقدر ، دون أن يشير إلى أي مصدر أو مرجع.

بقية قائمة مدامة الخزارجية

٢	أسماء الأقاليم	مقدار الجباية بالدرهم
٢٤	شبر رور	٢,٠٠٠ ر ٢٧٥
٢٥	الموصل	٢,٠٠٠ ر ٣٠٠
٢٦	قردي وباربدي	٢,٢٠٠ ر
٢٧	ديار ربيعة	٠ ر ٦٣٥
٢٨	أردن وسهالرقبي	٤,٢٠٠ ر ٠٠٠
٢٩	طبرون	١٠٠ ر ٠
٣٠	أرمينية	٠٠ ر ٠٠٠ ٤
٣١	قبيصة	٢,٠٠٠ ر ٠
٣٢	ديار مصر	٦,٠٠٠ ر ٠٠
٣٣	أعمال طريق القراة	٠ ر ٢٩
	المجموع =	٢٢٤,٩٥٢,٩٥٠ درهم

بقية قائمة مدامة الخزارجية

٢	أسماء الأقاليم	مقدار الجباية بالدينار
٢٤	فلسطين والمواصي	٢٦٠,٠٠٠ ر
٢٥	حماة	٢١٨,٠٠٠ ر
٢٦	دبشنة	١١ ر ٠٠
٢٧	الأردن	١٠٩,٠٠٠ ر
٢٨	فلسطين	٩٥٩,٠٠٠ ر (١)
٢٩	مصر والاعكمربة	٢٠٠ ر ٠٠
٣٠	الحرمة	١٠٠,٠٠٠ ر
٣١	اليمامة	٦٠٠,٠٠٠ ر
٣٢	اليمامة والمهرجس	٥١٠,٠٠٠ ر
٣٣	عمارة	٣٠٠,٠٠٠ ر
	المجموع =	٢,٦٦٠,٠٠٠ ر دينار

(١) وبناء على ما تقدم فيمكن معرفة دخل الدولة العباسية في مصر، لأول مرة،
 نخرج كالمالي = ٢,٦٦٠,٠٠٠ ر × ١٥ = ٢٢٤,٩٥٢,٩٥٠ = ٢١٤٢,٩٥٠ ر ٤١ درهم

٤ - قائمة ابن خردادبه الجراحية

وهي ليست قائمة إحصائية منظمة ومرتبعة ومنسقة كما هو الحال في الفوائسسم الجراحية السابقة ، وإنما هي مفادير للجراح ، في الأقاليم المختلفة ، كان ابن خردادبه يتردد ، في كتابه المسالك والممالك ، عند وضعه للطرق . ولم يكن ابن خردادبه يفسد أن يبين ويحدث عن جيبه الجراح أو مريد الجراح لدائه أو عن سبيل جمر الجبائية كما في الفوائس السابقة ، وما يؤكد هذا أنه لم يجمع ما يتم تحصيله من لأقائيسسم المختلفة ، كما أنه وصف طرق بعض البلدان ، وعدد الأميال منها إلى غيرها إلا أنه لم يتحدث عن جيبه الجراح فيها .

أما عن أهمية قائمة ابن خردادبه ممرج إلى عدة أمور منها أنه كان معاصر لبعض الحلفاء كالحليفه المباسي الواسي ، والحليفه السركل ، وغيرهما ، كما أنه تولى بعض المناصب الرسمية في الدولة المباسية ، فكان ملأً ملأً على ديوان المريد^(١) وهذا يعني أنه كان قريباً من الأجهزة الحكومية ، وإدارات الدولة بحسبه والدواوين وسجلات في ذلك الوقت ، مما يجعلنا نستنج بأن مفادير الجراح التي صممت كتابه المسالك والممالك ، هي مفادير طبق الأصل كما كانت في ديوان في ذلك الوقت ، كما أن ابن خردادبه ممرج ، بأنه طفق معلوماته الجراحية عن العمل من مروج الذي كان يديره للحليفه المصمم ، ثم والياً على ديوان الجراح بالحليفه الواسي ، حتى عمل سنة ٢٢٢ هـ . ومن هنا يبرز أهمية قائمة ابن خردادبه الجراحية أو بالأحرى أرقام الجبائية التي ذكرها عن خلال كتابه .

أما عن أهم الملاحظات التي سؤجد على هذه القائمة^(٢) أن ابن خردادبه لم يذكر جراح بعض الأقاليم مثل طبرستان ، وطريق الخرات ، وماء البصره ، وهمدان ، ، الخ

(١) الميراث ، صفح ٢١٢ ، ٢١٣

(٢) فم بحسبها ودراستها مؤلف كتاب الجراح والنظم الحادية للدولة الإسلامية ، وقامت بالأكاد من هذه الأرقام وذلك بالرجوع إلى بعض المراجع والمطبوع التي طبع في السنة ، فوجدت بعض الاختلافات وبعض التناقضات بأوصافها في بعض النسخ التالية

مما لا يساعد الباحث على عمل مقارنة بين هذه القائمة ، والقوائم الأخرى السابقة كما يلاحظ أن خراج بعض الأقاليم التي ذكرها ابن خردادبه يريد كثيراً عما كان عليه في قائمة قدامه ، مثل خراج الأهواز ثلاثين ملبون درهم ، بينما كان في قائمة قدامه ثلاثة وعشرين ملبون درهم ، وكذلك الحال بالنسبة لجازين عشرة عدد من خردادبه ثلاثة وستين ملبون درهم ، بينما كان في قائمة قدامه أربعين وعشرين ملبون درهم

كما يرى هذه التريادة في البلدان والأقاليم التي تدعى بالمندابير مثل حصص ، ودمشق وقسرين والمواسم ، والأردن ، وعلطين ، وأحياناً كانت التريادة رتب الملبون أو أكثر من ذلك ، فالأردن كان خراجه في قائمة قدامه (١٠ - ١٩) دينار ، بينما في قائمة ابن خردادبه (٢٥٠٠٠٠ دينار ، ودمشق كان خراجه الحراج فيها (١١٠٠ ديناراً ووصل في قائمة ابن خردادبه (١٠٠٠٠٠ ديناراً) .

ومن الملاحظات التي يؤخذ على هذه القائمة أنها كما ذكر بعض المؤرخين المحدثين^(١) أنه لم يرد ذكر الخروس التي كانت ترسل عادة مع الخراج^(٢) وبعد رجوعي إلى كتاب الممالك والممالك ، أصبح لي أن هناك تكبير من المواضع والأقسام ، كانت ترسل الخراج الذي بالإضافة إلى الورق .

فمثلاً معظم الطبائع في الجانب الغربي أو سفي الغرب ودجبل كانت ترسل الحنطة والشعير والورق^(٣) ، وكذلك الحال بالنسبة للحداب الشرقي فبعض لأقسام كانت ترسل الدخن ، والأرز بالإضافة إلى الحنطة والشعير والورق^(٤) .

- (١) وهو الدكتور محمد صبا الدين التريسي ، صاحب كتاب الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية .
- (٢) الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية صفحة ٥٢٢ ويقول عنه أ- ولم يرد في هذه القائمة أيضاً ذكر للخروس التي كانت ترسل عادة مع الخراج ، فلا يعرف مقدارها والتي أنها كانت ترسل طبقاً للنظام الذي كان متبعاً ، وهو في صورة أقفال انتهى
- (٣) الممالك والممالك لابن خردادبه ، صفحة ٨ ، ٩ ، ١٠
- (٤) الممالك والممالك لابن خردادبه ، صفحة ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤

كما ذكر ابن خردادبه أن أهل خراسان كانوا يدفعون مع الورق ، الخراج العيني والعروض ، فيحول في ذلك (جميع خراج خراسان وماضم إلى أبي العباس عبد الله ابن طاهر من الكور والأعمال ، أربعة وأربعون ألف ألف وثمان مائة ألف واربعمائة ألف درهم ومن الدواب للركوب ثلاثة عشر رأساً ، ومن الثمن ألفاً مائة ، ومن نسج الثوب ألفاً رأساً ، قيمته ستمائة ألف درهم ، ومن الكرايس الكمدية ألف ومائتين وخمسة وخمسون ثوباً ، ومن المرور وصفائح الحديد ألف وثلاثمائة قطعة بغير)^(١) .

ومن هنا يتضح لنا أن بعض الأقاليم ، كانت ترسل العروض والخراج العيني كما رأينا ، وأكده من كلام صاحب التمهيد والممالك في مواضع عدة .

كما أن مؤلف كتاب الخراج والمظن المالية للدولة الإسلامية أمام جوالي مدينة السلام (أي جزيرة مدينة السلام) إلى قائمة الخراج لابن خردادبه ، وهو (١٢٠٠) درهم وهي جباية في غير محلها ، فالجوالي هي الجزيرة وقد عرفت في البحر الميناء الأول بهذا الاسم ، ولا يمكن إرفاقه بجباية الجزيرة على جباية الخراج ، ووضعت في قائمة واحدة .

ولم يتحدث ابن خردادبه عن جباية الجوالي ولا في موضعين اثنين هما جوالي واسط وكانت ثلاثون ألف درهم^(٢) ، والجوالي بمدينة السلام وكانت مائة ألف ومائتين ألف درهم^(٣) ولا يمكن إرفاقه بجزيرة الرقبة إلى جباية الخراج كما فعل بعض المؤرخين المحدثين .

ونظراً لعدم اهتمام المؤرخين المحدثين بلقائه ابن خردادبه وتفصيله ، ونظراً لعدم توفر الكتاب في المكتبات إلا بصعوبة ، فقد ركز اهتمامي على حسده بعينه ، ولذا أسردت جميع الأقاليم والمواحي والخصائص ، وذكرت الصفحات العنصرية

(١) التمهيد والممالك ، صفحة ٢٥ .

(٢) وهو الدكتور محمد مياء الدين الرئيس ، صفحة ٥٢٠ .

(٣) التمهيد والممالك ، صفحة ٥٩ .

(٤) المصدر السابق ، صفحة ١٢٥ .

استقيبت منها المعلومات والأرقام ، والحجيات المقدية والعينية ، وعلمت حدوداً مفصلاً ودقيقاً ومنتقاً ، لخصت فيه محتوى هذا الكتاب وما كتب فيه من الحبر ج . وهذا ما لم يتم به أي باحث قبلي ، ومن خلال قراءتي العديدة لهذا الكتاب .

لاحظت أن ابن خردادبه اهتم بإقليم الروم ، وقد ذكر ما يجنبني منها من الحراج ثلاث مرات في كتابه ^(١) .

وعند رجوعي لكتاب المؤرخين المحدثين ^(٢) والذين ساءلوا فائدة ابن خردادبه الخراجية ، وجدت أنهم لم يذكروا جميع الأقاليم التي كتبت وذكرت في هذا الكتاب القسم ، ولذلك كان الجمع خطأ ، وسافهاً . فلم يذكر ما يجب تاريخ المدن الإسلامية خرج أدريجان ، ولا إقليم السند ، ولا بعض الأموال الأخرى بحراسان ، الخ .

كما أن صاحب كتاب الحراج والنظم المالية للدولة الإسلامية لم يذكر خرج بعض الأقاليم والحيات المانعة للسند ، وخراسان ، ولذلك كان الجمع ناقصاً وبكسسه أقرب للصحة من تاريخ المدن الإسلامي ، وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي وكذلك من كتاب تاريخ العرب .

(١) المسالك والممالك لابن خردادبه ، في صفحة ٢ وكذلك صفحة ٢٢ ، وفي المرة الثانية في صفحة ٣٤ .

(٢) منهم حرعي ريدان مؤلف كتاب تاريخ المدن الإسلامي ، والدكتور محمد مهدي الدين الريس ، مؤلف كتاب الحراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، وبفارس فهلب حتى مجموع حرعي ريدان كما هو في كتابه تاريخ العرب ، واعتمد عليهما كثير من المعلومات المالية والخراجية ، وما يؤسف به أيضاً أن المؤرخ الدكتور حسن إبراهيم حسن مؤلف كتاب تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، وفي الجزء الثاني من كتابه المصحات ٢٨٢ وحتى ٢٨٩ نقل عنه الأرقام من كتاب حرعي ريدان ، دون الرجوع إلى الأصل ، والى كتاب المسالك والممالك أو حتى الرجوع إلى أصحاب الفوائد الأخرى وكتبهم الأصلية ، ولكنه اكتفى بالنقل من كتاب تاريخ المدن الإسلامي ، حتى في كتابه الثاني عن نظم الإسلامية والذي شاركه المؤلف الدكتور علي إبراهيم حسن صفحة ٢٩٢ .

وعلى أية حال فإن القوائم الخراجية الأربعة تُعطي صورة واضحة عن مقدار
الثروة العظيمة في العصر الأول للدولة العباسية ، وما كان يمثل إلى بيت المال من هذه
الأموال ، كما نبيّن لما ماتومل إليه المسلمون من التمسيق والدقة في الحسابات وعمل
القوائم ، وبالملايين من الدراهم والدينار ، في دهاير عديده ومصبوطة ، كتبت فيها
هذه الحسابات من مورد الخراج ، وهذه القوائم الأربع إن دلت على شيء ، فإنها تدل
على مدى ازدهار الدولة ورجائها -

٤ - قائمة من خردانية القراحية *

م	اسماء الأقاليم والسواحي	مقدار الحبيبة من الأموال		
		من المراسم	من الحنطة بالكُسر	من الشعير بالكُسر
١	دجلة	- ٠ ر ٨	-	-
٢	تقدير السواد الجانب الغربي			
(١١)	سلي الفرات ودجيل			
	طسوج الأسيار	١٥ ر ٠	٢٣٠	١٤٠٠
	طسوج قطرند	٢ ر ٠	٢٠ -	١٠٠
	طسوج مكن	١٥ ر ٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠
	طسوج بادوربا	٢٠ ر ٠	٢٥٠٠	٢٠٠
	طسوج بهر عمر	١٥٠ ر ٠	١٩٠٠	١٧٠
	طسوج الزوسلي	٢٥٠ ر ٠	٢٢٠٠	٢٠٥٠
	طسوج كوثي	١٥٠ ر ٠	٣٠ -	٢٠٠٠
	طسوج نهر درفط	٢٠ ر ٠	٢٠ -	٢٠٠
	طسوج نهر خور	١٥٠ ر ٠	١٧ -	٦٠
	كورة الرواسي	١٥ ر ٠	١٤٠	٧٢
	طسوجي بابل وعطّر نيه	٢٥ ر ٠	٢٠٠٠	٥٠٠
	طسوج الفسوجة العليا	٢٠ ر ٠	٥٠٠	٤
	طسوج الفسوجة السفلى	٢٨٠ ر ٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠
	طسوج النهرين	٤٥ ر ٠	٢٠٠	٤
	طسوج تمش النهر	٤٥ ر ٠	٢٠٠	٤
	طسوج الخبّه والنداء	١٥٠ ر ٠	١٢٠	١٦
	طسوج كور او مزيسما	١٠٠ ر ٠	٧٠	٢٤
	طسوج ماروسما وسهر الملك	٢٥ ر ٠	١٥٠	٤٥
	البيتمني والتوقوف	١٥ ر ٠	٥٠	٥٥
	طسوج قرأت بادقلى	١٠ ر ٠	٢	٢٥ -
	طسوج الكتلجين	١٤ ر ٠	١٠٠	١٧٠

(١) المسالك والممالك لمن خردانية ٤ صفحة ٧٠

(٢) المصدر السابق صفحة ٨ وفيها ذكر مقدار الحبيبات طسوجي الأسيار وقطرير *

(٣) المصدر السابق صفحة ٩ وفيها ذكر مقدار الحبيبات من طسوج مكن وحصى كورة الرواسي

(٤) المصدر السابق صفحة ١ ومنها السقيت بميات الحبيبة من بقية كورة الرواسي وحصى طسوج سور
وبر بمسما

(٥) المصدر السابق صفحة ١١ ومنها أخذت بيانات الحبيبة من طسوج باروسما إلى طسوج السمنجين

بقيمة ثلاثة آبن خردلديه القراجية

٢	الاسماء الأكاليموالنوفجيسى	مقدار الحياية من الأموال		
		من الدراهم	من الحنطة بالكر	من الشعير بالكر
اب	طسوجي رود مسان	١٠ ر	٥٠٠	٥٠
	وهرزور مرد			
	طسوج رشير	٢٠ ر	١٢٥٠	٢٠
	إبغار باطن	٢٠٤٠٤٠	-	-
	طلى دجبة والفرات			
	كورة كسكر	٢٠ ر	٢٠٠٠	٢٠٠٠٠
	الجانب الشرقى			
	طسوج موزجسار	٢٠ ر	٢٥٠	٧٢٠
	طسوج الراداسى	١٢٠ ر	١٢٠٠	١٢٠
	طسوجير بول	١٠ ر	٢٠	١٠٠٠
	طسوج كنواى	٢٢٠ ر	١٦٠٠	١٥٠٠
	طسوجي جاور والمدينة	١٤٠ ر	١٠٠٠	١٥٠
	الفتيلة			
	طسوج روستفباد	١٧ ر	١٠٠٠	١٤٠
	طسوجي موزود وجيل	٢٥٠٠٠ ر	٢٠٠	٢٥٠
	طسوجي جنوا وجيلنا	١٠٠٠ ر	١٠	١٠٠
	طسوجي الدمشق	١ ر	٧	١٣٠٠
	طسوجي الدشكة	٧ ر	٢	٢٠٠
	طسوجير الرود	١٢٠ ر	٢	٥٥٠
	طسوج المقديسجين	١ ر	٦٠٠	٥٠
	طساجم المبرومات			
اب	طسوج المبروان الأعلى	٢٥٠٠٠ ر	٢٢٠	١٨٠
	طسوج المبروان الأوسط	١ ر	١٠٠	٥٠
	طسوج المبروان الأسفل	١٥٠٠٠ ر	١	١٢

(١) المسالك والممالك : آبن خردلديه صفحة ١١ من طسوجي رودستان وهرمز جرد وحتى نهاية إيسر بقطين .

(٢) المصدر السابق صفحة ١٢ ، وحا : فيه أنه كان يرتفع من حراج كسكر وسائر أسواق مالها ، سبعون ألف ألف درهم وفي نفس الصفحة يتحدث عن الحياية من كورة كسكر وحتى طسوجي حاور والمدينة السميكة

(٣) المصدر السابق : صفحة ١٣ من طسوج روستفباد وحتى طسوج المبروان الأعلى ، ومن صفحة ١٤ من نفس المصدر ثم نزل الأرقام الخامة بطسوجي المبروان الأوسط والأسفل .

بقية قائمة ابن خرداذبة الخراجية

م	أسماء الأماكن	مقدار الجباية من الأموال والأمتعة			
		من الدراهم	من الحنطة بالكمر	من الثمن بالكمر	من الأمتعة والعروض الأخرى
٣	طسوج بأكرايا كورة اشان (شاندكروز) وهي خلجان مع الجبارفة والاكرا الديور	٢٣ ر - ١٠٠٠ ر ٨٠٠	٤٧٠٠	٥٠٠٠	(١)
٤	كهر أسيان	٢٠٠ ر ٨٠٠		(٢)	
٥	المستعلات بمعداد	١٠ ر ٥٠			
٦	الأهواز	٢٠٠ ر ٥٠٠		(٣)	
٧	طراسان ، والأعمال المصنوعة السيا وهي: الري ، وفوس ، وجرجان وكرمان ، وسجستان	١٠٠٠ ر ٤٤٦			ومن الدواب الركوب ١٢ رأساً ومن الغنم ٢٠ رأساً ومن الصنوبرية (٢٠٠ رأس) ومن الكرابيس الكبدية (١١٨٢) ثوباً ومن الحرير وسفائح الحديد (١٢٠٠) قطعة (٤)
	سرخس	١٠٠ ر ٢٠٧			
	مرو الشهبس	١٠٠ ر ١٤٧			
	مرو الرود	١٠٠ ر ٤٢			
	بادفيس	١٠ ر ٤٤			
	كراه وأكرايا وأحمدج	١٠ ر ١٥٩			
	بوشنج	٢٥٠ ر ٥٩			مبانيق المصانير (٨٩١ جرسيا)
	الطابق	٤ ر ٢١			
	غزو شندان	١٠ ر -			ومن النعم (٢٠٠٠) شاة
	كهر طعارشان رم	١٠ ر ٦			
	الغازيات	١٠ ر ٥٥			
	الكوركن	١٠ ر ١٥٤			

(١) المسالك والممالك ، لابن خرداذبة صفحة ١٤٦ الكور لستان ، وطسوج بأكرايا

(٢) المصدر السابق صفحة ١ وفيها حراج الديور وأسيان وفي صفحة ٢١ من نفس المصدر يقول ابن خرداذبة : وخمسة الف عمل بن مروان أنه قبل أسيان وهم بمئة عشر ألف ألف درهم بخرج الري في صفحة ٢٢ عشرة ملايين درهم وأيضاً في صفحة ٢٤ ، وفوس خراجة (١٠٩ ر ٢) درهم

(٣) المصدر السابق ، صفحة ٢٥

(٤) المصدر السابق من حيازة سرخس إلى جبال الجرجان ، صفحة ٣٦

بقية قائمة ابن خردادبه الطراحية

م	أسماء الأقاليم	مئات الجبال من الأموال والأمتعة		
		من الخرافم	من النخطة	من الشعر
	الخطلان بلغ وسد	١٢٣٢		
	جره وحبالب	١٢٣٠٠		
	حنم	١٠٠ ر		
	فبروش	٢٠٠		
	سومد	١٢٦		
	الزقوب وسمطان	١٠٠ ر		
	البريخاران	٥٠		
	السانان	٢٠٦٥٠		
	سرمقان وخومرس والسمحاره	١٧٦٠		
	البراميد	٢٠٥٠		
	السينقان	١ ر		
	كران	١٠ ر		
	بشمان	٢٠ ر		
	كوشان	٢٠		
	المندهان	٢٤٠٠٠		
	مزون	١٠ ر		
	نكست	٢٠ ر		
	سپام	١٥٠		
	الشمايكن	٢٢		
	باسارا	١		
	الوختره	والرستان		
	العندمين و نرمان	٢٠٠ ر		
	كابل	٢٢٥٠ ر		
٨	شيزور والمامقان ودراسد	٢٠٥٠ ر		
٩	ماسدن و شهر حانقدق	٢٠ ر		
١٠	قم	٢٠ ر		
١١	فارس	٢٢ ر		

١١ المسالك والممالك ، لابن خردادبه ، وفيه هذه الجبال المذكوره في المصنفين ٢٦ و ٢٧ ، من الخطلان
 پنج حتى كاس

٢١ خراج شهرور وحتى خراج قم ، هذه الجبال المذكوره في نفس المصدر السابق في صفحة ٢١-

٢ مسؤل ابن خردادبه في كتابه المسالك والممالك ، صفحة ١٤٨ وخرائج فارس بالكفاية ثلاثة وثلاثون ألف
 ألف درهم وخميس الفحل بن مروان أنه قبيلها خمسة وثلاثين ألف ألف درهم بالكفاية على أنسه
 لأميرة على السلطان)

سجله قائمة ابن خردادبه الخراجية

٢	أسماء الأقاليم	مقدار الجباية من الأموال	
		بالدرهم	من الأمثلة والعروض الأخرى
١٢	السند (١)	١٠٠ ر	درهم
١٣	لروين	١٢٠ ر	درهم
١٤	ديار مصر (٢)	٥٠٠ ر	درهم
١٥	الموصل	١٠٠ ر	درهم
١٦	ديار ربيعة	٧٤٠ ر	درهم
١٧	أدربيجان (٣)	٢٠٠ ر	درهم
١٨	أرمينية	١٠٠ ر	درهم
	أسماء الأقاليم	مقدار الجباية من الأموال بالدينار	من الأمثلة والعروض الأخرى
٩	لشروين والعوام	١٠٠ ر	(٤)
١٠	حمص	٢٤٠ ر	
٢١	دمشق	٤٠٠ ر	وجاء في الممالك والممالك (أو خراج دمشق أربع مائة ألف دينار وثلث)
٢٢	الأردن	٢٥ ر	
٢٣	فلسطين	٥٠ ر	
٢٤	مصر	٢٠٠ ر	وجاء في الممالك والممالك (أو يحمل منها مائة مائة مائة مائة دولة بني العباس في ألف ألف ومائة ألف دينار)
٢٥	البص	١٠٠ ر	
	مجموع الأقاليم بالدينار	٢٠٠ ر	
	وباعتبار الدينار ١٥٠ درهم	٣٠٠٠٠ درهم	
	يكون المجموع بالدرهم	٣٠٠٠٠ درهم	

- (١) الممالك والممالك ، ابن خردادبه صفحة ٥٧ وذكر في نفس الصفحة جباية السند ولروين وجاء فيه : وكان عمران بن موسى اليرمكي من السند ، على أن يحمل منها بعد كل نفقة ألف ألف درهم
- (٢) المصدر السابق صفحة ٢٢ ، ٧٤ وجاء فيه : وخارج ديار مصر خمسة آلاف وستمائة ألف درهم ، تقدير الرضاة والزيتونة وكثير من الجزير لربعة آلاف دينار وجاء في هامش نفس الصفحة ١ وخارج الجزيرة أربعة آلاف ألف دينار .
- (٣) المصدر السابق جباية كور الموصل صفحة ٩٤ ، وكور ديار ربيعة صفحة ٩٥ وخارج أدربيجان صفحة ١٢١ وخارج أرمينية صفحة ١٢٤ .
- (٤) المصدر السابق : خراج لشروين صفحة ٢٥ وخراج حمص صفحة ٢٦ وخراج دمشق صفحة ٢٧ وخراج الأردن صفحة ٢٨ وخراج فلسطين صفحة ٢٩ وخراج مصر صفحة ٤٠ وخراج البص صفحة ٤١ .

أما مجموع ما بأنني سميت المال ، أو بالأحرى مجموع قلثمه ابن حردادبه الحراجية

يساوي بالندراهم = ٢٠,٢٧٧,٢٢٥ درهم (ثلاثمائة وخمسة وثلاثون مليون ، ومائتان
وسبع وستين ألف وثلاثون درهماً)^(١) .

وقد أضاف بعض المؤرخين المحدثين مبيعات البصرة وهي سمة علابين درهمين

(٠٠ ر ٦٠) إلى القائمة الخراج^(٢) ، إلا أنني في هذه القائمة لم أضفها ، لأنها قائمة
حراجية ولا علاقة للمبيعات بها ، وقد ذكرت مبيعات البصرة في فصل الركاء .

كما أنني لم أضف حوالي مدينة السلام (البحرية) إلى هذه القائمة أيضا ، كما

فعل نفس المؤرخ في كتابه ، وقد أشير إلى ذلك سابقا^(٣) . بل أضفتها إلى فصل الجبهة .

(١) واعتبار الكرو = ٤٥٠ درهما ، ثم صغير الحنطة والشعير ، وقد بيع بـ ١٠٠٠
الحواد شاملا الطمايح والكوز وخراج دحمه ، وسقي الفرات ودجيل وأقسامهما ،
وسقي دجلة وتامرا ، وسر الحنطة والشعير ، والأرز أحيانا من بعض الأقاليم
فجميع الحباية بلغت = ١٠٢,٦٧٩,٨٤٠ درهم

(٢) الدكتور محمد فياض الدين الرئيس في كتابه ، صفحة ٥٢٩ .

(٣) الخراج والمظن الحالية ، صفحة ٥٤٠ .

القطائع

ومما يلحق بمورد الخراج في العصر الأول للدولة العباسية مورد القطائع ، وقد عرفت القطائع منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر وعمر^(١) وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) إلا أن نظامها كان مبهما ، واتسعت القطائع في عهد الدولة الأموية ، وفي العصر الأول للدولة العباسية ، وكثر إيراد الدولة من تلك القطائع ، ومما يؤسف له أنه لم يصل إلى أيدينا وثائق أو نصوص تاريخية ، تبين لنا مقدار دخل الدولة العباسية من أملاكها الخاصة ، ولا مقدار صافيها في العصر الذي يتناوب عليه البحث ، إلا أننا نستطيع أن نقول ، إن هذه الأملاك ، كانت أكثر ربحاً وغيراً من غيرها خزانة الدولة ، وأن دخلها كان كثيراً .

وقد عرف الحولرمي القطائع بقوله (أن يقطع السلطان رجلاً أرضاً ، فتصير له رقبته) ، وتسمى ملك الأمويين قطائع ، واحداً قطيعة^(٢) ، وكان الخليفة العباسيون يقطعون الأراضي لخدمهم ، وللمفربين إليهم ، كل على قدر جرمته ، كما كان يهبون لهم الأموال^(٣)

وبذكر الماوردي^(٤) ، أن القطائع التي يهبها الخليفة تنقسم إلى قسمين :

أ - إقطاع السليك وبموحبه يبيع الموهوب له مالكا للأرض ، هو ووريثه من بعده ويكون على صاحبها عادة دفع العشر من إنتاجها سنوياً .

وقد برز القاضي أبو يوسف سبب جباية العشر من هذه القطائع ، بأنه يمسر بمر له المدقة^(٥) ، وكان من حق الخليفة في أن يفرس الخراج على هذه الأراضي .

(١) في كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٢٢ وكان خراج ما استنفذ عمر (رضي الله عنه) سبعة آلاف ألف ، فلما كانت الحماحم - معركة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن الأشعث في عهد الدولة الأموية - أحرق المسلمون الديوث ، فذهب ذلك الأصل ودرس رسم يعرف .

(٢) معاصم العلوم ، صفحة ٤٠ - وتاريخ الجيبي ، صفحة ٢٩٩ - وعند الحديث عن كشف المصطلحات الماريجية التي وردت بالكتاب .

(٣) آثار الأول في ترتيب الدول ، صفحة ٢٨ .

(٤) الأحكام السلطانية صفحة ٢١٦ - ٢٢٥ .

(٥) كتاب الخراج ، صفحة ٦٩ .

كان الخلفاء الصباسيون الأول يقطعون تبعاعهم^(١) حيائاً من أراضي المواب^١ .
فهيموسيا لمن يشاء ولعن يستطيع العمارة بها ، وزراعتها ، فستفيد الدولة
من ذلك.

وكان صاحب قطعة الأرض المواب لا يملكها ملكية نهائية ، لا بعد أن يعمرها
فإن أهمل في ذلك كان بعض الخلفاء يمتزعيها منه ويمنحها لغيره .
كذلك كان الخلفاء الصباسيون الأول يقطعون تبعاعهم من أراضي العمارة ، فيسرق
أنهم لا يستطيعون إقطاع أرض يملكها أحد الأفراد ، سواء أكان مسلماً أو دميماً ،
إذ أنه في هذه الحالة يسرع الأرض من ملكها لقطعها لآخر وهذا لم يحدث
أبداً .

غير أن الأراضي العمارة على اختلاف أنواعها ، كالأراضي التي مات عنها أصحابها
ولا وارت لهم أو أراضي الحراج ، أو الأراضي التي تدخل في ملكية الخليفة
من نصيبه في خمس المئات ، كل هذه الأنواع من الأراضي كان لا يقطعها ولا يملكها
قانون يختلف تماماً عن الآخر .

أما الأراضي العمارة التي مات عنها أصحابها ولا وارت لهم ، فتدخل ملكية
إلى بيت المال ميراً^(٢) ، ولذا لم يكن الخلفاء الصباسيون يقطعونها لأحد .

(١) هناك عدة أنواع من الأراضي المواب ، ذكرها الماوردي في كتاب الأحكام
السلطانية والولايات القديمة صفحة ٢١٦ ، ٢١٧ في الباب السابع عشر وعبد
الحديث عن أحكام الإقطاع . - فمما جاء هو مواب من قديم الزمان فلم تحرر عبيده
عمارة ولم يعرف له صاحب ، وهذا يستطيع الخليفة إقطاعه لمن شاء دون اليد
والنوع الثاني أراضي ملكها المسلمون عامرة ثم أهملت فملكت موابا وقد احتلها
الحقبة في إقطاعها وملكها فبعضهم رأى أنها لا تقطع ولا تملك بالاحياء والعمارة
سواء أعرف أصحابها أم لم يعرفوا فالبعض الآخر رأى أنها تقطع وتملك
ويعطى الخليفة لمن يشاء وإن لم يعرف الملاك ، وإن عرفوا فهم أحق ببيعها
ورحائها

[٢] الأحكام السلطانية ، الماوردي ، صفحة ٢٢٠ .

أما أراضي الحراج ، فلا يستطيع الخليفة إقطاعها ، لأنها تعتبر ملكاً عاماً لكافة المسلمين ، ولا يجوز لأحد التصرف فيها . وإن كان يجوز للخليفة أن يقطع حرج هذه الأرض لمن يشاء على ألا يملكها - وهي بذلك بحرج عن نطاق إقطاع التملك ولا تعتبر منه .

أما أرض المصونة ، فكان الخليفة يستطيع أن يقطعها من يشاء ، مقابل مبلغ معين يحرص عليه .

ب - إقطاع الاستغلال .

وكان لمالك هذا النوع من الإقطاع الحق في استغلال أرضه ، بقي صاحبها له الخليفة ، لمدة معينة ، دون أن يملكها أو يورثها ندرته ، إذ ينسحب حكمه في استغلال هذه الأرض بموته ، ولا يستطيع الخليفة إقطاع أراضي يُخسَر بهذه الصورة ، لأن إقطاعها زكاة .

أما أراضي الحراج فيستطيع الخليفة إقطاعها إقطاع الاستغلال للملح والعمال^(١) .

(١) هائله أحكام فعبه مسعدة أوردها كثير من الفقهاء حول الإقطاع ، وخصوصاً الأحكام المتعلقة بإقطاع أرض الحراج للملح والعمال ، ويجاباً للذين في الجرشيات القلبية ، يسمى أن يشير إلى أنه لم يكن يجوز إقطاع الجند والعمال من أراضي الحراج في أراضي أعداء الدولة ، الذين وقعت أراضيهم تحت سيطرة المباشرة بحكم الحرب ، إلا لمدة سنة واحدة ، فربما تقوم الحرب ، وينقطع إيراد هذه الأرض ، ولا يستطيع صاحب القطعة بذلك منها شيئاً ، أما باقي أراضي الدولة ، فكان يجوز للخليفة أن يقطعها للملح والعمال ، أكثر من سنة على أن يحدد هذه الإقطاع بالسنوات ، وكانت أراضي الحراج من الإقطاع ، تعين بمواتده إما على أساس نظام المساحة أو على أساس نظام المقاسمة ، وفي حالة نظام المساحة كان تحديد مساحة القطعة يتم بسهولة ، لأن عائد الأرض لا يتغير فهو ثابت ، وحفر على مساحات الأرض . وكان على الخليفة أن يُعطي القطعة التي يوازي إيرادها ورق العامل أو الجندى . أما في حالة أراضي المقاسمة ، فكان على الخليفة قبل إقطاعها أن يحدد حالتها ، ويقرر سبب حرجها في أوفر السنوات محمولاً ، وفي ألتها إنجاباً ، وعلى أساس هذين التقديرين ، تحدد مساحة الأرض التي تمنح للعامل أو الجندى . فإن كان ما يصفه من بيت المال كرمته أو ورق يوازي أعلى المستثنى ، حار إقطاعه هذه الأرض ، ويصدر لئله =

وكانت معظم القطائع في العصر العباسي ، وخاصة في القرون الثلاثة الأولى -
 الثنائي والثالث والرابع - تقطع لأصحابها وفقاً لنظام إقطاع لاستغلال
 وكان يحوز بتخليعه على أساس ذلك النظام استرجاعها من أصحابها^(١)
 وقد اجتذبت أنواع القطائع حسب الأفراد الذين منح لهم ، والأشباب التي من
 أحبها أقطموا الأرض ، قصبا -

١ - الإقطاعات الحامة وهي التي منحها الخلفاء للأفراد المفرجين إليهم ،
 كمكافأة لهم لولائهم ، أو لأعمال كبيرة قاموا بها ، أو لرغبة الخلفاء ،
 العباسيين في تكريمهم
 فأقطعت هذه الأراضي للشعراء ، والأمراء ، وعلية القوم كإقطاع جميل
 وقد أقطع الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ابنه صالحاً قطيعة من هذا
 النوع قرب الأهواز^(٢) .

ومما بني الخليفة العباسي المنصور بهداد ، أقطع كبار القوم

مسور بذلك - (قانون الرسائل ، المصري ، صفحة ١١٠) - أما إذا كان تراسب
 بوزاري خراج أهل السوات إنشاء فلا يجوز إقطاع الموظف هذه الأرض ، لأن خراج
 قد يريد فيسولي عليه الحامل بحكم إقطاعه ، ويتقاضى بدلها أكثر مما يستحق
 (الأحكام السلطانية - المأورد في صفحة ٢٢٢) وكان يجوز للخليفة أن يسود ما
 أقطعه لحيده أو عماله ، بعد انقضاء سنة على ذلك ، حتى يحبس إيراد الأرض
 ولم يكن يقطع من العمال سوى أصحاب الأوراق القابلة من بيت المال ، كالقصة
 وكتاب الدواوين ، وكانت القطيعة سخط بعزلهم .

(١) توسع الخليفة المنصور (٢٩٦ - ٣٢٠ هـ) في استرجاع القطائع من أصحابها ، حتى
 أنشأ لذلك المرمى ديواناً ، سماه ديوان الترمجة (صلة تاريخ الطبري ، عريب
 الفرطبي ، ملحق مع الجزء الحادي عشر من كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري
 صفحة ٧٥) .

(٢) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ١١٧ ، ١١٨ (وكان المنصور يحب تباها له ،
 يقال له صالح ، ويرق عليه ، وكان أقطع أولاده جميعاً قطائع حلاء ، وكان يسمون
 أبي هذا المسكين لشيء له ، تدقب بمصالح المسكين - - ، فأقطع المنصور
 صالحاً تلك المصبة - بالقرب من الأهواز -) وبعد مرور سنة على ملك المصبة
 التي أقطعها لصالح ابنه ، حمل أبو الهيثم الموصلي عشرين ألف درهم إلى أبي
 جعفر ، وقال : هذه غلة المصبة .

أراضي فيها^(١) .

كما أقطع الخليفة المهدي سنة ١٦٠ هـ أفراد حره الحدس وأنجابه قطائع
ريادة على رؤسهم ، مكافأة لهم^(٢) .

كذلك أقطع الخليفة الرشيد عبيدالله بن المهدي بعض الأراضي بقطعه
الأهواز^(٣) .

كما ابتاع الرشيد الأراضي التي تقع على نهر الأمير بالهجرة ، وأقطع
مها أنبائه^(٤)

وأقطع الخليفة المأمون الحسن بن سهل فم الملح سنة ست ومائتين^(٥) .
وكانت الطريقة السنية في إدارة القطائع العامة ، أن يعين صاحب
الطريقة ، الفلاحين العاملين في زراعة أرضه ، ويهدم بسيدور ، وينفق
على حفر القنوات ، وصيانة الأرض ، وأن يعمرها بمافيها منحتها^(٦) .
ويدفع لبيت المال مقداراً معيناً من المال كل سنة ، ثم يسجل أرضه
بمذ ذلك وفق لفرضه الخاصة .

- (١) كتاب البلدان - اليعقوبي ، صفحة ٢٤٦ ، ٢٤٧ - وفي البداية والنهاية ، الجزء
العاشر ، صفحة ٩٤ من أحداث سنة ١٤٥ هـ - أقطع السمرق - سيبحث المجموع .
ألفي جريباً مكافأة له على حجة بمن تصواته (وكذب المجموع ولومدفر)
- (٢) البداية والنهاية ، الجزء العاشر ، صفحة ١٢٢ وجاء فيه لو انتخب من أهبل -
المدينة - خمسمائة من أعنيابها ، ليكسوا حوله حرراً بالمراني وأساراً ، وأجبري
عبيهم أرقاً من أعنيابهم ، وأقطعهم إقطاعاً معروفه بهم
- (٣) فتوح البلدان ، صفحة ٣٧٨ عند آخر الحديث عن كهر الأهواز .
- (٤) فتوح البلدان ، صفحة ٢٥٦ وجاء فيه (وسر الأمير بالهجرة حفره المصور ، ثم
وهبه لابنه جعفر ، فكان يقال سهر أمير المؤمنين ، ثم قيل سهر الأمير ، ثم
ابتاعه الرشيد ، وأقطع منه ١٠٠٠) .
- (٥) البداية والنهاية ، الجزء الحادي عشر ، صفحة ٤٩ - وهم الملح اسم منطقة كان
يقوم بها الحسن بن سهل ، وفيها عقد المأمون على بوران بيد الحسن بن سهل
وجاء في معجم البلدان ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٧٦ باب نهـ والميم ومايليها
أن فم الملح سهر كبير فوق وسط بيمها وبين جبل عليه عدة قرى .
- (٦) كتاب الحراج لأبي يوسف صفحة ٦٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

وكان الخليفة إذا أقطع أحداً من الناس قطعة ، كتب له منشوراً بذلك ، ووقع عليه ، كما يوقع عليه الوزير أيضاً ، ثم يرسل المنشور إلى ديوان القضاة لاتيانسه ، وإلى ديوان الزمام لمراجعة أصل القطعة ، ومدى استكمالها للإجراءات المعروفة ، وبعد الأرض الممنوحة ، وبعد أن تتم هذه الإجراءات ، يملك المنشور إلى صاحب القطعة (١) وهذا النظام ينبع من عصرنا الحاضر ، في أرقى الدول وأدق البلدان نظاماً ، وغالباً لا يجمع موقيع الخليفة والرئيس والوزير معاً ، وعموماً على سندات الملكية ، فالوئاع على سندات الملكية من اختصاصات وزير العدل فقط حالياً .

و ديوان القضاة لا يوجد في عصرنا هذا ، وإنما هناك ديوان يعرف بالديوان الأميري أو إدارة عامة في قصر الرئاسة ويحتس بجميع هيئات الأمير أو الرئيس أو الملك ، سواء أكانت قطائع أراضي أو هيئات مالية أو إقامة مباني خيرية . . . الخ .

أما ديوان الزمام ، فيعرف حالياً في عصرنا هذا بإدارة الجبل العقاري أو (الشهر العقاري) في بعض البلدان ، وكل هذه الإدارات والأقسام عرفت في العصر المباني الأول وبأدق النظم والإجراءات والفوائيد .

منع الخلفاء المباسيون كثيراً من القضاة من أرض " المواقي " التي كان يملكها أكاسرة الفرس وأمرائهم ، ثم هجرها أصحابها أو قتلوا (٢) فأقطعوا منبهمس أمواتهم ، ولم يقتصروا فقطاشهم على تلك المواقي ، بل تمدوها إلى غيرها من الأراضي

(١) تحفة الأمراء ، المصنوع ، صفحة ١٨٩ .

(٢) والمواقي كما هو معروف هي الأراضي التي تركها أكاسره وأمراء الفرس وتولى أمرها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وكانت في عهده تحتل مساحات واسعة من الأرض ، وكان عمر (رضي الله عنه) يقطع من هذه الأراضي لمن يستحقها ، وكانوا يدفعون العشر عنها . كتاب الخراج ، لأبي يوسف ، صفحة ٦٢ ، ٦٣ .

التي تمت أيديهم^(١).

ويذكر ابن كثير^(٢) أن هناك قطائع عرفت في العصر الأول للدولة العباسية بالقطائع العسكرية فقد ذكر البلاذري^(٣) أنه لما اسطبت أبو العباس فرض بالمهممة - شعور شامية - أربعمائة رجل ربابه في شعبها وأقطعهم وبدأت قطائع نفوذ مدد عهد أبي جعفر المسمور ، فقد عزم يوزره أبو أيوب المورياني على أحد هؤلاء القيسواد سنة ١٢٧ هـ مدبه ككر ، وأمره بالرفاع حراحيها ، وكثره قلبها عقاب استدراج أبي مسلم الحراساني لباني إلى الحليفة المسمور^(٤) - كما أقطع الحليفة المهيدي قطائع لحرسه

(١) وقد كان للحلفاء العباسيين أراض واسعة في العراق وبلاد الفرس ، ويرجع أصل قسم كبير منها إلى أملاك الأمويين ، التي آلت إلى العباسيين بعد قيام دولتهم ، كذلك تمت الخلافة عددا كبيرا من أراض الصوافي ، وهي أراض الكابرة الفرس وأمرائهم ، وجاء في كتاب الوزراء والكتاب صفحة ٩١ ، ٩٢ أن أبا العباس السفاح عهد بعد توليته الخلافة إلى عماره بن حمزة بن منصور بالاعراف على هذه الصباغ وحمرها ، وفردادت صاحبه أراض الخلافة خلال العصر العباسي الأول من طريق الشراء أو العمارة أحيانا ، أو عن طريق المناسم ، حيث كان للخليفة سهمها ، كذلك تمت أراض واسعة إلى سبلكات الحلفاء عن طريق نظامي الإلجاء أو الصان .

جاء في كتاب البلدان للبلاذري ، صفحة ٢٧١ - أنه كانت صباغ واسعة وكبيرة للخلافة في منطقة الديور ، وهي التي يطلق عليها ماء الكوفة ، كما وجدت صباغ للخلافة في سواحي نهاوسد (في المرجع صفحة ٢٧٢) - وجاء في كتاب الخراج وصفه الكتاب لفداهه بن جعفر صفحة ١٢٤١ طلب فاصحت الدوناطيسية ، وقيمت أموال بني أمية ، أقطع جميع السبي داود بن علي^٥ ابن عبدالله بن العباس ، وأبيع ذلك من يوزنه فيما بعد ، فصار في مداد الصباغ السلطانية .

(٢) البدايه والمهابة ، المجلد الخامس ، صفحة ٦٥ ، ٦٦ والقائد هو سلمه بن سعيد بن حابر كما جاء في هامش نفس المراجع وعند الطبري

(٣) فتوح البلدان صفحة ١٧٠ وعند الحديث عن الثمور الشامية .

(٤) وجاء في صوح البلدان صفحة ١٩١ - أنه أقطع الحليفة المسمور حمد ملطيه المزارع وكان عددهم أربعة آلاف مقاتل

الحامه وأنعم له سنة ١٦٠هـ^(١) وأقطع الهادي والرشيد حشد السور قطائع في أرضها^(٢) كما أقطع الحامون والمعتصم^(٣) - ومن الحذر بالذكر أن هذه القطائع أصبحت فيما بعد القروى نسي تناولها اليحدثمروع على القاده والحمد في مقابل رؤسهم . وكان على أصحاب القطائع العسكرية من القاده والحمد في العصر العباسي لأول ، أن يؤدوا مبالغ معينة لبيت المال ، دفعه واحده أو أقساط ، بعد أن يقدر رزقهم منها

وكان ديوان السوافي دور كبير في مثل هذه الأمور العانية الحامه بالقطائع . وكان هذا الديوان يضم حشراً لمساحات الأراضي . والقطائع التي ليس بها ملك ، وهي في الأصل ملك لأكاسرة الفرس وأمرائهم ، وبعض أفراد البيت الأموي ، وكانت هذه تصاع بمادة من بيت الخلفاء العباسيين ، يملكون مولدها لمعروفاتهم وخرانتهم الحامه أو يعطونها لأسانهم وأبنائهم وعمالهم^(٤) .

وكم كتب أنسبُ العمول على بعض الأرقام التي سبق إبراز الخلفاء وديوان السوافي من القطائع والصناع السلطانية ، إلا أن المؤرخين لم يذكروا شيئاً كهذا والله أعلم

- (١) البدايه والنهايه ، المجلد الخامس ، الجزء الخامس ، صفحة ١٣٢ .
 - (٢) فروع البلدان ، صفحة ١٩٤ ، ١٩٥ - وجاء فيه . (ثم وثى الرشيد الخلافة فأمر بمبائها - بناء مدينه الخدم بالسور - ونخصمها ، وشعبها ، وأقطاصها مقابلتها المسكني والقطائع)
 - (٣) Sayed Ameer Ad, Ashort history of the Seljuks, P 429/430
 - (٤) ومن دواوين السور الأول للدوله العباسية ، ديوان الصناع السلطانية ، وكان سجلاته ، إحصاء بأراضي الخلفاء ، ومساكنها ، ومقدار جبايتها ، وبالحسب به عدة إدارات ، لأمالك أهل الخليفة وأقاربه . وكانت كل ميهة أو مجموعته من الصناع ، يمسك بها إلى عامل ، يحسن حراجها ، أو يعطيه بالحصن شخص آخر ، ويتعهد بتوريد جبايتها إلى الخلفاء .
- V.Kremer The Orient Under The Caliphs, P 236.

قال الله تعالى :

"أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانٍ خَيْرًا أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى
شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ :

الْقَائِمُ الْكَرِيمُ

سورة التوبة آية ١٠٩

الفصل الرابع العشور

- العشور: تاريخه قبل الإسلام .
- العشور في الإسلام وفي العصر المذوني للدولة العباسية .



والمورد الرابع من موارد بيت المال في العصور الأور للدول معبسية ، هو
مورد العثور .

والعثور : هي الرسوم التي تؤخذ على أموال وعروض التجاره ، الواردة إلى
شعير وحدود بلاد المسلمين برأ وبحراً .

ويرى بعض العلماء أن العثور هي المرائب المفروضة على أموال تجاره
الصادرة من البلاد الإسلامية والواردة إليها ^(١) .

ويرجع تاريخ العثور إلى عصور ما قبل الإسلام فقد كان اليونانيون والرومان
والفرس .. يحملون على مريية عما يورد إلى بلادهم من بضائع أجنبية ، وبشطت
تلك المريية أيام حكم الدولة الرومانية الشرقية لعمراً وراثه دهر حكومتها بما
أدخلوه من إصلاحات على النواحي المالية ^(٢) .

وكانت مصر تعتبر ممراً هاماً للبضائع التي تأتي من بلاد ساحل إفريقيا
الشرقية ووسطها ، بالإضافة إلى أن الإسكندرية ميناء مهم للتصدير والتوريد .

وكانت الرسوم تؤخذ حين ورود البضائع وحين مخرورها (وقد فرضها أحمد
الفاطمي الأوائل في أوائل بناء القاهرة ، لتأكيد سلطانه الرمزي ، ولتأصيل
الكنيسة) ^(٣) .

وقد عرفت العثور في الجاهلية عند العرب ، يقول أبو عبيد " إنه كان
للعثور أصل في الجاهلية ، يغلطه ملوك العرب ، والحكم عبيد ، فكانت يستهم
أن يأخذوا من التحل عشر أموالهم ، إذا مروا بها عليهم ^(٤) "

(١) النظام المالي الإسلامي المقترون صفحة ٦٥ .

(٢) النظام المالي الإسلامي المقترون صفحة ٦٥ .

(٣) آثار الحرب في الفقه الإسلامي هامش صفحة ٥٢٥ .

(٤) كتاب الأموال ج ٤ صفحة ٦٣٦ .

لم يكن بهذه المربية وجود في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وخلصت
الأول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) لأن تلك الفترة كانت عمره دعوة إسمي
الإسلام ، والجهاد في سبيل الله ، وبناء الدولة الإسلامية ، فلما انتعشت الدولة
في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) واستندت حدودها شرقاً وغرباً وصار التبادل
التجاري مع الدول المجاورة ، صوره تعليمها المصلحة العامة ، رأى الخليفة عمر
(رضي الله عنه) أن يقر تلك المربية على الولد بين إلى دار الإسلام ، كما كان
أهل الحرب يأخذونها من تحار المسلمين القادمين إلى بلادهم ، معاملة بالتقيد .
وقد أخرج العنبر في العصر الأول للدولة العباسية ، وذكر قواعد ، ونظمه ، والشروط
الرجح بغيرها في العنبر (موظف العنبر) ، والطوائف التي يؤخذ منها العنبر ،
وأفرد بالعنبر فصلاً في كتابه ، قامى الخفاء أبي يوسف ، الذي أوصى الخليفة
العباسي هارون الرشيد ، بالأخذ بهذه المظم ، واتباع تلك القواعد ، عند تحميل
العنبر .

وقد أجمع المؤرخون أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هو أول من فرض
هذه المربية في الإسلام ، ويقال :

" إن أبا موسى الأشعري كتب إلى الخليفة عمر (رضي الله عنه) : إن مجاراً
من قبلنا من المسلمين يأبون أرض العرب يأخذون منهم العنبر " فكتب إليه
الخليفة عمر (رضي الله عنه) " حد أنت منهم كما يأخذون من تحار المسلمين
وحد من أهل الدمه نصف العنبر ، ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما ،
ولهم فيما دون العاتين شيء " فإذا كانت مائتين فقبها خمسة دراهم ، ومائة
فحباه ^(١)

(١) كتاب الحراج لأبي يوسف صفحة ١٤٥ ، ١٤٦ .

وهي رواية عن عمرو بن شعيب أن أهل مديح^(١) - قوم من أهل الحرب وراء البحر - كتبوا إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) " دعنا ندخل أركك مجزاً وتمشربنا " فإشاور عمر (رضي الله عنه) أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك ، فأشاروا عليه به ، فكتبوا أول من عثر من أهل الحرب^(٢) ولذلك قال ابن قدامة فأحد الخليفة عمر (رضي الله عنه) من تجسار الجربيس ، واشتهر ذلك بين الصحابة ، وعمل به الخلفاء من بعده ، ولأشمة في كل عمر^(٣)

واشتهر أن رباب بن حدير " أول عاثر عثر في الاسلام ، وقال ماكنّا بعشر صمّا ولا معاهدا ، كنا نعثر بمارئ بني سلب^(٤) " ولعل من الحكمة في فرض ضريبة المشور على أهل البلاد الأجنبية ، المساهمة في المقاتل التي تتطلبها الدولة على إنشاء الطرق المميدة ، وثقّ الترع ، وبناء القناطر وغيرها من المرافق العامة وقد اختلف العلماء في شرعية المشور (المكوس) ، فبعضهم حرم هذه الضريبة وبعضهم يرى وجوب دفع هذه الضريبة .

(١) مديح - أي معجم البلدان - صفحة ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، بلد قديم بطنس باقوت روميا ، وذكر بعضهم أن أول من بناها أحد أكاسرة الفرس لما غلب على الشام ، وقال صاحب الترج - رحمه الله - كان عليها سور سبي بالحجارة محكم ، بيها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ ومسكن هذه البلدة البحري الشاعر وله بها أملاك - وقد صالح أبو عبيدة الخراج أهلها لما بعث إليهم عياضا على مثل ما صالح عليه أهل انطاكية .

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤٦

(٣) المعنى ويليه الشرح الكبير ج ١٠ صفحة ٦٠٢ ، ٦٠٣ .

(٤) كتاب الأموال ج ١ صفحة ٦٢٢ ، ويصف أبو عبيد قائلا إنما أراد أنّا كنّا نأخذ من المسلمين ربع العشر ، ومن أهل الدية نصف العشر .

والبحر الآخر يرى أن من يدفعها هم تجار الحرب ، ونصارى يمي أغلب فقط ،
ولا يُعثر المسلمون ولا أهل الدمه .^(١)

(١) جاء في كتاب الخراج ، يحيى بن آدم ، صفحة ١٦٩ (٠٠ عن ريبان بن حدير ،
قال ما كنا نعثر مسلماً ولا معاهداً ، قلت فمن كنتم تعثرون ؟
قال : تجار أهل الحرب ، كما يعثرون إذا اتبناهم) .

وجاء في الأحكام السلطانية للقاضي الفراء ، صفحة ٢٤٦، ٢٤٥ (بأما أعثر الأموال
المستقلة في دار الإسلام ، من نقد إلى بلد محترمة لا يبيحها شرع ، ولا يسومها
اجتهاد ، ولا هي من سياسات العدل بوقلمة تكون إلا في البلاد الجائرة ، ولذلك
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يدخل الجنة صاحب مكس) وفي
لفظ آخر (إن صاحب المكس في النار) ، يعني العاشر ، وفي لفظ آخر
(إذا لقيتم عاصراً فاقبلوه) . ولم يحذر الفراء العثور إلا إذا تمت ملامسة
المعاهدة بين المسلمين ودار الحرب المتاحم لهم .

وجاء في كتاب الأموال لأبي عبيد ، صفحة ٦٢٤ ، حديث رقم ١٦٢٢ (٠٠ قال
رسول الله " صلى الله عليه وسلم " . من لقي صاحب مشور فليصرب عنقه)
وذكر أبو عبيد في صفحة ٦٢٥ من كتابه الحديثين التاليين ١٦٢٥ - ١٦٢٦
(سمعت ريبان بن حدير يقول أنا أول عاصر عثر في الإسلام قلت من
كنتم تعثرون ؟ قال ما كنا نعثر مسلماً ولا معاهداً ، كنا نعثر نصارى يمي
تطلب) . وفي حديث آخر (قال سألت ريبان بن حدير من كنتم يعثرون ؟
قال ما كنا نعثر مسلماً ، ولا معاهداً ، قلت فمن كنتم تعثرون ؟ قال
تجار الحرب ، كما كانوا يعثرون إذا اتبناهم) . فهو من قبيل المعاصرة
بالمثل مع أهل الحرب .

وأما القاضي الفاضل أبي يوسف الذي عاش في العصر الأول للدولة العباسية وأورد
فعلاً في كتابه عن العثور ، غيرى وحبوب دفع العثور موقوماً كتاب الخراج
صفحة ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

ويرى الشافعية أن للخليفة أن يقدر قيمة المكس ، سعياً لمصلحة البلاد .
ويذكر يحيى بن آدم في كتابه صفحة ٢٤ - ٢٥ فيما للمكس ، أنه كان على
أهل الدمه دفع إلى من يعتصمهم ، وعلى المشركين دفع إلى من يعتصمهم ، على كل
ما يريد من ما يشي لهم . وجاء في كتاب الحصار الإسلامي ، الحبر ، الأول
صفحة ٢٠٥ (والرسوم الحمركية غير جائزة في الشريعة الإسلامية ، إذ دفعها
المطر في أحكامها ، ورغم هذا فإن مراد المكوس كانت منتشرة في كل مكان
وقد حاول الفقهاء أن يحلوا هذه المسألة ، بأن اعتبروا الضرائب الحمركية
داخله ضمن الزكاة ، وهذا بالمسبة للمسلمين على الأقران ، ومن هذا نشأت فكرة
أن الماجر يستطيع أن يطوف عاماً كاملاً ، أيمد شاء ، من حدود البلاد ، معطي
من المكوس ، متى دفع المكس مرة واحدة ، وهو العثر . وأنه لا بد نهائياً =

وفي العصر الأول للدولة العباسية كان يطلق أحياناً على العشور اسم مكوس ،
والمكوس والعشور يسميان في عصرنا هذا الترسوم الجمركية . وكانت مورداً هاماً من
موارده الدخل في العصر الأول للدولة العباسية .

ولهذا السبب كثرت أماكن جبايتها ، وتحصيل رسومها ، خلال ذلك العصر
وأطلق عليها " مرادم المكوس " (١)

وقد بلغ دخل إقليم طبرستان من أقاليم السند في السنة الواحدة مليون درهم
من صريفة العشور (٢)

(١) أن يدفع صريفة ما معه من عين المال على منزل ربيع العشر ، وكانت صريفة
الجمركية في الواقع بمئله ١٠٠٠ .
وأرى كما يرى أبو عبيد ، وذكر في صفحة ٦٢٨ من كتابه ، يقول أبو عبيد .
(١٠٠) وكيف يكون هذا مكروهاً . أي أحد العشور . وقد لمعه عمر بن الخطاب
والأشبه بعده ؟ ثم لا يعلم أحداً من علماء أهل الحجاز ، واسفراق ، واسفام ،
ولا غير ذلك كرهه ، ولا ترك الأخذ به ، وكانوا يرون ما أحده الماشر مجرباً من
الركاء . منهم أس بن مالك ، والحسن ، وإبراهيم ، وكان مذهب عمر فيما
وضع من ذلك ، أنه كان يأخذ من المسلمين الركاء ، ومن أهل الحرب العشور
تماماً . لأنهم كانوا يأخذون من تجار المسلمين مئة إذا قدموا بلادهم . وكان
سبيله في هذين الصنفين يوماً واقفاً .

(١) البحارء الاسلامية في القرن الرابع البحري الجزء الأول صفحة ٢٠٥ .

(٢) أحسن انقاسيم في معرفة الأقاليم ، للمفدسي ، صفحة ٨٥ ملوحاً فيه (والنجاح
يؤخذ من الحمل إذا دخل طولان مئة دراهم ، وكذلك إذا خرج ، ومن التريق
شأ عشر ، إذا دخل حسب ، وإن كان من نحو الهند ، فمشرق من الحمل ،
وإن كان من قبل السند فعلى مقادير القيم ، وعلى الجبل المدهوع درهم ، دخل
ذلك في كل سنة ألف ألف درهم ، يأخذه على تأويل العشور .)

ولم تكن سمية المشور (المكوس) واحدة في جميع ولايات بدونه وكان سبب
المكوس نجسي لمصالح الخلافة .

وكانت مراد المكوس منتشره في الأقاليم الفارسية المطلة على بحر ، والتي
تجاور بلاد الترك والهند في خراسان وسجستان .

ويذكر الهمداني أنه كان لآل عمارة مرصد على الخليج العربي ^(١) يحشرون فيه
المراكب ، التي تدخل هذه المنطقة ، وكانت هذه المشور من أموال بيت المال
البياني . ^(٢)

كثرت مراد المكس (المشور) في العراق ، في النهر والبحر والأنهار ، وقد
اشتهرت البصرة بكثرة مكسها ، ودقة تفحصها للتجار .

كما أن بعض الأقاليم كانت نجسي مكوساً أكثر من غيرها فإقليم البصرة كانت
نجسي مكوساً أكثر من إقليم الكوفة على أنواع البجارات المختلفة ^(٣)

ويذكر ابن خردادبه أنه كانت هناك مراد للمشور أيضاً على الحدود الرومية
وكانوا يحشرون التجار ^(٤) .

ومن التميميات التي طرأت على صيغة المشور في العصر الأول للدولة العباسية
ما ذكره الهمداني ، أن الخليفة العباسي الواثق بالله أسقط ما كان يؤخذ ممن يرد
في بحر الصين من المشور ^(٥) .

(١) الخديج الفارسي سابقاً

(٢) المسالك والممالك ، صفحة ٧٣ ، ٩٤ ، ٩٦

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الهمداني (البستاني) صفحة ١٢٢ وجاء فيه
أ - وأما المراكب فتفحص كثيرة محدثة في النهر والبحر ، وفي البصرة تدفن
صعب ، وشوكات ، وكذلك بالبطائح ، تقوم الأمته وتفتش ...

(٤) المسالك والممالك ، صفحة ١٥٤ وجاء فيه : (يحملون جلود الخمر وحلوان
التمالب السود والبيوف من أقصى صقلية إلى البحر الرومي ، فيعشرهم صاحب
الروم ، وأرباروا في تميم ٠٠٠٠٠٠ مروا بحملج مدينة الحرور ، فيعشرهم
صاحبها ٠٠٠٠)

(٥) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٤٨٣ ويقول فيه ٠٠ وقرئ - =

وقد يكون إسقاط العشر عن البضائع التي تأتي عبر بحر الصين لحاجته الدولة
إسلامية ورعاياها لهذه الأنواع من البضائع ، ولتفحصها في الأسواق ، وقد يكون
إسقاط العشر نبيذ المكان وما يعاقبه التحلل من مشاق حتى يملوا إلى بغداد .

أما المشور في مصر فيتحدث عنها المقدسي ^(١) فيقول : (٠٠٠ ثم على
باب العرصة ، يؤخذ أحياناً شيء ٠٠٠ ثم تفتش المراكب عند إقلاعها ، ويؤخذ بنحو
على رقب الزببت دينار ، ومثل هذا وأشباهه يتم على شط النيل بالفسطاط مراكب ٠٠٠
رأيت ساحل سمس مراكباً جالساً ، قيل قبالة هذا الموضع في كل يوم ألف دينار ،
ومثله عدة ، على ساحل البحر بالمعهد ، وساحل الاسكندرية ، وبلاطندرية أحياناً على
مراكب العرب ، وبالعربا على مراكب الشام ، ويؤخذ بالقنوم (السويح) من كل
حمل درهم) .

وكانت مربية المشور في مصر ، وحدها في بعض نسخ كتاب أحسن التقاسيم
في معرفة الأقاليم أن هذا كان يختص بمصر ، فكانت مربية المشور في مصر .

وعلى كل حال ، فإن مراكب مربية المشور على اختلافها وتعدددها ، كانت تدفع
إليها المراكب ، على تفاوت في القيمة ، فكان بعضهم يأخذ نصف دينار من كل
حمل ، وأكثرهم كان لا يأخذ من الحمل إلا درهماً ^(٢) .

وأما عن أهم المعونات التي ينبغي أن تكون في الحاضر (موطد المشور) فيقول
عنها القاضي أبي يوسف وهو يحاطب الخليفة العباسي هارون الرشيد (أما المشور
فأريت أن توليها قوماً من أهل العلاج والدين ، وأمرهم أن لا يتعدوا على الناس ،
فيما يعاملونهم به ، فلا يظلمهم ، ولا يأخذوا منهم أكثر مما يجب عليهم ، وأن
يمثلوا حرسهم لهم ، ثم يتفقد منه أمرهم ، وما يعاملون به من بحر بهم ، وهل

(١) ويلاحظ الخليفة الخواتق بالله - على غوم من المحار أموالاً جثة ، وبني يقوم ،
وألف ما كان يؤخذ من يرد في بحر الصين من العشر) .

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، صفحة ٢١٢ ، والفرقة المصيا .

(٣) الحضرة الاسلاميه في القرن الرابع الهجري - الجزء الأول صفحة ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

بمجاورين ما قد أمروا به ، فإن كانوا قد فعلوا ذلك عرت وعاقبت . ومن كانوا قد إنسبوا إلى ما أمروا به ، وحبسوا ظلم المسلم والمعاقد ، أثبتهم على دلتهم الأمر ، وأخسبت إليهم . فإنك متى أثبت على حسن السير والأمانة ، وعاقبت على الظلم والتعدي ، لما تأمر به في الرعيه يريد المحسن في إحسانه ونصحه ، ولا تدع الظالم عن معاودة الظلم والمعدى ، وأمرهم أن يصنعوا الأموال بحسبها إلى بحسب بالقيمة ، ثم يؤخذ من المسلمين ربع العشر ، ومن أهل الدمة نصف عشر . ومن أهل الحرب العشر . {١}

من تؤخذ عليهم ومقاديرها :

تؤخذ المشور من أهل الحرب ، وأهل الدمة ، والمسلمين ، بمقادير تختلف بحسب ما ينسب ، حين يدخل أي منهم بمعاينة أو أي شيء آخر لعرض التجارة ، كما أن هناك حداً أدنى يتوقف عنده أحدها ، وتؤخذ متى بلغت قيمة التجارة أو رادت .
تؤخذ على عروس التجارة فقط عينا أو نقداً ، من ساوت قيمتها بمئتي درهم فية أو عشرين مثقالاً ذهباً ، ولا تؤخذ على من ليس من أصول التجارة .

فالحربي كلما دخل بلاد المسلمين فنادما من بلاد حرب يراً أو بحراً وبلغ {٢}

(١) كتاب الخراج ، صفحة ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٢) جاء في تاريخ التمدن الاسلامي ج١٦ صفحة ٢٢٢ " كان عمال ليس بأحد من هذه العربية من السفن التي تمر بسواحلهم قادمة من الهند ... وكان الأندلسيون يهربون على السفن التي تمر ببوملاز - جبل طارق - في ذهابها وإيابها ، فكان الفرج أو عمرهم إذا مروا بمنهم أدوا العربية في مدينة يقال لب طرف ، ويسمى الآن طرفه Tarifa ويزعم الإفرنج في كلمة Tarifa التي تدل عندهم على الضرائب أو الرسوم التي تؤخذ على المتاجر في دخولها البلاد وخروجها أو الكتاب المنصوص ببيان لائحة الأثمان أنها تحريف " طريف " المشار إليها ، لأنهم كانوا يسمون ما يدفعونه من رسوم السفن " رسوم طرف " ثم أهمل اللفظ لأول وسطى اللفظ الثاني ، مع أن لفظ " تعرفه " في العربية يدل على نحو مماها الإفرنجي ، فبحر أن اللفظ الفرنجي مقبول عن لفظ سريفة المرسى أو محريف " طريف " كما يقولون .

ما جاء به الحد " أي المصنف " يؤخذ منه المشهور ، فإذا تعددت مراتب قدومه خلال السنة ، وكان معه عند دخوله المنكور مال غير المال الذي سبق أن أحدث منه ، تؤخذ منه مرة أخرى ، وعلى أبو يوسف الذي عاش في العصر الأول للدولة العباسية في كتابه مواز يكرر أخذها منه كلما قدم ١٠٠ ، بأنه حيث عاد إلى دار الحرب ، فقد سقطت عليه أحكام الإسلام ^(١) .

أما ما دام في بلاد الإسلام ، ومعه نفس المال الذي سبق أن أحدث به حربته معه ، فلا يؤخذ عليه غيرها ولو مر به على عدد من الموقوفين في أماكن متعددة ، داخل الأقليم ، إلا إذا بلغ سنة ، فيعاد أخذها منه . وتؤخذ من المسلم والدمسي مرة عند دخول أموالهما ، فعن يحيى بن آدم قال : عندما أبو بكر بن عباس عن أبي حصين عن زياد بن جدير قال : " كنت أعضد بني تغلب كلما أقبلوا وأذهبوا . فانطلق شيخ سليم إلى عمر (رضي الله عنه) فقال : " إن زياداً يذهبنا كلما أقبلنا وأذهبنا . فقال : تكفى ذلك . ثم أتاه الشيخ بعد ذلك وعمر (رضي الله عنه) في صلاة فقال : يا أمير المؤمنين أنا الشيخ السمراني ، فقال عمر (رضي الله عنه) : وأنا الشيخ الحنفي ، قد كفيتم ، قال : فكتب إليّ أن لا تمسهم في السنة إلا مرة " ^(٢) . ويصط المفسر الذي أخذت عليه الشريعة ، ويعطى كتاباً يثبت بأخذها عن ذلك المقدار من المال ، ويأخذ دخوله الأول ، ولا يؤخذ منها شيء عندما تتعدد مرات دخول أموالهما إلى أن يتم الدخول .

ولذلك كانت المشورة غالباً مرة واحدة في السنة ، أو حسب تقصي معاهدات المسلمين مع غيرهم .

وإذا مر المسلم على العاشر بعم أو مقر أو إبل ، فقال : إن هذه ليست

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤٣ .

(٢) كتاب الخراج ليحيى بن آدم ج ٢ صفحة ٦٤ حديث رقم ٢١١ وكذلك كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤٧ .

سأستعمله ، أحتف عليه وكف عنه ، وكذلك الحال بالنسبة للطعام والنخيل ، وقال هذا من بدعي ، لم يحتر ، لأن العشر في الذي اشترى للتجارة ، ويعامل بدعي في ذلك كالمسلم ، فأما الحربي فلا يقبل منه ذلك .

ومن النظورات التي طرأت على صيربه المشور في العصر الأول بلدولة العباسية ، أنها أصبحت تؤخذ من جميع الناس . فمحتر الدمى نقلي ، والدمى من أهل سجان ، كسائر أهل الدمة من أهل الكتاب ، في أخذ نصف عشر منهم ، والمحوس والمفركون في ذلك سواء .

وقد أئى القامي أبو يوسف المسلم الذي أدى الزكاة من العشر ، ولكن لا يقبل ذلك من الدمى ولا من الحربي .^(١)

كما أئى يحيى بن آدم المسلم الذي عليه دُين أو الدمى الذي قال للمعاصر إن عسى دينا يحيط بمالي أعفاء من العشر ، ولكن لا يقبل هذا عند من الحربي

أما إذا راد ما أدخله المسلم أو الدمى في مرة من العرات مما أدخله في سابق ، فتؤخذ على ما راد فقط . وهو بهذا الكتاب الذي يحيط فيه بمسائل شهادة بأنه دفع ما يجب عليه ، حتى لا يسرى له أي موظف مضمّن بجمع المشور منه مروره به .

وتؤخذ بقداً أو عينا . أما إذا كان المال خمر أو خمريرا أو أي شيء مما يخص بتوريده واستعماله أهل الدمة والحريين ، فهذه السلع تقدر قيمتها بمعرفة

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف - صفحة ١٤٤ . وكتاب الخراج ليحيى بن آدم صفحة ٦٤ ، ٦٥ ، وحا ، فيه (قال يحيى وإن قال الدمى من بني ثعلبة وغيرهم للمعاصر ، إذا مروا عليه بتجارة ، إن عليّ دينا يحيط بدعي ، فلا يأخذ منه شيئا ، قال وأما أهل الحرب فتؤخذ منهم فيما تجروا فيه ، وإن كان عليه دُين) .

أهل الصف ، ثم تعصب العربيد على أساس ذلك المعتبر ، وفي ذلك يقول أبو يوسف " وإدّ من أهل الدمة على العاشر بجزء أو حازير يوم ذلك على أهل لدنسه ، يقومه أهل الدمة ، ثم يؤخذ منهم نصف العشر ، وكذلك أهل الحرب إذا مسرو بالحصار والحمور فإن ذلك يقوم عليهم ثم يؤخذ منهم العشر ... " (١).

أما التجارء التي يسافرها المسلمون في الداخل بين مدن الدولة الإسلامية ، فلمن عليها عشر ، سوى ما يؤخذ عليها من مدحه وقد قال الماوردي في كتابه " أما أعشار الأموال المتمتعة في دار الإسلام من بلد إلى بلد فمحرمه لا يبيعها شرع ولا يصوعها اجتهاد ، ولا هي من سبقات العدل ولا من قضايا المصلحة " (٢) ، ووصف أدها في بلاد المسلمين بالحمور فقال " قل ما يكون إلا في البلاد ابعارة " (٣).

أما إذا انتقلت الأموال من قطر إلى قطر ، من مصر إلى الشام أو العراق أو منها إلى مصر أو غيرها يؤخذ عليها حريته العشر (٤) .

ومقدورها على الحربى العشر ، وعلى الدمي نصف العشر وعلى المسلم ربع العشر ، وقد حدد الخليفة عمر (رضي الله عنه) في كتابه إلى أبي موسى لأعري (رضي الله عنه) تلك النسب ، والحد الأدنى الذي عند بئوه بدأ أدها " خب أنت منهم كما يأحدون من تجار المسلمين " (٥) - العشر - وحد من أهل الدمة نصف العشر ، ومن المسلمين من كل أربعين نرها نرها ، وليس فيها دون اثنائين شي . فإذا كانت مئتين ففيها خمسة دراهم ، وما زاد فيها " (٦).

- (١) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤٤ .
- (٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية صفحة ٢٢٦ .
- (٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية صفحة ٢٢٦ .
- (٤) المبادئ الاقتصادية في الإسلام صفحة ٢٤٢ .
- (٥) أي يأحد من التجار الحربيين العشر كما يأحدون هم من تجار المسلمين
- (٦) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤٦ .

إن من يعكر في ذلك المحديد الذي رسمه الخليفة عمر بن الخطاب^١ رضي الله عنه^٢ والذي استمر العمل به في الدولة الأموية ثم في العصر الأول للدولة العباسية ، قد يصل إلى أنه فرض العشر على الحرابين لمعاملتهم المسلمين كذلك ، فهذا مبدأ المعاملة بالمثل ، وأنه فرض نصف العشر على أهل أئمة صغيراً لهم عن المسلمين ونظيماً لما سبق أن فرضه على معاري بني مغلب ، الذين قبضوا أن يؤخذ منهم لحرية نصف ما يؤخذ على المسلمين من الصدقة ، وأن ما قرره على المسلمين هو بمثابة زكاة ، ومعروف بعبارة الزكاة لغرض التجارة ، وهو سبي جندة حراً أدنى لأحدها ومنع من تكرار أحدها من المسلمين وأهل الذمة ، كما دام رأس المال ثابتاً والمصاعفة الواردة لم ترد قيمتها فيه ، ولو تكررت مرات دخولها ، إلا بعد الحول ،

وتشبيهاً لمبدأ المعاملة بالمثل ، فإنه حينما يرفع أهل الحرب ما يأخذونه على المسلمين من مربية ، فيحق للمسلمين رفع المربية على ما يرد عنهم إلى دار الإسلام بنفس النسبة ، وكذلك الحال عند إسقاطهم لها ، فعلى المسلمين إسقاطهم عنهم " وهذا ما سمر عليه الدول حديثاً ، ويسمى برفع الجواهر الجمركية " (١) .

ومع ما يكون المسلمون في حاجة إلى بعض المصاعف والمنشآت الواردة إليهم فإنهم يحفظون أو ينفون مربية شجعاناً لتوريدها والإكثار منها ، وقد فعل الخليفة عمر (رضي الله عنه) ذلك حين أمر عماله أن يأخذوا نصف البئر من بني الحرييين حين دخولهم الحجاز في الريث والحبوب ، كما أمر بإعفايتهم أحياناً أخرى ، " فمن الزهري عن سالم عن أبيه عن عمر (رضي الله عنه) ، أنه كان يأخذ من المبط من القطبية العشر ، ومن الحنظلة والربيب نصف العشر ، ليكثر يحمل إلى المدينة " (٢) .

(١) آثار الحرب في الفقه الإسلامي صفحة ٢٧ .

(٢) المحضى وطلبه الشرح الكبير ج ١٠ صفحة ٢٠٢ .

وهذا يدل على أنه يخفف عنهم إذا رأى المصلحة فيه .

وهذا ما تقوم به الدول الحديثة في عصرنا هذا .

وينقسم التبعات إلى قسمين : ضروريات وكماليات ، وتسير المواد الضرورية كاللبن والخبز والحبوب والمأكولات والحجرات ... الخ من الضروريات فتعقبها من المراقب أو تجعل عليها ضرائب إسمية .

أما الكماليات فتأخذ عليها ضرائب متفاوتة من قطر إلى قطر والكماليات تتسمر وتتفاوت من بلد إلى بلد ، فمثلاً يعتبر في أياصا العاصمة البهاره ضرورية في بلد من البلدان ، وفي الوقت نفسه يعتبر من الكماليات في بلد آخر ، وهذا يرجع إلى الحالة الاقتصادية في البلد

كان لهذه المنظمات المالية التي وجدت أيام الراشدين ، وفي عهد الدولة الأموية ثم في العصر الأول للدولة العباسية ، النفع الكبير في سهولة القيام بحاجياتهم من المسلمين وجيرانهم ، وورد أموال متعددة من ممتلكات الناس وأحبائهم لهم لم يضر اهتمامهم على تنظيم الموارث الآتية إلى بيت المال ، بل نظموا الطرق بين بواسطتها وجمعها بزيادة دخل بيت المال ، وتضم البلاد بالرحا ، وزند النيش ، ومن ذلك اهتمامهم بالتجارة الخارجية ، وحسن معاملتهم لأهلها وتبصير العمال والأمراء ، والكتابة إليهم بذلك ، وحرصهم على إسفاء حقوق الدولة من غير يفسد في جبايتها ، وليس أدل على ذلك من مقالة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لبعض العمال حينما أنزه بمال كثير " إني لأظنكم قد أهتكم الناس ، فأنسوا لا والله ما أخذوا إلا عفوا صفوا ، قال فلاسوط ولا غوط ، قالوا نعم ، فقال الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطان^(١)

وأورد أبو يوسف عدداً من الروايات التي يوضح منها حرص الخليفة عمر

(١) كتاب الأموال ج ١ صفحة ٤٤ حديث رقم ١١٤ .

(رضى الله عنه) على العدل ورفع الظلم ، والسماعل في صدق الناس في أقوالهم عن مصادر أموالهم ، وملكيها وسقاديها ^(١) ، وكذلك كان الحال في معظم أيام العصر الأول للدولة العباسية .

وكل ما يؤخذ من المسلمين من العتور ، سبيله الصدقة ، أما ما يؤخذ من أهل الذمة وأهل الحرب فسبيله الحراج ^(٢) .

ويؤخذ من الذمي العلبي ، والذمي المجري ، نصف امشر ، كائر أهل الذمة ، وكذلك المجوس والمشركون ^(٣) .

وفي خلال العصر الأول للدولة العباسية ، استمرت الفوائد التي كانت يجبيها منها العشور متبعة ، حيث لم يشر أي من المؤرخين إلى تغيير في هذا الإيراد في كتبهم أو أية إضافات جوهرية .

ومهم ما ذكره أبو عبيد ^(٤) في كتابه ، أن المسلمين في العصر الأول للدولة العباسية كانوا يشترون السفن والمراكب المحملة بالسلع من طريق مد الحبل على مرس النهر ، ويوفون السفن حتى تدفع العشور المقررة لبعت السل ، وتقدر أتاكي مد الحبل في مراد المكس على النهر ، ويعتبر هذا الإجراء من التطورات التي طرأت على طريقة العشور في العصر الأول للدولة العباسية .

(١) وجاء في كتاب الأموال لأبي عبيدج صفحة ٦٤٢ " قالوا فإن قال علي دين ، أو قال ليس هذا السل لي ، وحلف عليه ، فإنه يصدق على ذلك ، ولا يؤخذ منه شيء " ، يعني يصدق فيما يدعيه من ذلك ، بيمينه ، وهذا أكرم ما عرف الناس في المعاملة .

(٢) ، (٣) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤٥ .

(٤) كتاب الأموال ، الجزء الرابع ، صفحة ٦٧٧ ، وجاء فيه :-

(..... لا أنري ما هذا الحبل الذي لم يسه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا أبو بكر ، ولا عمر ، وكان حبلًا يعمر به النهر ، يفتح السفن من المصبي حتى يؤخذ منهم الصدقة ، فأكثر سرور أن يؤخذ منهم على استكراه)

وكم كما سود أن تجد قبي المراجع والمصادر التي وصلت إليها ، مقدار إبداع صريته الحثيث إلى بيت الحال في العصر الأول للدولة العباسية من الأكاليم بحسنة ، بحسنة أو مفردة ، ولكن مع الألف الشديد ، فإن المؤرخين لم يعطوا بها وأصحا عن الأرقام والإحصائيات التي يمدل منها على مقادير ما قبل بيت النار من تلك العصور ، ولا عن أماكن عبادتها ، وعدد موظفيها ، والمبالغ المتحصلة من كل قطر ، سواء في الخلافة الراشدة أو في عهد بني أمية أو في العصر الأول للدولة العباسية .

قال الله تعالى :

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا
عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ السَّيِّئِ الْجَمْعَانِ، وَاللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

القرآن الكريم

سورة الانفال آية ٤١



تخطيط مناطق الدولة السورية الحديثة
 من 1918 إلى 1922
 1- مناطق الحكم الفرنسي في سوريا
 2- مناطق الحكم البريطاني في فلسطين
 3- مناطق الحكم التركي في سوريا
 4- مناطق الحكم العربي في سوريا
 5- مناطق الحكم الفرنسي في لبنان
 6- مناطق الحكم الفرنسي في العراق
 7- مناطق الحكم الفرنسي في الجزائر
 8- مناطق الحكم الفرنسي في تونس
 9- مناطق الحكم الفرنسي في المغرب
 10- مناطق الحكم الفرنسي في الجزائر

الفصل في الفناس

الفنائم

- تاريخ الفنائم في الإسلام .
- أقسام الفنائم .

• - المتاع

والمورد الخامس من مولد بيت المال هو المتاع ، وهي الأموال المنقولة كالأسلحة ، والخيل ، وسائر المتاع ، مما يؤخذ من المشركين في سارك (١) أو كانوا سبب وصولها للمسلمين .

والضائم قديمة يقدم الحرب لأنها نتيجة وثمرة لها . وهي في شرعية الاسلام كل مال وصل إلى المسلمين عن طريق الغلبة والقوة

وقد روى يحيى بن آدم قال حدثنا الحسن بن صالح قال " سمعنا أن العنيفة ما غالب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه بمائة مائة " (٢)

وعندما بدأت الدعوة الاسلامية في مكة المكرمة ، كانت دعوة تقوم على الارشاد والحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ، واستمرت الحالسة كذلك حوالي ثلاثة عشرة سنة حتى كانت الهجرة إلى المدينة ، حيث تغيرت الأحوال في الموطن الجديد مما كانت عليه في مكة ، بما يستلزم من حماية الدعوة إلى توحيد الله سبحانه ، وإقامة دولة واحدة ، ونشط المسلمون في الدعوة الاسلامية ، وشرع الله القتال ، والجهاد في سبيله ، فبدأ ذلك على شكل سرايا يخرجها النبي (صلى الله عليه وسلم) للدعوة إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة ، ويرى بعض العلماء أن الفهم من هذه السرايا هو " إتيان قريش أن صلحهم تقتضيهم البقاء مع المسلمين من أظههم الدين إضطروا إلى الحلاء عن مكة بهم ما عالجوا من الاصطفاة تفاصاً بقي الطرفين شرور العداوة والمعصاء ، وبكفل للمسلمين حريسة

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ، صفحة ١١٢ .

(٢) كتاب الفراج المحقق بن آدم ج ١٨ صفحة ٨

الدعوة إلى الدين ، ولأهل مكة سلامه محاربتهم في طريقهم إلى الشام . . . " (١)

عكس ما يقفه بعض المستشرقين من أن الرسول (صلى الله عليه وسلم)
والمهاجرين أرادوا الإنضمام من قريش أنفسهم وهي مبادأهم بالعدو والحروب والوقوع
على قوافل قريش في مهازلها وإيائها . (٢)

وقد تحولت هذه السرايا إلى عروات وحروب وكانت تسحب الغنائم والأموال
الكثيرة ، التي أصبحت قوة للمسلمين وعدة لهم .

كانت أول غزوة في الاسلام ، غزوة عبدالله بن جحش ، وكانت قد اتجهت
إلى تخلف بين مكة والطائف . (٣)

وكانت أول غزوة في الاسلام هي غزوة بدر (٤) الكبرى ، ونشأ كانت في شهر
رمضان المعظم من السنة الثانية للهجرة ، وانتصر فيها المسلمون .

وكانت هذه الغزوة التي اسفر بها الأمر للمسلمين من بعد ، في بسلاط
العرب جميعاً ، كانت مقدمة وحدة شبه الجزيرة في كلال الاسلام ، ومقدمة الدوسنة
الاسلامية المتزامنة الأطراف في عهد الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية والدولة
العباسية ، والتي أقربت في العالم حصاره لاتزال ، ولن تزال ذات أثر عميق في
حياته

(١) حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) صفحة ٢٥٨ .

(٢) حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) صفحة ٢٥٩ .

(٣) الكامل في التاريخ الجزء الثاني صفحة ١١٤ .

(٤) بدر بالصحر ثم الكون ، ماء مشهور بين مكة والمدينة ، أسفل وادي
الصفا ، بينه وبين الحار ، وهو ساحل البحر ، يله ، محجم الهلستان
المجلد الأول ، صفحة ٢٥٧ .

وبعد عروه بدر ، أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بجمع نفقاتهم
مختلف الناس ، فيمن تكون له ، فأمر الله سبحانه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا
الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) (١) .

قال عبادة بن الصامت (فيما أصحاب بدر أمرت ، حين إحصاء في الغل ،
فأمر الله من أيدينا ، فجعلنا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)
والمسلمين على السواء) (٢)

وبم يحسن حتى أمر الله سبحانه وسألي الآية (واعلموا أنما فتنكم
من شيء عاين لكم أنفسكم ، وللرسول ، ولذي القربى والمهاجرين والأنبياء ،
إن كنتم تعلمون بالله وما أمروا على منكر يوم الفتن ، يوم النقي بجمعان ، والله
على كل شيء قدير) (٣)

ومعاً بقوله تعالى . فسمعت العبيد إلى غنم أفسام ، أربعة أحسابها
(يثا) للحبيش ، للفرس ثلاثة أسهم ، ولذي القربى والمهاجرين والأنبياء
المسلمين ، أربع على من ذكرها في الآية الكريمة وهم (فإن الله يحب
الذين يوفون بالعقود ، ويحب الذين هم على صراط مستقيم) (٤)

-
- (١) القرآن الكريم ، سورة الأنفال آية ١ .
(٢) تفسير السفي الحرة الأول صفحة ٩٢
(٣) القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، آية ٤١ .
(٤) الكامل في التاريخ ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٤٤ .
(٥) القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، آية رقم ٤١

كانت أول عبقة حسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، هي عبقة
بني قينقاع . (1)

واستمر الحال على ذلك في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وما بعده
في تقسيم الأموال المفقولة المعنوية بعد المعارك .

وسالت العشائر ، وكثرت ، بعد الغزوات المتعددة في عهد النبي (صلى
الله عليه وسلم) ، وفي عهد الدولة الأموية ثم الدولة العباسية ، وأصبحت العشائر
تشكل إيراداً مهماً من موارد بيت المال .

يقول بعض المؤرخين لم يند المؤمن الحفيلي في الحجاز أو في محاربي
سجد ، بل أسحر المسلمون يرتطون على شواطئ النيل ودجنه والأردن وسر حفساء
محمد (صلى الله عليه وسلم) على سبابه ، فرأوا أن أفضل وسيلة لإعلاء شأن
دينهم هو الحياة . (2)

وفي العصر الأول للدولة العباسية ، كان لشهد ديوان خاص بهم ، ويحسم
بالأمر لآية .

١ - قيد أسماء السجد الذين سمر بهم شروط معينة مثل الإسلام والميلاد ،

- (1) لأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صفحة ١٥٧ .
وكان أول في أخذه المسلمون كان بعد إعلاء بني النضير ، حيث أرسلت
الآيات الكريمة التي تحدد الفئ ومقتة ومعارفه - في سورة النحر الآيات
من ٦ - 1٠ وقد قسم النبي (صلى الله عليه وسلم) في بني النضير ، في
المهاجرين دون الأنصار ، وحبس الأرمين على مدافس الحامة ، يعرف عنها
كيف ينشأ ، لأن تلك الأموال لم يوفق عليها بحمل ولا ركاب ٠٠٠٠ الأحكام
السلطانية - الماوردي - صفحة 1٤٤ .
(2) تاريخ العرب العام للمستشرقين أ سيدو صفحة 11٢ .

٢ - كما كان ديوان الجند يقتصر بتقدير «الغطاء» لكل جندي ، وذلك حسب كدائه ومقدرته على القتال^(١) ، طبقاً لاحتياجات خاصه ، يعصرها رئيس الديوان ، وكتابه والولاة في الولايات ، والخليفة أو الوزير في بغداد .

وكان يراعى في تقدير غطاء الجند^(٢) ، أن يكون كافياً بما يحتاجه رئيسه العسكرية ، وإلزاماته الإجتماعية ، كما كان يراعى المكان الذي يربط فيه ، مسر حيث علاه أسلحتها أو رخصتها ، كذلك كان يراعى أيضاً سعيه الجندي لفرق الرخالة أو القوس أو غيرها ، فقد كان لكل فرق من هذه الفرق غطاؤها الأساسي ، علاوة على سبلخ أخرى تصرف لهم كبدلات .^(٣)

وكان غطاء الجند إذا سافر ، اعتمر ديناً على بيت المال ، ويحسب حساباً مسجداً^(٤) ، ولم يكن يعرف للجند غطاء ، إذا شاقبوا من الخروج بقطار^(٥) .
وبغض من كلام المؤرخين أنه حينما كان يحيى ميناء الغطاء ، فقد ديوان الجند مكاناً بالمبلغ - (شيكاً بلفه العصر أو حولة) - الذي يسقطه الجندي العباسي ،

(١) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، صفحة ١٣ .

(٢) كاتب رواتب الجند سمي أرواق في بلاد المواري ، وأطباع في بلاد العوس
مصابيح الملووم ، صفحة ٤٢ في الفصل الخامس (في مواضع كتاب ديسسوان الجيش) .

٣ كان يحضر عدد أولاد الجندي ومسالمة ، وما يملكه من خير ، وتقدر على أساس ذلك إسماعيل على مربيه ، بحيث يكفي لتغطية نفقاته ، وكان الجندي يسمح غطاؤه على أساس هذا التقدير لمدة عام ، ثم تعرض حاله ، ولحمصر كفائته ، فإن رادت نفقاته ولياقته زيد ، وإن نقصت أنقص .

(٤) الفرع بعد الشدة ، ج ٢ ، صفحة ٢١

(٥) Amodroz, Three Years of Buwaihah rule in Bagdad, in Journal of the royal Asiatic Society, 1901, P.774

ويوقع عليه التوالتى أو الخليفة أو صاحب الديوان ، ويصرف لهم من بيت المال ^(١)

وكان ديوان الحمد يتألف من الدعاوى المالية -

الجريدة السوداء : سجلات بها كتوف بأسماء الجنود ورتبهم وعظائم

الإنجاب وهو أن يثبت اسم الرجل فى الجريدة السوداء ، ويخمس له رفق

الربادة : أن يذاك له فى جزيرة ، شىء معلوم . ^(٢)

المحويل - وهو الدفتر الخاص بمحويل الحمدي النحاسي من جريده إلى جريده

أي من كشف إلى كشف .

النقل : أن ينقل بعض ماله .

العك وهو الدفتر الذى يصحح فيه اسم الحمدي ورقه فى الكشف (الجريدة)

بعدما وضع . يندل قلد من اسم فلان فى الجريدة ، كأنما قلد من الجلفه فكما .

السايط - وهو الدفتر الذى يسجل فيه من يموت أو يسمي منه ، فيوضع على

الجريده

المُخَلِّ وهو الدفتر الذى يسجل فيه الذى قد أحل بمكانه ولما يوضع يند .

المتأخر : وهو الدفتر الذى يسجل فيه الذى يسافر عن مجلس الأعطاء وقت السفره .

المشرويه : دفتر يسجل به حساب من له أرصه أطعام (أرزاق) أو رواتب بعض

النصر ، فى الحقة الواحدة .

دفتر حساب الصد وهو دفتر يسجل به أسماء الجنود الذين لهم طعام ، ففى

الصد .

دفتر لحساب المرتقة : ويسجل به من له ثلاثة أطعام فى الصد .

دفتر الشك ويسجل به من يطلق لهم أوراقهم قبل أن يمسحوها

دفتر المقامه وهو الدفتر الذى يسجل به أسماء الأشخاص الذين عليهم مقامه وهو

(١) مفاتيح العلوم ، صفحة ٤٣ .

(٢) مفاتيح العلوم ، الفصل الخامس (فى مواصفات كتاب ديوان الجيش) صفحة

أُرْ يُحَسِّنُ مِنَ الْقَائِمِ لِمَالِهِ ، مَا كَانَ اسْلَفُهُ ، وَرَبِمَا يَقَاسِي مِنْ زُرْعَةٍ
يَحَقُّ بِهِتَهُ الْمَالُ قَيْكُهُ . (١)

بالإضافة إلى بعض الدلائل الأخرى التي استشهدت في ديوان الحمد ، وهذه
الدور تدل دلاله واضحة على الدقة والنظام ، والنحومات المستعينة لديوان الحمد
في العصر الأول للدولة العباسية .

وفي العصر الأول للدولة العباسية كانت معظم الغزوات بما ينقصه على
الفس ، أو إخماده الاستمرار والطمانينة والاسلام وهيمنة الدولة العباسية ، على بعض
أعدائهم الحدودية الإسلامية التي يحاول الروم غروها والاستيلاء عليها وقبلاً
ما كانت المروا من أجل الفتح وبشر الاسلام ، لأن الاسلام كان قد انتشر ، ووصل
إلى أقصى الشرق والغرب ، والدول التي كانت معروفة آنذاك .

ففي عهد الخليفة السفاح سم نجهر الجيوش وتجهيز الدولة ، وورد الكتاب
منه بولاية صالح بن علي على مصر وفلسطين والمغرب ووصلت الجيوش واستمدادات
الخليفة السفاح لغزو المغرب ، وظهرت المراكب من الإسكندرية إلى برطس ،
إلا أن السفاح توفي قبل غزو إفريقية ، وإخماده الأمن والاستقرار إليها . (٢)

كانت أول أموال حاربها دولة بني العباس هي معاشم الحرب (٣) وكان أول من
نظف المعاشم وقسمها بين الجند هو خالد بن برمك (٤) الذي جعل به الخليفة
السفاح فيما بعد ديوان الخراج ، وديوان الحمد .

- (١) مفتاح العلوم - الفصل الخامس ، (في موامعات كتاب ديوان الحيش)
صفحة ٤٢ - ٤٣ .
- (٢) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، صفحة ٣٦ .
- (٣) الخراج والمظن المالية للدولة الإسلامية صفحة ٢٨٤ ، وكذلك في تاريخ
الأمم الإسلامية - الدولة العباسية ٤٢ - ٥٥ .
- (٤) الورق - والكتاب صفحة ٨٧ ، ٨٩ .

ومن أهم معالم الحرب التي حولت عليها العباسيون ، صراع ن مروان فقد
أثرت إليهم أملاك الأمويين ، وكانت كثيرة .

وقد أشار البلاذري إلى ذلك في عدة مواضع منها في قوله

١ - (كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان موجه غزياً لنروم من نحو سمسور
الحريري ، عسكر بئاليس ، فأماه أهلها وأهل بوبليس وقامريين وعديدتين
وصفيين . سألوهم جميعاً أن يحفر لهم بيراً من الفرات يحقي أروهم ، على
أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم ، بعد مُثَرَّ السلطان الذي كان يأخذونه ،
ففسخ ، فحفر البير المعروف بحفر مسلمة ، ووثقوا له بالشرط . . . فسما
مات مسلمة ، صارت باليس وفراها ليرتنه ، فلم يرل بأيديهم . في أن حدثت
الدولة المباركة ، وفيها عبد الله بن علي علي أموي بني أمية . . .)^(١)
ويلاحظ بالدولة المباركة ، الدولة العباسية . وأيضاً يقول البلاذري في
موضع آخر -

٢ - (رأينا رصافة هنام . فإن هشام بن عبد الملك أحدثها ، وكان يرل قبلها
الربونية . وحفر التيمى والخرى . واستخرج الصيفة التي يعرف بها
والخرى ، وأحدث فيها واسط الرقة . ثم إن تلك الصيفة فسخت في أول
الدولة . بقصد الدولة العباسية - ثم صارت لأمر حفر ربيده بنت حنظل بن
المصور ، فابنتت فيها القطيعة التي سميت إليها ورادت في عمارتها^(٢) .
وأيضاً يقول البلاذري في موضع ثالث ، وبعد أن تحدث عن مدينة سمسور
عبد الملك الذي أنفق ثلاثة آلاف ألف درهم لشد البثوق في البطائح ، فأقطعها
الوليد الأرمين المسخضة التي بقيت فيها الماء . . . يقول .

(١) فتوح البلدان ، صفحة ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) فتوح البلدان ، صفحة ١٨٤ .

٣ - ا تحملت له - أي لمصلحة بني عبدالملك - أرضون من طماحيج سمعته ،
فحجر السيين ، وبائف الأكرام والمرارعين ، وعمر تلك لأرضين وألحيا
الناس إليها صناعاً كثره للممر به ، علما حارب الدولة العباسية - ويفسد
الدولة العباسية - وقبض أموال بني أمية ، أقطع جميع السيين دود بمن
على من عبدالله بن العباس ، ثم أصبح ذلك من ورثته ، بحقوقه وحيدوده ،
فصار من ضماح الخلافة (١) .

وفي موضع رابع يقول البلاذري عن غنائم الحرب التي استولى عليها العباسيون
من ضماح بني أمية .

٤ - ا وكان أغلبها - أي أهل قرية المروان - ألقوها إلى مروان ، فاستأهب ،
وبائف وكلاؤه الناس ، فكثروا عيب للممر ، وعمروها ، ثم إنهم قبضت ضح
ما قبض من ضماح بني أمية ، وعازلت لبعض بنات الرشيد أمير المؤمنين (٢)

ويطول الجبجباري ا وفقد أبو العباس عمارة بن حمزة بن ميمون ، صفي
ولد أبي ثابة ، مولى عبدالله بن العباس ، ضماح مروان وآل مروان - (٣)

هذه بعض الأمثلة على ما حازه العباسيون الأول من الغنائم ، والأر مستسبى
الوسط من سجلات الدولة الأموية ، وعرفت فيما بعد بصياح الخلافة (٤) .

(١) فتوح البلدان ، صفحة ٢٩٢ .

(٢) فتوح البلدان ، صفحة ٢٢٥ - والمراعي في أدريجان ، ونجدت بحسب البلاذري
عندما تحدث عن فتح أدريجان .

(٣) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ٩٠ .

(٤) وصياح الخلافة لا تشمل فقط أراضي الخلفاء من الدولة الأموية ، وإنما
وأتت هذه الأراضي من طريق إحياء المواب ، أو الشر ، أو عن طريق
الإلجاء ، فهي في مجموعها صياح الخلافة .

وفي العمر الأول للدولة العباسية كان إيراد العتائم مهماً ، وحصولها
إذ أتيح لب أهل العتائم كثيره . سواء في حالة الإقتضار لإخماد القى أو في حاله
صح حديث ، ولكنها لم تذكر في كتب التاريخ بالتفصيل .

يذكر لنا صاحب كتاب البدء والتاريخ^(١) أنه في السنة الثالثة من ولايته
أبى سفيان الساج انتقم أهل بحرى ، فإر إليهم أبو مسلم بخيخه وأصبح بخارى ،
والقعد بانياً ، وأمر ببناء حائط حرسه . وبعد ريثا بن صالح فأصبح كور بها
وراء النهر ، حتى بلغ طرازاً ، وأطلق فحرك أهل الصين ، فغرام أبو مسلم مع
قوده ، وقتل منهم عدداً كبيراً . وأمر حبه وعشرين ألفاً ، وأنهم الباقون .
فأسولي المسلمون على عسكرهم . ثم اسرف أبو مسلم إلى بخارى ، وبسط يده
على ملوك ما وراء النهر ، ودهانها ، فمرب أعاقهم ، وسمى دارهم ، واستعفى
أموالهم . وعمر النهر من السبي عبر مره بحسين ألفاً عشرين ألفاً^(٢)

وفي موضع آخر يقول صاحب كتاب البدء والتاريخ أنه لما مات أبو العباس ،
ادعى الخلافة عبدالله بن عليّ وابنه أهل الشام والجزيرة - فإرس أبو جعفر المصور
أب مسلم الحرساني إليه . وبعد حرب ومحاولة - أسولي أبو مسلم على حراسه ،
وأمواله . وما أخواه من سبب من أخيه . وكثير الشام ، ثم أمر محمد بن عليّ .
وحمل إلى أبي جعفر^(٣)

وفي موضع ثالث يقول الملحق من العتائم في العمر الأول للدولة العباسية
(ولما قُتل أبو مسلم ، خرج سقاق المحوسي بمساجير ، يرغم أنه وليّ أبي مسلم ،
والطائب بشأره .. وقص حوائث أبي مسلم وفوقها في القروص - وجره حيثاً
كبيراً - فبعث المصور حمير العجليّ عالجوا بين همدان والرق ، فقتل منهم
سنتين ألفاً ، وسبى من سائهم وأولادهم ، الله به عليم وقتل سقاق ، فكان يدس

(١) ، (٢) البدء والتاريخ ، المجلد الثالث ، الجزء السادس ، صفحة ٢٥

(٢) البدء والتاريخ ، المجلد الثالث ، الجزء السادس ، صفحة ٢٨ ،

الجهاد أعزاً عظيماً ، أقام من الصناعة ما لم يعم فيه ، وفسم الأمون في المصور
والمواحل ، وأتجى الروم وقبهم (١) .

كما ذكر الطبرى أن الخليفة المصور كان شعله في مدر سبار . شجن
الشعور والأطراف ، وآمن السبل (٢) .

أما الخليفة الهندي ، فقد أ عرا الروم عدة دعوات ، وكانت له العمية (٣)
ويعتزم الكثير ، ومن أعظم هذه المروايات كانت في سنة ١٦٥ هـ ، حيث سبر
المهدي ابنه الرشيد لغزو الروم ، فتهرب الروم ، وغلب المسلمون على معسكرهم ،
وساروا إلى القسطنطينية وهو صاحب المصالح ، فحمل لهم ١٩٢٤٥ ديناراً ، ومضى
سورق ١٤٨٠-٢١٠ درهم (٤) وسار الرشيد بحبيشه حتى وصل إلى خليج
القسطنطينية ، والروم يوشن بيد أعطه ، إمرأه إليون - لعمر سر سب - ، فخرى
الصبح بيها وبين الرشيد على الفدية ، ومقدارها (٧٠٠٠ ر) دينار في كل سنة

أما مقدار ما شتم المسلمون بالإضافة إلى ما تقدم وإلى أن اضطلعوا جميعه
آلاف رأس وسبائه وثلاثه وأربعين رأساً (٥٦٤٢) ، ومن الدواب الدليل بأدواسهم
عشرين ألف رأس (٢٠٠) ، وذبح من البقر والخنزير مائة ألف رأس ، وقتل من
الروم في الوقائع كلها (٥٤٠) ، وقتل من الأسرى أثنان وتسعون أسيراً ١٢٠٩^{١٥}

(١) فتوح البلدان ، صفحة ١٦٢ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء السابع صفحة ٢٩٩ ، وجاء في
الكامل في التاريخ ، م ٥ صفحة ٤٤ وعندما كلى الخليفة المصور يومى ابنه
المهدي - الخليفة من بعده - بقوله (٠٠٠) وعف عن القى عديم بلاد به حاجة ،
.. وشجن الشعور ، وأصط الأطراف ، وآمن السبل ، وسكن العامة ، وأدخس
المرافق عليهم ، وأدمع المكاره عنهم ، وأعدّ الأموال وأحربها ، وزياد والمبدير
من المواشي غير مأمونه ، وهي من شيم الروم ، وأعدّ الكراع وبرجان والحد
ما استطاع وإياك وبأخير عمل اليوم إلى العبد ، فبذلك عليك الأمور وصبح

(٣) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية صفحة ١٤٥ .

(٤) ، (٥) نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الثاني والعشرين صفحة ١١٥ .

وقد امتاز عهد الخليفة المهدي بكثرة حروبه مع البيزنطيين ، الروم
وكان مصر والعياض في معظم الأحيان للمسلمين ، وكان من أثر هذه الانتصارات
وعياضهم ، التي أحرقها المهدي أن علمه الملوك ، وقد أرسل إليهم رسلاً يدعوهم
إلى الطاعة ، فدخل أكثرهم في طاعته ، منهم ملك كابل ، وملك طبرستان ، وملك
سند ، وملك طخارستان ، وملك فرغانة ، وملك أخروسه ، وملك سجستان ، وملك
الصين ، والصين ، والهند . (١)

وباع الخليفة هارون الرشيد سبع أصدانه في الخرواب ، وبسالي كان متعمر
إبراهيم المصام على بيت المال ، واستمرار العقاب على سعيد الجيوش ، وشحن
التمور ، وبناء الحصون ، وتشييد الأساطيل .

وفي سنة ١٨١ هـ غزا الخليفة هارون الرشيد أرض الروم فاصبح حصن
الصلوات ، ^(٢) على أيد من أعظم عرواب الخليفة الرشيد ، محاربه لسفوق ملك الروم ،
وكتب سفوق إلى الرشيد ورثة الرشيد عليه ، مشهور في كتب التاريخ وببناً بقوة
الصلوات في مصر الأول للدولة العباسية بأورد الكمانيين ، فقد جاء في كتاب
سفوق (١) من سفوق ، ملك الروم - إلى هارون - ملك العرب - أما بعد - فمن
الملك الذي كان علي ، أناسك مقام الرخ ، وأمامك معها مقام البيدي ، فحدثت

(١) وفي سنة ١٦٤ هـ وفي عهد الخليفة المهدي هاجم الروم بعض التمور الحدودية ،
فجهز الخليفة المهدي جيشاً وأمر عليه ابنه هارون الرشيد ، وأسفق على
على الجيش لمطير الذهب ، ثم إلى باقي الجيش منسحب الروم ، واصبح جيش
الرشيد ، ووصل إلى خليج قسطنطينة ، وعمم الجيش العباسي عياض كبرى في
هذه الموقعة وكما يقول الذهبي (١) - ماله لا يحصى - وبيع الفرس بدينارهم
واحد ، والممل الحيد بعشرة دراهم .

وحده في البداية والنهاية ، م ٥ ، ج ١٠ صفحة ١٤٧ . وعمم - الجيش
العباسي - من الدواب بأدواتها عشرين ألف فرس ، وبيع البردوس بدينارهم
والممل بأقل من عشرة دراهم ، والدرع بأقل من درهم ، وعشرون سيفاً بدينارهم .
(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب - ج ٢٢ - صفحة ١٢٢ .

بيدك من أموالها ما كتب حقيقةً بحمل أصحاب إليها ، لكن ذلك صعب البتة ،
وحقق ، بهذا قرأ كتابي هذا ، فاردد ما حمل لك من أموالها ، واغنى نفسك
بما يقع من المصادرة لك ، وإلا فالسيف بيننا وبينك) -

فلما قرأ الرشيد الكتاب استغوى الشعب ، حتى لم يعد أحد أن ينظر إليه
دون أن يعاطفه ، وقرئ خطاؤه ، عدما بدواه وكذب علي قهر الكتاب - من
هزارين - أسير المؤمنين - إلى مقبور كلب الروم ، قد قرأ كتابك يا ابن الكافرة ،
والجواب ما توك ، دون أن تحسه) - (١)

ثم سار الخليفة الرشيد من بومه ، وسار هرقلة ، فصاح وعسم ، فساله بقصور
المصاحبة على جريه بحمله إليه في كل سنة ، فأجابه الرشيد إلى ذلك ، ولكن جميع
المؤرخين الذين ذكروا هذا الحدث التاريخي ، لم ينفقوا إلى ما عساه المستمعون
بعد هذه العروة بالتفصيل ،

وفي سنة سبع ومائة صح الخليفة الرشيد هرقلة ، بنفسه بغير مبعوضة ،
وسار حتى وصل إلى طونة عسرل بها ، ا وسعت مقبور بالبحر ج وجره عن رأسه أربعة
دنابير ، وعن رأس ولده دبابير ، وعن بطرقه كذلك - (٢)

وبعد انتهاء الفتن بين الأميين والعاميين ، وفي سنة ٢٠١ هـ وفي عهد الخليفة
العامي ، الفصح عبد الله بن حُرْدَانِيَّة والي طبرستان - البلار ، ولشهر من بلاد
الديلم ، وغنم غلات كثيرة ، وأسر أبايلق ملك الديلم (٣)

- (١) تاريخ الخلفاء ، صفحة ٢٨٨ ، وفي سياره الأرب ، ج ٢٢ ، صفحة ١٤٩ ومعظم
الكتب التاريخية مثل تاريخ الأمم والملوك ، ضمن أحداث سنة ١٨٧ هـ م ٥
الجزء العاشر صفحة ٩٢ إلخ .
(٢) سياره الأرب ، ج ٢٢ ، صفحة ١٥٢ .
(٣) سياره لأرب ، ج ٢٢ ، صفحة ٢٠٢ .

وبالتسليم على العرو ، وإجماع العس ، اهم الحلفاء في العصر الأول للدولة
عبيدية بالقادة ، وأخربو لهم الغطاء والأوراق والتمنع والهدايا ، ففي سنة ٢٠٧ هـ
سير المأمون أحمد بن أبي خالد إلى حراسان ، ليعوم مقام طلحة بن طاهر بن
الحسين ، فمير أحمد إلى ما وراء السمر ، واقتنح أشروسنة ، وأمر كائوس بن حارخره ،
وابنه بعل ، ويصب بهما إلى المأمون ، فوهب طلحة بن طاهر وبي حراسان إلى
أحمد بن أبي خالد ، ثلاثة ملايين درهم ، وعروصاً بعلبوسي درهم ، ووهب لإبراهيم
ابن العباس كائيه خمسمائة ألف درهم (١)

وفي سنة ٢١ هـ سار عبدالله بن طاهر إلى مصر وأعاد صعب ، وكسان
عبيد الله بن البري قد تعصب على مصر وخلق الطاعة ، فمير عبدالله بن طاهر
وبعث به إلى بغداد - فكافأ الخليفة المأمون القائد عبدالله بن طاهر أن وهب به
مال مصر سنة ، خراجها وضاعها (٢)

وفي سنة ٢٢ هـ كافأ الخليفة المصمم قائده الأتشي بعد انتصاره على بابك
والخرمية ومذهبهم الإناسي في أذربيجان وهدان وأصفهان ، بأن أنسه وشاهنش
وعنده مئتين مليون درهم (٣) - ٢٠٠٠٠٠ درهم (٤) منها عشرة ملايين منه له ،
وعشرة الملايين الأخرى موقوفها في أهل مكره . وكان الخليفة المصمم يرجه كل يوم
بني الأتشي خلقه وقرماً من عبي سار من بورتند إلى أن وافى سائرته ، كما عقد به
على السد ، وأدخل عليه المصرا يمدحونه (٥)

(١) سباه الأرب ، الجزء ٢٢ - صفحة ٢١٤ .

(٢) الأعاني ، للأصفهاني ، الجزء ١٢ ، صفحة ١٠٦ ، ١٠٦ وقد وهب الخليفة
عبدالله بن طاهر هذا المال للشعب ، وعرقه في الناس ويذكر لأصفهاني أنه
فرق وهو على المير ثلاثة ملايين دينار .

(٣) تاريخ الأمم والملوك - المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٣٣٤

وكان الخليفة في العصر الأول للدولة العباسية كبيراً ما يقومون بأنفسهم بعمرو
الروم ففي سنة ٢١٤ هـ سار الخليفة المأمون لغزو الروم ، فافتتح خمس قرى ومأخضة ،
وَمَدَّس ، وِسَّان - وفي سنة ٢١٦ هـ عاد الخليفة المأمون لعمرو الروم ، حيث بعثه
أن يدك الروم قبل ألفاً وسمائه من أهل طرسوس والمهممة ، فسار حتى دخل أرض
الروم ، فخرج أهل حرقة على الملح ، ووجه الخليفة المأمون أحياه أب اسحق
المعظم ، فاصبح ثلاثين حصا ومطيرة ثم عاد إلى دمشق بعد أن عمم عياشهم
كثيرة .

وكان بعد خلفاء بني العباس في العصر الأول من دولتهم يُمَوِّي بعضهم بعضاً
بعد البوء بالاضمام بالتموجات ، وعمرو الروم ، والقضاء على النفس ، وإحسان
الثورات .

وسرى في رمية الخليفة المأمون ذلك ، حين اشعلت عليه ملته ، قال لأبيه
أبي سحاق - ابن ممي ، واشكك بما سرى ا - . انظر هؤلاء الخوارج الذي انقلب
بماحسبهم فلا يفلح عسبهم في كل وقت - وكانت وفاته بالمَدَّسُون ^(١) من أرض الروم -
والحرمية فامرهم ، في حرامة وحرارة وحده ، واكتفه بالأموال والسلاح والجنود ، فإن
طالت مدتهم ، فبسرده لهم ، فيمن يملك من أنمارك وأوليائك ، واعمل في دنه عملاً ،
مقدم البسة فيه ، راحياً مواب الله عليه - . ا - ^(١) وقيل أنه ومي الخليفة أبو جعفر
المنصور أنه السدي بقوله ا - . واشحن السور ، واسبط الأخرق ، وأمن السبل ،
وسكن العامة ، وأدخل المرائق عليهم ، وقدم المكله عسبهم ، وأعد الأموال والحرب ،

١ - جاء في كتاب بلدان الخلافة الشرقية - كي لسرج - صمحه ١٦٥ ا وفي حجة
البسري من جامع طرسوس ، ذكر الخليفة المأمون ، فقد أدركته سيده وهو في
بمدسون (بمدس) - Podandos - القريه منها - وكان يسمى بمدس بهر
المردان (بهر كودس) - Lydnus - وفي سوري المدينه سه أبواب ،
وحمدق عميق ا - وقد جاء اسم الممدسون عند الطبري بالبدال ، صمحه ٢٩٣ في
الجزء العاشر ومن أحداث سنة ٢١٨ هـ

٢ - ذكر هذه الوصية معظم المؤرخين ، ففي تاريخ الأمم والملوك الجزء الحاشير
صمحه ٢٩٤ ، ٢٩٥ من أحداث سنة ٢١٨ هـ ، وفي الكامل في التاريخ ، وفي
سباه الأرب الجزء الثاني والعشرين صمحه ٢٢٨ - . وعبرهم من المؤرخين .

طلبوا الأمن ، فمقلوا إلى مصر ثم إلى عيين رزينة ، فأعارهم الروم عليهم عدم بختهم
منهم أحد

وهكذا سم الغناء على هؤلاء الذين عاشوا في الأرض مبادئ باستغلالهم في
محاربة الروم وغزوهم .

وكان بعض الخلفاء في العصر الأول للدولة الحميرية ، يحب الاتفاق كثيراً في
سبيل تقوية الجند ، والجيش ، ويكون على أتم الاستعداد للاتفاق على كل ما ينصل
بالحرب والغزو ، والفتوحات أو إعادة الفتح .

يقول الطبري وهو يروي عن الفصل بن مروان قوله :

لم يكن نستعصم لده في سربس السماء ، وكانت عابده فيه لأحكام ، قال وسم
يكن بالملوك على بني أسحق منه بالصفه في الحرب (١) . يقول عنه ابن كثير
أ . أنه عبة عالية في الحرب ، ومهابة عظيمة في الطلوب ، وإنما كانت يسمعه
في اتفاق في الحرب (٢) .

وقد خاص الخليفة المعتمد بالله عروا كبرى ، وألفق في سبيل الأمور
الكبرى ، مما أولها في الباب الثاني ، بعد الحديث عن صفات تهييز الحمير ،
كما فهم من هذه الحروب الثلاثة نتائج كثيرة ، وهذه العروا الثلاث بإيجاز شديد هي
١ - عرو " بابك " والحرمة ، الذين كانوا معتمدين بأذربيجان ، واستمر
مذهبهم الصحر الإناحي في همدان وأميان وما سمدان ، ومهرجا بندق (٣) .

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد السادس ، الجزء الحادي عشر صفح ٨

(٢) البداية والنهاية ، م ٥ ، ج ١٠ ، صفح ٢٩٦

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفح ٢٥ ، ص ٣٠
آخر أحداث سنة ٢١٨ هـ . وكان بابك هذا قد ظهر منذ سنة ٢٠١ هـ ، وهم
الحمير التي أرسلت إليه .

فقدت الخليفة المعتمد للقائد الأخشي ، ووجهه لعروه وحريه سنة ٢٢٠ هـ وأيده بالمال والرجال ، فقد أرسل له سنة (٢٢٢ هـ) جعفر بن دينار خياط مدداً له ، ثم أتته بعد ذلك بـ١٥٠٠ رجل معه ثلاثين ألف أنـــــــف (٢٠٠٠٠ و ٣٠٠٠٠) درهم عطاءً للجنود وللخفاف (١٦) وبعد جهاد طويل ، هزم بـ١٠٠٠ رجل ، وقدم به إلى الخليفة المعتمد ، فقتل ، وكانت فرجه مستعممة كبيرة فكافأ الأخشي بمكافآت كثيرة (١٧)

٢ - العروة الثانية كانت مد الروم ، إذ أن ملكهم سوفيل بن ميخائيل أمار بعيش كثيف على ربطره ومطليه ، وميرهما من حمير المسلمين ، وفن وسبي ، وكان مخالفاً مع بابلد ، فشر الخليفة المعتمد بنفسه ، على رأس جيش كبير عام ٢٢٢ هـ (١٨) ، (فذكر أنه سحر جباراً لم يسحر منه فيه عليه قط ، من الملاح والعدد والآله وحيات الأدم ، والبغال ، والروابي ، وقرب وسبعة الحديد ، والخط ، وحمل على مقدمته أثناس وبلو محمد بن إسهم ، وعلى ميسته إيمان وعلى ميرمه جعفر بن دينار الخياط ، وعلى انقلب عجيف بن عيسى) ، ثم نزل الروم ، فهزمهم في الموقع المشهور (عمورية) ، التي حلها الثمراء ، وخصوصاً الشاعر أبي تمام ، ففتحت تلك المدينة التي كانت عاصمة الروم في آسيا ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة فبي هذه العروة المظبية .

٣ - أما العروة الثالثة فكانت في طبرستان ضد ملزير (١٩) ، فقد كان مخالفاً

(١١) تاريخ الأمم والملوك ، المعتمد الحامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢١٢ .

(١٢) تحدثنا عنها عند الحديث عن مكافآت خلفاء بني العباس لقيادة رفواء .

(١٣) وقبل سنة ٢٢٤ هـ ، وقبل في سنة ٢٢٢ هـ ، تاريخ الأمم والملوك ، المعتمد الحامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٢٥ .

(١٤) تاريخ الأمم والملوك ، المعتمد الحامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٢٥ .

(١٥) وكان لخليفة الحامس ولي ملزير طبرستان وأعمالها بعد أن أسلم ، ثم ورد وعمر في خلافة المعتمد سنة ٢٢٤ هـ .

لآل طاهر ، و لا يحمل الحراج إليهم ، بل بحمله إلى الخليفة المصنم مباشرة ،
ثم عصى وسمع الحراج ، بحريجي من لأقمتي ، والذي كان يوعظ في أن يحل
بحل آل طاهر في حراسان ، وكانت له أموال من أخرى حفيته من وراء ذلك .
فوجه عبدالله بن طاهر جيشاً هبوم ماريار ، وأسر وحمل إلى سامراء سنة ٢٢٥ هـ ،
فصل وملك إلى جانب بابك الحرامي ، حيث أن كلاهما مقعدان في الأرض وعانا
فيها دماراً وحزناً وبالطبع عمن الممنون عذابهم كسوء من وراء هــبـه
الفرقة ، وأصبح عبدالله بن طاهر والياً على حراسان كلها بما فيها طبرستان
مستعداً بحراجها كلها .

وكان يصر خلف ، بني العباس وفي العصر الأول للدولة العباسية بغداد أسرى
المسلمين من الروم ، ففي سنة ١٨٩ هـ وفي عصر الخليفة هارون الرشيد ، كان
الغداة بين المسلمين والروم ، فلم يبق في أرض الروم مسلم إلا غدي^(١)

ذكر المخطوطي أن كتب طامية الروم يذكر أكثر من يده من أسرى المسلمين ،
ويذكر إلى الغداة ، فأجابته الوثائق إلى ذلك ، ووجه بحافان العادم
رملة ، والآخر جعفر بن أحمد الحدا . وكان صاحب الجيش ، وولي الثغر أحمد بن
سعيد بن سم الباهلي ، فملروا إلى موضع يقال له شهر اللامس ، غني مرهنتي
من طرسوس ، وحضر ذلك الغداة سبعون ألف راجح ، سوى من ليس معه راجح
وسمع عدة من عودي به خمسمائة رجل ، وسعمائة امرأة ، وكان هذا في المحرم سنة
٢٢١ هـ . (٢)

ومن أهم الحوادث البحرية في العصر الأول للدولة العباسية ، وسنذكر من

(١) البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج ١ ، صفحة ١١٩

(٢) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٤٨٢ .

بمؤجات نجدده . أنه في سنة ٢٠٧ هـ ، وبعد استقرار الدولة لأغلبية ، جهر
ريادة الله الأكبر ، أسطولاً ، وجعل قائده محمد بن عبد الله الصمعي ، لفتح
بردييه ثم وفي سنة ٢١٢ هـ أعاد عليها الكرة ثانية ، وكانت قيادة الأسطول
والجيش في هذه المرة ، لقاضي القضاة الإمام أسد بن العرات ، ففتح مزاره ، وحاصر
سرقوسة ، وكان جبر العاصي أسد بن العرات مكون من أشراف إفريقية من مغرب ،
وبجند ، والبربر والأندلسيين وأهل العلم والسياسة ، حاصروا حصون الروم وبندهم ،
وأصابوا سبياً كثيراً ، وسأله كمنه ، وكرائة ، وكثرت المعائن عند الصمعي ، وبم
إحراق مراكب الروم ، ووصله الإمدادات من إفريقية والأندلس ولكن حور أسوار سرقوسة
أدركت الإمام أسد بن العرات الشهادة سنة ٢١٢ هـ ، فولى القيادة العامة ، صاحب
أسطول الأندلس القائد أصبح ، والمعروف بفرغطوس .

وبعد استقرار الحياة في البلاد المموجة ، فقد ريادة الله الأكبر بمساعدة
إيطاليا لابن أخيه إبراهيم بن عبد الله بن الأملب ، ومازال موالياً لنهبه حتى فتح
بلبرم ، ونابولي .

وفي ولاية أبي مقال الأملب بن إبراهيم ، استولت الفوجات في إيطاليا سنة
٢٢٤ هـ ، ولم فتح مقلبه

أما في ولاية الأمير محمد الأول ، فقد تقدمت الفوجات في خطوط إيطاليا ،
واستمرت من سنة ٢٢٢ هـ إلى سنة ٢٤٠ هـ ، فقد تم فتح سانية ، وقطانيــــــــــــــد ،
وبشيرة . (٢)

- (١) تاريخ البعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ١٨٢
- (٢) الميان المغرب في أخبار المغرب ، الجزء الأول ، صفحة ١٢٢ .
- (٣) تاريخ وعروات العرب ، في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ،
الأمير شكيب أرسلان ، صفحة ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

من هنا يستطيع أن يرد على معنى الدين بقولون إن نفوحاء والعرواب قد
وقعت سد أواخر العصر الأموي ، ولم يبق العباسيون بأية نفوحات جديدة في بشمال
إفريقي وفي أوروبا ، وجرائر البحر المتوسط ، فلم تكن إعادة فتوح بعض المسلمين ،
وإحباط العرب في السهل الشاعل للمباسبين في عصرهم الأول ، بل سحوا إلى نفوحات
الجديدة ، والعرواب ، وبشر الإسلام في أرجاء هذا العالم الواسع الكبير .

وكان ابن الأعلب عامل الرشيد على إفريقيه ، يؤدي عنها كل سنة أربعين
ألف دينار (٤٠,٠٠٠) ، وقد بعث بالخليفة هارون الرشيد بدب ، كما أنه سارل
عن المنزلة التي كان لعه بأحداه من مال مصر ، وقدرها مائة ألف دينار . وكان
الخليفة هارون الرشيد ، حين صد لإن الأعلب إفريقيه ، أراد أن يجلب سداً
مصباً ، بينه وبين أعدائه ، وبسرك لمسي الأعلب سمانجه شئون المغرب لألمى والأدنى ،
وما يقوم فيهما من ثورات وبواعث ، ويروج على السلطة ، فأهل مكة أدروا بتعديها
كما يظن . وعنى يستطيع الخليفة هارون الرشيد من أن يتفرغ بشئون دونه السمي
أربب بسعها على مملكة الرومان في أوج عظمتها . ولكن بقي الأعلب لم يكتسب
بالضماء على الفس وإحباط الثورات في العصر الأول للدولة العباسية بل وسما
نطاق الدولة العباسية فقاموا بالمرواات المحلطة ، واقتسحوا ممالك وحميون جديدة في
جرائر البحر المتوسط وإيطاليا وفرنسا وسويسرا . أُنْهِيَتْ إلى الممالك وندول التي
كانت تحت سيطره الدولة العباسية . ففي العصر الأول للدولة العباسية سوسى
الأغالبه قتال الأباسيه ، وبنيانريس بن عمادله الظاهر ملكهم يومئذ بالمغرب ،
واسطنعو أن يصحروا مقلبه ومالطه وجرائر البحر ، وبعملهم هذا وسعوا بها متعروا
وعصموا ، سلك الإسلام ، تحت علم الخلافة العباسية ، وعمرت إفريقيه وغيرها سس
الأقطار والجرائر التي فتحوها ، عمرةً لتطير له من كل وجه .

وكان لسياسة بعض حلفاء العصر الأول للدولة العباسية أثر كبير في دخول
الإسلام لكثير من بقاع الأرض وأرجائها ، وحقق الدماء .

فقد كان الخليفة المأمون يكتب لعماله على حراسا ، في غزو من لم يكن
على طاعته والإسلام من أهل ما وراء النهر ، ويوجه رساله - يستميل أهل تلك
السواحي وأبناء ملوكهم ، فإن وردوا بابه ، ودخلوا الإسلام ، ثرهم ، وأعطى ملائمتهم ،
وأرأفهم . وفرض لهم في الديوان وهو بهذه السياسة يوفر الأموال بحسنه
ويحقق الدماء ، ويشتري الإسلام - ثم جاء الخليفة المعتمد ، فسار على نفس سياسة
الخليفة المأمون وسجده حتى صار معظم عسكره من أهل تلك البلاد ، من السجدة
والفراخية والأخروسة وأهل الشام وغيرهم ، وصار أهل تلك البلاد يحرقون من وراءهم
من السجدة . ويحرقون مائتة كثيرة ، كما أن الخليفة الواثق أحس إلى بطون كثير
وأكرهم ، ولم يطم أي ثورات للعباسيين في بعده ، وما أحس أحد إلى آل أبي
طالب من خلفاء بني العباس ، ما أحس إليهم الواثق ، ما مات وفهم فليس^{١١} ،
ورد على بعض بني أمية أموالهم ... هكذا تم نشر الإسلام ، وتمشية القلوب ، وحقن
الدماء ، وتوزيع الأموال التي صرف لتجهيز الجيوش لإخماد الفتن وإعادة التمسك
أو بسحق جديد في العصر الأول للدولة العباسية ، ومع ذلك فقد كانت سفقات تجهيز
الجيوش ، وحماس الممير ، ودفاعاتها ، كثيرة بلغت أرقاما عيانية أحيانا .
صعدت عنها بالتفصيل في الباب الثاني عند الحديث عن سفقات الحروب ، ومصارف
المبائت .

ومن فراء سريعة لهذا العمل ، ملاحظ الباحث ، أن المبائت كثر في العصر الأول
للدولة العباسية ، كثرة سمع بها العاتقون ، واعلموا بناء كبيرا - كما يلاحظ الباحث أيضا

١١) الإسلام والحضارة العربية ، الجزء الثاني ، صفح ١٢٥

إلى أي حد كانت المصالح مبررة كبراً ومهماً من موارد بيت البار في العصر
لأول لدولة العباسية .

أقسام المصالح :

كان العدو يحلف بعد هزيمته من جيوش المسلمين في عصر أول لدولة
العباسية المال والسلاح والأرض والأسرى .

ما لأسواق المفقولة التي يملكها العدو ، ويعملها المملوك ، فهي مصالح
المألوكة ، التي لا بد من قسمها من حمول المصروف ، وكانت آلات المملوك
مطلقة لمن قبل ، وهو ما على المفقول من لباس ، وما معه من سلاح ، وما معه
من فرس ، وكان الفاتحون المصالحون يحملون على مصالحهم عدداً ، من سلب
مصاريفهم لهم .

هذا طبعاً بالإضافة إلى الأرزاق من قبل الدولة العباسية ، ومكافآت خدمها ،
المصالحين ، فقد كافأ الخليفة المصالح الفاتحين والمستعمرين على تلك والخرمصة
بمصره ملايين درهم ، وكافأ القائد الأعظم بمكافآت كثيرة منها عشرة ملايين درهم
له ^(١) وكافأ الخليفة المأمون القائد عبدالله بن طاهر بن الحسين ^(٢) بمصره
أن أعاد فتح مصر بولاية مصر والشام ، وسوءه حراج مصر له ، وهو ثلاثة آلاف
ألف دينار ، ففرقه عبدالله بن طاهر على العبيد وهو على العبيد ، ولم يدرل مصروفه
إلا وقد اقترض عشرة آلاف دينار لمعطيتها لرجل جاء متأخراً والمصلحة بقيت برة

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٢٤ وقد
محدثنا بالمعجل عن هذه المكافآت والفتح من قبل الخلفاء ،
هذا المعجل .

(٢) في المجلد الأول ، وفي الجزء الأول من خطط الشام ، صفحة ١٦٨ أن
لقائد الذي أعاد فتح مصر هو طاهر بن الحسين وأن المأمون فتح طاهر بن
الحسين مبلغ ثلاثة ملايين مكافأة له . وهذه خطأ تاريخي ولكن الحقيقة
أن الخليفة المأمون كافأ ابنه عبدالله بن طاهر .

وهكذا استألف الثروة على الفاحش ، ووصلوا إلى ميدان المعنى إلا أنهم مع ذلك ، كانوا راحدين في الدنيا ، احدى على الكثرة والنجوى في الدأكر
وسلمين ، والمتوسط في الحبس ، والمعد في الانتزاع ، ولا مبالاة عن الدين ، رغم
أن الدنيا فاصت عليهم ، وكثر لديهم المال ، وكان هذا الشراء من فضل لاسلام على
العرب ، ومسلمين ، ومع هذا كله ، فإنهم لم يندرجوا إلى المعكرات ، وسلم
يخافوا الحد المروع ، بل كانوا حمر حلف لخير خلف ارمي الله عنهم أجمعين^(١)

وأما الأسرى ، فكان أمرهم موكولاً إلى الإسم ، إن شاء من ، وإن شاء فدى ،
وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : فبما نطقهم فخرهم فخرهم بقراب ، حتى
إن استمروهم ففقدوا الوفاء ، فلما شأ بعد ، وإما فداء ، على مع العـ
أورثها ٥٥٠ (١)

وقد يسمى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالأسرى خيراً ، وفاداهم فدى
ثروته مكر ، واشترط على من لا بعد ، أن يعلم ثلاثة من أولاد المسلمين بالمسيرة^(٢)
والكتابة .

هكذا كانت معاملة الرسول (صلى الله عليه وسلم) للأسرى معاملة حسنة ،
وكذلك فعل الخلفاء من بعده ، اقتداءً بسنة وسيراً على هديه (عليه السلام)
والسلام .

وسار الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية على نهج (صلى الله عليه)
وسلم (، وطبقوا ما جاء به الدين الحميف بالمصبة للأسرى - سواء أسرى -
أو أسرى الدول المفتوحة - كما أن بعض الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية ،
فدى أسرى المسلمين عند الروم وقد أشرفا إلى ذلك في هذا العمل .^(٣)

(١) القرآن الكريم ، سورة محمد آية ٤ .

(٢) انظر فصل المناثم في هذه الرسالة .

وأما الأرضون ، فتقسم إلى ثلاثة أقسام

- ١ - ما ملكت عموه وقهرآ ، عبرى بعض العلماء مقسمها كالأموس إلا أن بتركب
العائزون بطوبى نفس ، صوبت على مصالح المسلمين ، ورأى علماء آخرون عدم
نسبها ، وترك أمرها إلى الإمام فإن نسبها على المسلمين أصبحت أرضاً
عُمره . وإن أعادها إلى أهل الدمه والمركم أصبحت أرض حراج
٢ ما ملكت عفواً لانتجلائهم عنها حوقاً ، فمير بالاسيلا عليها أرض حراج
وتعير هذه الأرض دارإسلام .
- ٣ - أن يسولى عنها حلقاً ، على أن تنفى في أيديهم ، بحراج يؤدونه عنها^١ .

وسمحدث بالفصل في الباب الثاني في فصل تقسيم العتائم كيف كانت
العتائم مسلم ٤ كما سمحدث من صفات حير العتومي الاسلاميه ، وروايت بجدد
وأردتهاهم . وذهبوا الحمد ٥٠ إلخ

هذا وكما سؤد أنظر بإحصائيات دقيقة ، حول ما غنمه المسلمون الفاتحون
في الولدع المختلفة في العصر الأول للدولة العباسيه ، بينهم وبين أعدائهم ، لىرى
مقدار حميلة الدولة العباسية من مثل هذا المورد الثم .

نكنا مع الأسف ، لم يحتر على هذه الإحصائيات في كتب بتاريخ معروفه .
وكذلك كان الحال بالمسبة للمعاصر والمراجع التي استطعنا الحصول عليها .
أو لأطلاع عليها في المكتبات المختلفة ، وفي دور الكتب ، وفي بعض الدول الحربية ،
وكذلك بعض الدول الأجنبية .

(١) تفصيل ذلك في كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينيه لصادق صفحنة
١٥٦ ، ١٥٧ - في الباب الثاني عشر في قسم الفير والعميمة

مؤلفه أخرى لميث المال ١ -

■ انت هالت مؤلفه ماله ، غير المي دكرها ، وكانت مدخل مؤلفه كثره
لميث المال ، في المصير الأول للمدولة المباسية من أهمها : -

١ - المؤلفه

ومن مصادر ميث المال ، ما يؤخذ من مركه من يموت دون أن يترك وارثاً^(١)
وكان الخليفة في هذه الحالة يملك حربه المصروف في هذه الأمور كغيره من
أموال ميث المال .

وفي سنة ١٢٢ هـ ، توفي بالمصره أحد كبار أثريائها ، ويدعى محمد بن
سبحان بن علي . فأمر الخليفة هارون الرشيد بالحفظ على تركته ، وأحد مضافاً
وقدره (٦٠٠٠٠٠ درهم) مئتين ألف ألف درهم .^(٢)

^(١) وكان ميث المال يترك من لا وارث له ، فإن جده الموصى من لا يستحق كسب
الميراث ، أحد هذه سبعة منه . وكان الباقي لميث المال . وهذا هو مذهب
الشافعية ، الذي يعني بأن يأخذ ميث المال المركه ، ولا يرد إلى ذوي الأرحام
المعبدية . وكذلك ما يفعل من السهام المفرومة في القرن الكريم ، بل يمكن
للمتوفي عصمة بغير باقي ميراثه ، وكان لذلك مبال بسمون مبال المؤلفه
وفي الفرة التي لا يساويها الميث . في عهد الخليفة المقتدر لمصر
الثاني للدولة المباسية) . أمر الخليفة المقتدر بحرق مبال المؤلفه علي
سائر المواشي ، وأمر يرد ما يشمل من السهام المفرومة على أصحاب السهام
من القرية . ويحدد مركه من يموت ، ولا عصية له ، تدوي رحمه ، إن لم يكن
له وارث سواهم . وهذا رأي عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، وابن
عباس ، وابن مسعود (وفي الله عنهم أجمعين) .
الحمازة الاسلاميه ، المرحه الأول في هامش صفح ٥٦ .

^(٢) الكائن في التاريخ ، المجلد الخامس صفح ٨٦ ، ٨٧ ، وهاه فيه (ثم
وحدث سنة ثلاث وسبعين ومائة ، فيها توفي محمد بن سبحان بن علي .
بالبصره ، فترسل الرشيد من قبض تركته ، وكانت عظيمة
من المال والمناج والدواب ، فمحلوا منه ما يطلع للخلافة وتركوا ما لا يبيع ،
وكان من جملة ما أخذوا مئتين ألف ألف) .

ويذكر ابن كثير هذه الحادثة فيقول : « تم دحلت سنة ثلاث وسبعين ومائة حينها توفي بالمعبره محمد بن سليمان ، فأمر الرشيد بالاحتياط على جوارحه » .
 فوجدوا من ذلك شيئا كثيراً من الذهب والفضة والأمنه وغير ذلك ، فاستدوه ،
 ليحتفل به على الحرب ، وعلى مصانع المسلمين ، وهو محمد بن سليمان بن عيسى
 ابن عبد الله بن عباس ، وأمه أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن عيسى ، وكان
 من رجال آل فرس وشجعانهم ، جمع له السعور بين المهره والكوفة ووجه السهدي
 اسمه القماسة ، وكان له من الأموال شيء كثير ، كان دخله في كل يوم مائة ألف .
 وقد وعد على الرشيد حينما بالحلالة فأكرمه وعظمه ، وزاده في عمله شيئاً كثيراً ،
 ولما أراد الخروج ، خرج معه الرشيد بشيعة إلى كفوندا ، توفي في حمادى الآخرة من هذه
 السنة ، عن إحدى وخمسين سنة ، وقد أرسل الرشيد من عطية من ماله القماسة ،
 فوجد به من الذهب ثلثه آلاف ألف دينار ، ومن الدراهم ستة آلاف ألف ديناراً على
 الأملال . (١)

وفي سنة ١٨٦ هـ توفي الشاعر سليم بن عمرو بن حماد بن عطاء (والمعروف
 بعلم الشاعر) (٢) ولم يترك ورثاً ، وترك سنة وثلاثين ألف دينار ، فأخذت منها
 الخليفة هارون الرشيد ، وأعطاهما لأحد مقربيه . (٣)

- (١) البدايه والنهايه ، المجلد الخامس ، الجزء المباشر ، صفحة ١٦٢ ، ١٦٣ عند
 الحديث من أحداث سنة ١٧٢ هـ .
 (٢) وقيل له سلم الخاسر لأنه كما يقال باع مصحفاً واشترى به ديوان شمس
 لأمرى القيس ، وقيل لأنه أنفق مائتي ألف في صناعة الأدب .
 (٣) البدايه والنهايه ، المجلد الخامس ، الجزء المباشر ، صفحة ١٨٨ .
 وقيل إن المبلغ كان خمسين ألف دينار وليس سنة وثلاثين ألف دينار . وقد
 أنشئ فيما بعد القبرة التي يتحدث عنها وفي عهد الخليفة المعتمد ديوان
 يعرف بديوان المواريت ، وظل قائماً حتى ألغاه الخليفة المعتمد ، وأمر برب
 ما يغفل من أنصبة المواريت إلى ذوي الأرحام ، غير أن هذا النظام أهمل
 بعد وفاته ، وعاد ديوان المواريت للتعطل من جديد .

وهكذا يصبح لنا أن هذا المورد كان مهماً ، ولكنه لم يكن مستقلاً ومتروكاً

كالخراج والتعريب والتعشور وأنصبة الركائز ، وبقيت الموارد الأخرى المنتظمة .

وكانت المبالغ التي تأتي من خلال المورثات أو المعادرات التي سمحت

بها كبيرة ، وكانت تدفق في إنشاء الطرق ، وحفر القنوات وأحياناً على بعض

خوارج الخليفة كمكافأة للشعراء والطلماة وأهل الفقه والحديث ، والأدباء ، وأحياناً

بعض النماة .

المصادر

وقد عُدَّ الكثير من المؤرخين المحدثين أن المصادر التي حدثت منذ
بموجات الإسلام الأولى من إيرادات الدولة الإسلامية ، وخصوصاً وأن المصادر
كانت معدودة أحياناً إلى مبالغ كبيرة جداً ، وإلى ملايين الدراهم

وأرى أن المصادر بدأت منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولكن
لم تكن وضعه بالضرورة التي عرفت بها أيام الخليفة الثاني ، أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب (رضي الله عنه) .

فقد جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف ما يلي (استعمل النبي صلى الله
عليه وسلم رجلاً يقال له ابن السيمية على صدقات بني سليم ، فلما قدم قال
هذا لكم ، وهذا أهدي إليّ ، قال فقام النبي (صلى الله عليه وسلم) على المنبر ،
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال ما نزل عامل أمته فيكون هذا لكم ، وهذا أهدي
إليّ ، أملاً نعد في بيت أبيه ، وسيت أمه حتى ينظر أهدي إليه أم لا ؟ والذي
بفسي بيده لا يأخذ منها شيئاً . إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، أما
بغير له رعاء أو بقره لها خولج أو غاة تهر . ثم رفع يديه حتى رآه بمنزله
فقال : اللهم هل بلغت (١) .

ومن هنا نستطيع القول بأن نشأة المصادر ، جاءت مع بداية حركة الفسوح
الإسلامية ، إذ أن أعماله كانت موعودة في ذلك الوقت عملاً ، وإن لم تكن إدارة
قائمة بدانها ، وبمسير الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب أول من بدأ أعمال
هذا لذيون ، ذلك أن عمر بن الخطاب كان يحمي أموال عماله قبل مولاهم أعمالهم ،
وما زاد عليها بعد ذلك كان يعادهم على كله أو بعضه (٢) ، وهناك أمثلة كثيرة

(١) كتاب الخراج صفحة ٨٤

(٢) أشهر مشاهير الإسلام صفحة ٢٩٤ .

على معاصيه عمر لعماله ، ودهابه الى مدى بعيد في ذلك إذ كان يشاظرهم أموالهم ،
فمن الذين شاظرهم أموالهم سعد بن أبي وقاص عامه على الكوفة ، وعمرو بن
لحاص عامه على مصر ، وأبا حريزة عامه على البصريين ، والمعمان بن عدي عامه
على ميّسان ، وسافع بن عمرو الحراعي عامه على مكة ، ويحلي بن سمية عامه على
اليمن ، واضع أبو بكر بن الحناطرة .^(١)

كذلك فإنه عزل عنه بن أبي سفيان عن الطائف وجدفاب وسفاه في حبسه
بطريق موجد معه ثلاثين ألف فقال أني لك هذا ؟ قال والله ما هو لك
ولا بتسلمين ولكنه مال حرج به لصيده أشربها . فلان عمر عاملما وجدد
معه مالا ما سيده إلا بيت المال .^(٢)

ولم يكن عمر بن الخطاب هو أول من ابتدع ممارسة لأمر إذ أن ذلك كان
موجوداً لدى الفرس ، فقد كان أردشير من يملك إذا عزل عاملاً لم يعاقبه بالعذاب ،
بن أمر بمحاصرتهم وأحد ما ظهر عليه ، وكذلك كان يفعل إذا عزل من ظهر منه
الفساد .^(٣) كذلك كانت الممارسات في قصايا البيزنطيين الصائبة إما المرات
أو ستفء الأموال والأملاك . أو التكميل بممر الأعماء .^(٤)

وقد اسمر هذا الحفاب المثالي سائداً في العصر الأموي ، وقد عدنا ممن
ذلك في التمهيد .

-
- (١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٧ .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفرید : ج ١ ص ٢٧ .
(٣) آثار الأول في ترتيب الدول صفحة ٧١ .
(٤) راسيمان : الحضارة البيزنطية ص ١٢٠ .

وقد بدأت المصادر في العصر الأول للدولة الحباسية ، منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ، وكانت سوق على الأفراد ، كنوع من العطف ، حيث أن الدولة لم تكن بحاجة في تلك الفترة إلى ما تستخرجه من المصادر من أموال ، فقد صدر أبو مسلم الحراسي عبدالله بن علي عم الخليفة أبي جعفر المنصور ، عندما شارك على الخلافة الحباسية ، ولم يقتل عم الخليفة وعم أبي الخليفة أبو جعفر أمر بالقضاء على بيوتهم ، بل اكتمل بالاسملاء على خرائقهم ، وكانت عظمته لأنه استولى على دوائر حنفية بني أمية ، وضمهم ، وذلك بعد حروب كثيرة في أرجاء شبه الجزيرة العربية الموصى المعروف بدير الأعور .^(١)

وفي سنة ١٤١ هـ صدر الخليفة المنصور عبد الجبار بن عبدالرحمن ، عباسي الخراسان ، حينما خرج عن الطاعة ، وسم الضم عليه من قبل المهدي أبي الخليفة المنصور ، ومصادرة أمواله .^(٢)

وفي سنة ١٤٤ هـ صدر الخليفة المنصور ، أحد كبار الطالبين ، وهو عبدالله ابن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب .^(٣)

وفي سنة ١٥٨ هـ صدر الخليفة المنصور خالد بن برمك ، وبنت قيمه المصادر ثلاثة ملايين درهم .^(٤)

- (١) خطط الشام ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، صفحة ١٥٠ .
- (٢) الكامل في التاريخ ، المجلد الرابع ، صفحة ٣٦٢ من أحداث سنة ١٤١ هـ وعند ذكر خلق عبد الجبار بخراسان ، وصير المهدي إليه .
- (٣) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٨١ .
- (٤) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٤٢ ، من أحداث سنة ١٥٨ هـ وكانت المصادر ثلاثة آلاف ألف (٣٠٠٠٠ - ٣٠٠٠) درهم ، إلا أن خالد بن برمك دفع فقط (٢٧٠٠٠ - ٢٧٠٠) مليوناً وبمئتي ألف درهم ، وعفى الخليفة عن المنصور عن الباقي ، وعين خالد بن برمك على الموصل ، وابنه يحيى على أندلس ، وظل كذلك حتى توفي الخليفة المنصور .

وكانت مصادر أموال البعثة ، بعد مقتل جعفر البرمكي ، من أشبهـ
المصادر التي حدثت في عهد الخليفة هارون الرشيد ،^(١) وقد قدرت قيمـ
المصادر ثلاثين مليون وستمائة وثمانين ألف درهم ١٠ ٦٧٦ ر ٢ ١ درهم

كما صدر الخليفة هارون الرشيد عليّ بن عيسى بن ماهان ، بعد أن عرّفه عن
ولايه حران ، وبلغت قيمة المصادر (١٠٠٠ ر ٨٠٠) ثمانين مليون درهم^(٢)

ولما قامت الحرب بين الأحوس الأموي والمأمون أبا هارون رشيد مستشار
الخليفة الأموي مستلكات أخيه المأمون وجميع صناعه في بغداد والمواد^(٣)

وأنفق الخليفة المأمون سياسة المصادر بعد أن تولّى الخلافة مع كل من أتبع
أخوه الأموي ، وكان ذا مال وجاه .^(٤) وولف مع الخليفة السابق الأموي

وفي سنة ٢٢٠ هـ صدر الخليفة المعتمد وريره أبا العباس الفضل بن مروان ،
وحصل من وراء ذلك علي مبلغ كبير من المال .^(٥)

وقد ذكر الشيخ محمد الحمري في كتابه أن قيمة المصادر بلغت مليون دينار
بالإضافة إلى قيمة الآتيه والأثاث وقد بلغت مليون دينار آخر .^(٦)

(١) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس صفحة ١١٥ ، وجاء فيه ، وحسب يحيى
في سيره ، وأحد ما وجد لهم من مال ، وصباغ ، وساع ، وغير ذلك ، وأرس
من ليلته إلى سائر البلاد في قبح أموالهم ، ووكلائهم ، ورفيقهم ، وأسيابهم
وكذلك في البدء والتاريخ ج ٦ صفحة ١٠٥ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء الحاشر ، صفحة ١٠٠ وكذلك
في الكامل في التاريخ م ٥ صفحة ١٢٦ .

(٣) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ٢٩٢ .

(٤) الفرج بعد الشدة ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٦ .

(٥) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء الحاشر ، صفحة ٢١٢ .

(٦) محاضرات تاريخ الأمم الاسلاميه (الدولة العباسيه) صفحة ٢٣١

أي أن مجموع ما تم إصداره من وزير الخليفة المعصم صليبي دينار
ثم اسبوز الخليفة المعصم أحمد بن عمار الحراجاني ، ثم محمد بن
عبد الملك الصغور بابي الرباب ، ثم إلى حين وفاة الخليفة المعصم ، وكتمان
شديد في معاملته المال الذي يصادرونه لحواشيهم في الأعمال .

وسيج الخليفة الواسي من بعد الخليفة المعصم في المبادرت ، فصار منه
٢٢٩ هـ عدداً كبيراً من كتابه وموظفيه ، مما أثر على الإدارة والأحوال المالية بمكة
بمكة .

وقد تولى أمر هذه المصادرات محمد بن عبد الملك ، ابن نزيات ، وصرح بأن
أصول المصادرات ، كانت منذ حانها كثيراً من مفاات الدولة المالية ، ولا يمكن
الاستعانة عنها . (١)

أي أن هذا المورد كان مهماً ، وعلى جانب كبير من الأهمية ، كما أنسبه
سأديت ، وبراء عادل لم يتسؤل له نفسه ، بأن يأخذ أموالاً ، ليس له الحق فيها ،
ومن أهم الكتاب الديني قام الخليفة الواسي بمصادرتهم .

- أحمد بن إسرائيل فقد صادره ثمانين ألف دينار (٨٠٠٠٠) .
- وطهمان بن وهب فقد صادره أربعمئة ألف دينار (١٠٠٠٠٠) .
- والحسن بن وهب فقد صادره أربعة مئة ألف دينار (١٤٠٠٠٠) .
- وأحمد بن الحميف وكتابه فقد صادرهم مليون دينار (١٠٠٠٠٠٠) .
- وإبراهيم بن رباح وكتابه فقد صادرهم مئة ألف دينار (١٠٠٠٠٠) .
- وبجاء بن طه فقد صادره مئة ألف دينار (١٠٠٠٠٠) .
- وأبو الويزر فقد صادره مئة ألف دينار (١٠٠٠٠٠) .

(١) الفرج بعد الشدة ، الجزء الأول ، صفحة ٨٧ .

وأبو الزبير فقد ضاع منه ألفه وأربعين ألف دينار^١ . ١١٤٠

وسمّوع هذه المصادر = ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ دينار

(مليون وسبعمائة وأربعة وتسعين ألف دينار)

وجاء مجموع المصادر في كتاب محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية

(الدولة العباسية)^(٢) غير مطابق للحقيقة ، فقد ذكر الشيخ محمد الخمري

أن مجموع مليون وسبعمائة ألف وتسعين وعشرين ألف دينار ، (١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠)

ولكن ربما كان الجمع خطأ ، أو أنه نقل مصادر أحمد بن إبراهيم بن إسرائيل (٨٠٠)

بما فيه لأن دينار عطف ، بدلاً من ثمانين ألف دينار كما ذكره الطبري في كتابه .

ولقد تكرّر هذا الخطأ في عدة طبقات دون تصحيح .

ويذكر اليعقوبي بعض الأسباب التي أدت إلى معاداة بعض هؤلاء الديلميين

ذكرناهم ، وسخط الخليفة الواثق بالله عليهم فيقول عن

(رسخط الواثق على إبراهيم بن رباح ، وكان إبراهيم عتداً عنده بمكانة مصر .

أقام إمرته ، فولاه ديوان الصباح ، فشاعل بالنهب ، وفوّس أمره إلى نجاح بن سلمة

كاتبه ، وإلى مغان بن ٠٠٠ المصري ، وسخافوا الناس عن أموال كثيرة . فكتشروا

عليه عند الواثق ، وأمر بقبض مديونه ، وأمواله ، وصير ما كان إليه إلى عمر بن

فرح الرّحيمي)^(٣) ويذكر اليعقوبي أيضاً ، سب مصادر الخليفة الواثق لأحمد بن

الحصيب فيقول

وكان أحمد بن الحصيب ، كاتب أساس التركي ، وهو بلي أعمال الجزيه ، والشامات

ومصر ، والمغرب ، والمدير لذلك أحمد ، فرجع إلى الواثق أنه قد حاز أموالاً عظيمة

فسخط عليه ، وقبض أمواله ، وأموال أخيه إبراهيم)^(٤) .

١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد السادس ، الجزء الحادي عشر ، صفحة (ص ١٠٠٠)
أحداث سنة ٢٢٩ هـ .

(٢) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) صفحة ٢٥٢ .

(٣)، (٤) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٤٨١ ، أثناء حديثه عن قسرة
الخليفة الحياشي هارون الواثق بالله .

مما سبق يصح لنا بحلّاء أن المصادر كانت لأبيات ، وأن هذا بمسود
سيت الحال ، كان ميماً ، وخصوصاً في أواخر العصور الأولى للدولة العباسية

وقد أدت سياسة المصادر إلى نتائج سيئة أحياناً ، فقد دُعي كـ
الموظفين والمحال إلى جمع المال بكافة الوسائل والطرق ، خلال توليهم وظائفهم ،
حتى يستطيعوا دفع جميع مصادراتهم إذا ما حدثت ، ويحتفظوا ببعض المال ،
ببواحبوا به حاجات المعيشة بعد خروجهم من أعمالهم ، كذلك نجأ الناس إلى
إخفاء ثرواتهم ، خوفاً من المصادر ، فسموا بذلك كميات كبيرة من التـ
والأموال المنقولة من التداول بوقفت بذلك قيمتها الحقيقية ، وقد اندفع الناس
بحر إخفاء أكبر قدر من الأموال ، أنه ثم نكر هالك بسب موسوعة المصادر

ويرى بعض المؤرخين^(١) أن المصادر وفرت للدولة مورداً هاماً من موارد
الدخل ، في فترة كانت خرابتها في أشد الحاجة إلى المال ، وأن عميد المصادر
قد نصت على تكديس الثروات لدى طبقات معينة من الناس كالتجار ، وكبار الكتاب
والوزراء ، إلا أن المصادر أدت أحياناً إلى قلق الناس وعدم شعورهم بالأمن
والطمأنينة .

كانت أموال المصادر تجمع أيام الخليفة المصنوع في خزانة عامة ، تسمى
ببيت مال السطام ، وكل أموال مصادره كتب عليها اسم صاحبها ، ثم أمر الخليفة
المهدي ، عندما يتولى الخلافة بإعادتها إلى أصحابها^(٢) .

(١) تاريخ العراق الاقتصادي ، الدوري ، صفحة ٢٢٥ ، ٢٢٩

(٢) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٤٨ وجاء فيه : « وكان
المصنوع إذا عزل عاملاً أحد ماله وتركه في بيت مال مقرر سماء ، بسبت
مال السطام وكتب عليه اسم صاحبه » وقال للمهدي : قد هيأت لك شيئاً ،
عزداً أناساً فادع من أخذت ماله ، فأردده عليه ، فإلك يستعمل بذلك إليهم
والتي العامة ، ففعل المهدي ذلك .»

وصارت أموال المصادر بهذا ذلك.

إما نصاب ربي أموال الدولة ، أو تحمل إلى بيت مال العامة ^(١)

وفي عهد الخليفة المقدر - الفترة التي لا يتحدث عنها البحث - أنشئ ديوان خاص للمصادرات ، لكثرة الأموال المصادر ، وكان صاحب هذا الديوان يحفظ بقوائم المصادر ، وسجلات تحوي بياناً بما تنتزع منهم .

كما كان عليه أن يقدم كخوفاً منتظمة لأعمال المصادرات إلى الوزير ، وأن يسي للمعالجة بما تقر به المصدرون ، حتى لا يهرب الأموال ، ولا يستطيع تدويع بعد ذلك الحصول عليها .

ومن مبادئها ، أن يطالب الصماء الذين صعدوا بعض المصادر بقبض ما صعدوه ، إذا عجز المصدر عن الدفع .

أما رفاع المصادر التي ولقوها بإقرارهم بالمصادر ، فكان يحفظ بها ^(٢) الخزير .

ومن موارد بيت المال الأخرى المرائب والمكوس التي كانت على السدود والبحايت ، والأوراق ، وأطلق على هذا النوع من المرائب مسملات ، وأشياء لها ديوان خاص عرف بديوان المسملات .

(١) فقد كان محمد بن عبد الملك ، وزير الخليفة الواثق ، يعتمد على أموال المصادرات في سد المعقات ، ورفع الأوراق ، (الفرج بعد الشدة ، بحيرة الأول ، صفحة ٨٧) كما سم الخليفة المقدر - الفترة التي لا يتحدث عنها البحث - الأموال التي صادرها من ابن الفرات إلى بيت مال العامة (تلويح الأمم ، الجزء السادس ، صفحة ٢٤ ، ١٢٩) (تلويح الأمم ، الجزء السادس ، صفحة ١٥٤)

كما أنه كانت هناك صرائب أخرى مثل :

- مربية سلك المقود ، فكانت كل دابة للصرب تدفع ما قيمته واحد في المائة
١. عما يصرب بها من دنانير أو دراهم ، وأطلق على هذه المربية تسمى
الحطيط وأجرة الصرب (١)
 - كما فرمت صرائب على الأسواق وقد بلغت غلات ومستغلات مـ مـ مـ رأى
وأضافها (- - ١٠٠٠٠٠ ر) عشرة آلاف ألف درهم في عهد الخليفة المستنصر (٢)
وصالح مصره ملايس مبلغ لا يستهان به في مثل العمر الأول للدولة السياسية كما فرمت
صرائب أخرى على الأوقاف والمكاييل والطواحين وبلغت غلات الأسواق والأرجاء ودور
الحرب بمدينته السلام (١٠٠٠٠٠ ر) ألف ألف وخمسمائة ألف درهم (٣)
 - بالإضافة إلى صرائب الملاحات والأجام وأثمان الماء .
وقد فرمت هذه المرائب ليعتصم الخليفة بها على مواجهة المخطات كصرائب
الجند ، وإنشاء الطرق ، ورعاية الري ، وغير ذلك من المخطات المبرورة
وقد بدأت هذه المرائب منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ، فقد حرص
هذا الخليفة ، على كل فرد من ثراء أهل الكوفة أربعين درهما (٤) درهما ، ليفسق
مها على تحصين أسوار مدينة الكوفة ورميم أبنيتها سنة ١٥٥ هـ (٥) ، وإلى أن
-
- (١) المسالك والممالك ، للإصطخري ، صفحة ٩٤ ، ٩٦ ، [غلة دار الصرب] .
(٢) كتاب البلدان للبيهقي ، صفحة ٢٦٣ .
(٣) يقول الإصطخري في المسالك والممالك صفحة ٩٦ . [وأما المستغلات فإليها
مربة أسواق بشيراز وغير شيراز ، ألبمها للناس ، ويؤدون أجرة الأرض ،
والطواحين للملطان ، وأجرة الدور التي يحمل فيها ماء البورد] .
(٤) المسالك والممالك لابن خردادويه ، صفحة ١٦٥ .
(٥) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١١٣ وجاء فيه
من أحداث سنة ١٥٥ هـ [- - -] وأمر فيها - المقمود الخليفة المنصور -
ببناء سور وعمل حديق حول الكوفة ، وأخذ ما عزم على ذلك من أموال أهلها
من كل ثمان من أهل البصرة أربعين درهماً ، وقد فرسب أولاً خمسة درهم
خمس دراهم ، ثم حياها أربعين أربعين ١٠٠٠ ربما فعل ذلك لارتضاع
التكاليف .

الحليفة الميمور فعل ذلك رغبة في مشاركة أهل الكوفة وأثرها في تحصين مدينتهم ، وحتى يحدوا على حال هذه المدينة ، ويحرموكم أنتخب الدلالة ، لاستتباب الأمن والسلامة لهذه المدينة العريقة .

أما الحليفة الميدي ، فقد أمر بفرس مراتب على الجوانيب في بغداد . ولم يكن ذلك متبعاً من قبل .

وكانت هذه المربية بدرّ دحللاً عظيماً ، حيث اطلع أجرة الأسواق بمقدار في الجاسمين حيناً مع رجا المطربين وما تشمل بها في كل سنة اثني عشر ألف ألف درهم (١١)

وقد ولي الحليفة الميدي حباية هذه المربية ، واحداً من أنسائه يدعى سعيداً الحرشي .

وقد سمي بعض العلماء الأسطين مربية الجوانيت خراجاً ، فجاء في الأحكام السلطانية (١) وفي في لرس الخراج أنسه ، دوراً وحواشياً ، كان خراج الأرض مسجناً ، لأن لرب الأرض أن يستفح بها كيف شاء (٢) وكانت لرس بعدد أرض هراج (٣)

ويذكر الاصطخري (٤) أنه كان بمدينته ربح بإقليم سحمان ، سوق كبير جداً . بناء عمرو بن الليث ، وكانت مدة هذه السوق في كل يوم نحو ألف درهم .

ولما آلت الخلافة إلى الحليفة هارون الرشيد ، عمد إلى إصلاح الأحوال بمدينته بها سوق ومصلحة البلاد والرعية ، ففرر بماء على مصيحة أبي يوسف القاسمي ، سظيم المسالح والمراصد على الحدود . وعصيت التحلر الحارثين بها تفنيشاً دقيقاً .

١ كتاب البلدان ، اليعقوبي ، صفحة ٢٥١ .

(٢) الأحكام السلطانية ، الفراء ، صفحة ١٧٠ .

(٣) تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، للحظيف البغدادي ، الجزء الأول ، صفحة ٧ وما بعدها .

(٤) المسالك والممالك ، صفحة ١١٠ .

وعندما حوصرت بغداد في أواخر خلافة الأعين ، عمد بعض قواد طاهر بن
نحسين ، إلى عرض مراثي على البحر سنة ١١٩٧ هـ^(١)

غير أن الخليفة المأمون منعت بعد أن استقرت خلافته ببغداد ، أن يعمد
على جمع مراثي المراثي عن الناس ، فأبطل ما كان مفروضاً منه على ميازين وموالي
بعض التجهيز الإسلامية

كما أبطل كثير من المراثي التي عرضت على أهل الدماء بسبب الحروب ،
ورويها المقاتل^(٢) وعمل جاهدًا على تقليل النفقات ، حتى لا تنحأ الدولة إلى عرض
مراثي جديدة .

كذلك اتجهت سياسة الخليفة الوثائق المالية ، إلى عدم إلقاء كاهل
رعاياه بالمراثي ، فأمر سنة ٢٢٢ هـ بإلغاء المراثي المفروضة على سفن البحر^(٣)
وكانت سبب دخولاً كبيراً للدولة المالية في ذلك الوقت^(٤)

- ومن موارد بيت المال أيضاً ، غني ما يستخرج من طينة وصير^(٥) وعشر
الصل وصعب السكر والحرير واللبود والبنود والفسق وأشياء ذلك إن كان في أرض
المطر ، والخراج إذا كان في أرض الخراج لأنه يكال^(٦) .

(١) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ١٥٧ .

(٢) أهل الذمة في الإسلام ، فرنون ، صفحة ٢٤٢ .

(٣) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٨ .

وجاء فيه : وفيها أمر الوثائق بترك حماية أعشار سفن البحر ١٠٠٠ .

٤ الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٢٧٧ ، صفي أحداث سنة ٢٢٢ هـ
وجاء فيه : وأطلق في خلافة - بفقد الخليفة الوثائق - أعشار سفن البحر
وكان مائلاً عظيماً ...

(٥) كتاب الخراج لأبي يوسف ، صفحة ٧٥ .

(٦) كتاب الخراج لأبي يوسف ، صفحة ٧٦ ، ٧٧ .

ومن موارد بيت المال خُص المعدن ^(١١) يقول أبو يوسف القاسي : (كل ما أُصيب في المعدن من الذهب والفضة والحاس والحديد والبرصا ، فإن في ذلك الخُص - في أرض العرب كان أو في أرض الحِم - وخمسه الذي يوضع فيه مواضع الصدقات - ويمنع يستخرج من البحر من حنبله وعنبر والحُص ، يوضع في مواضع الغنائم ...) ^(١٢).

ومن موارد بيت المال أيضا هدايا المبرور والمهرجان وأهل " الديور " " سورور " عربيه الحرب عقبوا الروا باء وقالوا " سورور " ومضاه المباح الجديد وأول من تبعه من الفرس " حما " الملك ^(١٣) ، ومن ذلك التاريخ تعود الفرس أن يقدموا لمملوكهم الهدايا في المبرور والمهرجان ، يقول الخافظ في الحاج " ومن حق الملك هدايا المهرجان والمبرور ، والخطه في ذلك أنها قبلت البسه ، والمهرجان دحور الشتاء وفصل البرد ، والمبرور الذي يدخل فصل الحر " ^(١٤) وقد كان المهرجان يفعلون ذلك بمن ولهم الاستطافه .

وفي العصر الأول للدولة العباسية وردت إشارات تدل على أنها كانت لا تزال توضع .

من ذلك ما رواه ابن طماطبا ، من أن يحيى الخضر ، كتب إلى خالد بن برمك في يوم سورور ، وقد أهدى الناس إليه هدايا هبها جامات من فضة وذهب

ليت شعري أمانا منك حظ .. وهدايا الوزير في الديور
ما علي خالد برمك في الجود .. نوال يتيله بحزير
ليت لي جام فضة من هداياه .. سوى ما به الأسير مجيزي

فأمر له خالد بن برمك بجميع ما كان حاضراً بين يديه من الحمام والأواني

(١١) كتاب الخراج ليحيى بن آدم ، صفحته ٢ وجاء فيه (وأما المعدن فقد حصد فيه ، فقال بعضهم فيه الحُص ، والمعدن في أرض العرب وأرض الحِم سواء) .

(١٢) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحته ٢٢ .

(١٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الجزء الأول صفحته ١٩١ وكان يحيى بن برمك قد تغير ، وظهر الجور ، فلما ملك جدد الدين ، وأظهر العدل ، فسي اليوم الذي ملك فيه توروز .

(١٤) كتاب الحاج في أخلاق الملوك ، صفحته ١١٦ .

الفضية والذهبية ، صنعت مالا حليلاً^(١١) وكان ذلك هي بداية العصر الأول للدولة المملوكية ، وفي عهد الخليفة المقاتل .

أما في عهد الخليفة المأمون ، فإن الوزير أحمد بن يوسف أهدى إلى الخليفة المأمون ، يوم النور ، هدية قيمتها ألف ألف درهم ١ مليون درهم أو كتب فيها التوبين التالين تـ

على العهد حق فهو لابد ماعله .. وان عظم سموى وحلب فوامله
ألم يرا سهدى إلى الله ماله .. وان كان معه ذا عنى فهو قابله^(١٢)

وهذا يدل على أن هدايا النور قد ظلت مؤخذ حتى أواخر العصر الأول للدولة المملوكية .

- ومن موارد بيت المال أيضاً حصص الزكوات^(١٣) يقول أبو يوسف : وأما الزكوات ، فهو الذهب والفضة ، الذي خلقه الله عز وجل في الأرض يوم خلقت ، فيه أيضاً الحُصص ، من أبواب كنزاً عادياً في غير ملك أحد . فيه ذهب أو فضة أو جوهر أو ثياب . فإن في ذلك الحُصص حازمة أحماسه للذي أمناه ، وهو بمنزلة السمية ، يمنحها القوم فتخصه ، وما بقي فلهم ...^(١٤)

كما سبق يمكننا أن نستنتج ، أنه كانت هنالك موارد أخرى لبيت المال في العصر الأول للدولة المملوكية ، غير الموارد المعروفة كالزكاة والخريبة والحراج ، والحسنات والعشور

(١١) الصوري في الأدب السلطاني والدول الإسلامية ، صفحة ١٢٥

(١٢) الصوري في الأدب السلطاني والدول الإسلامية صفحة ١٨٢

(١٣) الزكوات هو ما دفنته الجاهلية ، ويعتبر ذلك برؤية علاماتهم عليه ، كآسماء ، ملوكهم وصوهم وملبيهم ، أما ما عليه علامات المسلمين كآسمائهم أو الفرائ وبحوه فهو لفظه ، لأنه ملك مسلم ، لم يعلم رداله عنه ، وكذلك من كاسف على بعضه علامة الاسلام ، وعلى بعضه علامة الكفار ، لأن الظاهر أنه صار لمسلم دفنته ، ومالا علامة عليه فهو لفظه مملوكاً بحكم الاسلام بطرق الحكمية في السياسة الشرعية صفحة ٢٦ ، ٢٥٠ .

(١٤) كتاب الحراج ، صفحة ٢٢ ، ٢٤ .

وكتب هذه الموارد بحظي كثيراً من بقباب الدولة ، و عنبرها الكثير من المؤرخين الأول والمحدثين من الموارد الصيحه ، التي كان لها الدور البارز مع الموارد الأخرى المنظمة ، والتي ساعدت على استمرار الفصل الأول للدولة المباشرة .

وكتب أنمي الحصول على جداول وأرقام منظمة لهذه الموارد السبر منظم بدلاً من بعض الأرقام المعردة التي ذكرتها من خلال هذا البحث المتواضع .

قال الله تعالى ،

.. مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ
حَبَّةٍ أُنْثِثَتْ شَتَعًا سَابِلًا ، فَوَكَكُ كُلُّ سَبِيلَةٍ
مِائَةِ حَبَّةٍ ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ..

القرآن الكريم

سورة البقرة آية ٢٦١

الفصل السادس

بيت المال في العصر الأول للدولة العباسية

- تعريف بيت المال ، والدرارين .
- درارين بيت المال في العصر الأول للدولة العباسية .
- التطورات التي طرأت على بيت المال في العصر الأول للدولة العباسية .
- شروط كاتب الديوان .
- الدرارين الإدارية .

- بيوت المال للمسلمين في العصر الأول للدولة العباسية -

بيوت المال - هو المكان الذي ترد إليه جميع مولود الدولة وهو كذلك المكان الذي تصرف منه جميع مصروفاتها من أعطيات الخلفاء والحديث ونقصاء ونسبها والموافق العامة والخامسة للدولة وهكذا (١).

أما الدوليين - فهي الرحلات والدعائر التي يسجل فيها أمور بدوئه وقد ألفت كلهم ديوان على المكان الذي يحضر فيه الكتاب والموظفون عاملون بذلك السجلات عند الخرس (٢).

وقد استعمل العرب هذه الكلمة بعد الإسلام ، وكانت السجلات كتبت في الدواوين مختلفة ، كديوان الخدم وهو ما يخص بالجيش من إمداد وعطاء وديوان الجندية والخراج وهو ما يخص بيت المال من دخل وخراج ، وديوان الخزانة للأموال والقماش ، وديوان الإغراء للحلال ، وديوان الإنشاء لكتابة الرسائل للخليفة ، وديوان العثم وهو ما يخص بالعمال من مقلد وعمل وديوان الأعمال وهو ما يخص بالأعمال

(١) بطول ابن خلدون ف ٢٤ صفحة ٢٤٢ من ديوان الأعمال والجبايات إنها من الوثائق المروية لحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج ، وإحصاء العساكر بأسماهم ، وتقدير أرباحهم ومرب أعطياتهم في إحصائيات والرجوع في ذلك إلى الفرائض التي يربها قومه تلك الأعمال ، وفهارسة الدولة ، وهي كتب مسطوية في كتاب شاهد متعاضد ذلك في الدخل والخرج ، مبني على حرة كبير يسمى الحساب لا يقوم به إلا المبصرة من أهل تلك الأعمال ، ويسمى ذلك بكتاب بالديوان ، وكذلك مكان حلوس العمال المباشرين لها .

(٢) وفي تسميته ديواناً وحيث أن ديوانه أي محاسبين بسنة الخرس ، وحددته أنها من ديوانه بحسباً لكثرة الاستعمال فدل ديوان ، وأطلقه عليهم كسرى عندما رأى كتابه يحسبون ويكلمون أنفسهم - مقدمه ابن خلدون صفح ٢٤٢ ب - أن الديوان بالفارسية اسم الشياطين ، سمي الكتاب باسمهم لعدمهم بالأمير ، ووقوفهم على الحلبي منها والحفي ، ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقبل ديوان ، من كتاب الأحكام السلطانية صفح ٢٢٦ ومقدمه ابن خلدون صفح ٢٤٢ .

من رسوم وحقوق^(١) ولتعدد السجلات وإطلاق كلمة ديوان على كل سجل منها ،
 سميتها اسم سجلها جميعاً هو بيت المال ، فصار مرجع الدواوين الأخرى ، لأن من
 يحفظ أموال الدولة وسجلاتها ، ويسم حصرها ومخرجه بقاديرها ، من مورد ومصروفات
 للأعطيات أو شراء عباد أو مناع في سبيل المصلحة العامة - ولذلك سمي بالديوان
 النسي^(٢) ، وهو بهذا يشبه وزارة المالية في العصر الحاضر ، وصاحبه يقوم بمهمة
 وزير المالية^(٣)

وفي بداية الدولة الإسلامية لم يكن هناك بيت مال بالنسي الذي عرى به
 فيما بعد ، فقد كانت سياسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) تقوم على أن لا يؤحصر
 نفسه الأموال أو إنفاقها ، فقد روى حنبله من الربيع بن مهيي أحد كتاب النسي
 (صلى الله عليه وسلم) أن النسي (صلى الله عليه وسلم) كان يبيع عنده حاسبه
 وقال به الرضي وأذكرني بكن شيء لثلاثة " ، فكان لا يبيع على مال ولا طعام ثلاثة
 أيام إلا أذكره ، فلا يبيع رسول الله وبعده شيء منه^(٤) وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم)
 يبيع على ما يرد إليه من أموال خيراً حتى يتم شؤبه ، وكان بلال من
 حراجه ، وحينما جاء وقد سعد هذيل أمر النسي (عليه الصلاة والسلام) سحلاً
 بأكرهم ، فأحارهم بأوان من فضة^(٥) أما ما يجمع لديه من الصدقات من العاشية
 والإبل والخيل ، فكانت تؤمم بهم حارس ، لسميرها عن غيرها ، ويحمل لها مروع
 خاصة تحبب فيها بالسيف ، للإسفاف منها على مصالح الدولة ، والاستعداد للمعمر
 وشي الإسلام .

وقد سار أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على نهج نسي (صلى الله عليه وسلم)
 ونعم ، فكان إذا ورد مال من بعض البلاد ، أحضره إلى المسجد النبوي ، وفرقه

١- الأحكام السلطانية والولايات الدينية صفحة ٢٢٠ وكذلك تاريخ المدن الإسلامي

م ١ ج ١ صفحة ٢١٢ ، ٢٤٥

٢- تاريخ المدن الإسلامي ، م ١ ج ١ صفحة ٢١٢

٣- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ١ صفحة ٤٧٢

٤- كتاب الوزراء والكتابات صفحة ١٢ ، ١٣ .

٥- الطبقات الكبرى ج ٢ صفحة ٩٤ .

بين الناس ، وكان يعسوب على الحليفة أحياناً أبو عبيده الجراح ، ثم بدأ الخليفة
أبو بكر رضي الله عنه ا بحفظ بعض المال في بيته بالسَّح ، ولم يكن عبيده
حارس ، ثم نقله إلى بيته بجوار المسجد ، ولكنه لم يترك به شيئاً إلا زوجته على
المنسبي ، ويستمري الليل والليل والملاح ، لتعمل في جيل الله ، فلما سوسى
الحليفة أبو بكر (رضي الله عنه) جمع الحليفة عمر (رضي الله عنه) الأبناء
وفتح بيت المال ، فلم يجدوا فيه غير درهم سقط من حيشة لئمال عندما تفتشست ،
فرجمو على أبي بكر (رضي الله عنه) (١) .

إن ذلك يدل على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبا بكر الصديق (رضي
الله عنه) كانا يفرقان بين ما كان يرد إليهما من مال ، وكان المجاهدون يسي
جبل لله مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحبيبه أبي بكر رضي الله عنه
ينطون ثرائهم وأضيائهم من مال الدولة .

وقد سار أسير المؤمنين عمر (رضي الله عنه) في أول خلافة على سبيل
الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحليفته الأول ، من تقسيم ما يرد أولاً بأول في محو
المعد ، حتى أصبح سلطان الدولة شرقاً وغرباً ، فبدأ بالتفكير في طريقه يدير فيها
ما يجمع لدى الحليفة من أموال الفشوحات وغنائمها ، بالإضافة إلى إيرادات بحريته
وإخراج الصدقات ، وكثرت الخصومات ، واضطرت إلى ضبط احتياحاتها وأسباب
رجالها ، خوفاً من ترك أحدهم دون عطاء ، أو تكرار الخطأ بلأخري ، وسالست
حساب الفصح وإحصائياتها ، فكثرت الأموال متكل لم يكن معروفاً لدى المسلمين من
قبل ، فرأى أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه) أن لا طاقة للحليفة وأمرائه
بمبطلها ، وأنه ليس من الحكمة الاعتماد به أن يترك رمام الأمور المدنية بيد العثم
ولولاة دون أن يصبطلها عدداً أو يحصيها حساباً ، فكان متبجه ذلك التفكير ملتبساً
في وضع قواعد ثابتة لهذه الأموال ، ومن هنا نشأ الديوان .

وكان عمر رضى الله عنه (١) هو أول من وضع الديوان في الدولة لاسلاميه "
 واستمر العمل به حتى نهاية عهد الراشدين (رضى الله عنهم) ، أما الدولة الأمويه
 فقد أسرت إلى ذلك في مقدمه هذه الرسالة وفي التمهيد ، ودير بعض الحداث في
 سريه هذه الدواوين .

دواوين بيت المال في العصر الأول للدولة العباسية

عندما أظهر أبو مسلم الخراساني الدعوة لبي العباس بحراس ، وغلب على
 ماغلب عليه من البلاد ، قلّد كتابه الدواوين بحصره وبيت المال أما صالح كامل بن
 مظهر ، وقلّد كتابه الرسائل أسلم عن صبيح (٢) .

وبهذا يكون أما صالح كامل هو أول من تولّى بيت المال والدواوين المختلفه
 للعباسيين .

وبرى بعض المؤرخين أنه ثم يكن بيت المال في بدايه العصر الأول لدولته
 العباسية مستقلاً عن كافة الدواوين ، ويسمى أن أول استقلال له إنما كان في عهد
 الخليفة الثاني المصور . ورسا يعزى ذلك إلى أن الدولة العباسية كانت قد سكّنت
 في عهده من أن تمنع أديبها على كافة موارد الجبايه ، وأصبح الخرس من وجود بيت
 المال ، هو بحاسبة صاحب بيت المال ، على مايرد عليه من الأموال ، ومايخرج منها
 في وجوه المعفقات ، وصارت له علاقة على الكتب والمكالك يستقدها الوزير وحلفاؤه ،
 ويرعوب ، وبطالمون بها ، إذا لم يحدوها حتى لايجتعل أمره (٣) .

(١) كتاب المير وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والمحم والمرير ف ٢٤

صفحة ٢٤٢ ، ٢٤٤ . وكذلك في كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٦ .

(٢) كتاب الوزراء والكتّاب ، صفحة ٨٥ ، ٩٤ .

(٣) الخراج وصحة الكتابة ، المبرلة الخامسة ، الباب الثالث ، ورقه ٩ ، ١٠ .

١ مخطوط سجل بدار الكتب المصري برقم ٨٤٥ فقه تيمور (وهي كتاب

المبرلة الخامسة من كتاب الخراج وصحة الكتابة ، دراهم وتحقيق لذكور

طلال جميل رفاعي صفحة ١٢٩ ، ١٨٠ (الباب الثالث من الكتاب لمحقق)

وأرى أن العباسيين قد بدأوا دولتهم ، ومهد عهد الخليفة أبي سعيد بن
سفيان قد وضعوا نظاماً إدارياً محكماً ، وكانت دوائريهم السعدية شرفاً إسرائيلياً
بما على هذا النظام ^(١) . وكانت أهم الدوائري في ذلك الوقت هي

ديوان العبد ، ديوان المريد ، ديوان الرسائل ، ديوان الخاتم ، ديوان الخراج ^(٢) ،
ديوان النظر في المطالب ، ديوان المعقات ، ديوان الصوامع ، ديوان المباح ، ديوان
الموقف ، ديوان الشرطة ، ديوان السر ، ديوان الحرم ، ديوان الأرمه فيما بعد .

١) ينظر صاحب كتاب الإدارة العربية صفحة ٢٩٢ ، ٢٩٣ فيقول : لقد أوجسده
العباسيون نظاماً إدارياً محكماً جداً ، ... وإذا ما أردنا تعداد الدوائري
التي قامت في عهد العباسيين الأول نجد أربع صناديق عامة - (أ) لم يصح
الكتاب في هذا الموضوع خطأ واحداً بين الإدارات المركزية والكلية ، وليس
عليها إلا أن تستدل عليها من السياق أو بالرجوع إلى أسماء الولايات التي
يقترون ذكرها أحياناً بهذه الدوائري (ب) ليس من التيسير الحصون فليس
تفاصيل عامة بالوقت الذي ظهرت فيه تلك الدوائري (ج) مع من الصعب
ذكر تقرير عام دقيق عن الأداة الإدارية في أية فترة معينة ، لأن النقص
المتزايد أدخلوا تغييرات حسب رغبتهم . (د) كانت بعض الإدارات في
الديوان العام تسمى أحياناً بالدوائري .

(٢) ذكر صديقي من كتابه ، صفحة ١٢٩ ، ١٣٢ .

"Social and economic aspects of life under the
Abbasid Monarchy at Bagdad" in Islamic Culture,

أنه كان يخلق على ديوان الخراج في بعض الأوقات باسم ٢٩٠ ، ٢٩١
(ديوان الخزير) ، وكان الوزير يرأسه مباشرة في عاصمة الخلافة . وقد ذكره
ابن القيم الجوزية في الطرق الحكمية في السياسة الشرعية صفحة ٢١٦ باسم
ديوان المال - ويبدو أن يذكر أن هذا الديوان يختلف عن ديوان المدقات
الذي وجد في العراق والولايات ، وكان يشرف على عدد الجماعات والمناطق
وعبر ذلك ، حسبما أورد ابن حوقل في المسالك والممالك صفحة ١٨٠ ، حيث
يذكر أن الأكراد كان يعرف عددهم من هذا الديوان .

ديوان الحسبة . (١)

ويرجع السبب الحقيقي في إلتحاق العباسيين إلى التوسع في نظام الدواوين عما كان عليه الحال في العهد الأموي ، (٢) إلى إنعاش دعوى الخلافة (٣) ، في بلاد المشرق حتى وصل إلى ما وراء النهر وبلاد الهند والسند . ولم يكن إشراف الدولة الإدارية والمالية على هذه المناطق إشتراكاً شاملاً ، بل كان إشتراكاً فعلياً دقيقاً ، وخاصة في العصر الأول للدولة العباسية . وكانت أهم الدواوين في عهد الحليفة عباسي أبي العباس السفاح ، ديوان الخراج ، وديوان الحسبة ، وقد أسندت إدارتهما لـ لحامد بن برمك ، الذي غير طريقة العمل بهما ، فبعد أن كانت أعمال الدواوين تنهك في صحف منفصلة ، أمر أن تتم هذه العملية في دفاتر ، مما جعلها أكثر

(١) ذكر بعض المؤرخين المحدثين ما يلي من بعض الدواوين الإضافية في العصر العباسي فقد تناول سيد أحمد علي في كتابه *A Short History of the Saracens* صفحة ٤١٤ موضوع الدواوين في العصر العباسي ، فذكر إلى جانب الدواوين التي ذكرها ديوان الدين ٠٠٠ كما أورد أيضاً ديواناً آخر هو ديوان الصوفي والطمع . حيث كان يحتفظ فيه سجل لرجال الحليفة المنفيين والأحرار والمروع لهم عطاء . وقد أضاف Samad إلى هذه الدواوين ديوان الطماء .

ولد ذكر الصوفي في كتابه الأثراني صفحة ٢٢ أن يحيى بن خالد الجرمكي أحدث في عهد المصور ديواناً جديداً هو ديوان التمر ، لتمر الألبان واستبعاد الردي منها - وإثبات الحمى . كما تناول موضوع الدواوين المؤرخ فون كرامر في كتابه *The Orient under the Caliphs*, P 233/238

(٢) كانت الدواوين الخمسة الرئيسية في عهد الأمويين هي ديوان الحسبة ، وديوان الخراج ، وديوان الرسائل ، وديوان الخاتم ، وديوان الجرمية . الإدارة العربية صفحة ٢٩٤ .

(٣) Elkhushab, Yahya : (The Islamic Concept of state) in Bulletin of the Faculty of Arts, Vol 18, 1956, P 7.

تنظيماً ودقة . (١)

بدأ الخليفة الممور سنة ١٤٦ هـ بتحويل بيوت الأموال ، والحراش والدواوين من الكوفة إلى بغداد (٢) ، بعد تأسيس مدينته بغداد ، وكان مكان الدواوين في عهد الممور حول الرحبة (الميدان) التي يوجد في وسط بغداد ، وفي حيزها المنطقة كان يقع بيت المال ، خزانة السلاح ، ديوان الرسائل ، ديوان الخراج ، ديوان الخاتم ، ديوان الحشم ، ديوان الحمد ، ديوان الجواز ، ديوان الأحكام ، مطبخ الخدم ، وديوان المظلات . (٣)

وكان الخليفة الممور قد أطلع أمراء الدواوين لראي في بغداد ، (٤) وقد أمر الخليفة الممور أن تبنى الدواوين في عاصمة الخلافة الجديدة بالأجر ، على خلاف أهمية بغداد كلها والتي كانت من قبل . (٥)

(١) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ٨٩ - وقد ذكر الخلفيتي في كتابه موج الأعشى في مباحث الإنشاء ، الجزء الأول ، صفحة ٤٨١ أن الخلفيتي استعملها خالد بن برمك بدلاً من المصنف ، كتب مصنوعة من الكافور (الفطاس) ، وصارت هذه سنة في الدواوين ، وبين الناس حينئذ حيث بدأوا باستعماله وتداوله ، وكانت كتابه الدواوين في عهد بني أبي علي صفح مدرجه - وقد ذكر المؤرخ محمد كرد علي في كتابه الإدارة الإسلامية في عر العرب ، طبع ١٩٣٤ م وفي صفحة ١٦٩ أن الكاظمي اتعد لكتابة في عهد الرشيد لما سرق في الأمير جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك والمصحح أن الخدي اتعد الكاظمي للكتابة هو خالد بن برمك أبو أسبي العباس السفاح .

(٢) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ١٠

(٣) كتاب البلدان ، المقوقبي ، صفحة ٢٤٠ .

(٤) كتاب البلدان ، المقوقبي ، صفحة ٢٤٥ .

(٥) بغداد في عهد الخلافة العباسية ، كي لتخرج ، صفحة ٤٢ .

وهي الأسباب التي جعلت الخليفة المصور يقوم بحجوز بيوت الأموال ، يسي
بعداد ، مما يلحقه من خروج محمد وإبراهيم إسمي عبدالله بن الحسن بن الحسن
بن علي بن أبي طالب ^(١) ذلك أن إبراهيم بن عبدالله خرج بالبصرة ، فهاجده
أهبا ، وعقد دار الإمارة - والأمير يوسف بن صفوان الصليبي ، فحضر
بالصور مع طلب الأمان ، فأمنه إبراهيم ، فخرج سفيان بن معاوية ، وأسلم اليكده
فحبس إبراهيم على بيت المال وغيره ^(٢) وهكذا أدى سقوط بيت مال البصرة في
يد إبراهيم بن عبدالله بن الحسن إلى أن حشي الخليفة المصور على بيوت الأموال
وبحراش والدواوين بالكوفة ، وعمل سفلها إلى بغداد ، وعند بيت المال خرج بن
فصالة التوضيحي ^(٣) .

وقد عرف عن الخليفة المصور حرمه مع موظفيه ، وسفده الدائم لأعيان
الدواوين ^(٤) مما خلق للدولة استقراراً كبيراً وطمانينة في المواعيد الإدارية
والصالحية ^(٥) .

كما أن الخليفة المصور أدخل بعض التعديلات في نظم الدواوين ، فأمر

- (١) فتوح البلدان ، صفحة ٢٩٢ عند الحديث عن أمر مدينة السلام وجاء فيه
١٠٠٠ منها بلحقه . أي الخليفة المصور - خروج محمد وإبراهيم إسمي عبدالله
بن حسن بن علي بن أبي طالب إلى الكوفة ، ثم حول بيوت الأموال والبحراش والدواوين
من الكوفة إلى بغداد سنة ست وأربعين ومائة ، وسماها مدينة السلام
- (٢) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٣٢٧ .
- (٣) كتاب الجراء والكتابات ، صفحة ١١٩ .
- (٤) جاء في الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية صفحة ١٢٦ ، ١٢٧
واعلم أن المصور هو الذي أصل الدولة ، وصبط الممكة ، ورد الطوائف ،
وأقام المأمون ، وأخرج أشياء .. كان رجلاً حازماً ، يعطي في مواسم
الغطاء ، ويمنح في مواسم الصنع

(٥) Muir, William "The Caliphate its rise, decline and Fall" P. 465.

أن يكتب الرسائل التي ترد إلى حمزة الخلافة حتى يسهل سبيلها^(١)

أحد الخلفاء المبايعين ، مدد عهد الخليفة أبي جعفر المصور ، يقتلهم من غيرهم المباشر على شؤون الدواوين ، وبدأ هذا الاسماء يصح ، حينما أسند إلى خالد بن برمك سلطة الإشراف عليها^(٢) . فلما عرله ، أسد الخليفة المصور أمر الدواوين إلى أبي أيوب الموريسي^(٣) . فأعترف عنها بشراً دقيفاً ، وبدجسل

(١) يذكر البلاذري في آخر حديثه عن الحارث ، صفحة ١٥١ أن خطبة أب جعفر المصور أمر أن يصبح المحف المسمعة في الدواوين بالثور الأصغر ، كما جاء في قوله (فلما ولي أمر المؤمنين المصور ، أمر وزيره أبا أيوب الموريسي أن يكتب الرسائل بحمل الأموال في صحف . وأن يعبر الصحف وقد أنشأ مصنع للورق المصنوع من القطر في بغداد . في عهد الوزير الفحل ابن يحيى Bukhārī, S. K. (Studies, Indian and Islamic) P47

(٢) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ٩٩ . ويذكر جوزيف هل في كتابه صفحة ٨٢ " The Arab Civilization "

أن الخلفاء لجأوا إلى إسناد السلطات الواسعة إلى الوزراء عرقهم ومحبب صعب إسناد مسئولياتهم ، وعدم وجود الوقت الكافي لتسطر والبيت في كسل الأمر ، وكان هذا يدفعهم إلى أن يشكوا بوزرائهم ويكفوا بهم عذبتهم ترداد سلطانهم .

ونكر هذا الرأي عمر صحيح ، ويستند عن المنطق ، فالصحيح أن الوزير هو سلطانهم برعى كامل من الخلفاء ، وهم الذين منحوا لهم هذه الموقد والسلطة ، وفي حالة امراء الوزراء كان لهم عزلهم ومهادتهم أحياناً (الإدارة العربية ، ص ٠ ق ٠ صيني صفحة ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١) .

(٣) يذكر الميوطي في كتابه تاريخ الخلفاء صفحة ٢٦٩ ، ٢٧ أن الخليفة المصور (هو أول من احتفل مولده على الأعيان ، وقدمهم على العرب ، وكثر ذلك بعده ، حتى زالت وثافة العرب وقبائدها ٠٠٠) .

وأبو أيوب الموريسي الحوري وزير المصور كان فارسي الأصل (الإدارة لاسلامية في عر العرب ، صفحة ١٢٥) .

وقد اتسعت سلطة الوزير في العصر الأول للدولة العباسية ، وأدى ذلك إلى إشرافه على قطاع كبير من أعمال الدولة ، ولهذا السبب ذكر الحسين بن عبد الله في ثار الأول في ترتيب الدول صفحة ٧٢ ، أنه كان يشترط فسي وزير أن يكون عالماً بالأمور السياسية وأحوال الدواوين ، وأمر الحرب ، وأنواع العلوم ، عارفاً بكتابه الاسماء والمراسلات ، منعكاً من بحسبات والصرفات ملحقاً بعلم الماريح والهندسة محبداً في بحمين بعلال والأمون مقتصداً في الإنفاق .

في جمع أعمالها ^(٢١) لكي يعود هذا الوزير بجمع ترويه ، محوفاً منه الخليفة منصور ، وعزله وأبعد أمر الدواوين بعد ذلك إلى طائفة من كتابه وموحيه ، وكانوا يعملون تحت إشرافه المباشر . ^(٢٢)

وعلى الرغم من كل مظاهر الرجاء التي أحدثها في عهد الخليفة المنصور فقد استطاع هذا الخليفة بعمل اقتصاده الشخصي أن يترك خزانة الدولة المالية وبيد ياب عامرة وملكته بالأموال ^(٢٣)

- (١) يقول بن خلدون في كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ٩٧ ، وقد منصور أب أيوب الدواوين مع الوزارة ، وقلبه عليه غلبة جديدة .
- (٢) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٢٤ ، ١٢٥ فقد قلد الخليفة بطفل بن سليمان وكتابة الرسائل والسر أمار بن صفة ، وقلد صباه صاعد مولاه ، وديور حرج مصره وسواحيها فصاره بن حمزة ، وحراج الكوفة عمرو بن كحلج بن ناسب بن موسى ، وقلد الربيع بن موسى مولاه صفاه والحرس عليه . إلخ
- (٣) جاء في تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٢٨٧ ، وأحد أبو حفصير أموال الناس ، حتى ما ترك عبد أحد مملأ ، وكان مبلغ ما أحد بـ ثمانمائة ألف درهم) - وكان لا يولي أحداً ويعزله ولا يلقاه في دار حاله البطش - الذي كان يقع على شاطئ دجلة ملامناً لدار صالح المكبري - وبصمخرج من الممرول ملاً ، لما أخذ من شيء ، أمر به ، فقول ، وكسبها عليه اسم صاحبه ، وجعله في بيت مثل صباه بيت مال النظام ، حتى كثر ما في ذلك البيت من الأموال والمناج ، ثم إنه أوصى المهدي بأن يدعى أصحاب هذه الأموال التي سماها المقائم ، وأن يرد عليهم كل ما أخذ منهم حتى يستحق إليهم وإلى العامة ، جعل الخليفة المهدي ذلك ، ومن هذا يتضح مما أن الخليفة المنصور أراد تمت مال النظام الذي أسماه أن يهيء لاهه المهدي شيئاً يرمي به الخلق ، دون أن يكلفه ذلك شيئاً من المال العام ، لأنه عساه حين السلطان ودعاه الدين والدهما وعرفها ورسمها . أو ما يعرف في بعض المصادر بالدعاه الإعلامية والتي تكلف الرؤساء في لاحتجاب تكبير من الأموال والجهد

الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٤٨ .

وفي خلافة الممصور كتب إليه صاحب الرميّة (بحبره أن الحد قد شفيوا
عنده ، وسهوا ما في بيت المال ، موقع في كتابه أعمال عمنا ، ... فلو مثليست
لم ينعوا ، ولو قويت لم ينعوا) (١)

وقد بلغ من اهتمام الخليفة الممصور ببيت المال أنه رعى أن يمدد منه دينه
الحاص ، لم يوصيه لآبائه المهدي (ومطّح دهر فأحب أن تلقيه وتحميه) لسأل -
هو عليّ بن أمير المؤمنين - قال فإنه ثلاثمائة ألف درهم وسك ، ولست استحلّ
من بيت مال المسلمين ، فأصحبها عليّ ، وما يدعى إليك من الأمر أعظم منها ،
قال : أعدل هو عليّ ... (٢)

كذلك كان مما جاء في وصيته لآبائه المهدي : (وانظر هذه المدينة وإيادك
أن تستبدل بها غيرها ، وقد جمعت لك فيها من الأموال ، ما إن كر عليك
الخراج عشر سنين ، كفك لأوراق الجند والسفقات والدرية ومصلحة البعوث ، فاحتفظ
بها ، فإنك لا تزال عزيزاً مادام بيت مالك عامراً) (٣)

وجاء في الميون والحدائق في إخبار الحقائق (٤) أن الخليفة الممصور

(مات وفي بيت المال تسعمائة ألف ألف وستون ألف ألف درهم) -

- (١) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٤٨
- (٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء السابع ، صفحة ٢١٩ ، ٢٢٠
- (٣) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٤٢
- (٤) الميون والحدائق صفحة ٢٦٩ ، ٢٧ ، وذكر الممصور في مروج الذهب
ج ٢ صفحة ٣١٨ ، أن أبا جعفر الممصور خلف ستمائة ألف ألف درهم
وأربعة عشر ألف ألف دينار .

سوى المهدي الخليفة بعد وفاة أبيه الخليفة أبي جعفر المنصور ، واستند
بميت المال وأمر الدواوين إلى وزيره أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن بكير
الأخرى ، فمضى هذا الوزير يعطى أمر الخليفة المهدي ، ويشير عليه بالانقضاء
وحفظ الأموال .

وسا عرله الخليفة المهدي سنة ١٦٧ هـ ^(١) أمد أمرها إلى يعقوب بن
داود ، وكانت المكاتب الرسمية لا توصل إلى حينها إلا بوقوع من الخليفة والوزير ،
الذي كان له إشراف طموس على شؤون الدواوين . ^(٢)

على أن هذا الوزير لم يثر على الخليفة المهدي بالانقضاء ، فبط الخليفة
المهدي يده في العطاء ، فأذهب جميع ما حلفه الخليفة المنصور . ^(٣)

استحدثت الخليفة المهدي ديوان الأرملة ، وولى عليه عمر بن بريح مؤلفه ^(٤)

(١) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٥٦ .

(٢) جاء في الإذنه الإسلامية في عز العرب ، صفحة ١٣٥ واستور أنها بخطوط
أبي داود ، مخرج كتاب المهدي إلى الديوان أن أمير المؤمنين أعطى بخطوط
أبي داود ، فلم يكن يذهب شيء من كتب المهدي حتى يرد كتاب الوزير
يعقوب معه إلى أميته بإنطاده ، أي أن الخليفة ووزيره كما يرافف أهدمها
عمل صاحبها ، فنظروا ما تلزم به المتطرفة قبل إتمامه) .

(٣) خروج الذهب ، الجزء الثالث ، صفحة ٢٢٢ وجاء فيه (وكان المهدي
محباً إلى الناس والناس ، لأنه افتتح أمره بالنظر في المظالم ، والكف عن
القمص ، وأمس الحاشية ، وإتصاف المظنوم ، وبسط يده في الإعطاء ، فأدهيب
جميع ما حلفه المنصور ، وهو ستائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف
دينار ، سوى ما عبا في أيامه ، فلما فرغت بسوب الأموال أنى أبو حنيفة
المهري ، خازن بيوت أمواله ، غرم بالمفاتيح بين يديه ، وفل ما معنى
مفاتيح البيوت فُرغ ؟ مهري المهدي عشرين حادماً في حياض الأموال بسورده
الأموال بعد أيام قلائل ، فتشاعل أبو حنيفة المهري بقبض ، ومحبها عن
لذخون على المهدي ثلاثة أيام ، فلما دخل عليه ، قال ما أحرلك ؟ فقال
الشغل بتصحيح الأموال) .

(٤) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٤٦ .

وكان السبب الحقيقي لإنشاء هذا الديوان هو تنظيم أعمال الدواوين في بيوتهم
سما^{١١} فقد عين الخليفة المهدي على كل ديوان رجلاً بصيطه ، بعد أن كانت
الدواوين محتفظه قبل ذلك ، يعمل بها الكتاب ، ونظم تحت إشراف الخليفة والوزير ،
بصرفهم شئونها كبقية شؤنا ، ورأى الخليفة المهدي أن هذا الوضع لا يمكن أن يؤدي
إلى عبط هذه الدواوين ، فعين على كل ديوان رجلاً مسئولاً لمهامه^(٢) ، وعهد في
سنة ١٦١ هـ إلى مولاه عمر بن بروج بالإشراف على هؤلاء الرجال ، وسماه صاحب
ديوان الأرمه وأصبح هذا الديوان الجديد بمثابة ديوان لمراقبه الدواوين

ونرى الأمر مالمثبت أن اضطرت في يد صاحب ديوان الأرمه ، فولى الخليفة
مهدي علي بن بختيش لمراقبه أعمال عمر بن بروج (صاحب ديوان الأرمه) سنة
١٦٨ هـ ، وظهر بذلك ديوان جديد سمي ديوان زمام الأرمه .^(٣)

(١) الإدارة الإسلامية في عهده الحرب صفحة ١٢٦ .

(٢) وجاء في كتاب سحر الأرمه لمصطفى ، الجزء الخامس ، صفحة ١٥١ ذكر
هذه الدواوين ، كما أن مصنفه ذكر كلمة زمام أمام كل ديوان رئيسي .
مثل ديوان زمام النفقات ، ديوان زمام الجيش ... إلخ .
وجاء في نسخة الأمراء في تاريخ الوزير ، صفحة ١٩٤ يشير بعمل ديوان
الأرمه بمفوض العاصم . إنه كان ديوان يجمع أرمه الدواوين ، ويشرف عليها ،
فهو ديوان قائم بدائه ، بالإشراف والمراقبه ، وكان على صلة قوية بديوان
النفقات .

وجاء في كتاب الإدارة العرفية ، ج ١ - أ - ق ، عيسى صفحة ٢٢ ، ٢٣ ،
أن ديوان الأرمه ، أطلق عليه بعض الكتاب - (المشرق حمى ، ودمشق
سيد أمير علي) - خطأ اسم ديوان الزمام ، فقد الديوان الذي أسس
المهدي ... عد سمي ديوان الأرمه في العاصم ، وديوان الزمام في الولايات ،
وأخى هذا الديوان بمراجعة الحسابات ، كما كان أدبه فعالة سحره
الإدارة ، وقد جمع له جميع الأعمال المحتملة بمراجعة الحسابات فسي
الولايات .

إلا أن هذا التفسير يبدو لي غير صحيح ، والصحيح أن ديوان الأرمه كان
يشرف على أعمال الدواوين الأخرى في العاصم والولايات بحكم تبعها له .
كتاب الوزير ، والكتاب ، صفحة ١٦٦ (عند الحديث عن ابن يقطر وابن بروج
في ديوان الأرمه) .

ومن الدواوين المسجدة في عهد الخليفة المهدي ديوان سطر ، وكانت مهمة هو سجل حاجات أرباب المصالح من الدواوين المختلفة^(١) ومن أهمهم الدواوين في عهد الخليفة المهدي^(٢)

ديوان الحنك وفيه الاتبات والمطامير ، وديوان الأعمال وفيه يحدد الرسوم والحقوق ، وديوان العمار ، ويحكم بالفقيد والعزل ، وديوان بيت المال ، وينظر في مدخل ومخرج ، كما أنشأ الخليفة المهدي ديواناً جديداً عرف بديوان لومادة ، وكان محضاً بمسبهم وحضرهم ، وكان لهذا الديوان سلطة الطمس على الأفراد الدينيين^(٣) بسببهم بارتدده ومحاكمتهم

سولي العدل في الدواوين في عهد الخليفة الهادي ، طائفة من أمير الكتاب ، وعس الخليفة وربره إبراهيم بن دكوان الحرابي للإعتراف عليهم ، كما ولاه أميراً ديوان الأرمه ، ليكون إشرافه أكثر دقة وشمولاً وكان ذلك سنة ١٦٩ هـ ، بعد أن توفي الربيع بن موسى الذي كان على دواوين الأرمه .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد ، ازدادت سلطة الوزراء على تدوينهم ، فأصاب الوزير يحيى بن خالد التميمي عنه كاسه يوسف بن القاسم في ديوان استوفيع ، وأعطاه ديوان الأرمه ، وكانت الدواوين في تلك الفترة تؤدي أعمالها بدفع متاعيه ،

(١) ، (٢) الإسلام والجمهورية العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٠٩ وماه قبيله
أرسلوا ديواناً سموه ديوان المظفر أي المكتبات والمراعات مسجداً
على أرباب المصالح .

٣ ، الإدارة العربية ، (ص ١ ق ٠ عيني) ، صفحة ٣١٧ ، ٣١٨

٤) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ١٦٧ . ومن هؤلاء الكتاب محمد بن حميريل الذي نقل ديوان حرم المراقبين ، وعبيد الله بن زياد بن أبي ليلى الذي نقل ديوان حراج الشام وما يليها ، وعمر بن مريح الذي نقل ديوان الرسائل ، وعلي بن عيسى بن ماهان الذي نقل ديوان محمد ، وكان الربيع بن موسى هو وزير الخليفة الهادي في النهاية ، ثم عرف بالخليفة الربيع ونقلها إبراهيم بن دكوان وأقر الربيع على دواوين الأرمه

وسنظام منقطع النظر . نظراً لإشراف البرمكة عليها ، لما لهم من خبره وسعده في
السواحي الإدارية .^(١)

وقد استطاع الوزير يحيى بن خالد البرمكي ، أن يحصل من الخليفة هبة من
الرشيد ، على حق مراعاة الولايات والأقاليم دون الرجوع إليه ، بحجة سرعة تفرقه
لأشور ، ويذكر العيشياري^(٢) أنه كان يحيى بن خالد البرمكي في ذلك الوقت
يقود كمبر على ديوان الحجاج ، كما أن الخليفة هارون الرشيد عزم إلى يحيى بن
خالد المنصور الكامل في جميع شئون الدولة .^(٣)

وقد استطاع ابنه - الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي - عندما ولي المشرق
كله سنة ١٧٦ هـ ، أن ينظم شئون الإدارة والدواوين ويثبت المال في هذه المنطقة
بمباراة مثله^(٤)

(١) جاء في كتاب الأوزاعي للصولي ، صفحة ١٥٦ أن يحيى بن خالد البرمكي كسب من
بسطى ممال الدواوين مئة الف درهم ، من الصباغ حتى الماء ، ويوفر بينهم
حاجاتهم وغدايتهم ، لكي لا يفتقدوا من ملهم . كما ذكر أنه لما وصل إلى
يتم يحيى أن أصحاب الكتب والحاجات لا يملكون الأوزاعي يرسمه نفسي
بجميع إلا يرثوه المدم ، رافق هذه العملية بدعة ، واحتفظ بالخدم عده .
فأصبحت الكتب تنظم إلى أصحابها دون عائق أو إتاوة .
ويذكر ليفي Levy, R. في صفحة ٧٠ من كتابه

" Persia and the Arabs " in Arberry, A. J. ed. The legacy
of persia. P. 70

أن البرمكة طهروا الدواوين نظوياً كبيراً ، خلال الفترة التي سبقت فيها
شونها .

(٢) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ١٧٨ وجاء فيه : وكذا الكتب التي يفتقد
من ديوان الحجاج يؤرخ باسم يحيى بن خالد ، ولم يكن يفتقد - سابقاً - إلا من
الخليفة . . .

(٣) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١٧٧ وجاء فيه على لسان الخليفة هارون الرشيد
: . . . وقد قلدتك أمر الرعية ، وأخرجته من عمقي إليك ، فحكم بما يرى ،
واستعمل من شئت ، وأمر من رأيت ، وأقرض من رأيت ، وأسقط من رأيت فإني غير ماضٍ
معدك في شيء .

(٤) كتاب الوزراء والكتاب ١٩٠ ، ١٩١ .

حدث في تلك الفترة تعديل في النظر في الحسابات برسميه التي برد إلى ديوان السويح ، فكان الوزير عادة يكلف ما يراه على كل موضوع أو شكوى محل إلقاء ، ولكن عندما كتب السكاوي والمطالبات أيام الخليفة هارون الرشيد ، وسعد بن عيسى حاكم البرمكي السويح عليها ، رأى أن يهدى إلى كتاب الديون بضمير فيها ، ومن ثم رادت سلطة هؤلاء الكتاب عن ذي قبل .^(١)

ومع أن الوزير كان له الإشراف على شئون الدواوين وميت نص ، إلا أن اسمه كان للخليفة السلطة العليا عليها . وكان الخليفة هارون الرشيد يخصص يوماً وبنيته بأكملها كل أصحاح لمعالجة الكتاب ومراجعة شئون الدواوين^(٢) واستمرت سلطة وزير على الدواوين بعد سلطة الخليفة حتى بعد أن سكت الخليفة هارون الرشيد البرامكة . فقد سولى أمر الوزارة وإشراف على شئون بيت نص وندوة وبيت الإدارة الوزير أبو العباس الفضل بن الربيع بن موسى .^(٣)

استمررت بيوت أموال خلفاء العصر الأول للدولة العباسية بقيت بما يخص من الموارد المختلفة ، في عهد الخليفة هارون الرشيد ، حتى أن حصيلته بذلك بلغت في عهده ما يقرب من ١٠٠-٢٢٠ ألف دينار وسبعين ألف دينار في هذا الموارد المعينة ، التي كانت تزود ما سجد الأرض من الخبثات - لدرجة أن كان الخليفة هارون الرشيد لشعبه رآها مرة وهو مستلق على ظهره (ذهبي حيث ضحك من خرافات سياتيني)

(١) كتاب الوزراء والكتاب عند الخليفة عن (الكتاب والموقوفات قبل جعفر وسعد) معناه ٢١٠ ، ٢١١ وأورد ابن خلدون في المقدمة معناه ٢٢٨ أن السويح أصبح له نفوذ كبير على شئون الإدارة والدواوين في ذلك الوقت ، ولفظ جعفر بن يحيى البرمكي بالسلطان .

(٢) الإمداد والسياسة ، لابن قتيبة ، الجزء الثاني ، صفحة ١٥٦ وجاء فيه : وكان الرشيد قد قسم الأيام والليالي على سبع ليالي - ليلة للوزير ، يذكرهم أمور الناس ، ويشارهم على المهم منها ، وليلة للكتاب يجمع عليهم الدواوين ، ويحاسبهم عما لهم من أموال المسلمين ، ويرتب لهم ما ظهر من صلاح أمور المسلمين . . .)

(٣) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ٢٧٧

وكان في بيت مال الدولة عند وفاة الخليفة الرشيد (٢٠٠-٢٠٠٠, ٩٠٠) درهم .
 سمائه ألف ألف وسمي^(١) وهو مبلغ يقارب كثيراً من المبلغ الذي تركه
 الخليفة أبي جعفر المنصور

أعطيت القصة التي قامت بين الأخوين الأمين والمأمون ابنا الخليفة هارون
 الرشيد ، نقره من الامطرابات المتعاقبة عصمت البلدان الاسلامية بأمنها ، ففقد
 أدب العرب الأعلية بينهما إلى كسر من الفساد الذي لحق ببيت المال

والأمين حين تولى الخلافة أخرى الأرقى على من لا يحقون وقسم ما بقي
 ببيت الأموال وما بحصته من الجواهر .

كذلك نفاذ الأخوان ومثريا في بدل ما في بيت أموالهما ، لا يعبأ ت
 سياسة ، دون النظر إلى المصلحة العليا للدولة .

والأمين حين تولى الخلافة سنة ١٩٢ هـ أمر للحمد بمدينة بسلام بروج أربعة
 وعشرين شهراً أي روي مائة مقدماً ، كما أمر بخواص من كانت له حاضرة
 بهذه الشهور^(٢) والخليفة المأمون أمر للماس في بروج ببال ، وأعطى نجند روي
 اثني عشر شهراً ، وحقق طراخ حرسان بمقدار الربع^(٣) وهو ما يعني الإفساد
 بمرور عام في مولد بيت المال .

١) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ١٢٠ ، وتاريخ الأمم والملوك
 المجلد الخامس الجزء المأثر معه ١٢٤ .

٢) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس صفحة ١٢٤ ، وتاريخ الأمم والملوك ٥
 ج ١٠ صفحة ١٢٤ .

٣) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ١٢٧ .
 وتاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء المأثر ، صفحة ١٢٦
 وجاء فيه (... وأمر لمن كان فيهم الستة أشهر بروج اثني عشر
 شهراً ، وزادهم في الحامة والحامة ، ولمن لم يقبها بشهرين عشر شهراً

كما أن الأمير عندما عين القائد علي بن عيسى بن ماضى قادشاً بحريه سنة ١٩٥ هـ أمر له بمائتي ألف دينار ولونه بدمع من ألف دينار . وسكنه من سلاح . وبيوت الأموال ، كما أعطي الحمد مائة عظيماً .^(١) وأمر به من السيوف بمجلاء بالقي سيف . وسنة الف ثوب للخلع . كما عقد به علي كور الحبل كلها ، وسارده وهدان وهم ، وأمهان ، حريها وحراحيها ، وصم إليه جماعة من العواد

وفي نفس السنة وبعد هزيمة حمش علي بن عيسى بن ماضى ومقتله ، شعيب احمد بنهمر من الفواد ، فاحتاج الخليفة الأمير إلى أموال أخرى لإعطائهم ، فأمر بهم من بيت المال بربو أربعة أشهر . ويرجع من كان دون الثمانين إلى أصحابهم . وأمر للفواد والخوان بالصلوات والجوائز .^(٢)

وكأن رد فعل الأمير على ذلك هو رفع الرزاق جده إلى الثمانين أهلاً ، وزيد فاشه طاهر من الحرس بالرجال والفواد . وصانه دا ، بمهين ، وصاحب جبل الدين .^(٣)

كان طبيعياً أن يكون من نتيجة ساري الأعراس هي التمدد ، فساد ما هي بيوت أمويها . حتى أن الخليفة الأمير أمر ببيع ما في العرش من الأسلحة ، وأن تعرب

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر صفحة ١٣٩ .
وصمن أحداث سنة ١٩٥ هـ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٥٢ وحده فيه . أن علي بن عيسى لما قتل أرخف الناس بعدد إرغافاً شديداً ، ٠٠٠ رضى الفواد بعضهم إلى بعض . فقالوا : إن عيسى قد قتل ، ولست بشك أن محمداً يحتاج إلى الرجال ، وإعطائهم أمجاداً بصائح . ٠٠٠ فبأمر كل رجل منهم جده بالشعب ، وطلب الأرزاق والجوائز . ٠٠٠ قال : الأمير - ما أهون ما طلبوا أرخف إلي عبدالله بن حارم عزة فليصرف عنهم ، ثم أمر بهم بالرزاق أربعة أشهر . ويرجع من كان دون الثمانين إلى ثمانين وأمر بلفواد والخوان بالصلوات والجوائز .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٥٥ .

فيه تلذهب والعهدة دنانير ودراهم لينفق معها على أصحابه ونحوه^١

كذلك مضى أموال المأمور وسحب الحمد على قائد طاهر بن الحسين ،
عشيه دخولته بغداد سنة ١٩٨ هـ ، فأقره رجل من بغداد يقال له سعيد بن ماسك
عمرى ألف دينار ، فأمر طاهر لحنيد بوزن أربعة أشهر ، فرموا بذلك^{١٢}

وخلال هذه الفترة بين الأمين والمأمور ، أصيبت الإدارة العباسية بحسار
فادحه ، حيثما أحرقت الدواوين في حامرة الخلافة خلال تلك الأحداث ، ولم ينظم
شئون الدواوين إلا في عهد المأمون سنة ٢٠٤ هـ .^{١٣}

وقد كان الخلقة المأمور كثير العطاء والكرم ، مما أمر بيت ابنه ،
بذكر لما اسي الطنظفي أن الخلقة المأمور كانت بصفاته الشخصية اليومية^{١٤}
سنة آلاف دينار^{١٥} . وهذا يعني أن بصفاته الشخصية اليومية تبلغ (١٩٠٠٠٠ ر)
ديناراً .

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٩١ مضمن
أحداث سنة ١٩٧ هـ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٧٧ وحاشية
فيه على لسان طاهر بن الحسين (أن القوم يطلبون أوراقهم ، وليس عسدي
مال ، فمضى سعيد بن مالك ، عشرين ألف دينار ، وحملها إليه ، فطابت
بها نفسه ، وانصرف إلى مدينته بالبصرة . وقال طاهر لسعيد إنني
أقبلها منك على أن تكون علي ديناراً ، فقال له بل هي إسماء منه ، وقبيل
لعلمك ، وفيما أوجع الله من حنك ، فقبلها منه ، وأمر لحنيد بوزن
أربعة أشهر ، فرموا وسكنوا) .

(٣) كتاب الحراج وصفة الكفاية ، صفحة ٢٢٦ ، حيث يذكر جعفر بن محمد
أن السنة ٢٠٤ هـ هي أول سنة يوجد حساب في الدواوين بالحجاز .
لأن الدواوين أحرقت في السنة التي كانت في أيام الأمين المبرود بابن
وبيدة

(٤) الفهرست في الآداب الشطرنجية والدول الإسلامية ، صفحة ٢٨٤ .

وليس أدل على بطله لأموال ما ذكره المؤرخون عندما يروج يوزان ابنه
الحسن بن سهل سنة ٢١٠ هـ - تذكّر ابن خلدون أن المؤمن أعطها في مهرها
بيلة رفاعها ، ألف حصاه من الياقوت ، وأوقد شموع العسبر ، في كل واحد مائة
من ، وهو رطل وتلمان ، وسط لها قرناً ، كان الحمير بها مروجاً بالذهب
مكلاً بالدور والياقوت ... (١)

هذه بخلاف ما أنقعه لبوها الحسن بن سهل ، حيث يذكر ابن الأثير
أن النفقات بلغت خمسين ألف ألف درهم . (٢)

وهكذا اشترك الاتسار في الإنفاق العظيمة والهدير ، ولكن المال كله جاء من
الدولة .

رأى جانب هذا التمدل ، والسعة في الإنفاق والمطام ، فإن تحديده المأمون
ففي السنوات الثلاث الأخيرة من عهده عارياً ، بخلاف الروم ، صعب عند الأمم
المسكرة على الحدود ، وهو ما أثقل كاهل بيت المال ، وقد أورد الطبري حادثة
تدل على عدم وجود درهم واحد في بيت المال .

يقول الطبري ، (-) تعرض رجل للمأمون بالشام مراراً ، فقال له :
يا أمير المؤمنين ، انظر لمزب الشام ، كما نظرت لمعجم أهل خراسان ، فقال :

(١) مقدمة ابن خلدون ، الفصل الخامس عشر في انتقال الدولة من البداوة إلى
الحضارة صفحة ١٢٥ ، وهالك لمصالح أخرى ذكرها الطبري في تاريخ الأمم
والملوك م ٥ ج ١٠ صفحة ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٢) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٢١١ وبالإضافة إلى النفقات
المقدرة كانت هناك نفقات وهدايا عينية يقول ابن الأثير ، وكتب الخليل
ابن سهل أسماء صناعه في رفاع وشرا على القواد ، فمن وقعت بيده
رقعة منها ، فيها اسم ضيقة ، بعث فسلطها .

أكثر عليّ يأخذ أهل الشام ، والله ما أربحت شيئاً من ظهور نحيل إلا رأيت
لم يبق في بيت مالي درهم واحد (١) .

وهي هذا القول ، دليل كاف على فراغ حوائج الطبيعة المأمون ، وبسبوت
أمواله ، لدرجة أن جميع المصادر التي رجعت إليها لم أجد فيها شيئاً تُدب عما
وجدوه في بيوت أموال الدولة عقب وفاة الخليفة المأمون وهذا ما يفسر
وسجناً إليه الدول في وقتها الحالي في القرن الحادي والعشرين ، حين تحلّى مقدار
موازنتها ، إبان الأزمات المالية وامطرات الاقتصاد المحلي أو الدولي

١ تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٩٦ .
وذكر الطبري في نفي المدة والمدة التي سبها من كتابه ، كما ذكره
ابن الطقطقي في كتابه المعري صفحة ١٧٥ ذكر الملوحان حادثه بدل على
صفحة الخليفة المأمون وبذلك الأموال بدون حساب .
يعبر ابن الطقطقي (أن - المأمون - لما كان يمشي ، أصاب إصاقيـه
شديدة ، وقلّ المال عنده ، فشكا ذلك إلى أخيه المصمم - وكان به مستعد
أعمال - فقال المصمم يا أمير المؤمنين ، كأنك بالمال قد وافد ببيد
أسبوع ، فوصل في تلك الأيام ، من الأعمال التي كان المصمم يمولها ثلاثون
ألف ألف درهم (الألف مكررة ثلاث مرات) = ١٠٠٠ ر ، ١٠ ر ، ٢ ر)
درهم - فقال ليحيى بن أكتم - اخرج بما لمطر إلى هذا المال - فخرج ،
وخرج الماس ، وكان قد ربح الحمل وخرج منظر المأمون منه إلى شيء حسن
كثير ، فاستعظم الماس ذلك ، واستمروا به - فقال المأمون إن امصرف
إني منولما بهذا المال ، وامصرف الماس حاشين لؤم ، فأمر كتبه أن يوقع
فيها بألف ألف ، ولذلك يملها ، والآمر بأكثر منها ، حتى فرق أربعين
وعشرين ألف ألف درهم (والألف مكررة ثلاث مرات) ورجله في الركاب ،
ثم حول الباقي على عرس الحيش برسم مصالح الجند (٢) .
والرقم المذكور عند ابن الطقطقي في كتابه المعري ، يختلف عما ذكره
الطبري ، حيث ذكر الطبري أن ما وصل الخليفة المأمون به ثلاثون ألف
ألف (والألف مكررة مرثي قطع) ، ووقع الخليفة المأمون برجه في الركاب
لربعة وعشرين ألف ألف درهم (والألف مكررة برين فقط) وله أعلم

ورغم أن بيوت أموال الدولة العباسية أساء حكم الخليفة المأمون كـ
حللوا أحياناً ماعاً ، ولا نجد فيها درهماً كما أشرنا ، إلا أن الخليفة المأمون
قام بعده بإصلاح في الدواوين ، فأُسِّد أمر الإشراف عليها إلى وزيره
الحسن بن سهل ^(١) واستقدم كتاباً من حرسان ، أسد المهم كثيراً من أعمال
الدواوين في بغداد

ولما سدر كتاب العراق من ذلك ، حمل على كل عمل كتاباً من حرسان
وآخر من السواد لأنه كان يتق في كتاب حرسان . ووجد من الصعب سبيل أعمال
الدواوين المتعلقة في العراق دون الاستعانة بكتابها المبررة . ^(٢)

عمل في خدمة الخليفة المعتمد أخوان مسيحيان ، بلغا سرقة رابعة منه ،
وهما : سلمويه ، وإبراهيم .

ولد أسد الخليفة المستنصر إلى سلمويه منصباً قريب الشبه بمنصب وزير ،
قد كانت الوثائق لا تذكر صفه المنصب إلا بعد موافقه عليها ، كما عهد الخليفة
المعتمد إلى إبراهيم بحفظ خاويه ، وحرارة بيوت الأموال في البلاد ، على برغم
من أن طبيعة هذا العمل تقتضي بأن يوكل أمر بيت المال إلى رجل من المسلمين ^(٣) .

(١) التنبية والإشراف ، المصنوعي ، صفحة ٢٢٠ وجاء فيه : -

(٢) (واسور - أي الخليفة المأمون - الفصل بن سهل ، ثم أحده الحسن بن سهل
فلما أظهر الحجز عن الخدمة لعوارض من المرض ، وترى سرقة عدل المأمون
إلى استكتاب كتاب ، سلمويه بكتابهم وحرارهم ، أنه ليس في عهدهم من
بوارهم ولا بدانيهم ، فأسورهم واحداً بعد واحد .

(٣) الفرج بعد الشدة ، الجزء الثاني ، صفحة ٩ ، ٢٠ .

(٤) الدعوة إلى الإسلام ، سير سوامي ، و - أرسلت نسخة ٨١ وجاء فيه -

(٥) وكان في خدمة الخليفة المعتمد (٨٢٢ - ٨٤٢ م) ٢١٨ - ٢٢٧ هـ) أخوان
مسيحيان ، بلغا منزلة سامية عند أمير المؤمنين ، أحدهما يدعى سلمويه ،
ويظهر أنه كان يشغل منصباً قريب الشبه من منصب الوزير في العصر الحديث
وكانت الوثائق الملكية لا تذكر صفه المنصب إلا بعد موافقه عليه ، وعلمني
حين عهد إلى أخيه إبراهيم بحفظ خاويه الخليفة ، كما عهد إليه بحراسة بيوت
الأموال في البلاد ، وكان المنتظر من طبيعة هذه الأموال وسريتها ، أن يوكل
أمر الإشراف عليها إلى رجل من المسلمين) .

وفي عهد الخليفة المعتمد ، عاد الشراء إلى بيت المال مرة أخرى ، وصحب
بذلك ذلك ما سركه الخليفة المعتمد بعد وفاته سنة ٢٢٧ هـ ، وكان مقدار ما سركه
ثمانمائة ألف دينار عيماً وثمانية آلاف ألف درهم ورقاً .^(١)

عاد للخلافة بعدوها الكامل على الدواوين في عهد الخليفة الواثق ، الذي
كان يشرى على بحريف أموالها بنفسه^(٢) ، وقد عامل هذا الخليفة موظفي الدواوين
وكتائبه معاملة شديدة ، ولم يسرك لهم شيئاً من المهود أو السطرن ، كما قبض
على من شك في أمانته منهم ، وأمر بزيور محمد بن عبد الملك (ابن التريست)^(٣)
بمصادرتهم ، وإلزامهم بدفع مبالغ لا تأني بها .^(٤) وكان ذلك سنة ٢٢٩ هـ .

ومن الظروف والأحوال التي مرت على بيت المال في عهد الخليفة الواثق أنه
في سنة ٢٢١ هـ سلب اللصوص بيت المال في دار العامة ، في جوف القصر ، وأخذوا
أشهر وأربعين ألفاً من الدراهم ، وشيئاً يسيراً من الدنانير ، ثم سلبوا وأخذوا
بعت ذلك ، وبمض أخذهم بريد الحلواني صاحب الشرطة .^(٥)

ومن الجدير بالذكر أن بيت المال في مصر والشام وبعض الأندلس الأخرى
ببلاد الفوقاز كان بالمسجد الجامع^(٦) . وهو شبه خبة مرفعة محمولة على

- (١) الصور والعدائي في أخبار الحفائقي ، صفحة ٤٠٩ (الجزء الثالث) .
- (٢) الإسلام والحقارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٤١ .
- وبنك الخليفة الواثق أمر ببيت المال حين أُلقي أشتر سفر البحر وكسب
مالاً عظيماً (الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٢٧٧ .
- (٣) الفرج يصف الشدة ، الجزء الأول ، صفحة ٨٧ .
- (٤) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٢٦٩ .
- (٥) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٢٧٤ .
- (٦) جاء في كتاب الأعلام المصنف ، لابن رُسمة ، المجلد السابع ، صفحة ١١٦ وب
يحيى (وإن بيت مال مصر في المسجد الجامع ، فدام الممير ، وهو معقل
من سطوح المسجد ، لا يتصل بشيء منها ، وهذا مرجوع بأساطين من حجارة . =

^٤ ساطئ ، وسيد المال باب حديد وأقفال ، والمقصود إتيه على قنطرة من الخشب ،
وإذا صلب المشاء الآخرة أخرج الناس كلهم من المسجد حتى لا يبقى فيه أحد ، ثم
أغلقت أبوابه ، وذلك لوجود بهت المال فيه .

* وهي شبة فيه مرفعه ، يحنس الناس تحت الميت . ويمرّون بحنه ، وهما
قنطرة من حطب ، وإذا أرادوا دخول ذلك البيت همّوا بذلك الصاغر بالسحب
حتى يمشقوا طرفها على سطح المسجد ، وإذا خرجوا رَدُّوا القنطرة ، وعليها
باب حديد وأقفال ، وإذا صلبوا المشاء الآخرة ، أخرج الناس كلهم من
المسجد ، ولم يترك فيه أحد ، ثم سلق أبواب المسجد ، وذلك لحال
بهت المال) .

التطورات التي طرأت على بيعت المال في العصر الأول للدولة نجديته

- كان من أهم التطورات التي طرأت على ديوان بيت المال وأعماله في العصر الأول للدولة النجاشية ، أن أصبح في بغداد بيت المال
- أحدهما يعرف ببيت المال العام .
- والثاني يعرف ببيت مال الخامة .

وديوان بيت المال العام كان يعد بمقتبه حراثة الدولة التي يبيت في سجلاتها أمور الأموال العامة التي تحصل عليها الدولة .^(١)

١ - أما بيت مال الخامة ؛ فهو بمثابة خزانة الخليفة

غير أن تطور الأحوال المالية ، أدت إلى تعاون بيت مال العام وبيت مال الخامة في نفقات الدولة .

كان يحمل إلى بيت مال الخامة^(٢) ، الأموال التي يتركها الخلفاء لأبنائهم

(١) أنظر الأول في ترتيب الدول ، صفحة ٨٦ .

(٢) جاء في كتاب التكملة الإسلامية ، الجزء الأول صفحة ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ من الأموال التي يحمل إلى بيت مال الخامة "١" الأموال الصغيرة التي يتركها الآباء لأبنائهم في بيت المال ، ويقال أن الرشيد ضف أكبر مقدار من ثمن وهو ثمانية وأربعون ألف دينار "٢" مال الخراج وبيعان نعامه السدي يرتفع من أعمال فارس وكرمان بعد إسقاط الصفات "٣" أموال مصر والشام ، وكانت حربة أهل الدقة مثلاً يحمل إلى بيت مال الخليفة بدعمه أمير المؤمنين ، لا إلى بيت مال العامة ، وهذا ما يجب تطبيقه نظرياً ، انظر المنظم لابن الجوزي صفحة ١٩٦ | "٤" المال الذي يؤخذ من المصادر لأموال الوزراء المعروفين والكتاب والعمال وما يحمل من إرباعهم صيغتهم ، وجمال الذي يؤخذ من الشركات فقد كان الخليفة يرب مال الخدم وما من لا ولد له من موالى أسر الخليفة "٥" ما كان يحمل إلى بيت مال الخامة من أموال الصيغ والخراج بالسواد والأهوار والشرق و مصر "٦" ما كان يستعمله الخلفاء - أي الأموال التي يوقرونها - .

في بيت المال ، ومال الصاع ، الخاصة بالخلفاء ، ^(١١) ، وبعض أموال مصائد -
لتي تؤخذ من الجوراء والكتاب والعمال ، وبعض أموال الحرية .

وكان الخلفاء يعتقدون من بيت المال الحاجة على الحج ، وفي محبه -
محطات الحربية التي توجه إلى حدود الدولة ، ولهدايا أخرى لمسلمين ، ولاجئين
بالرسول القادمين من البلاد الأجنبية وبروبهم بالمسح والهدايا ، باعتبار أن الحقيقة
هو الرئيس الروحي للمسلمين ^(١٢) .

أما نفقات دار الخلافة والعطايا فكانت تصرف من بيت المال بعدم

ومن الحدير بالذكر أنه كان للخلفاء الحرية العامة في الصرف في أموال
بيت مال الخاصة ، كما كان يختار بها ليد بعض المظالم إذا طلب إيرادات بيت
المال العام .

ب - وببيت المال العام كان دوائه يعتبر من أهم الدوائين في العصر الأول
للدولة العباسية ، إذ أنه كان يجمع سجلات لكافة إيرادات الدولة ^(١٣) .

وكان هناك ديوان لمبيت المال العام في بغداد خاضعة للخلافة وبيوت للأموال لنواريات

(١١) دراسات في العصر العباسي المتأخر ، صفحة ٢١٩ وما فيها ، كانت هالستند
أراضي واسعة لخلقها من أمة في الأراضي الخارجية والمخاضية ، كما كان هناك أراضي
لأكاسره الفرس ، وعرف هذه الأراضي بالمواضع ، وقد صحت هذه الأراضي في أراضي
الخلفاء العباسيين

(١٢) مجلة الأمراء في تاريخ الجوراء ، صفحة ٢٢

(١٣) انار الأول في ترتيب الدول ، صفحة ٧٦ .

ويذكر فيه أنه كان يحفظ في ديوان بيت المال العام سجلات للمواضع
المختلفة وسواحي إقامتها .

والأقاليم في عواصمها - (١)

وكان صاحب بيت المال العام في الولاية يطلق عليه اسم الخازن (٢)

وقد ذكر لنا الماوردي والغراء - أن أهم موارد بيت المال العام كانت من
كالسبي - حيايات الخراج - ا في الأراضي ا لأن حصونه موقوف على رأي الإمام -
وبحرية ، ولتسوية ا الحكوم ا ، وبحسب خمس الغني والسبعة ، وبعض المصادر ب
ونم يكن من الضروري أن يودع الولاية كل ما يجمعونه - خاصة في الأقاليم - فليس
حراثة بيت المال - بل كانوا ينفقونه في وجوه مباشرة ، على أن يمسوا الأموال
الواردة وأوجه صرفها في سجلات بيت المال ، (٣) كما أن الأموال التي تأتي من
هذه الموارد ، كانت تنفق لخدمة مصروفات الدولة ، مثل تجهيز النصوص ودعم
رواتب الجند والموظفين ، وصيانة الطرق ، وإنشاء الجسور ، والفاطر ، وحفائر
المرج والقبوات -

١١ جاء في الكايل في التاريخ المجلد الخامس ، صفحة ١٧ أن إبراهيم بن
عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب أموي عن يمينه سنة ١٤٥ هـ ،
ووجه في بيت مالها ألف (٢٠٠,٠٠٠) درهم فوي بذلك وتيسر
لأصحابه لكل رجل خمسين مئزر وجاء في كتاب الوزراء وانكتاب صفحة ١٢٧
أن الخليفة أبو جعفر المنصور عيّن أبو عبيدالله بخاريه بن بشار على بيت
مال الري ، حينما كان المهدي مقبلاً بها
وجاء في الممالك والممالك للإصطخري صفحة ١٠٩ عند الحديث عن إقليم
الرم وبيت مال بردعة ا وبيت مالهم في المسجد الجامع على راس الشام ،
فإن بيوت أموال الشام في مساجدها ، وهو بيت مال مرضى السطح ، وعينه
باب حديد ، وهو على سنة أساطير ا وفي صفحة ١٤ من نفس المصدر
ذكر الإصطخري بيت مال ررج وفد يما عمرو بن الذهب - كما ذكر بسبب
التيير في المجلد الخامس صفحة ٤٨ عن بيت مال أرمينية إلخ
ومن هنا يتضح لنا أن بيوت الأموال كانت منتشرة في كل ولاية وبندبه كبيره

(٢) مفاتيح العلوم - صفحة ٢١ -

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية - ا الماوردي ا صفحة ٢٤٢ ، ٢٤٣

وكذلك الأحكام السلطانية ا الغراء ا صفحة ٢٥٦ -

وكان يرد إلى بيت المال العام في بعداد الأمور القائمة من ديوانيات ، بعد دفع كافة نفقاتها ، ولم يكن هذه النفقات مرسلة مقدماً دائماً ، بل على هيئة مبالغ حولاً ، أو كمبالغ من المبالغ ، والمصحات الزراعية والمصاحبة بالتحصيل بالمصحة لوقتها الخاص

وكانت جميع الكتب المتعلقة بالشؤون المالية تعرض على صاحب هذا الديوان ، قبل إرسالها إلى الدواوين الأخرى ، وكان يعمر موقع صاحب بيت المال على مكتوب والأوامر المالية ، من الأمور اللازمة لمحتجها .^(١)

يذكر آدم مر^(٢) أن صاحب بيت المال العام كان يتعرف على الأمور التي ترد إليه ، وما يخرج منها من النفقات والإطلاقات ، كما يحرص عليه جميع الكسب

(١) جاء في كتاب الحراج وصفه الكتاب ، المرفوعة الخامسة ، الباب الخامسة ، ورقة ٩ ، ١٠ صفحة ١٢٩ د ١٨٠ بالنسبة للكتاب .

(٢) قال أبو الفرج ، هذا الديوان بمعنى أن يعرف مرصه - ويقصد ديوان بيت المال - والعرض منه ، إسماعيل محاسبه صاحب بيت المال ، على ما يراه عليه من الأموال ، ويخرج من ذلك في وجود النفقات والإطلاقات ، إذ كان ما يرفع من الحسابات مضمناً على ما يرفع إلى دواوين الحراج ويبلغ من المحمول ، وسائر الموقوفات ، وما يرفع إلى ديوان النفقات مما يطلع في وجوهه المتطلبات ، وكان المسؤول له عاملاً للنظر في الأمور ، ومحاسباً على الأمور والنفقات ، لهذا أخرج أصحاب دواوين الأموال وأصحاب دواوين النفقات ما يحرصونه في حسابات بيت المال المرفوعة إلى دواوينهم من الخلفات ، فيسجل سرير أن يخرج ذلك إلى صاحب هذا الديوان ليستفهمه ويخرج ما عمده فيه ، ويكون لصاحب هذا الديوان علامة على الكتب والمكائد ، والإطلاقات ، ينفقها الوزير وخلفاؤه ، ويأمرها ، ويطلبون بها إذا لم يحدوها ، مثلاً ينفقها أصحابها ، والمديرون هذا الديوان فيحتل أمره ، ولا يتكامل العمل فيه فإن هذا الديوان إذا استوفيت أعماله ، وكان مال الاستخراج بالحكمه ، والمحمول من المواهي مضبوطاً

(٢) الحضارة الإسلامية ، الجزء الأول صفحة ١٣١ د ١٣٢ .

«المعققة» الأموال الصالية قبل إرسالها إلى الدواوين الأخرى وبه علامة على اكتساب العلاقات ، يستقدها الوزير وحلفاؤه ، ويراعونها ، ويطلبون بها .

وحلالمه القول أنه كانت طبيعة بيت المال العام أن يثبت في خزائنه جميع أصول الأموال على أصنافها ، من عمن وعلال وهي : وعاشم ، وأمشر ، وأحساش ، ويثبت ما يحصل من ذلك ، ويحدد يوماً لأصناف الأموال ، ويجعل عندها تدوين والحراس .

فالأموال لها ديوان الحراسة ، ويجب أن يكون مباشره قضاء المسلمين بأنفسهم بلا سواب عنهم (١)

والغلاب لها ديوان الأفرار

والأطعمة والدخائر لها ديوان حراش السلاح . (٢)

كان في حاصره كل ولاية در للإمرار ومبى للديون ويثبت لعمال (٣) كما أشرنا إلى ذلك سابقاً . وكان ينفق من بيت مال الولاية على الأعمال ذات المنفعة العامة ، مثل إنشاء الطرق والقبو ، والمباني العامة ، والمصاعد والمدرسين ، والخدمات الضرورية (٤) وفي بغداد كان لكل ولاية ديوان يشرب على شتوب ، وينقسم إلى فرعين : -

١) ، ٢ ، آثار لأول في ترتيب الدول صفح ٧٤

(٣) الإدارة العربية صفح ٩٩ وجاء فيه : (... ومع أنه لم توجد إدارة مستقلة للأعمال العامة ، فإن عمال الولايات كانوا يفرسون بمهام عمل برشيه ، التي يتولاها تلك الإدارة في الدول الحديثة ، فثبتت في حاصره كل ولاية در للإمرار ومبى للديون ، ويثبت مال وتحت إشراف الإقامة - في مراكز متعددة وكذلك أقيمت الحسور والطرق ، كما حفقت الآبار القديمة ، واستنبطت أخرى جديدة ، وحفرت بعض قنوات كبيرة ، كما حفر عدد كثير من القبووات الصغيرة للزري والملاحة وإمداد المواطنين في المدن الكبرى بمياه شرب نظيفة . . .)

(٤) الإدارة العربية صفح ١٨٧ -

أحدهما يسمى الأمل ويخص نفوس المراثي ، وحملها إلى بيت المال وبيعها ،
والعمل على زيادة مواردها ، أي أن هذا القسم يختص بالإدارة .

والفرع الآخر يسمى الرمام أو ديوان المال ، ويرأسه عدده رجل من أصحاب المال^١

وقد اهتم الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية اهتماماً كبيراً بديوان بيت
المال العام ، لضمان أموال دولتهم ، والتصرف فيها ، طبقاً لمصالح المسلمين .

فقد حرص الخليفة أبو جعفر الممصور على وجود مائتي بيت المال ، يكفي
مقدرات الدولة العباسية ، إذا ما ملأ ورد المال من الولايات - وبعض مكاينها -
تماماً لديوان بيت المال في مدينة بغداد ، مع أنه جعلها عاصمة الدولة العباسية ،
ومن غلبها الفرج من ممالك السجدي^(٢) وصار الخليفة يشرف بنفسه على اتصال
بيت المال - (٣)

ويذكر ابن كثير - والخطيب ، وابن الأثير ، وغيرهم من المؤرخين ، أن
الخليفة أبو جعفر الممصور ترك في بيت المال ما يكفي من مقدرات الدولة بـعشر
سنوات (٤)

- (١) تاريخ الحضرة الإسلامية في الشرق صفحة ٩٩ -
- (٢) كتاب الوزراء والكتاب صفحة ١١٢ (عند حديثه عن سخطه من فضاله الممصور فسي
قلبه أبي مسلم والخليفة في ذلك) .
- (٣) البدايه والنهايه ، الجزء العاشر ، صفحة ١٢٢ ويظهر من ذلك ويصح من
خلال الخطبة التي القاهها الخليفة الممصور في يوم عرفة وهي ميسر
عرفة سنة ١٥٨ هـ ، أنه جعل من نفسه مشرفاً على كافة الإيرادات والمقدرات ،
يقول أبو جعفر الممصور في الخطبة (أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله
في أرضه ، أسوكم بموحيته ورثته وخازنه على ماله ، أقسمه بزيادته ، وأعطيته
بإرادته ، وقد جعلني الله عليه قفلاً ، فإن شاء أن يعطيني لأعطيكم ونعم
أرأاكم فتحي ، وإذا شاء أن يقطني عليه قفلي ، فاعزوا إلى الله أيها
الناس ربنا في هذا اليوم الشريف ، الذي وهبكم فيه من فضله ما أعظمكم به في
كتابيه ...)

- (٤) البدايه والنهايه المجلد الخامس ، الجزء العاشر صفحة ١٢٧ وفي تاريخ الأمم
والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٢١٩ ، وفي تكامل فسي
التاريخ ، المجلد الخامس صفحة ٤٢ .

كان بيت المال عادراً في أيام الخليفة هارون الرشيد ، بسبب إردياه بيز دانت
الدوية بشكل ملحوظ . وقد ترك الخليفة الرشيد في يده خلافة أمر لإشراف على
بيت المال لحفص البرمكي . وبعد مكتمهم أصبح يشرف بنفسه على بيت المال بعد
أن عيى بعض الكتاب المهرة على الدواوين .

وقد حرص الخليفة المعتمد على أن يحصل مكانا لبيت المال في سامراء^(١)
حينما سم سارها في عهده^(٢) ومثل إليها أعمال ديوان بيت المال ، الذي كان
موجوداً في بغداد .

ومما سمع ديواني بيت المال العام ، وبيت مال الخاصة ، ويعتبر من
دواوين الخليفة

ديوان المظفات ! وقد احس هذا الديوان بالإشراف على نفقات الخلافة وحااسها ،
وتلك سماء من المؤرخين ديوان الخاصة .^(٣) وكان يشترط في رئيسه أن يكون
على درجة عالية بالكتاب وأمر المكاتب والمولوي والأصهار

وقد أشرف هذا الديوان على صرف استحقاقات العاملين مع الخليفة^(٤) .

ومحاسبة الخراج الدين بمعاملين مع قصر الخليفة ، لسيرة الخاخابلارمه له
كما كان يعم فماً للإشراف على شؤون المباني والأصلاحات التي يأمر الخليفة
١) كان مكان بيت المال في دير المصاري ، الذي كان موجوداً قبل إساء سامراء
وهو الموضع الذي بنى فيه الخليفة المعتمد داره المروعة بدار بجمعه ،
[كتاب البلدان] اليعقوبي ، صفحة ٧٤ .

٢) أشار الأول في تزيين الدول صفحة ٨١

٣) Samada : Social and economic aspects of life under the
abbassid hegemony at Bagdad) in Islamic Culture, ٧35
P. 144 _

بإخراجها^(١) وكان على صاحب هذا الدواوين أن يكون على اتصال دائم ببقيت أعمال السليم
والخاص. يعتبر على مرء عكوك المصنفات والمصنفين على توقيعاتها^(٢) وكما
فيه أيضاً أن يراقب حصول الخليفة في البحر الأول للدولة العباسية على استحداثاته
من إيرادات الدولة^(٣).

وقد حصل الخليفة أبو جعفر المنصور لهذا الديوان مبنى خاصاً في بغداد^(٤)،
وكان يسكنه الأساقفة عليه في عهد الخليفة المهدي يحيى بن خالد البرمكي^(٥)،
وسكن لإشراف على ديوان المصنفات في عهد الخليفة هارون الرشيد الفيلسوف
نوبع^(٦).

شروط كاتب الديوان : وكاتب الديوان هو صاحب دعامه فالمحترف في صفة ولا يسه
شرطان :

- ١ - العدالة : لأنه مؤتمن على حق بيت المال والربح ، فلا يفسد أن يكون فاسد
العدالة والأمانة على عادات المؤمنين .
- ٢ - الكفاية : ولا تحقق إلا إذا قام بحفظ القواصم ، واستيفاء الحقوق ، وإثبات
الربوع وسحابة المال ، وإخراج الأموال ، وتصحيح الطلقات .^(٧)

(١) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، صفحة ٦٦ .

وخاء في الإدارة العربية صفحة ٢٢ ، ٢٤ ما بيني (كان هذا ديوان -
ديوان المصنفات - بحضرة مطالب البلاط ، فأشرف على روائع أعمال بهيلاط ،
ومواد المداء (البحر واللحم والحلوى والبيض والفاكهة ، والوقود ، إلى غير
ذلك) وبناء وإصلاح مؤسسات البلاط والعناية بالانطبالات (الحيات) ومعالجة
والإبل وغيرها من الحيوانات وعداشها) ، ومواهب جميع النكاليات الطارئة
الحاجة بمطالب البلاط) .

- (٢) وما يقال له حالياً إعطاء الشيكات (المعالج) والمؤكد من التوقيع عليها .
 - (٣) آثار الأول في تزيين الدول ، صفحة ٨٧
 - (٤) البلدان ، للمصنفين ، صفحة ٢٤ .
 - (٥) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٤٦ وكان ذلك سنة ١٦٣ هـ
 - (٦) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٦٤ وكان ذلك سنة ١٧٣ هـ
 - (٧) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الماردي ، صفحة ٢٤٤
- والأحكام السلطانية للبراء ، صفحة ٢٥٣ .

أما حفظ القروانيين فانقصود به المحافظة على الرسوم بقائه من غير زيادته بحيث بها الرعية أو قطاع يمر بمقتضى المال

ويستند على الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت بين المسلمين وأصحاب البلاد المنسوبة أو التي تم إعادة فتحها في العصر الأول لندوة النجاشية

وسمى الحقوق يكون بأحد من وجه عليه من العاملين أو استيوائهم من انما يسمي لها من العمال ، وكان صاحب الديوان يقوم بالتوقيع على سلاسل

واسمات الرسوم ينقسم الى ثلاثة أقسام : رقوق مساحة ، ورفوع فسخ واستيداء ، ورفوع خرج ونفقه (١)

ومحاسبه العمال فلا بد أن كانت الديوان يعرف الحساب جيداً ، ويعرف كيف يخطط الحسابات مع العمال وخاصة معال الحراج

وخراج الأموال فكانت الديوان بمعنى أن يعرف الأمور المالية للأموال الموجودة عنده ، ولا يخرج من الأموال إلا ما علم صحته ، كما لا يشهد إلا بما تضمنه وسفطة وعندما يطلب منه ذلك

أما الشرط الأخير لإتمام كتابه كانت الديوان فهو يصنع بظلامات ، وقد يكون المنظلم من الرعية أو من العمال ، وعلى صاحب الديوان إزالة نظلم وتجهيف عمى وقع عليه (٢)

(١) جاء في الأحكام السلطانية للحرا ، صفحة ٢٥٥ (فأما رقوق المساحة والعمل فإن كانت أصولها مقدرة في الديوان اعتبر صحة دفع سفطته الأصل ، وإن لم يكن لها في الديوان أصول عمل في إثباتها)
وأما رقوق الفسخ والاستيفاء ، فيعمل على إثباتها على مجرد قول راعيتها ، وأما رقوق الحراج والنفقة ، فلا يقبل دعواه إلا بالصحح البالغة ، وإن كانت لديه توثيقات ولا الأمر استمرها

(٢) هناك أحكام فقهية كثيرة ، تتعلق بكتاب الديوان ، مذكورة في الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي من صفحة ٢٤٤ إلى صفحة ٢٤٨ وكذلك في الأحكام السلطانية للحرا من صفحة ٢٥٢ إلى صفحة ٢٥٧

وهالك دواوين مالية أخرى تحدثنا عنها في مواضعها^(١)

وعد حرب العاده أن يعمل في الدواوين أكثر الكتاب كفاً وحبره ، وكسب
مكانهم في الدولة على مكينة الوزير في العراق^(٢) وكانوا يعملون بعد رتاسه
نورس دباغره ، ويرعمون إليه أعمالهم ، ويحكمون إليه في معارضهم حول أمور
العمل ، ويرعمون إليه فيما أشكال علمهم من امثال ، وينغدون سوجهيه فيها^(٣)
وبعد مراعاة سُرطتي الفبول العداله ، والكفايه ، كس على المشرح ليعمل
في أي ديور من دواوين الدولة ، أن يكون أميناً ، طمناً بقوانين ولغوى الكتابية
والبلاده^(٤) ، عارفاً بأسرار العمل في ديورته ، حمبراً بمعاملته انصار والسيوطيس
قادرأ على سحق الشكاوي والمطالب التي تقدم إليه ،^(٥) حس العيم والدكا ، صحيح
يعمل والرأي ، يصف بالراهه والنصف ، قوي الاحتمال ، جريئاً في الحق .^(٦)

(١) من الدواوين المالية التي تناولناها من خلال البحث :

- أ - ديوان المدفقات في لعل التركية .
- ب - ديوان الخراج في لعل الخراج .
- ج - ديوان المصادرات .
- د - ديوان الموائج ، وديوان الصباغ السلطانية .
- هـ - ديوان الجند .

(٢) Semedi, "Some Aspects of the theory of state " ١29, P128

(٣) بحار الأمم ، البحر ، الخامس ، صفح ٤٦ .

(٤) آثار لأول في ترتيب الدول ، صفح ٢٨ وقد عبت على بعض الكتاب أنه لا يهسى برامة

أفلامه ، فقد كان على الكاتب أن يكون محيداً لكل في من الفنون العديدة
لمهنته .

(٥) بحار الأمم ، الجزء الخامس ، صفح ١٢٤ .

(٦) قوانين الدواوين ، صفح ٦٦ وجاء فيه (. . . أن يكون الكاتب حراً طمناً

عافلاً صادقاً ادبياً ، فقيهاً ، عالماً بالله تعالى ، كافياً فيما يتولاه ، أميناً فيما
يُستكشفه ، جاد الدهن قوي النفس ، حاصر الحس ، حيدّ الحديس ، محسناً
بمخكر ، عاشقاً لحصيل الذكر ، طويل الروح ، كثير الاحتمال ، حلو اللسان ،
له جراءة بيت بها الأمور على حكم البديهة ، ولديه تؤدة يقظ بها غيما
لا يهرج على حدّ الزويع ، ويعامل الناس بالحق من أقرب طرقه وأسهل
وجوهه . . .) .

وكان الرامحين في انجلاد الكتابه مهمه لهم يلاحظون بأحد سدوويهر ، حيث ينتقون عمود العمل به - ويخبرون أصوله - ولهذا كان لكل ديور كتابه نصحصون في عمله - فكان هناك كتاب حيس - وكانت أحكام يعمل في ديوروا نطفا ، وبم يكن دواوين العراق هي وحدها التي يوجد بها هؤلاء الكتاب ، بل استجابت بهم أيضاً دواوين الولايات المحصنه .

وكان وظيفة الكتاب في الدواوين محصوره في بيوتات وأسر صعيده متوارث أفراد هذه الصعيده ، فلا يخرج عنهم إلا نادراً ، وحاميه في إقليم فارس ، حيث سوي بعض الأفراد من آل الفراء وآل الخراج الكتابه في العراق ^(١) .

هذه هي أهم الشروط والمواصفات التي كان ينبغي توافرها في كتاب الديور في العصر الأول للدولة العباسية .

الدواوين الادارية

ومما يستكمل مجموع بيت المال والدواوين أن يسير هنا في هذا المجموع ، وباعتبار شديد إلى الدواوين الإدارية التي كانت موجودة في العصر الأول للدولة العباسية .

فقد كان المنظم الإداري في العصر الأول للدولة العباسية يضم عدداً من الدواوين ، ينضم إلى مجموعتين رئيسيتين ، الأولى - وبعضها بالموجبة لاداري - والمسكاتيات الرسميه ، كالبريد ، والمراسلات والموقع ، والحشم والمجموعه ثنائيه تختص بحسابات الأمن في الدولة ، ويوهر الحمايه الخارجه لها مثل الشرطيه ، الحمية ، الخدم .

(١) المسالك والممالك ، لاس جوقل ، صفحه ٢٧

وكانت الدواوين الخاصة بالسجينة الإدارية مصلية ببعضها إحصائياً وثيقاً ،
حتى كانت أن يكون مروعاً في إداره وإجده أو بالأحرى في ديوان واحد ^(١١)

١ - ديوان البريد :

كان ديوان البريد من الدواوين المهمة في العصر الأول لمدولة العباسية .
وقد عمل العباسيون على تطوير هذا الديوان ، حتى بلغ درجة عالية من الكمال في
عهدهم .

وقد قتر بعض المؤرخين هذا الاصنام الشديد ^(١٢) ، لأنه كان غوياً بهم على
اكتشاف حركات الممرد أو السوء في عيدها ، حيث كان عيان البريد بمشاسيون
بأخبارها على جناح السرعة إلى الخلافة ، فبامر صاحب الإخراآت بقتله صدها في
الوقت المناسب .

بامر حنفاء العصر الأول لمدولة العباسية إلى استخدام البريد منذ عهد
الحنفية :أول أبي العباس السفاح ^(١٣) ، الذي استخدمه لأول مرة في نقل مرسلي
حمده

وسما وبني أبو جعفر المنصور الخلافة وحث اهتمامه إلى ديوان البريد ، وكان
يعتبر صاحب ديوان البريد من أهم الموظفين الذين لا يستقيم الحكم بدونهم ^(١٤) ولهذا
سجد كان يفتي على دواوين البريد مواليه وقرى يثق بهم من ناسي ، ولد دكر

(١) Samad, Some aspects of the theory of state and
administration under the Abbasids, in Islamic Culture
٧٢٩, P ١٤٥, ١٤١.

(٢) Hall, the Arab civilization, p.78.

(٣) جاء في البدايه والنهايه ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحه ٤٢ (ووجهه
أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبد الله
ابن علي ، يحثه على مناجره مروان ، والعباده إلى فضاله ورساله قبل أن
تحدث أمر حشيد تيران الحرب ...) .

(٤) جاء في تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحه ٢٩٧
قول أبي جعفر المنصور : ما احوطني إلى أن يكون علي يابي أربعة نفر لا يكون
علي يابي أعف منهم ... أما أحدهم فقامي لا يأخذه في الله لومة لائم ..
وصاحب شرطه ... وصاحب حراج .. وصاحب بريد يكتب بغير هؤلاء على الصفة ١ .

سعى المؤرخين^(١) أن تحليفة المصير، ولكن أمر إرسال أخبار النبلاء إلى
والأفليم إلى أصحاب البريد، وفي سبل ذلك جعلهم مستقلين عن حكم بوليا
المر بضميرها، وبلغ من دقة التقارير التي كانوا يبعثون بها إليه، أنها
كانت تحتوي أثمان السلع والمواد المختلفة.

توسع الخليفة المهدي في استخدام البريد، فأمر سنة ١٦٦ هـ بإقامة محطات
بين مكة والمدينة واليمن^(٢) وأصبح للدولة المالية في هذه المناطق دور كبير
في البريد.

وبما سولي الخلافة عازون الرصيد، عمل على تطوير نظام البريد، فبعد
جمعة البرمكي بالاعتماد على جهاز البريد^(٣) مما أدى إلى إنشائه بشكل ملحوظ،
ظهرت أهمية البريد في المراجع التي قام بها الأخوين لأبي والمأمون،
فكان كل واحد منهما يمسك على البريد لمعرفة أخبار الآخر وكانت أول مخاطبة
بينهما سنة ١٩٤ هـ فقد قطع المأمون البريد عن أخيه الخليفة الأمين،^(٤) حتى
لا يعلم بأخباره وتحركاته.

وسلط عفيف بن عيسى بفعل الخدمة المنظمة التي قدمها له ديوان
البريد في بغداد أن يهرم الرط سنة ٢١٩ هـ، وصي على سردهم في الخليفة
بافتر من منطقة البصرة في عهد الخليفة المعتصم، فكانت لأطباء وسقطط

(١) Nozdeke, Sketches from eastern History, P131-132

(٢) جاء في البداية والمهاج، المجلد الخامس، الجزء العاشر، ص ١٤٩ هـ
وصم أحداث سنة ١٦٦ هـ وفيها أمر المهدي بإقامة البريد بين مكة والمدينة
واليمن، ولم يعمل أحد هذا قبل هذه السنة.

(٣) جاء في كتاب الزوراء، والكتاب ص ٢٠٤. وكان الرصيد يسمى جعفر
أخي... وقلعه بريد الأمن، ودور الحرب والطرز في جميع النواحي.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، المجلد الخامس، الجزء العاشر، ص ١٢ و١٣
فيه (١) فقطع البريد عن محمد، وأسقط اسمه من الطرز... (٢) ويقسم
محمد الأمين.

ولأوامر مستقل بين الحليفة وقائده في سرعه ودقه متناهية^(١) وكذبت كان الحال عندما قاتل القائد الأنشلي بابك الحرمي ، فكان للبريد دوراً بارزاً ، وكان موصولاً بينهما^(٢) .

كانت مكاتبات الدولة الرسمية المرسلة إلى عاصمة الخلافة تصل كلها إلى ديوان البريد الرئيسي في بغداد ، حيث يقوم بتسليمها إلى الدوابين لمخضعهم^(٣) أما تقارير أصحاب البريد فكانت تعرض على الحليفة مباشرة ، نظراً لربطها ، وأهميتها ، وكان يستعمل في نقل البريد في بلاد الفرس ، البغال ، والخيول^(٤) كما استعملت الجمال في بلاد العرب^(٥) وكذلك الحمام الراحل^(٦) .

وكان عمال البريد في الولايات يرأسهم صاحب ديوان البريد الرئيسي فسي ببغداد ، وذكر قدامة بن جعفر^(٧) أن من الشروط الرسمية لاحتيلار صاحب البريد هو أن يكون أهلاً للصفة ، كسواً للسر ، نظراً لخطورة الوظيفة التي يشغلها والسري اعتبار بسببها من أهم موظفي الدولة .

ومن أهم المهام التي كان يقوم بها صاحب البريد الرئيسي في بغداد هو الإشراف على تسليم البريد الوارد من الولايات وتسليمه إلى الدوابين المختلفة .

(١) جاء في تاريخ الأمم والملوك ، المعتمد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٣٠٦ . ورسد الخيل في كل سكة من سلك البُرد ، تركي بالأخبار ، فكان الخمر يخرج من عند عفيف ، فيمل إلى المعتصم من يومه ...)

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المعتمد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٣٠ .

(٣) كتاب الخراج وصحة الكتابة ، لقدامة بن جعفر ، صفحة ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٤) Hitti, History of the Arabs, p.323

(٥) جاء في حر تاريخ البيهقي ، صفحة ٨٠ أنه كانت تستخدم إبل سريعة في خدمة البريد ، وكانت تسمى الجمار وأطلق اسم الحمائر على سعاة البريد فيما بعد .

(٦) وكان للناس حق استعمال البريد في إرسال مكاتباتهم ، بعد دفع رسوم معينة لأن البريد كان موصوفاً أساساً لخدمة الدولة العباسية كما ذكر

Kremer, the orient under the Caliphs, P 230, 233

(٧) كتاب الخراج وصحة الكتابة ، صفحة ١٨٥ .

ومراقبه عماله وموقعيه العاملين في ديوان البريد بمقداد والدواوين الفرعية
بالولايات .

كذلك تسمى الموظفين المحدد بالبريد ، ودفع رواتبهم ^(١) كما كان عليه أيضاً
أن يعمل على حفظ طرق البريد وصيانتها من اللصوص ، فعلاً عن النظر في أعمال
مراكز البريد الممتدة على طول طرقه ، ورعاية حملها ، وصيانة مبانيها ، ومن
كثرة المهام الملقاة على عاتقه ، سُمي صاحب ديوان البريد عيماً بعدد مصالح
البريد والأعمال ^(٢) وهو ما يعرف في وقتنا الحاضر برئيس البريد بوشمس المصبرات
العمية ، لأن صاحب البريد كان يجمع بين هاتين الوظائفين .

أما الطبقة الثانية من موظفي البريد فهم (المرتبون) الذين كانوا يحملون
البريد في طلائب خاصة على ظهور الخيل من مركز بريد إلى آخر ^(٣) ، وهؤلاء
(الموظفين) الذين يترقبون على محطات البريد ، ويسجلون البريد الوارد في دفاتر
وسجلات مرفت (بالامكدر) ^(٤) وكان عمال البريد يحملون قطعة شعبة كبيرة على
أكتافهم كتب على أحد وجهيها المسافة وعلى الآخر " إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ومنبهاً " ^(٥)

٢ - ديوان الرسائل

وكان يختص بمعالجة المكاتبات الرسمية الخاصة بالخلافة ، وحفظ أموالها ،
وكانت هذه المكاتبات مائلاً ما تتعلق بالشؤون الإدارية .

ولقد اهتم أبو مسلم الخراساني في بداية العمر الأول للدولة العباسية
وهي عهد الخليفة ، أبي الميمون السفاح بديوان الرسائل ، وأسند إدارته إلى رجل
من أخصى أتباعه وهو أسلم بن ميمح ^(٦)

(١) Kramer, the ardent under the Caliphs, 234, 235.

(٢) الإدارة العربية ، صفحة ٢٠٠ .

(٣) نظام البريد في الدولة الإسلامية صفحة ٦٩ ، ٧٠ .

(٤) مفاتيح العلوم للخوازمي ، صفحة ٤٧

(٥) وكانت مواعيد سفر عمال البريد يعلمها المندوبون على أبواب المصاحف
والأسواق والمحلات العامة . نظام البريد في الدولة الإسلامية صفحة ٧٥ .

(٦) كتاب الجرد - والكتاب ، صفحة ٨٥ .

حرص الخليفة أبو جعفر المنصور عند بثائه مدينته بغداد أن يهرق مكدساً حاماً لديدور الرسائل ، وجعله قريباً من قصره ، وولي أمره ابن بن صدقة وأمر أن يعثر النصف الذي سقط هذا الدوان ، فصعب بالزعفران - أسد تحديقته المهدى ديهون . برحائل إلى التوزيع بر يوس ، كما عهد إلى ابن بن صدقة بطور في رسائله الخاصة ، فيما سوى أسد رسائل الخليفة إلى أبي خالد الأحول^(١)

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد ضم ديوان الرسائل إلى ديوان العواشي وديوان السر ، تحت إشراف رجل واحد هو اسماعيل بن صبح^(٢) كما أدخل الخليفة برصيد مبدلاً على المكاتب الرسمية في خلافة ، فأمر سنة ١٨١ هـ بأن يكسب في صدر كافة الرسائل الرسمية عبارة الملاء على رسول الله ﷺ على الله عليه وسلم بعد النساء على الله عز وجل^(٣) ، وظل الإعدام بديوان الرسائل محفوظاً في عهد الخليفة المأمون ، وكان يولي الأشراف عنه سنة ٢١٤ هـ أبو جعفر الكاتب^(٤)

وكان من أهم الشروط التي يسمي بفرها في كتاب ديوان رسائل هو الإسلام ، حسن التدريس ، سلامة العقل ، السحر في فنون الكتابة ، حفظ القرآن الكريم والسيره ، وأحضر العرب القدماء والأشعر ، المبرهنة العامة بعلوم النحو ، حسب العمل ، وكما السر هذا إلى جانب أن يكون أكثر عملاً من الموظفين العاديين منه وأكثرهم حلاً^(٥) وكان الخليفة يستشير صاحب ديوان الرسائل ، ولا يحلف عنه شيئاً ، ولا يحمى عنه أو يصد عن معارضة مهما كانت الظروف^(٦)

- ١ جاء في البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٤٩
أ ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة ، وفيها عزل المهدي أبا عبيد الله
مناووه بن عبيد الله عن ديوان الرسائل ، وولاه توزيع بر يوس الحاجب ١٠٠
- (٢) كتاب الوزراء والكتائب ، صفحة ٢٦٦
- (٣) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٧٧
- (٤) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٦٩
- (٥) قانون ديوان الرسائل ، صفحة ٩٤ ، ٩٥ -
- (٦) قانون ديوان الرسائل ، صفحة ٩٤ ، ١١٧ -

وكان صاحب ديوان الرسائل يحضر مجالس المقاليم ، حيث يعرض الخليفة
أو من يمدد عنه شكوى التي يقدمها الناس ، وكان يخضع بصورة من شكوى
البناء ، وما لم يحلله بشأنها ، وكان صاحب ديوان الرسائل يستعجل في حلال
عنه بمجلس الخليفة أو الوزير بكاتب من أنشط كتابه ، يقوم بتربية الكتب التي
سيبحثها المجلس ويخضعها ، ويراجع صاحب ديوان الرسائل هذا المجلس ، فإذا
طأ إلى عهده على الخليفة لدراسة وإيداء الرأي .

كما أنه كان على صاحب الديوان ، كتابه الردود والمؤهلات التي أسفر الرأي
عنها ، مع إشارات تاريخ وصول الرسالة ، وتاريخ إرسال ردّها عنها في سجل خاص^(١)
وكان عليه أيضاً مراعاة الأكتاب والمرااتب في المكاتب الخاصة بعمال الدولة
مختلفين ، كما كان عليه مراعاة جميع المناصب والمكاتب والأقسام التي يدير
عن الديوان .

كان يعاون صاحب ديوان الرسائل عدد من الكتاب والموظفين ، بعضهم
من بعض الأشراف العرب في السب ، وكان بشرط فهم اللغة في السب^(٢) ،
والعبارة في قراءة المخطوط العربية ، وحسن عرض الموقوفات ، وكان يكتب دور
بعضات مختلفة ، فمنهم من يكتب المكاتب المفولة ويمن بنات حكم يستمدون
المعاصرين ، ومنهم من يكتب المكاتب موقفي الدولة ومجالها ، ومنهم من يكتب
بمكاتب كبار رجال الدولة ووجوهها ، ومنهم من يكتب المكاتب الموظفين وبعضة
والأعداء ، ومنهم من يكتب المكاتب المعاشرة وكتب التخليد وسعيين لعمال ،
ومنهم المراجعون الذين يراجعون كل ما يكتب في الديوان والمرحمة المباشرة لسل
عرشه على صاحب ديوان الرسائل وكانوا يلقبون (بالصفين) كما كان منهم المخطوطون

(١) قانون ديوان الرسائل ، صفح ١١٢ .

(٢) الإدارة العربية ، صفح ٢٩٧ عند الحديث عن ديوان الرسائل .

(٣) فإن لم يوفق هذا الشرط في بعض الكتاب ، كان عليهم أن يستعينوا من
يعرف لغة الكتابة التي وردت إليهم .

وذلك لكتابة الكتب بعد صياغتها وإخراجها ، وهذه العملية عرفت باسم
[التعمير] ، وكان وظيفة الخزانة [الأرشيف] بلغة العمر من وظائفها^(١)
في ديوان الرسائل ، ويحضر بحفظ أصول المكاتبات التي ترد إلى الديوان ، وتذكر ب
محتواه عما تم بشأنها للرجوع إليها عند الضرورة ، وكان عليه تنظيم الموضوعات
وفق نظام خاص ، حتى يسهل له حفظها وإخراجها في الوقت المناسب

٣ - ديوان الموقع

كانت هناك منه كغيره من ديوان الموقع وديوان الرسائل ، وديوان الخاتم
في العصر الأول للدولة العباسية .

حيث أن المكاتبات الرسمية ، كانت ترسل إلى هذه الدواوين ، لإعداد الرد
عليها ، وإعدادها ، لتصبح جاهزة لإرسالها بالبريد ، وكان الوزير يتولى الإشراف
على هذه الدواوين ويراقب جميع أعمالها .

ويخص ديوان الموقع بمهامه المتمثلة في الإجابة التي ترد في المكاتبات
بصفة ، وتلخيص الشكاوى والمطالبات التي ترفع إلى ديوان الخلافة من الرعية ،^(٢)
من طريق الحجاب أو الوزراء أو عن طريق مجالس المظالم ، وبمواظبة إعداد
واخراج الوثائق الخليفة أو الوزير عليها ، التي هي في الواقع حلول وتوجيهات
تخرج لأهله والوزراء الإداريين الآخرين

بعد استحداث المراسلون ديوان الموقع بصفة لوائح دولهم ، وكثيره
مكاتبات والمكاتب التي تصبح أحياناً إلى قرارات عاجلة ، لا يستطيع الخليفة
أو الوزير التصرف فيها كلها في آن واحد .

- (١) مخزن العلوم ، صفحة ٥٠ وحاشية () والمحرر كأنه لا عائق ، وهو نقل
الكتاب من سواد النسخة إلى بيان بقي ()
(٢) كتاب مرتبة ومنظمة حسب تاريخ وعولها وتاريخ الرد عليها ، (قاسون
ديوان الرسائل صفحة ١١٢) .

(٣) Samon, "Some aspects of the theory of state and
administration under the Abbasids, in Islamic culture,
v 29 p.140-141.

لقد وردت في كتاب التوقيع عند خلافة هارون الرشيد ، حيثما كان منسوبة
لبرمكي مولياً أمر الوزراء ، فقد أدت كثرة المكاتب وصوب وقت الوزير في
إسناد أمرها إلى الكد ، لمصرفها فيها ، بما ينفق والعدل^(١) إلا أن هذا الوضع
لم يطبق شيئاً فكانت المكاتب الهامة تفرع على مجلس الخليفة لمصرفها
ثم يقتصر اختصاص ديوان التوقيع على بعض المشكلات ونسكاوي لإدارتها
فكانت كل من صاحب هذا الديوان كان يشرف أيضاً على كافة الأمور التي تستدعي
موقع الخليفة ، كصرف مبلغ من بيت المال ، أو الصرف على فرد معين بمولي وطبقة
أو غيره .^(٢)

٤ - ديوان الخاتم :

كانت أي مكاتبه يفرع عن دار الخلافة يرسل منه إعدادها إلى ديوان الخاتم
فحرم بحيث ونظم بالسمع ، وهذا يعني أن هذا الديوان كان ينفذ الأوامر في
إعداد المكتوبات الرسمية ، قبل إرسالها بالمرسوم إلى جميعها^(٣)
ويذكر ابن خلدون أن ديوان الخاتم كان يضم موظفين اثنين يتولون بإخراج
كتب الخليفة إلى جميعها ، وأن ذلك كان يصدر عن الخاتم بحرمها^(٤)
وخصها بخاتم الخليفة

وقد تم إنشاء ديوان الخاتم ، بعد عهد الخليفة أبي جعفر المنصور^(٥) وكان
هذا الديوان يختص بأقسام خاص من الختم ، لذلك يرى الخليفة هارون الرشيد ،
يوكل أمر الدواوين كلها إلى يحيى بن خالد البرمكي ماعد ديوان الخاتم فإنه

(١) كتاب الوزراء والكتابة ، صفحة ٢١٠ و ٢١١ .

(٢) جاء في الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٨١ ، ٨٢ ومن أجداد
سنة ١٧٠ هـ وعند ذكر بعض سيرة الهادي ، أنه أسمع حاجب الخليفة الهادي
عن صرف مبلغ من المال ، كان قد أمر به الخليفة لأحد عديته وهو عيسى
بن دأب خرج عيسى بن دأب إلى صاحب ديوان التوقيع لكي يسأل به أمر
صره .

(٣) Samad: Some aspects of the theory of state and
administration under the Abbasids, ٧٣٥, p. 140.

(٤) مقدمة ابن خلدون صفحة ١٩٥، ١٩٦ . [٥] كتاب البلدان ، البلقوني ، صفحة ٢٤٠

وقل أمره إلى أبي العباس الطوسي^(١) ثم أمد هذا الديون رضى وريزه العصر بين
ربيع سنة سكة البرامكة ، وكان ذلك سنة ١٧٢ هـ . واسم هذا ديون يباشير
حتماته حتى أواخر العصر الأول للدولة العباسية .

٥ - ديوان الحسبة :

يقول الماوردي (الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، وسهي عن
منكر إذا ظهر فعله)^(٢) وقد احسن ديوان الحسبة بالانحياز على مراعاة
الناس بطوائف المدينة التي يسمها الشريعة الإسلامية والتي سبقت بالمعاملات
فيما بينهم وصفت سلوكهم ، والمحافظة على كل ما يعمل به صالح المجتمع وسلامته
والتمسك لمنع ما يضره .

وقد جرت العادة أن يختص بالحسبة ديوان خاص يرأسه المحاسب^(٣) كان نظام
الحسبة موجوداً منذ بداية الإسلام ، إلا أنه ظهر بوضوح منذ خلافة المهدي ، ويرجع
ذلك إلى إرداء المص الإسلام واستماعها في العصر الأول لندوة بحسبه ، وسعد
المعاملات بين سكانها^(٤) .

وكان من أهم الأعمال التي اختص بها ديوان الحسبة ، كما ذكر الماوردي
هو كل ما يعمل بالمعاملات التي تستحق بالعتق في البيع أو الشراء ، في أي صورة
من صورها ، وردع الخاتم بها ، وذلك وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية

(١) كتب التوراة والكتاب ، صفحة ١٧٧

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الباب المختص في أحكام الحسبة
صفحة ٢٧ .

(٣) جاء في الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، صفحة ٢٢٨ . وجميع الولايات
الإسلامية بصورها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لكن من تمويش
من يكون بصرفه الشاهد المؤمن ، والمطلوب منه . بعد ، من صاحب
الديوان . ومنهم من يكون بصرفه الأمر المطاع ، والمطلوب منه . بعد ،
مثل الأمير والحاكم والمحاسب .

(٤) S. Amey Ali, "A short history of the saracens" P 420

والاهتمشان على إقامة المصبات المعروضة ، ورعايته المصافي كأشور المدن ،
وإصلاح الطرق أو مصادر المياه الخاصة بالخرب ، وكان عليه في هذه الحالة
أن ينفق على هذه المواضع من بيت المال ، فإن كان حادياً عهد إلى كبار أهل
البلد وأثريائها بالإنفاق عليها .

كما كان من أعمال المصنمين مراعاة سداد الديون في مواعيدها متى توجب
دفع المصنفين على ذلك ، وسددهم الدائن بالشكوى كدفع من أعمار التجار
وخصاماته العمل على ترويح القادرين من الرجال والنساء ومراعاة نظافت وبيع
الناس من مواقف الربيع وحمايته الآداب الخاصة ، وحتم المولدين والمكاتبـــــــــــــــــل
تسقطه في الأسواق بحاتم خاص ، والنظر في سخط الأفراد على حقوق الحوز ،
وحمايه أهل الدخ من اليهود والسامري وغيرهم من يجرى أحد من المصنمين بهم
بأي إهانة أو تعدّ - بالإضافة إلى مراقبه معاملته الناس لخدم والمبيد والنساء ،
وحمايه الطرق العامة وإحلالها من كل ما قد يهت حرراً لمساكنه أو إعاقة حركه
الناس والدواب فيها - كذلك العمل على تركيز كل أصناف مهيه أو صـــــــــــــــــل
أو حرمه في مكان واحد حتى يسهل عليه مراقبتهم ، وكان عليه أن يستعب من بين
أهل كل صناعة رجلاً يكون حرساً بها ، لتعرف على أحوالها ، ويظلمه على أحبار
الخاصين بها ، كما كان عليه منع الاحتكار ، والفرق بالحيوان ، ومراعاة عيونه
السوق ولاشراف على وصول المواد المداشه إلى الأسواق بكميات وغيره^(١) ، وكان
يخصص دسراً لمجبل أسماء أرباب الخرب ليمهل عليه الإشراف عليهم ومراقبتهم ،
وكان مع المحقق أعوانه يساعدونه ويطوفون معه الأسواق والموانيت ، ويتوسمون
بسطيق ما حاسب به الشريعة عليهم .

١ الأحكام السطانية والولايات الدينية ، من صفح ٢٨٨ إلى صفح ٢٩١ .

ويذكر القبطي أنه كان على المحلف ألا يبقى بعداً من أخوانه أو عيوسه
عنى طائفة من أصحاب الحرف مدة طويته ، حتى لا يسميونه بالرسوخ ، وألا يحير
أحدًا بوجهة حروجه حتى لا يمس حيره إليها ، فيطمس المحفلون مدغم حريمهم
أو يغيروا من طرق مقامهم للدار . كما كان من حق المحلف بمصادره كل
بغاة فاسد يعثر عليها (١)

٦ - ديوان الشرطة

اهم العباسيون منذ قيام دولتهم بنظام الشرطة فقد اعد أبو مسلم
الخراساني أبا اسحاق صاحب شرطه له نوكان من أمراء أصحابه ، مد أن بدأ يدعو
لنصبهم في خراسان (٢)

وقد كان لأصحاب الشرطة مركز مهم في الولايات ، فيذكر ابن كثير
أنه لما توفي والي خراسان سنة ١٤ هـ ، في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ،
تولى صاحب الشرطة فيها معرفة الأمور حتى قدم إلى البلاد تولى الجديد (٣)

كان لكل من الخليفة المنصور والخليفة المهدي صاحب شرطه في بغداد ،
وقد عده الخليفة المنصور خلال سائه مدسه بغداد مكاناً متنبهاً يجلس فيه

(١) آداب الحسبة ، ص ١٠ .

وكان يشترط لبعض يختار لمصحب رشقي ديوان الحسبة عدة شروط منها
الاسلام ، وحسن الدين ، وأن يكون غنياً من أموال الناس ، متورعاً عن
قبول الرشى ، قادراً على الأمر والنهي ، سليم الجسم ليس به عاهة ، مديماً
بأحكام الشرع وقوانينه ، حتى لا يظلم الناس . وجاء في البداية والنهاية ،
المجلد السادس ، الجزء الحادي عشر ، صفحة ١٤٥ أن الكلبر من الأفراد
الذين يتولون الحسبة تولوا فيما بعد القضاء في بغداد وهي غيرها من
المدن مثل أبا الحسين عمر بن الحسين بن علي السجستاني الذي تولّى
القضاء وكان مختصاً بمعداك من قبل .

(٢) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٧١

(٣) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٧٥ وكان نائب
خراسان يدعى أبا داود ، أما صاحب شرطه خراسان فهو عاصم كما ذكره
ابن كثير

صاحب الشرطة ، لينظر في أمور ديوانه ، ومكاناً آخر لإقامته وحسن شرطته^(١)

فمن لشرطه أهميتها في عهد الحلفاء الميمني والهادي والرشيد ، لا أن
عنه بين الخليفة الأموي وأبيه المأمون أدب إلى احتلال الأمر ، وبالتالي
في ظهور جماعة عرفت باسم المقطوعة ، وسحب هذه الجماعة في إقرار الأمر ،
والعرب على أيدي العباسيين ، وسماوت مع الشرطة تعاوناً متدقاً ، فكانت تلحق
القبض على المتمردين وبسلبهم للشرطة .^(٢)

وعندما استقرت سلطة الخليفة المأمون ببغداد سنة ٢٠٤ هـ عاد استبداد
إليها ، وبولي طاهر بن الحسين شرطتها سنة ٢٠٥ هـ فأتاب عنه في الاشراف عليها
إسحاق بن ابراهيم المصفي^(٣)

قامت الشرطة في عهد الخليفة الوثني بدور كبير في التحقيق الذي أسس
به سنة ٢٢٩ هـ مع كتاب الدواوين الذين نصب عليهم لإشرافهم وإعمالهم ، واستغلالهم
وظائفهم ، وأشرف على التحقيق إسحاق بن ابراهيم رئيس شرطة بغداد ، بتفويض
من الوزير محمد بن عبد الملك^(٤) وقد أسهمت الشرطة بدور كبير في احصاد
الثروة التي دبرها أحمد بن نصر بن مالك ضد الخليفة سنة ٢٢١ هـ في بغداد ،
فقد سكتت الشرطة من القبض على الثائر في الوقت المناسب ، وحققوا معه ،
حتى امسكوا ، وأرسلوه إلى الخليفة الوثني^(٥) ، كما سكتت الشرطة من القبض على
أبناؤه فيما بعد ، كما أن الشرطة سكتت في نفس العام من القبض على النصوص ،

(١) كتاب البلدان ، المصنوعي ، صفحة ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٠ وقد ولي شرطه لحديفه
المصور لبعض الوقت موسى بن كعب المصفي ، وولي شرطه المصفي
عبدالمعطي بن عبد الرحمن الأزدي .

(٢) الكامل في التاريخ ، من أحداث سنة ٢٠١ هـ ، المجلد الخامس ، صفحة ١٨٢ ،
١٨٣ ، وكان يرأس جماعة المقطوعة خالد الميوش ، وسهل بن سلامة الأنصاري
وكان لكل منهما جماعة ، وهما واحد .

(٣) تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، الجزء الأول ، صفحة ٩٢ وجاء فيه (وأما
دار إسحاق فمملوكة إلى إسحاق بن ابراهيم المصفي ، وم يول ببولس
الشرطة من أيام المأمون إلى أيام الموكل - -)

(٤) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء الثاني ، صفحة ٣٠٦ ، وجاء فيه
(- وحلى إسحاق بن ابراهيم للمطر في أمرهم ، وأقيموا بسنن واعتصموا
هم والدواوين فصبه ببيعة - -)

(٥) الكامل في التاريخ المجلد الخامس ، صفحة ٢٧٢ ، ٢٧٤ .

الذين ظفروا على بيت المال بمعداة

وكان صاحب الشرطة يرأس ديوان الشرطة بالمدرن الكبيره ، ويعمل في هذه

الديوان تحت رئاسته :

الحرس الثمانيون { الطوائف } ، ويقومون بدوريات ليليه منسظمة بحمايه

الممتلكات وأرواح المواطنين (٢)

الأيوون وهم قوات الشرطة التي يشار بها في القبض على المجرمين

بالأحرى .

المحائون وكانوا يشرفون على السجون الموجوده في بغداد وعمومهم

الولايات .

وكان عمل الشرطة يبدأ بالقبض على المجرمين ، وإجراء التحقيق العبدشي

(٣)

مهم ، ثم يحولون إلى القضاة لتحديد مدى جرمهم وعقابهم ، فإذا لم ذلك
سليمهم الشرطة مرة أخرى ، لإتمام الحدود عليهم ، وتنفيذ الأحكام التي صدرت بشأنهم (٤)

وقبل أن نهي الحديث عن ديوان الشرطة بإيجاز ، ينبغي أن نلقي الضوء

على المهام الرئيسية للشرطة .

١ - حراة الممارل والمساخر ليلاً ، حيث كانت الشرطة تظفر القبض على بدين

يحولون في الشوارع في الأوقات المسأخرة ليلاً ، كما كانوا يقومون بالتحقيق

في حوادث السطو ليلاً أو نهراً (٥)

(١) ركنل في المشرح ، المجلد الخامس ، صفة ٢٧٢ ، ٢٧٤

(٢) S Amer Al: A short History of the saracens" p.419

(٣) كتاب بغداد ، صفة ٤٢ .

(٤) مدة سعلق بالمنظيمات السياسية المحتمة بالحرب والفرس و العربك ، صفة ٦٧

(٥) الفرج بعد القدة ، الجزء الأول ، صفة ١١١ .

- ٢ - حراسه الحسوس والمخابر في المدن ، ومراقبه انماير عنيها لمصط بهاريين وحفظ المظنم .
- ٣ - التحقيق مع الخارجين على الدين والمريدين ، وسفيد احكام بقضاء فيهم
- ٤ - التمتع على المصارفين حتي يحون موعد ماعظرتهم .^(١)
- ٥ - اسدي للشوات العامة التي تكون من اللطاب ، ومهاجمة اجناعات المشاعيس والقصر على اصحاب البدع
- ٦ - حر من السجون وسقط بهاريين منها ، وردهم إليها^(٢)
- ٧ - التحقيق من الشكاوى التي تقدم إليهم من الناس ، وكانت الشرطة تقدم تقارير يومية مما يقع من الأحداث إلى رئيسهم ، فبرعها إلى الوالي أو الخليفة ، وكانت هذه التقارير توضح عدد الحملات التي قاموا بها^(٣)
- ٧ - دواوين إدارية أخرى :

كانت هناك دواوين إدارية ومالية أخرى ، نثي في لأهمها ما سببق وأن ذكرناه .

ومن هذه الدواوين

- أ - ديوان قريش والعرب وكان يجمع بمصر الخراهم ، ويبيع مطا ثابت عليهم
- ب - ديوان الوكالة أو الدية وكان يشرف على كافة أملاك الخلفاء في سواهم الدولة ، كما كان يشرف أيضاً على قصر الخليفة ومراقبه خيله ، ويعمل به عدد من الموظفين .^(٤)

١١ - وقد ذكر الصابي في صفه الأمراء في تاريخ الوزراء صفة ٢٩١ أنه كان على صاحب الشرطة حصر هذه الماخرات ، وكان الشرطة يجمعون على أموال وممتلكات من يتم القبض عليهم .

- ٢ - البداية والمباية ، المجلد السادس ، الجزء الحادي عشر صفة ١٢، ١٣
- (٣) الفرج بعد الشدة ، الجزء الثاني ، صفة ٤١

٤) Samad, "Some Aspects of the theory of state " ٧٢٩, P143

ج - ديوان لربحية القنوط والحسور

د - ديوان التهر (ديوان الماء) وذكر المقدسي أنه كان بحراجان ديوان

المهر ، وكان موظفوه يراقبون تمرعات

المياه من الأنهار لتوزيعها بالتعدل بين

(١)

المرارعين .

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم صفحة ٢٢٦ وحات فيه ١٠٠ فإد فهدر

المسولي لذلك ، ألفه المريد ساعبه إلى ديوان سهر حاصه ، ثم يفسدون

الوسل إلى جميع المسؤولين شعب الأنهار ، فيقسموا الماء على ذلك المقدار ،

وعلى الموضع الذي ذكرنا أولاً ١٠٠٠ .

وكان يطلق أحياناً على ديوان المهر في بعض الأقاليم ديوان الماء

الباب الثاني

مصارف الدولة

في العصر الأول الدولة العباسية

الفصل الأول : مصارف الزكاة .

الفصل الثاني : مصارف الجزية والخراج والعشور .

الفصل الثالث : مصارف القناتم .

قال الله تعالى :

.. إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْمُقَرَّبِينَ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ
عَلَيْهَا وَالْوَلَفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

القرآن الكريم

سورة بقره آية ٦٠

الفصل الأول

مصارف الزكاة

- بين مصاريف الزكاة ونفقات الدولة

إن الحديث عن مصارف بيت المال في العصر الأول للدولة العباسية

حديث يرتبط كل قاري أن يخرج منه بمناخ طيبة ، ومعلومات قيمة وأهمية عـــــــ
كل ما كان يعرف من بيت المال ، إلا أن الباحث والقاري، يصطدمان بمشكلاته
مدره المعلومات الواجب توفرها ، وقد تكون هذه المعلومات موجودة في مكتبه
بعض البلدان التي تمت بريلزها ، إلا أن السبل إلى معرفتها كان صعبا
يحدث سباحة لا يتمكن من إسماعها بحجم الذي ينبغي أن ينحصر فيها يخصصه
على فوائده المعروفة والإنفاق على المصطلحات الاجتماعية وغيرها

ومصارف بيت المال تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

- أ - مصارف الزكاة وما يتصل بها .
- ب - مصارف الجربة والحراج والمستور وما يتصل بها .
- ج - مصارف الخلائم وما يتصل بها .

وقد بين القرآن الكريم ، والشمه النبويه ، وعمل الصحابه ، رموز بله عندها
مصارف هذه الأبواب .

فإيراد بيت المال من الزكاة والمدقات تصرف في مسانده طوئف ، هذا ذكرها في
القرآن الكريم ، قال الله تعالى : " إنا المدقات بطفقاء والمساكين ونعالمين
عليها ، والمؤلفه فتوبهم وفي الرقاب والمزمن ، وفي سبل الله وابن السمين ،
فريضة من الله ، والله عليم حكيم " (١)

وبذكر فيما يلي شرحا وبياناً لهذه الطوائف :

الفقراء : والمفقر هو الذي لا شيء عنده أو المحتاج المتعطف الذي لا يأكل وقـــــــد
إنفق العلماء ، على أن كل من لا يملك مائة الزكاة يعد فقيراً ، ولو كان ذلك
المصاب من حاجاته الأصلية ، وهذا فرق بين من محب عبده الزكاة ومن يستحقها (٢)

١ القرآن الكريم سورة النبوه آيه ٦٠ -

(٢) النظام المالي في الإسلام صفحة ٩٧ -

فالعقير أكثر حاجة من المسكين لأنه لا يملك شيئاً ، أما المسكين فيصح أن يكون مازكاً ليعتص المال ، إنما الذي يملكه لا يملكه هو ومن يحوز ، واستدل على هذا القول بطوله تعالى :-

" أما السخيفة فكانت لفرسان يعطون في البحر^(١) فومعوا بالمشكاة مع أنهم يملكون فيها ، فدل ذلك على أن المسكين يصح أن يكون مازكاً يستحق المال^(٢)

ولقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) " لا تحزن المدقة لعمى ولا لذي مره سوى^(٣) ومن هذا الحديث يعرف أن هناك سرطان لإسحق المدقة ، أو أنها أن لا يكون عمياً ، وتأنسها أن لا يكون قادراً على العمل وله كتب يسير وبخيسير تنويع فيه الصفتان . وقال آخرون إنه من كان قوياً على الكسب والتعرف مع قوة سيدن وحسن التصرف فالمدقة عليه لا تحوز ، لأنه عمى فكيف يمار كاسمي بماله ، بل إن الكمون أبعد من الحاجة ، ولكن العلماء والخلفاء ربطوا الصدقة بالعمى ، وإن لم يطلد العمى يحوز عليه الصدقة ولو كان قوياً قادراً على العمل ساد م ليس كسوباً والحديث السالبي مع الأعداء ولم يمنع العطاء وهو " أرى نبياً صلى الله عليه وسلم رجلان وهو يضم المدقة فإلاه عمياً ، فربح فيهما النظر وحفظه ، فترأها جلدش . فقال إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لعمى ولا بطوي مكتسب^(٤) .

وعنى المصوم فالعريق بهن الفقير والمسكين ليست ذات أهمية كبيرة بالنسبة لمعروفات الركاه لأن كلاهما يستحق الركاه .

- ١) القرآن الكريم سورة الكهف آية ٢٩
- ٢) النظام الاقتصادي في الإسلام صفحة ١٠٢
- ٣) من أبي داود م ١ ج ٢ صفحة ١١٨ حديث رقم ١٦٣٤ والمرتبة بمعنى القوة في المعجم الوسيط ج ٢ صفحة ٨٦٩
- ٤) بطوغ المرام من أدلة الأحكام صفحة ١١٦ . وكذلك سنن أبي داود م ١ ج ٢ صفحة ١١٨ حديث رقم ١٦٣٣ -

المساكين

والمسكين هو الذي عنده شيء لا يكفيه ، روى عن الإمام مالك أنه قال : العفيصر يحتاج المسعف ، والمسكين المائل وقد روي مثله عن ابن عباس والزهري ، وهو قريب مما مر به أبو حنيفة إذ إن عمر المسكين أشد حاجة من الفقير

وبناء عليه يجب على موزع الصدقات أن يُعطي من يطلبها إذ ثبت حاجته ، ويجب عليه أيضاً أن يبحث عن المسعفين من الفقراء الذين لا يملكون أحداً من الناس ولا يعلمون عن حاجتهم وبالتالي لا يطلبون الصدقة لا من الدولة ولا من غيرها ، كما كان يبحث عنهم عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] ، وبعض الخلفاء في العصر الأموي وكذلك في العصر الأول للدولة العباسية ، فقد ذكر المعقوبي أن يحيى بن عباس التميمي قرأ في كتابه من لأموال في الصدقة والسنة ووجوب البر بعمدة ، ويترتب من رأى وبالكوفة وبالبصرة والمدينة ومكة خمسة آلاف دينار ، وبالدرهم = ١٠٠ = ١٥ = ١٠٠٠ ر - ٧٥٠ درهم = خمسة وسبعون مليون درهم (١) وجاء في كتاب الخراج^(٢) أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل الشيخان يهودي الحرير من مسجلي الزكاة وحفظه من المساكين من أهل الكتاب ، ومن هذا جاز إعطاء الزكاة إلى المساكين من أهل الكتاب شرط أن يكونوا فقراء ، فاجرب من مسك الكسب ، أن القادر من مؤحد منهم الجربة ، وليس من الضعول أن مؤحد منهم الحزبة ويعطوا الزكاة ، وكذلك كان الحال في العصر الأول للدولة العباسية

مقدار العطاء للفقراء والمساكين

فهؤلاء الفقراء والمساكين يعطي لهم من أموال الزكاة ما يحرج الفرد منهم من صفه الفقر والمسكنة إلى أدنى مراتب العيش بحيث حالهم بوجبات لا يمتدح ما يُعطي للفرد عشرين ديناراً أو ما شئ درهم لعدم وجوب الزكاة فيما أُعطي .^(٣)

(١) كتاب البلدان ، صفحة ٢٧١

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٢٦ .

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية صفحة ١٢٩ ، وهو يقدر لإمام أبو حنيفة [رضي الله عنه] لأكثر ما يعطاه الفقير والمسكين .

وأرى أنه لا يأتي بالربادة إذا كان مال الصدقات كثير ، لأن ما يعطى منفق
ربما لا يبقى عنده حولا لتخت فيه للركاب

وقد كان الفقراء والمساكين في العصر الأول للدولة العباسية ، وهو عصر
ندي مؤرخ له - يعطون من هذه الأموال ما يبعدهم عن المسكنة والفقر ، ويخرجهم
من انفاقهم والفساد ، ويقربهم إلى أدنى مراتب النعم واليسار ^(١) وهو ما نصح
به القاضي أبو يوسف للحليفة هارون الرشيد في كتابه الحراج

هذا بالامانة إلى أن عمر من الحطاب (رعي) لله عنه كان يظن فيما
رواه أبو عبيدة بن عبد الله - " إذا أعطيتم بأفوا ... " ^(٢) وأنه قال للمساءة " كرروا
عليهم الصدقة ، وإن راح على أحدكم مائة من الأبل " ^(٣) .

ولذلك فإن لب عبدة الفقيه الحنفية في الشؤون المالية في الإسلام أنه مذهب
المروسة في الإعطاء بشير حدود ودون تعسف .

هذه هي السياسة التي اتبناها الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية
وهي إعطاء ما يكفي ورعاية بالنسبة للفقراء والمؤلفين ويظهر ذلك جلياً في رواه ابن
خاطبة أنه وصل إلى الخليفة المأمون ثلاثون ألف ألف درهم (٣٠٠٠٠٠ ر)
أي ثلاثون ألف مليون درهم ، وكان الناس في صائقه ، فاستبشروا بهذا المال ، ولم
يسخطروا ولم يؤجل الخليفة المأمون توزيع هذا المبلغ فكثير على الناس إلى يوم
الناس ، ولكنه استدعى كتابه وأمرهم أن يوقعوا بهذا بألف ألف ، وبذلك تمسكوا
ولاحق بأكثر منها ، حتى مرق أربعة وعشرين ألف ألف درهم (٢٤ ألف مكرثرلات
مرب) ورحله في الركاب ، ثم حول الباقي على عارص بحيث يوصم مصاح الحسد
هكذا كان الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية يخطون عطاء ، يخرج
ناس من الفقر إلى النعمي ^(٤) أما العجز المأمون من مرض وحوه ، فإن الركاب

(١) النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١١٢ .

(٢) كتاب الأموال ج ٢ صفحة ٦٧٦ .

(٤) شعري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، صفحة ١٢٥

بالسنة لهد العلف من الناس عليه دائمة مستطعة حتى يرول العقر بالسعي ، ويروى
 أنجور بالفقره والبطاله بالكسب لأن الذين الاسلامي بفرصة الركاه إنما يهتدي
 إلى تحقيق مستوى لائق للمعيشة سواء للمفقير أو المكنين ، لائق به بوصفه إنساناً
 كرمه الله سبحانه ، وإستخلفه في الأرض ، ولائق به بوصفه مسلماً ينتسب إلى دين
 العدل والاحسان ، ويسمى إلى دين الله أخرجت للناس ، ثم إنه يعطى تمام كفايته
 لمدة سنة كاملة ، لا لشهر أو شهرين ، بل وسعدى هذه السياسة فتشمل مائة
 أهل الكسب بعد إسقاط الحرية عنهم ، وقد رأيتهم في عمل الحرية ، وكيف أسهم
 سولوا المصاحب الرقيق في الحمر الأول للدولة العباسية وحس مبادئ الخلفاء لهم .

والعاملون عليها وهم العائمون بجمع الركاه من أعيان المحروطين
 ويبحثون عن ذوي الحاجات ويوزعونها على مسخضها ، وهم الجباه ونكسها
 والحراس ، فيدفع لهم مصيبتهم عليها .

إن لم يكفر سهمهم فيكمل لهم من موزر الأسهم لأخرى أو من بيت المال
 من أبواب المصالح الأخرى .

وحيث في المقدار الذي يأخذونه ، ومادا يكون الوضع لو أن العامل يسمى
 عليها من المباشرين ؟ .

فقال بعضهم في المقدار الذي يأخذونه يعطون على قدر أعمالهم وكفايته
 أعمالهم بالمعروف كالمعاشي والمجسب والنوالي فكل عامل بقدر ما يعمل وما يكفيه ،
 والعاملون عليها يأخذون ولو كانوا أعياناً (١) .

ورأى البعض الآخر أن يكون لهم الثمن ، بل يضمن أن المذكورين ثمانية
 (١) النظام المالي في الاسلام صفحه ١ وهو رأي الامام أبو حنيفة وكذلك الامام
 مالك (رضي الله عنهما) .

أصنافه وإنما هو آخر عمل ، والعمل يقدر بقدره ، ويقدر ما يكفي القائم به وأهله بالمحروف - (١)

وأما المسألة الثانية فإن الركاه لا تعطى للمهاجرين على رأي أكثر العلماء ، ولكن إذا عملوا في الركاه أخذوا على أنهم عاملون ، يحتفظون أجراً على عملهم لا على أنهم معراة .

ومن العلماء من قالوا لا يعطون إن عملوا شيئاً لخرج ودفع لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعطهم شيئاً ، ومن ثم قالوا لا يعطون شيئاً ، وتزويهاً لهم عن التطلع لمثل هذا العمل .

وفي العصر الأول للدولة العباسية فرق الخلفاء الكبير بين الأموال على أهل مكة والمدن بعمامة وعلى الباتسين بحاجتهم لا بظنهم بالعمل هذه الأعمال ، فقد روى الطبري أنه لما قدم الرشيد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أوقفه بمكة محمد بن أبي ، وعبد الله المأمون ، فأعطى فيها العطايا ، وقسم في تلك السنة في رجالهم وبناتهم ثلاثة أضعاف . فكانت الثلاثة الأضعاف التي فيها فيهم ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار . وعرض في تلك السنة لخصمته من وجوه موالين في المدينة (٢)

وأما الخليفة الواصل وفي أواخر العصر الأول للدولة العباسية ، فقد

(١) النظام المالي في الإسلام ص ١٠ وهو رأي الإمام الشافعي رضي الله عنه .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء السادس ، صفحة ١٢٣ من أحداث سنة ١٩٣ .

أموالاً جمع بمكة والحدبة وسائر المدن على الشاسعيين ، وسائر هريش ١٠٠ ١

وليعامل على الركاء عمل كبير وسواب عظيم ويكتب له من العمل والثواب

كسماوي في سبيل الله ، لأن كلا منهما في عمل للإسلام فمن رافع بن خديج قال

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول " العامل على نفسه بالحسنى

كائن في سبيل الله حتى يرجع " {٢} وقد سمع الباقر العاقلون عليها

إلى صفين ٢ -

(١) أحدهما العظيم بأخذها وجبايتها -

اب) والثاني العظيم بخمسها وفريها ، من أمين ومباشر ، ومسبوع وسابع (٣)

وهؤلاء العاملون عليها بهم وظائف حتى ، وأعمال مشهورة كسب يتصور

بمنظم الركاء ، بإحصاء من سبب عليه ؟ وفيه سبب ؟ ومقدار ما يجب ؟ ومعرفة

من يجب له ؟ وكما عددهم ؟ وصنع حاجتهم ، وفرد كتابتهم ، إلى غير ذلك من

الشؤون التي يحتاج إلى حيار كامل من الخبراء وأهل الاحصاء ومن يداوسهم .

ولا يجوز أن يكون العامل على الركاء غير مسلم " وقد أبكر عمر (رضي

الله عنه) على أبي موسى توليته الكثافة لمرانياً (٤) .

(١) تاريخ الخلفاء ، المجلد الثاني صفحة ١٨٢ -

وحاء في تاريخ الحمير في أحوال أهل مصر ، البحر الثاني ، صفحة ٢٢

، وكاتب دولة المهدي مشاركة محمود ، فرق في هذا العام - أي سنة

١٦ هـ - أموالاً لا تحصى ، وأمر بإنشاء رواقات المسجد الحرام ، وحصل

إليها الأعمدة الزخام في البحر ، وقرق في أهل الحرمين ما لم يسمع بسنة

أبدأ ، فقبل بلغ ثلاثين ألف ألف درهم ، وفرد من الثياب مائة ألف ثوب ،

وخمسين ألف ثوب ، ورجع بالمال ، وحمل معه الذلج إلى مكة ١٠٠ ١

(٢) كتاب الأموال ج ٤ صفحة ٧١٩ ، ٧٢٠ -

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية صفحة ١٢٩ -

(٤) الحمير ويليها الشرح الكبير ج ٢ صفحة ٦٩٥ -

وقد كتب أبو يوسف قصلاً في كتابه الخراج وذكر فيه الشروط الواجب توافرها في العمال الفاشقين على الزكاة ، وبعد هذا العمل مسوراً في هذا الشأن .^(١) وكان ذلك في عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي أحس بما جاء فيه ، وطمع على رعيته ، فكان العامل في العصر الأول لندولة العباسية لا يجمع مال يخرج إلى مال المدمات والعشور ، وكان لا يحد عليه ولا يعطي ما يستغرق أكثر الصدقة .^(٢)

عمال الزكاة وقبول الهدايا

لا يجوز لعامل الزكاة قبول الهدية ، فإنها رسة ولو قدمت باسم الهدية وأقل ما فيها نفوس الآحاد للهدية . ومن وقع فيه موصى الهم فلا ينوص مكن أساء به النظر

عن أبي حميد السهدي قال : اسمعيل النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلاً من الأزد يقال له ابن اللبنة . على الصدقة ، فلما قدم دار هذا نكس ، وهذا أهدي إلي . قال : فقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : -

أما بعد فإني اسمعيل الرجل منكم على الحمل ، ساء ولائي الله ، فإني

مجهول :

هد لكم ، وهذا هديه أهدت لي . أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى يأتيه هديه إن كان صادقاً ؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بعير حقة ، إلا لقيت

١ وفي هذا الفصل يقول أبو يوسف في شروط عامل زكاة " حر أمين ثقة عفيف صالح ، مأمون عليك وعلى رعيته ، قوله جمع المذقات في الملبس وشبهه فليوجه فيها أموالاً يرتصيهم ويأكل من مداهم وطرائقهم . وأماناتهم ، يجمعون إليه صدقات البلدان ، عابدين جمع أمراء صلب بما أمر الله جن ساؤه ، فأنفدوه ، ولا تولوها عمال الخراج ، فإن مال الصدقة لا ينبغي أن يدخل في مال الخراج ، وقد يلغى أن عمال الخراج يسمون رجالاً من قبيلهم في الصدقات . . وإنما ينبغي أن يختار للمدقة أهل النفاق والملاح . . " . كتاب الخراج حقة ٨٦ ، ٨٧ .

{٢} كتاب الخراج لأبي يوسف ، حقة ٨٧ .

بأنه يحمله يوم القيامة ، إلا أنقرض أحداً منكم بغير أن يرضى به رغبته ،
أو يعرض لها حوالاً ، أو شاء سراً ، ^(١) ثم رجع يديه حتى رشي بيضاء إبطيه ، يقول
لنفسه هل بلغت ؟ " ومن هنا سبى إلى أنه لا يجوز قبول الهدية لعدم صدقه ^(٢)

هل هناك عمال للزكاة في العصر الحديث ؟

يرى بعض كبار العلماء ، أن هذا النظام " كان مبنياً في صدر الأئمة ، وفي
عهد الدولة الأموية والعباسية ، والعهود التي احتفظت للزكاة بنظامها الخاص في
التجميع والتوزيع ، وكان به يستحق العامل أجره عمله من نفس من الزكاة ، ويرى
بعض الآخر سقوط حق حياة الزكاة لعدم ممارسته هذا الأمر في العصور الحديثة .
وقد دلت الأبحاث ، وسير التوسع وأهل حاسب الزكاة ، فلم يجد بها نظام جديداً ،
وبذلك يستطيع أن يقرر أن هذا الصنف قد سقط من دائره الاستحقاق إلى أن يتمسكه
بالزكاة نظاماً ، ويحين لها جبايتها ، وهذا من وقف النص بعدم صحته ، وليس من
لحمه لعدم صلاحيته " ^(٣)

المؤلفة فلوبيهم - وهم جمع من الذين لم يعلموا أو أعلموا وفي فلوبيهم مكرم ،
بأنهم ولي الأمر يدفع شيء من مال التمدعات ، لمربيهم أو تربيهم فلوبهم فلوبهم
الاسلام ، أو كف آدابهم عنهم .

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحظى بعض الناس بتأليف
فلوبيهم الاسلام ، كما أعطي أنوسيان ، والأقرع بن حابس ، وعباس بن مرد بن عمرو

(١) تيسر ٢ بمعنى تبيع

(٢) الترييب والمرهيب ج ١ صفحته ٢٧٧ وكذلك كتاب الخراج لأبي يوسف صفحته ٨٨

(٣) الامام الأكبر محمود شلتوت في كتابه الاسلام عقيدة وشريعة صفحة ١٠٢ .

أبي أمية وعبيده من حمص ، كل واحد منهم مائة من الأبل ، حتى قال صفوس
 لقد أعطاني وهو أبعد الناس إليّ فما زال يعطيني حتى كان أحب الناس إليّ ، ثم
 هي من أبي بكر (رضي الله عنه) جاء عبيده والأفرج بطنايا أرضاً ، فكتب إليهما
 بها ، وجاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فمَرَّقَ الكتاب وقال : إن الله أَمَرَ
 الإسلام وأُعطى بكم ، فإن بهم عليه ولا فيما وبكم الصنف ^(١) فمَرَّقُوا إِلَى
 أبي بكر (رضي الله عنه) فأحبروه بما صنع عمر (رضي الله عنه) وقابضو ألب
 الحليفة أم عمر ؟ قال هو في شاء ، ولم ينكر أبو بكر قوله وعبيده ، وبسبب
 ذلك عامة الصحابة لم ينكروا فمَكُرَّ ذلك إجماعاً على ذلك ^(٢) .

قال الطرطوسي " لما أَمَرَ الله الإسلام إجمعت الصحابة (رموز) على
 منهم (في خلافة عمر على طوط منهم " ^(٣) .

وقال أبو يوسف : " والمؤلفه للتوبه قد ذهبوا " ^(٤) .

وكان الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية يحاولون تكبير وزيادة موارد
 الركاز (الصدقة) بطرق الامتياز ، حتى يتم إنفاق هذه الأموال في الوجوه الثمانية
 (١) فتح الإسلام صفحة ٢٢٨ ، وقول صفوان موحود بسن الترمذي م ٢ صفحة ٨٨
 (٢) هذه الركاز ج ٢ صفحة ٦٠ وجاء في الحمصي ويليهِ الشرح بكبير ج ٢ صفحة
 ٥٢٧ " إنقطع بهم المؤلفه فلوبهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
 وقد أَمَرَ الله تعالى بالإسلام ، وأُعطاهم أن يتألف منه رجال ، فلا يمتطي
 متركه تالفاً بحال " .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ صفحة ١٨١ .

(٤) كتاب المراج لأبي يوسف صفحة ٨٧ .

المذكورة في القرآن الكريم ، لذلك فإننا نرى الطبيعة المهيبة وقد حور لأراسي
بحر حيه إلى أراسي للمدقة لمتفق إيرادها في التوحده السمانيه المذكورة في سورة نبويه^(١١)

وأي أنه لا يزن الداليف بوجوده في عصرنا هذا بصورة أو أخرى ، ويوجد من ينطبق
عليهم شروط المؤلفه قلوبهم ، ولو خارج حدود الدول الاسلاميه ، ولأي أيعبأ
أن يرصد الحكومات العربيه والاسلاميه بعض المبالغ بلدعوه إلى هذا الدين ، وبشره
في كسر من الدول ، ولأي لا يقتصر هذه المبالغ من سيم بمؤلفه قلوبهم في الركاه
محسب ، بل ينبغي رصد موارد أخرى للميوس بهذا الحيه ، وإذا كان مفهوم الاسلام
قد لجأوا إلى هذا الباب ، وأغنموا مشروعات " الداليف والمقويه " ^(١٢) والنسبي
بمعدون بها صفاء المؤمنين ، وبؤلمون بها الأعداء ، عنينا ، فمن باب أولى أن لا نستد
نحن هذا الباب علميا ، وقد فصح الله سبحانه وتعالى علينا بمصر عيه ، وأورد
بكلمة واضحة تحبل معناها وتؤدي غايتها .

كما ينبغي علينا أن نرسل السموت من العلماء والأطباء وعبرهم في لائق
والأمقاع لإسعاد كلمه الدين ، وبيان أسرار ومخاسنه ، وبدل الأموال لدوي لتعود
من مساهير الكتائب والعلماء من الديانات الأخرى ، لأشهار سماحه الاسلام ونشر
مبادئه العظيمة ، وكذلك أن نعمل على إثناء الصمصمات والملاحين ، والمعاهد
بخدمه هؤلاء الذين دعانا الاسلام لداليف قلوبهم .

(١١) القرآن الكريم ، سورة النبوة آيه ٦ ، وجاء في صوح البلدان ، صفحه ٣٦١
وعنه الحديث عن معمر المصرة ، (وبالعراق أرمون أطم أهلها منيها ،
عين دخلها المصنوعون ، وأرمون حرجت من أيدي أهلها إلى قوم سلحيين
بهيئات وعبر ذلك من أسباب الملك ، فصيرت عشيرة ، وكاتب حراحيه ،
فردّها الحجاج إلى الخراج ، ثم ردها عمر بن عبدالعزير إلى صدقه ، ثم
ردها عمر بن هبيرة إلى الخراج ، فلما رأى هشام بن عبدالملك ردّه بحصه
إلى الصدقه ، تم إلى المهيدي أمير المؤمنين جعلها كتب من أراسي بصدقه)
(١٢) لاسلام عقيدته وشريعته صفحه ١٢٠ .

وعده لأموال التي تبعد تكون من سهم المؤلفة قلوبهم ، بل ومن موارد لأخرى
 بل لم تكف .

وإد ، رجعا إلى أصناف المؤلفة قلوبهم نجد أن منهم " صنف الإيمان والذي
 أسلم حديثاً ، يُعطى منها ليقوى إسلامه ، ومنهم من أسلم وله شرف في قومه ،
 ويوقع بإعطائه من الزكاة إسلام غيره من الكفار ، ومنهم من فوي الإيمان ببوعه
 بإعطائه أن يكفينا سر من وراءه من الكفار ، ومنهم من يكفينا شر مايع بركاه"^(١)
 ومنهم من سأل قلوبهم ذلك عن المسلمين^(٢) هؤلاء جميعاً يعطون من سهم
 المؤلفة قلوبهم مسلماً كان أو مشركاً .

ونرى هل يعطى المشرك إذا كان من المؤلفة قلوبهم ؟ نعم وقد سئل الزهري عن
 المؤلفة قلوبهم فقال " مَنْ أسلم من يهودي أو نصراني ، فليس وإن كان غيباً ؟
 قال : وإن كان غيباً " .^(٣)

وبذلك أن الداخل في الإسلام قد هجر دينه القديم ، وصحى بما بهنكته ،
 وكسراً ما يحارب من عسيرته ، ويهدد في روعه ، وهذا نصري جدير بالمشجيع
 ولتشجيع والمحمود والمرعوب أيضاً على الثبات على هذا الدين بل ودعوه بدير إليه .

فمن أسر (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يكن
 يسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه ، قل :

" فأما رجل جهالة ، فأمر له بشيء كرهه بين جبلين من شاء الصدقة فإن -
 مرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطية مَنْ لا يحشى
 بعاقة " .^(٤)

(١) كتاب العقدة على المذاهب الأربعة ج ١ ص ١٤١ العبادات هامش صفح ٦٢٥ .

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية صفح ١٢٩ .

(٣) تفسير الطبري ج ١٤ صفح ٣١٤ .

(٤) فقه الزكاة ج ٢ صفح ٥٩٥ وكذلك سبل الأوطار ج ٤ صفح ١٦٦ .

والظاهر أنه لم يكن مسلماً قبل ذلك فلا عجب إن أعطاه الرسول باللهِ تعالى قلبه وتمكيناً له في معمره ، وهذا صوب من صروب الحبيبات * ولذا قال بعض العلماء في معمره للمؤلفة قلوبهم " صعاء الإيمان الدين تحشى عليهم الردة عن الإسلام إذا لم يعطوا ، ويحاولون من يرى أهل الرأي أنهم موضع إغانة لقعاء معاصي المسلمين الهامة " ^(١) ولكن هل يجوز للأفراد الذين يجب عليهم الركاء أن يعطوا للمؤلفة قلوبهم نصيبهم من الركاة مباشرة ؟

إن هذا المصروف لا يوكل إلى الأفراد في العادة العامة ، وإنما هو من شأن رئيس الدولة أو من ينوب عنه ، أو أهل الحل والعقد في الأمة هؤلاء هم الذين ينظمون إثبات الحاجة إلى مألوف الظروف أو عدمها ، ويحدد صفات من يؤلفون ومدى ما يبذل لهم ، وفق معالجة الإسلام وحاجة المسلمين . ^(٢)

وقد استدل بعض خصوم الإسلام ، ودعاة الحمود من المسلمين بإسقاط نصيب المؤلفة قلوبهم من الركاة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

استعملوا هذا فكبروا عن هذه الفضة ، وادعوا أن عمر (رضي الله عنه) بهذا أوقف نصاً من نصوص القرآن الكريم .

وهذا الإدعاء ليس بصحيح ، وأنه لا يهتق مع الحقيقة والواقع أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) أوقف نصيب المؤلفة قلوبهم نصيباً وحكمة ، وهي أن الإسلام أصبح عزيزاً قوياً بعد أن كان ضعيفاً في عهده الأول .

ورأى (رضي الله عنه) أنه لا داعي لمألوف هؤلاء ، هؤلاء بعد الفرة والعسر

والقوة .

(١) الشيخ شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة صفحة ١٠٢ .

(٢) لغة الركاء ج ٢ صفحة ٥٩٤ .

وبعض عدا بشبه إسقاط سهم المالكين عليها ، وفي الوقاد ، حيث أُلغيت
لا يوجد في عصرنا الحالي حكومة تقوم بحجم الركة ، وسرعان على صحتها ،
وحيث أنه لا يوجد كذلك رقة يباع بكمية .

وفي الوقاد ، أي إعتاق رقاب العبيد تحريرهم من رقة عبودية ، وذلك بأن
يسوى من مال الركة عبيد أو إماء ثم يمتقون ، أو إعانه من له أقرار بـ
عبيد وذلك بمساعدة المالك وهو العبد الذي إسق مع سيده على أن يقدم العبد
مالاً في نظير عتقه وسرعه بحيث ليحصل على المال المطلوب وهذا يعطى من مال
الركة ما يعينه على أداء الذي يلتزم به في نظير عتقه .

وهذا ذهبوا في الوقت الحاضر فدخل ما يخضعهم إلى تصرف المصالح العامة
ومن هذا المصروف أيضا تصرف لملك أسرى المسلمين الذين يسترقون بالأمر .
وهذا أريد أن أشير إلى أن الإسلام حارب الرقة بل وحمل سبها من أهم الركة
سحق رقابهم ، ولم يذكر المارح أن نظاماً سابقاً أو لا حفاً له ذلك ذلك المصنف
قبل الإسلام أو دعا إليه . (١)

فقد جاء في الأثر عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : " أحسن من ركة
مالك " . (٢)

وعن بوس عن الحسن " أنه كان لا يرى بأنا أن يشتري برجل من ركة
ماله سعة ميمتها " (٣) . وفي سنة ٢٢١ هـ وفي أواخر العصر الأول بدو
المسيحية ، فادى الخليفة الواثق أسرى المسلمين الذين كانوا عند الروم .

(١) النظام المالي في الإسلام صفحة ١٠٢

(٢) كتاب الأموال ج ٤ صفحة ٧٢٢ .

(٣) كتاب الأموال هـ ٤ صفحة ٧٢٢ ، ونسمة بمعنى كل كس من فيه . وح

وكان الخليفة قد اشترى من بغداد وغيرها من المدن عدداً كبيراً من المروم
بغدادى بهم أسرى المسلمين ، وبلغ عدده أسرى المسلمين أربعة آلاف وأربعمائة وخمسين
مخاضاً ، والنساء والصبيان ثمانمائة ، كما عادى مائة نفس من أهل الدقة من رعايتهم
الدولة العباسية . (١)

وهكذا جلوب الاسلام الرق ودعا إلى حرية الاتسار والشوب مند أربعة عشر
قرباً ، بينما يرى بعض الدول الحديثة ، ما يزال يحفظ للأحرار من أبناء بعض
القارات وتمنقهم -

بالامانة إلى هذا فإنه بعد إحصاء رقى الأفراد ، حل محله في عصرنا هذا رقى
أشد خطراً وهو إسراف الشعوب في أفكارها وهي أموالها وملكها وحربها في
بلاذها ، وكان رقى الأفراد يسمي بموسم تم صبح دولهم حرية وشيده بهم من الأمر
والأهنية ما لست للأحرار الزاعدين ، ولكن الرقى الحائى رقى شعوب وأمم ، بلد شعوباً
وأما هم من الرقى كأبائهم ، هو رقى دائم يحرص على الأنة بقوة نظامه فاشته .

لذا لما أهدر أن مقاوم هذا الرقى ويحمل على الدخل منه ، ورفع دمه على
الشعوب لا سال المدقات بل بكل الأموال والأرواح وبذلك يعرف مقدار مسئولية
أعياء المسلمين عن مومة الشعوب الاسلامية . (٢)

المؤمنين ، وهم المضمون الدين لحضهم الديون لأسباب تذكر منها -
الدين ركبهم الدين لسلحه عامة ، لا لملحه بفسه مثل يدي يتحمل ديوات
المنح بين الناس فيعطى من هذا السهم ولو كان عمياً ، وهذا تشجيع من لاسلام
على العروة والملح بين الناس والجماعات المتفرقة .

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الثاني والمشرين ، صفحة ٢٦٩ ، ٢٧٠

(٢) الاسلام عقيدة وتاريخه صفحة ١٠٤ ، وتفسير المصالح ج ١٠ صفحة ٥٩٨ بتصرف

يرى معظم الأمة (رسول الله عليهم) أنه يحظى ويوفى عنه من هذا سهم وكان معمولاً به في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد أن فتح الله عليه الفتوح :-
 " أن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفي من المؤمنين وترك ديناً ، فعلي قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو ليرثته " (١) .

وهذا يشير إلى بعض الملاحظات على هذا السهم ، وذلك أن في سداد دين المدينين سحباً على العرس الحسن ، لأن المقرض أو الدائن إذا من سداد دينه أقدم على الإقراض ، وإنما لأنه لا يبيع عليه من ماله شيء ، وماذا يبيع المقرض من إقراض الحسن ؟؟ إلا عدم ضمان الأداء ؟

وكذلك بالاسلام أوجب سداد الدين من المدين العاقر بنفسه أو سبابه الدولة عنه ، وهذه صفة تميز الاسلام بها .

ولم يلحق به في ركنه ثلثون ، بل هو قد انفرد به من بين الضرائب - حسب ما أعلم (٢)

وعبر دليل على ذلك ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري أنه قال " أصيب رجل في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سائر إبعاده فكثر دينه فأفلس ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " صدقوا عليه ، فصدق الناس عليه ، ولم يبلع ذلك وفاء دينه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " لعمري أنه " حذر ما وخدم ، ومن لكم إلا ذلكم " (٣) وفي العصر الأول لندوة المباشرة ، وفي عهد الخليفة المنصور أمضى صاحب الخراج أبو عبد الله معاوية بن عبيد الله بن يثار خراج رجل خراساني قضي الفيسم على ورعه ، بل وأسفه من بيت

(١) من الترمذي وهو الجامع الصحيح ٢٦٦٦ صفحة ٢٦٦ حديث رقم ١٠٧٦ .

(٢) مقومات الاقتصاد الاسلامي صفحة ١٤٩ .

(٣) بلوغ المرام من أدلة الأحكام صفحة ١٥٥ في باب النفيس والحر

بمئة ميلاً وقدره مائتي ألف درهم ^(١) وإذا قارب بين الإحلام ونقوانيين لوصفه
القديمة والحديثة ، لوجدنا أن الفرق كبير للغاية .

فالقانون الروماني قديماً كان فسي بعض أدواره يسمح أن يهرب المديون
بل ويهجره في دياره . ومن ذلك كثر معروف في المجتمع العربي في الحاضنة
من يبيع من أسر في الدين لحساب الدائن ^(٢) .

وبعض قوانين دول أوروبا الحديثة يحرم حتى المدين البسر ^(٣) .

بمما الإحلام يوجب أن يمدد بهب مال المدين الديون التي يجرها عنها
مدادها ، ولم يعد للدائن ميل إلى رقة الدين .

وبمما ذلك من خلال ما حدث أيام الخليفة الصادق عمن بن عبد العزير
(رضي الله عنه) حيث أرسل إليه والي مدقات عزيته يشكو إليه إنكظاظ بهب
مال لصدقات من غير مصرح بهب فيه ، فأرسل إليه الحاكم الحادل " أن سدد بديني
عن المديين " فددها حتى لم يبقى مدين لم يدد دينه ، فأرسل إليه بعد ذلك
بذكر له أن بهب المال لا يزال مستظاً ، فأرسل إليه " أسر عبيداً وانصفاً ^(٤) وما
تحدث الإشارة إليه ، أنه في العصر الأول للدولة العباسية وفي أواخر خلافة المصنور
سنة ١٥٨هـ ، أوصى الخليفة ابنه المهدي - الخليفة من بعده - بالناسي (وعلى
دين فأحب أن تنصبه ونصبه) قال هو علي أمير المؤمنين ، قال فإنه ثلاثمائة ألف
درهم وثبف ، ولست أستعليا من بهب مال المسلمين ، فأجابه عني وما يفسر
إنك من الأمر أعظم مما () ، هكذا كان الخلفاء في العصر الأول للدولة
العباسية يقعون ديونهم من أموالهم الخاصة ، وفي حالة الفقر يحملونها أبناءهم
وخصوصاً في حالة السفر أو الإحساس يقرب لبايتهم ^(٥) .

(١) كتاب الورداء والكتاب ، صفحة ٩٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ صفحة ٢٧١

(٣) مقومات الإقتصاد الإسلامي صفحة ١٥٠

(٤) مقومات الإقتصاد الإسلامي صفحة ١٥٠

(٥) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٣١٩ ، ٣٢٠

في سبيل الله .

وهم العراء يدفع إليهم من سهمهم مئة حاجتهم في حياتهم^(١) ، ويدخل في هذا السهم المنطوقون للجهاد من غير الجند ، وخدمهم ابن فسيه بانقودة الدين لا يعطون ما يكفهم لغروهم^(٢) . وقال بعض العلماء " إن ذلك باب واسع يشتمل كل مصلحة للجماعة حتى كلمة الله سبحانه وتعالى " ^(٣) وهذا أشمل وأعم .

وقد روى أبو عبيد بسنده عن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (" لا تحب الصدقة لمسي ولا لحمه عامل عيب ، أو رجل إسرها بماله ، أو رجل له جار فقير يصدق عليه بماله ما يهدأ إليه ، أو غار أو مكرم " ^(٤) قال أبو عبيد فأنشأ علي الله عليه وسلم : لنمازي أن يأخذ مسكين الصدقة وإن كان عبدا ، وسراها بأويل هذه الآية قوله سعدى " وفي سبيل الله " . أما في العصر النبوي والخطباء الراشدين وفي العصر الأموي والعصر الأول للدولة العباسية - الذي سارح له - كانت كلمة في سبيل الله قد أطلقت فالمراد بها : المرو والجهاد .

وهناك أحاديث كثيرة تؤكد ذلك ، فمن أسس (رضي الله عنه) فن قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " لعدوة^(٥) في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها " ^(٦) وكذلك حديث البخاري " ما أعبرث قدما بعد في سبيل الله ، فتمسه الخنزير " ^(٧) .

- (١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية صفحة ١٤٠ .
- (٢) السياسة الشرعية صفحة ٣٤ .
- (٣) في ظلال القرآن ج٢ صفحة ٩٢٥ .
- (٤) كتاب الاموال ج٢ صفحة ٣٢٩ .
- (٥) العدوة : السير أول السير إلى الزوال .
- (٦) وازوجه السير من الزوال إلى آخر السير ، حديث رقم ١٠٢٦ في كتاب القضاء والشهادات من مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري .
- (٧) صحيح البخاري ج٢ صفحة ٢٥٠ .

وهذا ما فهمه المعصرون والعلماء منذ أقدم العصور ، فصرخوا بمعنى مسمي
سبيل الله - إلى الجهاد - وقالوا : إنه المراد به عند إطلاق اللفظ ، وهذا
قال ابن الأثير : إنه صار لكثرة الاستعمال فيه ، كأنه مقصور عليه .

ومما يؤيد ما قاله ابن الأثير ، ما رواه الطبراني أن الصحابة كانوا يومئذ
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراءاً ساباً جداً ، فقاتلوا لو كان شبهه
وعنده في سبيل الله يريدون في الجهاد وبصره الاسلام وغيره كثير ، ولم
يلزم أحد معنى في سبيل الله إلا الجهاد وكذلك كان هذا الفهم شائعاً في
العصر الأول لغزوة المباحة

إلا أن بعض الساجدين^(١) رأوا أن معنى " في سبيل الله " يشمل مصالح
الدين والدولة دون الأفراد ، وأولاه بالمقديم ، الإسناد للحرب ، بشر ، الأسلحة
ولأعديه للحمود ، وإنشاء المستشفيات العسكرية والجمعية العامة ، وإشروع الطرق
وتعميدها ، وإمداد الدعاء إلى الاسلام ، وإرسالهم إلى بلاد الكفار ، يظهر من حقيقة
الاسلام وجماله وساحته ويعصرون حكمته وسلطون أحكامه . " وكذلك العمل على
دوام الوسائل التي يمسر بها حفظ الفرقان الدين سائر - ويسائر - بهم بقلوبه
كما نزل من عهد ربه إلى اليوم " .

والجهاد لا يقتصر على محاربة الأعداء ، فقد يكون الجهاد بالقيم والديان ،
كما يكون بالسيف والسم ، وقد يكون الجهاد فكرياً أو تربوياً أو اجتماعياً
أو اقتصادياً أو سياسياً كما يكون عسكرياً ، وكل هذه الأنواع من الجهاد تحتاج
إلى الإمداد والمزود

(١) من أمثال الإمام الأكبر الشيخ شاموب في كتابه الاسلام عقيدة وشريعة صفحة
١٠٥ والعلامة رشيد رضا في كتابه تفسير المنار ج ١٠ صفحة ٥٨٥ عبد الوهاب
خلاف في السياسة الشرعية ونظام الدولة الاسلاميه ١٢٥ هـ صفحة ١٢٥

ومن هنا حصل إلني أن هذا السهم صرف منه في سبيل الله : على العباد
والعرايطين في المعور والأطراف ، وفي معدات الحرب من السلاح والكرام ، وفي
سأعين الطرق وإملاحيها ، وغير ذلك مما يحتاج إليه المسلمون ، ويوفر عندهم
أحباب الرعدة (١)

وإني السبيل ، وأبناء السبيل هم المسافرون الذين انقطع بهم السفر ، عن
بلادهم ومساكنهم ، فيعرفونهم ولو كانوا أبناء في بلادهم ما يومنونهم إليهم .
وقال بعض العلماء : إنه إذا وجد من يفرقه لا يخطي من إركاء لأنه في هذه
الحالة لا يجد إني سبيل . ثم هو عني وقد مدت حاجته بالافراس ، وإن كان فقيراً
في بلدته فإنه يعطى يومك السفر لا يومك أنه لمن سبيل .

ولكن الأرجح أنه يعطى من مال الركاء من غير أن يضطر إني طلب الإنسانه
ومال الله أولى به حاجته . (٢)

وقد إمتنع القرآن الكريم باسم السبيل أياً إصب . فقد جعل به حصصاً
من إركاء . كما هنا . كما جعل له حصصاً من الفي وحسن المصنم (٣) ، وليس
هؤلاء الذين انقطع بهم السفر من بين هؤلاء الذين مضوا في الأرض طلباً للسرور
والمباحة ، والعلم ، والجهاد في سبيل الله . والجمع الذي يسافر إليه من كل
مكان وهو الركن الخامس من أركان الإسلام .

ومعناه الإسلام بالمسافرين العرباء والمضطربين حماية لدة ، لم يعرف لها

مغير في نظام من الأنظمة أو شريعة من الشرائع

- (١) النظام المالي الإسلامي المظهرين صفه ١١٥ .
- (٢) وهو الإمام مالك (رضي الله عنه) من كتاب النظام المالي في الإسلام صفه ١٠٦ .
- (٣) قوله تعالى في القرآن الكريم في سورة النحر آية ٧ " ما أؤاء الله على
رسوله من أهل القرى قلته وللرسول ولدي القريب واليهامي و يساكين وإني
السبيل ... " وقوله تعالى في سورة الأنفال آية ٤١ " واعلموا أنما غنمنا
من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولدي القريب واليهامي و يساكين وإني السبيل
..."

ويؤكد هذه العناية ما رواه ابن سعد في طبقاته

" أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إتحد في عهده داراً خاصه أطلق عليها " دار الدقيق " ، وذلك أنه جعل فيها الدقيق ونسويق والتمر والربيع وما يحتاج إليه ، يعين به المقطع به ، والصيف ينزل بهمر ، ووضح عمر في طريق السبل ما بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع به ، ويحمل من ماء إلى ماء " (١)

وفي العصر الأول للدولة العباسية ، كانت شبالك محطات عديدة في مختلف الأقاليم والقرى والهدان للصياغة وزراعة أشاء السبل ، عيّنوا المقدسي أن قرية حبري بقلزم اشام كانت في (هذه القرية مياه دافئة ، وطبخ بوزبار ، وخدام مرسوب ، يقدمون المقدس بالزيت ، لكل من حمر من الفراء ويدفع إلى الأعيان ، إذا أخذوا ...) (٢)

وقد وجد أشاء السبل ، يدفع لهم من هذا السهم صفه سفرهم إلى بلادهم " سواء - أكان ابن السبل هذا - مجتازاً أم مقيماً " (٣)

ويشترط للتعقة على أشاء السبل أن يكون سفرهم هذا مشروعاً ومهمياً غير معصية ، وأن يكون فيه صفه ، وأن يكون محتاجاً في ذلك الموضع

وقد تولى الإنسان إخراج ركاه ماله ، فلا يجوز دعمها لوائده وأبدانهم وروحانته من طريق مؤوسمهم ، ولا إلى رعيته ولا لكارم ، أما مدله التطبوع فيجوز دعمها لهؤلاء وغيرهم -

(١) الطبقات الكبرى ج ٢ صفحة ٢٨٢ -

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، صفحة ١٧٢ ، ١٧٣ -

(٣) النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١١٥ -

إن هــد المـعـدـيـد للأصـاف الثـمـانيـة يـوجـب عـلـى الدوـلـة حـصـرهم وتـتـبـع حـائـسـهم
فـقـد كـانـت هـناك مـحـلـات عـي كـل بـلد ، ثم فـي العـقـر الرئـيـسـي فـي بـعـض الأول مـنـدوبـه
العـبـاسـيـة ، وهد كان للمـدـعـه ديوان حـائـس بـها عـي دار الحـلـاقـة ، له مـروـع فـي سـائـر
بـولـايـات^(١) .

إن مـنـظـره إلـى تـلك الأصـاف الثـمـانيـة الـديـن ذكـرهم ألابـه الكـريـمـه هـد شـمـس
المـعـالـح الـديـنيـة والسـياسـيـة والـاجـمـاعـيـة مـن دـعـوة لـلـجـهـاد فـي سـبـيل الله وبتـوحيـس
الـجـيـوش ، والمـمـل للـعـصـا عـلـى العـقـر ، وسـداد الـديـن ، ودفع الحـاجـه عـن دوي
الحـاجـه وتـشـطـيـط للـحـارـه ، أي أنـها شـمـل كـل مـطـلـبـات المـجـمـع ، وائـحـاد الأصـاف
والـمـحبـه والسـائـف مـن أفراده ، ورغـم هـذه الأرقـام الـتي وملتـها واسـمـطـعـنا بـحـمـول
عـنـبـها ، والـتي نـهـيـس مـفـدار حـمـايـة الرـكـاء مـن بـعـض البـولـايـات ، إلا أن هـذه الأرقـام
والـمـعـالـح الـتي كان يـتم مـحـمـلـها للإـنـحـاق فـي الـوجـوه العـبـاسـيـة المـذكـوره فـي بـقـرآن
مـكـرـيـم فـي سورـة النـوبـه لا يـسـهـان بـها ، فـمـدـلـلـات البـصـرة فـقـط فـي هـذه الحـمـيـقـه
الـمـبـاسـي العـامـون بـلـسـف (٢٥٠ ر ١٦٩٧) مـائـه واثـمـين وتـلاثـين مـلـيـون وسـمـائـسـه
وعـشـرة ألف ومـائـتان وحمـسـون درهـمـا^(٢)

والسؤال الذي يـدور بـذهـن أي باحـث ، هو كم كـانـت إيرادات بـركـاء لـجـمـيع
بـولـايـات ؟ أنـمـى أن يـأني الـمـومـنـالـدي مـسـتـطـيع أن نـسـرد فـيه عـلى السـؤال عـند بـحـمـول
عـلى إحصائيات نـهـيـس مـصـروف الرـكـاء .

ولكن هل يـشـتـرط تـوحيـمـها عـلى جـمـيع الأصـاف ؟

بالطبع لا " علم يـكـن مـن الـصـروري تـوحيـم إيرادات هـذه البـاب عـنـى جـمـيـع
الأصـاف المـذكـوره أو أصـيـعـات كـل صـف . بل يـصـح إحصـائـص صـف دوي آخـر^(٣) "

(١) تاريخ الاسلام السياسي والديني والمقايي والاجتماعي ج ١ صـفـحـة ٤٨٠ .

(٢) كتاب الحـرج وصـحـنـه الكـتـابـه ، لـقـدامـة مـن صـفـر صـفـحـة ٢٢٩ .

(٣) النـظـام العـالي الـاسـلامـي المـقـارن صـفـحـة ١١٦ .

ويؤكد هذا ما رواه أبو عبيد بسنده عن حذيفة قال " إني وجدت بركاء عيسى
صنف واحد من الأصناف الثمانية أحراراً " (١)

وعن ابن عباس أنه قال :

" إني وصفت في صنف واحد من هذه الأصناف فصبيك ، (٢) إنما قال الله بيلوك
وتعالي : " إنما المدقات للمعزاة والمباكين " وكذا وكذا ، لئلا يجعلها في غير
هذه الأيمان (٣)

والمنظوم من كلام ابن عباس (رضي الله عنه) أن انفقود من دكتير
الأصناف الثمانية ، ليس وجوب دفع المدقة إليهم جميعاً ، بل امر د حمرها فيهم
بحيث لا تخرج عنهم .

بل أن النبي (صلى الله عليه وسلم) حين ذكر المدقة من " يؤخذ
من أيمانهم فمره على فرائهم " (٤) فلم يذكر (عليه الصلاة والسلام) ها ههنا
غير صنف واحد ، ثم إننا نأخذ بعد هذا ، فحمله في صنف ثان سوى الفراء وهم
المؤلفه للوسيم الأترع من حامي ، ومجبة بن حصن وغيرهما ، ثم فيهم الذهبه
التي بحث بها إليه من عبي أموال أهل اليمن ، ثم إننا نأخذ آخر فحمله لسي
صنف ثالث وهم العارسون ، وفي ذلك قوله لفيضة بن المخارق في الحمالة (٥) النبي
تحمل بها " أقم حني أسيدا المدقة ، فلما أن نعمتك عليها ، وإما أن تحلب
عندك (٦) وفي العمر الأول للدولة الحمالية ، بل الحلفاء على بهجه صلى الله
عليه وسلم) في هذا المجال ، يذكر لنا الطبري في كتابه وصية نبيه انما من
لأبيه الخليفة السعدي - الخليفة من بعده حيث يقول لأبيه (١١٠) وحد من
أقربائهم لصعاشهم ، ولا تحمل عليهم في شيء ، وأنصف بعضهم من بعض بانحلي (٧)

(١) كتاب الأموال ج ٤ صفحة ٦٨٨ -

(٢) فصبيك : يعني يكفك ويحرر عنك .

(٣) كتاب الأموال ج ٤ صفحة ٦٨٨ ، ٦٨٩ -

(٤) كتاب الأموال ج ٤ صفحة ٦٦٨ -

(٥) والحمالة : بفتح الحاء ما يجعله الاتمان من الديار والمعادم ويكرها علاقة
السيف ويصحبها ما يأخذ الحمالة من لجرة على الحمل .

(٦) كتاب الأموال ج ٤ صفحة ٦٥٦ -

(٧) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، ص ٢٩٤ من أحداث سنة ٢١٨ هـ
وهي تهايه آرب في فنون الأدب ، الجزء الثاني والعشرين ، ص ٢٢٧ -

وسمى إلى العول بأنه يجوز تخفيض صدق دون آخر ، وسمي به عنه دون ما إحتاف بحق الأخرى ، وما سحر الأمان إليه أنه لا يجوز نقل صدقات بـ... إلى غيره ، إلا إذا كان في حالة إسعاف .^(١)

ذكر المأثور أنه إذا قسب الركة في الأصناف استجاب به محل حالهم بعدها من خمسة أقسام :

- أ - أن تكون وفق كفايتهم من غير نقص ولا زيادة ، فقد خرجوا بما أحدهم من أهل الصدقات ، وعزم عليهم التعرض لها .
- ب - أن تكون مقصورة عن كفايتهم فلا يخرجون من أهلها ويحالون بدائي كفايتهم على غيرها .
- ج - أن تكون كفايتهم لبعضهم مقصورة عن الباقي ، فيخرج المكفون عن أهلها ويكون المقفرون على حالهم من أهل الصدقات .
- د - أن يعمل عن كفايتهم جميعهم فيخرجون من أهلها بالكفاية ويرد الفائض من سهامهم على غيرهم من أقرب البلاد إليهم .
- هـ - أن يعمل عن كفايات بعضهم وسعر عن كفايات الباقي غيره ما فعل عن المكفون على غير من المقفرون حتى يكفي الفريقان^(٢)

الركة من الأمة واليهما

والركة في نظر الإسلام ليست إلا صرف بعض أموال الأمة مسئلة في أغنيائها وهي الأمة نفسها مسئلة في فقرائها ، ويعمل به أخرى ليست إلا نقل الأمة بعض مالها من إحدى يديها وهي اليد المخترعة التي استعملها الله على خلقه وشميته واسمرف فيه ، وهي يد الأغنياء إلى اليد الأخرى وهي اليد العاملة الكادحة ، لكي لا يهني عملها بحاجتها أو التي عجزت عن العمل ، وجعل ورعها فيه ومنه ، وهي مسئلة

(١) كما لا يجوز دفعها إلى ذوي الغنى من بني هاشم وبني عبد المطلب تعريضاً لهم عن أوساخ الذنوب .

(٢) الأحكام النظامية والولايات الذهبية صفح ١٤٠ .

الغبراء^(١) ولعل هذا ما يوحى به القرآن الكريم حين يقول :

" وانوهم من مال الله الذي اناكم . . " ^(٢) وعين يقول بوجه عام " وأسعدوا صفا جعلكم مستحقين فيه . . " ^(٣) .

وقد اهتم الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية بمشور الزكاة اهتماماً كبيراً ، وحاولوا بتدوير الإمكان تسمية هذا المورد ، للإلتفاف منه في الوجوه المخفضة لها ، ويكفيها أن تعرف أن الخليفة هارون الرشيد كان يصدق من طلب منه مائة كل يوم بألف درهم بعد زكاته ^(٤) .

وهذا إلى دل على سيّ جانباً يدل على أن الخلفاء العباسيين كانوا يبدؤون بأنفسهم بإخراج الزكاة إلى أصحابها المستحقين بها

وكم كانت أسمى بعد البحث المسمى في بعض الدول العربية ولاسلامية أن أحضر على إحصائيات وأرقام يرس لها مصروفات الزكاة في العصر الأول للدولة العباسية . . . ولكن ربما سيكون هذا اليوم قريب إذا تمكن بعض الباحثين من استقراء على هذه الإحصائيات والأرقام إلى شاء الله تعالى .

(١) اسلام عقيدة وشريعة صفحة ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) القرآن الكريم سورة النور آية ٢٢ .

(٣) القرآن الكريم سورة الحديد آية ٧ .

(٤) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ١٣١ ، وجاء فيه . . . كان الرشيد يصني كل يوم مائة ركعة إلى أن يفرق الدنيا لا من مرض ، وكان يصدق من طلب مائة كل يوم بألف درهم بعد زكاته . وكان إذا حج ، حج معه مائة من الفقهاء وأهلناهم ، فإذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بألفه السابعة والكسوة للطاهر . . . ١ .

قال الله تعالى :

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شَخْخَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ .

القرآن الكريم

سورة الحشر النيات

١٠٠٩ / ٨٠٧

الفصل الثاني

مصارف الكجزيه واخراج العشور

- أَرْزاق الدولة - الجند - العمال - القضاء - الكتاب - موظفي الدولة... الخ .
- أَرْزاق العمال والقضاء والكتاب وأئمة المساجد والمؤذنين - أَرْزاق موظفي الدولة .
- نفقات الغزوات وإعطاء الثورات
- تأسيس المدن
- نفقات المرافق العامة للدولة مثل البريد - واستصلاح الأراضي . . .

معارف الجزية والحراج والعتور وبعض المراثى الأخرى

ويتمنى هذا الفصل معارف الحراج (حرية الأراضي الزراعية) ، والجزية على الرؤوس من أهل الدمة ، والأعتار المأجود على سائر أهل الحرب والدمة ، وبعض المراثى الأخرى المسجدة في العصر الأول للدولة العباسية -

فكان ماورد الى بيت المال ، من المقر الرئسي في بغداد أو أي إقليم من الأقاليم لاسلاميه ، كان يوجه للمعرف منه على المصالح العامة ، ومراقب الدولة ، كأمرى الكتاب والولاء والخلع والقبض والشرط والمعلمين ، وجميع من يـؤدي لندوة خدمه يعود بعضها على الأمة -

كما يعرف من هذا الباب في بناء المساجد والقطار ، وإقامة الجسور ، وحفر الضرع والقموات ، واستصلاح الأراضي وإقامة السدود ، وإصلاح الطرق ، وحرس الحدود والسمور ، وفي كتابة القرآن الكريم والكتب النافعة ، (أي إمداد كتابتها ، وزيادة عددها ، حتى تكون هذه الكتب في متناول الناس ، وبالدات القرب الكريم

وكذلك كان يعرف من هذا الباب في ترجمة بعض الكتب الأعريطية وكتائب لسانة لبعض الأمم الأخرى -

كما كان يعرف من هذا الباب في تأسيس المدن وتعميرها ، وفي سفقات البريد ، والهدايا والمطايا والتمج ، وكان يجري منه على المرضى والمجذمين وضياع وأهل السجون -

بالإضافة إلى ما تقدم ، كان يعرف من هذا الباب على أعطاش الحمد وسفقات الهروب -

وفيما يلي سيجب تفصيل منظمات العرف التي جرى عليها العمل في العصر الأول للدولة العباسية -

١ - عطاء الجند : (أوراق ورواتب الجند)

عندما قلب الخلافة الى العباسيين اهتموا بديوان العطاء أو ديوان الجند بالأحرى . فأصلحوا أمره ، وأنظروا إليه مية تحميد الفوات ، ودفع لأوراقها ، دون سمير بين أحسابها . فأصبح الجيش هو العمود الفقري لقوسهم ، وبما سموا عظيمها ، سببه السماح لمعتقي الاسلام الجدد بالانحراط في معونه^(١) . وذلك أن العباسيين سارو على المبدأ الذي أقره الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك ، وهو أن يعطى الجند عطاءً محدوداً ، ومقررات معلومة ، دون اعتبار لشيء ، سوى اشتراكهم في المعينات الحربية ، وعلى ذلك فقد بلغ عدد الجيش في العصر الأول للدولة العباسية مئاة ألف ، ووصلت هذه الجيش الثامن وحده في العراق الى (١٢٥٠٠٠) مائة وخمسة وعشرين ألف ، هم جميعاً من الجند النظاميين ، المدربين في الديوان ، والذين بهم أوراق وأعطيات الى جانب جماعات السطوة التي تألفت من البدو وبغلايين وأهل المدن الذين اشتركوا في الحروب بحدودهم دوافع دينية وزوجية بالإضافة الى الرغبة في الحصول على العطاء^(٢) .

كان براعي في تقدير العطاء للجندي أن يكون مناسباً لرتبته العسكرية والبرامته الاجتماعية ، كما كان يرفع أو ينخفض تبعاً لظروف المكان الذي يربط فيه من حيث غلاء أسعاره أو رخصها ، ومؤخذ في الاعتبار أيضا نوع السلاح الذي يملكه منه الجندي ، إذ أن لكل فرقة كان فيها عطاؤها الأساسي ، علاوة على مبالغ أخسرى تعرف كبدايات^(٣) ، وكان الجند الذين يتقاضون أوراقاً ثابتة من ديوان الجيش يسمون

(١) Helal, "The Arab Civilization" p. 84.

(٢) Helal, "The Arab Civilization" p. 84

وكذلك في تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٢١ .

(٣) نظم الادارية والمالية صفح ١٧١ .

وكان الجند يتقاضون أحياناً عطاةً إضافية في المناسبات الخاصة كمولده خيجه ، أو عند صدّ خطر يهدد الدولة ، أو إخماد ثورة أخلت بأمنها ، كما حدث عندما نصي القائد الأفندي مع عسكره على قمة بابك الحربي ، سنة ٢٢٢ هـ ، وفي عهد الخليفة العباسي المستنصر ، حيث أمر الخليفة المستنصر بعشرين ألف ألف درهم للأفنديين ، وعشرة آلاف ألف يفرقها في عسكره^(٢) .

كانت موعيد دفع العطاء من بيت المال بعدد طبقاً بمواعيد جباية الخراج^(٣) ، وكان ديون العطاء : الجند (من أولى الدواوين التي تم إنشاؤها وسفدها عند قيام الدولة العباسية ، إذ يقول الطبري في كتابه (١٠٠٠٠ هـ) أمير أبو مسلم أبا صالح كاسر ابن مظفر أن يوجه رجلاً إلى خندق محرز بن إبراهيم ، لعرض من فيه ، واحشاشهم في دهر بأسمائهم ، وأسما آبائهم . وفراهم ، فوجه أبو صالح حميداً الأزرق بذلك ، وكان كاشاً ، فأحصى من في خندق محرز (١٠٠٠٠)^(٤) .

وعندما نجحت الثورة العباسية ، وبكوت الدولة ، جاء في أول حكمة الخلافة الخليفة أبو العباس السفاح ، أمر بزيادة العطاء ، إذ قال

(١) هناك فرق بين الآخر والآخر ، ذلك أن الآخر يفرقه رجل إلى رجل آخر بالاتفاق بينهما عن عمل يؤدي ، أما الزرق فيؤخذ من بيت المال ، وليس فيه مساومة آثار الأول في ترتيب الدول ، صفحة ٨٩ .

ويذكر البلاذري في فتوح البلدان صفحة ٤٢٦ ، ٤٢٧ أن أول من نظم عملية أزران الحمد هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وحين لب ديون خاصاً . وكذلك في كتاب ٤٣٥ ١٣١ ٧٠٢٩، p. ١٣١ ٤٣٥، "Some Aspects of..." Samad.

(٢) الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس ، صفحة ٢٤٦ .

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الماوردي ، صفحة ١٧٢ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٨٥ من أحداث سنة ١٢٩ هـ ويقول في موضع آخر أن لها سلم (لما كثرت الشيعة في عسكره ، وصافت به سفيدج ، لرتاد عسكراً فيها ، فأصاب حاجته الماحزون ، فارتجس إلهها ، ولعمل على حيوان الجند كامل بن مظفر . . .)

" بأهل الكوفة : أئمة مجلى محبنا ، ومول مودتنا ، أئمة الذين لم يغيروا عـمـسـ ذلك ... حتى أدرككم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا بأئمة أسعد الناس بعبادته ، وأكرمهم عليهم ، وقد ردكم في أعليائكم ما نـهـم ، فاعمدوا علينا بسفاح الصبح ، وانشأوا السير .. (١) "

وبعدما وجب الأخبار بالخليفة السفاح عن سقوط الدولة الأموية وهرابهم فـسـي معركة الراب (أمر لمن شهد الواقعة بحصانته خمسمائة ، ووزع أروافهم إلى مـدـينـ (٢) وكان ذلك سنة ١٢٢هـ .

وبذلك تكون حملة عطاء العبدي (٩٦٠) درهما سوييا ، فضلا عن المقـسـمـرـب السوية . والعطاءات ، والصحب في القيمة ، مائة مال الفارس صنف هذا المبلغ أي (١٩٢٠) درهما . (٣) "

وبهذا العطاء ، في بداية العصر الأول للدولة العباسية يكون الخليفة السفاح قد أعاد العطاء التي ماكان عليه في أيام بني أمية .

وسقراً لارتباط العطاء بحجابه الخراج لذا فلم تكن الروايات (الأرواف) تصرف في مواعيد محددة في أنحاء الدولة العباسية . ففي حراسان مثلا كان يعطى الجـسـسـد بمردون مرتباتهم مرتين في السنة ، على حين كانت هناك فرق أخرى تصرف أروافها ثلاث وأربع مرات في السنة (٤) .

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ١٢٦ ، صـسـ أحدث سنة ١٢٢هـ .

وفي العيون والحقائق في أخبار الحقائق ، صفحة ٢٠٠ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ١٢٢ .

(٣) الإدارة العربية ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٤٠٩ .

(٤) تاريخ البيهقي ، صفحة ٥٧ في الهامش . وكذلك في مفاتيح العلوم صفحة ٤٢ يقول الحواري (أصناف الأرواف في ديوان حراسان ثلاثة ، أحدها حساب العشويين ، وهي أربعة أطماع في السنة ، والثاني حساب الجند وهو الديوان وهو طمـسـ في السنة ، والثالث حساب الصرفة وهو في كل سنة ثلاثة أطماع . (٥) "

وكان هذا الوضع موجوداً في العراق في بعض الأحيان كما أشار إليه الطائي^(١) ، وكان يطلق على أوراق الحمد في حراس كلمه " الأظفار " ، وفي العراق كنمه " الأرق " ^(٢) .

وحدث العادة أن يحرق رواتب الحمد النظاميين ، وعمال الخراج من مــــال الخراج الذي يجمع في بيت المال العام .

أما عمال الزكاة ، والجند المطوعون ، الذين ينضمون بأحبارهم للجيش عند وقوع الحرب ، وعند الفسوحات ، لدوافع دينية ، فكانت تصرف مستحقائهم من أموال الزكاة

هذا بخلاف العنائم التي كانت توزع عليهم عقب استمرايتهم في المصـــــــبـدرك والفسوحات . وكان يشرف على هذه العملية خالد بن برمك في عهد الخليفة السفاح ^(٣)

وكانت كل ولاية تدفع لأوراق جندھا من خراج أرضھا ، ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى بغداد ، لأنها تجمع فائض الخراج للدولة العباسية ، وكذلك مدینتي كوفـــــــة والبصرة ، التي كان يرد إليها خراج ماء الكوفة وماء البصرة ، وهي مناطق في الأراضي الخرسية ^(٤) .

وكان الخليفة العباسي هو صاحب الرأي الأول في تقدير العطاء ، والأوراق التي تصرف من بيت المال ، وكان عليه أن يطمئن على صرفها في مواعيدها دون تأخير . لهذا نظّم الممررفة من مضمّن أوراقهم أو مأخرها عاقب الولاة ، وأحياناً كان العقاب

١١) مجلة الأمراء في تاريخ الوزراء ، صفحة ١٤ ، ١٥ .

٢) مخارج العلوم ، صفحة ٤٣ في العمل الخامس (في مواضع كتاب ديهـوان الجيش) .

٣) كتاب الوزراء والكتّاب ، صفحة ٨٧ .

٤) الأخبار الطوال ، في المقدمة ، صفحة ٧٠ .

يصل إلى عزلهم عن الولاية^(١١) . ولم يكن من منطه الولاية أن يرفعوا مربيات الجسد
إلا في الحالات الضرورية ، كحدوث قحط أو قيام حرب^(١٢) وكانت في هذه الحالة
سعيهم بزيادة مؤقته ، لا حقوق جثثيتها إلا بموافقة الخليفة على ذلك . وكانت أوراق
الحمد في العراق تدفع في عهد الخليفة السجاح باستقام مرة كل شهر^(١٣) .

سعد ديوان العطاء للخليفة أبي جعفر المصور حبيب بن عبد الله بن رعيان
مولى حبيب بن سلمه العميري . وقد سالت القوات التي تحرس الثغور والحدود في
عهد رواسي أعلى ، ومفرات إصاميه ، فكان كل جندي في حمايه مطية ، يسـال
فعلًا عن راسه المفر ، سكا مجاباً . وعطاءً محددًا مقداره عشرة دنانير ،
وما يساوي مائة دينار من المؤنة^(١٤) .

وكان ذلك حينما أعاد الخليفة المصور بناء نهر مطية سنة ١٢٩ هـ ، ليشتد بهم
وحشهم على القتال^(١٥) .

(١١) جاء في الأحكام السلطانية والولايات الدينية للبارودي ، صفحة ٩٦ في الباب
السابع في ولاية المظالم: (٠٠٠ كتب صفى ولاه لأستاذ إلى المأمور ، أن الجند
شعبوا وسبوا ، فكسب إليه . لوعدلت ثم شعبوا . ولو ولجت ثم يسحبوا ،
وعزله عنهم ، وأمر عليهم أرواقهم) .

(١٢) S. Amur Ali, "A short history of the Saroreng", p. 191
يذكر سيد أمير علي أن هذا النوع كان موجوداً في العهد الأموي .

(١٣) الإساءة والسياسة ، الجزء الثاني ، صفحة ١٢٢ عند الحديث عن اختلاف أبي
سلم علي أبي المباس وجاء فيه (وكان مع أبي مسلم من أهل خراسان عشرة
آلاف . وقد قدم بهم ، بأحدون المظاء عند مرة كل شهر ، وأوفر ما يكسبون
من الأرواق سوى الأعاصم .) .

(١٤) الإدارة العربية ، ص ١٠٢ - جيمي صفحة ٤١٢ .

(١٥) وجاء في فروع البلدان صفحة ١٩١ (علما كانت سنة تسع وثلاثين ومائة ، كسب
المصور إلى صالح بن علي بأمره بيضاء مطية وبجصيب ، ثم رأى أن يوجهه
عبد الوهاب بن إبراهيم الأعاص والياً على الحريرة وشمورها ، وأكسب
المصور مطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الحريرة . لأنها من شعورهم ، على
ريادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل . وصعوبه مائة دينار سوى الخجل السدي
يتحاطه القبائل بيمية ، وجمع فيها تحصيلاً من السلاح . وأقطع العهد الموارع
وبنى حصن قلودية .) .

كما أن الخليفة الممصور منح جند أبي مسلم الحراساني عطاءً إضافياً من بيوت
المراسد عند مقتل جثية القنفذ وذلك لمهديتهم^(١١) . حيث يذكر الديموري أن أبا
جعفر الممصور (أبو بلطعة) لأصحاب أبي مسلم ، وأحرار الصلاب بنفواد والرؤساء
مهم ، ثم عهد إليهم أن من أحب منكم أن يكون معنا فاهنا ، سأمر بالخاقه في
الديوان في ألف من العطاء ، ومن أحب أن يلحق بحر اسان ، كنيبائه في حشمائه يرد عليه في
كل عام ، وهو قاعد في بيته - (٢١)

كذلك حدد الخليفة الممصور مرتبات الجند وفق نظام خاص ، وكانت بحري
إليهم كل ثلاثة شهور أو أربعة^(١٢) .

ولما ولي الخليفة المهدي سط بدء في العطاء ، فأذهب جميع ما خزنه
بحيفة الممصور ، وهو سبعة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار ،
سوى ما جباها في أيامه^(١٣) .

كما اتخذ الخليفة المهدي من أهل المدينة المنورة سنة ١٦٠ هـ جيشاً
ليكونوا حوله حرساً بالعراق ، وأنصاراً له ، وأجرى عليهم ثراً فاق غير أقطانيهم ،
وأعطاهم إنعاماً مبرورة بهم^(١٤) .

(١١) ١٢ الأمانة والسبابة ، الجزء الثاني ، صفحة ١٢٦

(١٢) Khuda Bukhsh, "Politics in Islam", p.112.

(١٣) الإسلام والحضارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٠٤ وكان الخليفة الممصور
يرى أن الجند يحتاجون إلى كثير من الزرق لحمل السلاح ، وأن أقطانيهم تعطى
بعضها طعاماً وبعضها ملحقاً بحظوته بأعيانه .

(١٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الثالث ، صفحة ٢٢٢ عند ذكر خلافة
المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن عبد الله بن العباس .

(١٥) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٢٢ .

وأرسل المهدي حذفاً إلى الشعور في الحريرة والثام ، ومنحهم مرسيات
كبيرة بلغت أربعين ديناراً في كل عطاء ، علاوة على (٣٠) درهم كدكافاء وسوم
في الاطلاق عليهم ، وأعطاهم الحساكن^(١) .

كذلك أمر الخليفة المهدي بمراجعة سجلات ديوان الحنك ، وتنظيمه ،
واخراج بعض القبائل ، وإضافة بعض القبائل إلى ديوان قريش^(٢) .

أما الخليفة الهادي فقد اهتم بديون العطاء ، وكان كثير العطاء ، لدرجة
أن قال عنه بعض المؤرخين إنه من أهم ماأخذ عليه إسرائه في العطاء^(٣) .

ولما آلت الخلافة إلى هارون الرشيد سارع في مسح الأرقق وتعميرها ،
من بيت المال ، فقد سأل الخبوة في المراكز الأممية الحصنة وكتب عاليه
إلى حاسب المؤونة والمطروقات الخاصة بالكسوة ، كما سحر أرمأ سر فيها ، وبشت
بعض القبائل العربية من داخل البلاد إلى هذه الجهات لإحيائها وتسميرها ، وبحمل
بيت المال جميع التسهيلات والإعامات والإعاشات المالية التي يترجم^(٤) كما ر د الخليفة
هارون برعيد أعطيات جند السحر ، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير فيسول
عطائه المفروض له .

- (١) فتوح البلدان ، صفحة ١٩٤ وكان ذلك سنة ١٦٩هـ ، وفيه سولي الخليفة المهدي
(٢) أمر الخليفة المهدي أن ير د سب آل ريد بن أبيه الذي استعفه معدويه
ابن أبي سفيان ، إلى عبيد النفقي ، وأحراهم من ديون قريش وردد لهم التي
تفتيت ، كما أمر ير د سب آل أبي بكره التي ولاء البرسون (على الله عليه وسلم)
بكر المال مع إخراجهم من بني رباد ، وأعادهم إلى ديوان قريش ، الفصري
في الآداب الملطسية والدول الإسلامية صفحة ١٤٤ . ١٤٥ . وفي بدايه
الحديث من خلافة المهدي .
(٣) تاريخ الإسلام السياسي والدمي والمفاقي والاحتماعي ، الجزء الثاني ، صفحة
٥٢ د د . حسن إبراهيم حسن .
(٤) الإدارة العربية ، صفحة ٤١٦
وكذلك في كتاب Heil, "The Arab Civilization" p. 87.

إلا أنه وسميحه لتحويل بيت المال المركزي في بغداد النفقات نكتيسه
ولأعطيات ووجوه النفقات، لأخرى مما أنقل كاهل بيت المال ، وحمل الخليفة هارون
برسيد يحضر ركب حدي المشاء من ثمانين درهما إلى سبع درهما^(١) .

ربما لتحقيق الاستقرار والطمانينة في الدولة ، مما أدى إلى انخفاض مستوى
العملة في الدولة بوجس الأسعار ، وربما حتى بموفر المال ، ويمكن بيت سبيل
من الوفاء بالأعيان المالية المتعددة.

رأى الخليفة أن بعد أن دس الخلافه من أراي حمد ، أصبح كس
رحل منهم عشرة دسار عملا من مرسية الأملي . وكان لخليفة الأميين منح الجيد
ورق ستمين سنة ١٩٢ هـ عندما تولى الخلافة^(٢) .

ولما قامت الحرب بين الأخوين الأميين والساسون ، اضطر طاهر بن الجبلي
فأش حيوث الساسون إلى منح حمد ورق أربعة أشهر كمكافأة ، لمشيعتهم على القدس^(٣) .

وقد شار إبراهيم بن المهدي في بغداد سنة ٢٠٢ هـ على حكم الخليفة
الساسون ، أنه ، إقامته في حراسان ، وعندما طلب لديه الأموال وعجز عن دفع أراي
بجد ، اضطر لأن يدفع لهم مبلغ مائتي (٢٠) درهم لكل حدي ، وكتب بهم
بالباقي على أرض السواد ، لمجموعه منها^(٤) .

(١) الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس ، صفحة ١٢٧ ، وكذلك في الإدارة المربية ، صفحة ٤٠٩

(٢) الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس ، صفحة ١٣٤ .

(٣) البداية والنهاية المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٤٣ ، وجاء فيه
«... سائر لهم بوزق أربعة أشهر ، بعشرين ألف دينار ، فرمها من بخص
الساس...»

(٤) ويقول ابن كثير في البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء السادس ،
صفحة ٢٤٨ بأنه (طلبه منه - إبراهيم المهدي - الحمد أن يقيم ، فمطلهم
ثم أعطاهم مائتي درهم لكل واحد ، وكتب لهم بمعويش من أرض السواد)

وكانت مربيات الحمد في عهد الحليفة العامون يندوب من إقنيم لأحسر ،
ففي العام كانت أعلى منها في العراق ^(١) ، وسبع الحليفة العامون في عسداق
الأموان على القادة ، ندرجه أنه كان يرمي أن يكون الأموان الذي تبقى للهدى
بعضهم ، من بذات الحملات العربية ^(٢) .

وفي سنة ٢٠٢ هـ منح الحليفة العامون أرقاقه إضافية بلجيد ، في العسمرى
والشام ^(٣) .

بدأ تحميل الأثراك في الديون منذ عهد الحليفة العامون ^(٤) ، ذلك أن
الحليفة العامون أحاط بفسه بحرس كبير من أمري الرلد ، فص جاء بحليفه
المتعمم ضم على يكون عيني كامل منهم ، وأخرج العرب من ديون العظماء ،
وأحل محلهم الرلد ، وقد أساء العرب والعرس جميعا من هذه الخطوة ، لا أن
الحليفة المتعمم لم يمانى ، بل عمد إلى شراء الجواري ، وقام بتزويج الحمد لأثراك
مبين ، وأخرى لهم أرقاقا فاشمة ، وسجل أسماهم في الدواوين ^(٥) .

(١) Sayed Amer Ali, "A short history of the Saracens, p. 436.

(٢) كتاب بغداد ، صفحة ٢٩ .

(٣) كتاب بغداد ، صفحة ١٠ ، وفي الاسلام والمصاراة العربية ، الجزء الثاني ،
صفحة ٢٢٤

(٤) الحرب والروم صفحة ١٢ .

(٥) كتاب البلدان ، البغدادي ، صفحة ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ويقول اليعقوبي بعد أن
تحدث أن الحليفة المتعمم أنطع أساس التركي واصحابه المومع بسميرى
بالكرخ ---- تم اشترى لهم الجواري مأزوحهم مبير ، . . . وأحسرى
لجواري الأثراك أرقاقا فاشمة ، وأثبت أسماهم في الدواوين ، فلم يكن يفدر
أحد منهم بطلق إسرائه ولا يفرقها ---- .

وكان الخليفة المصمم يصدق الأسوال على عمده ، وقواده الأثرث ، كما أنه اهتم بالحدود ، فرفع راتب جندي المشاة بها إلى أربعين درهماً ، والفرسان إلى مائة درهم^(١) ويذكر المقريري في خطبه ، أن الخليفة المصمم كتب إلى كندر بن منصور الصفدي أمير مصر ، بأمره بإسقاط العرب من الديوان ، وفتح الخطاء عنهم ، مما أدى إلى قيام ثورة برعانة يحيى بن الوزير الجروي ، في جمع من لحم وجذام^(٢) ، وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية المطاء ، الذي كان يدفعه بيت المال

وبصفة عامة فقد كان من أهم التطورات التي طرأت على المطاء في العصر الأول لدولة العبّاسية انخفاض ماله الذي كان يساويه الحدود انخفاض كبيراً خصوصاً ذلك قبي بها كانوا يساقون خلاله خلال العصر الأموي ، وهو ما حاول بعض المؤرخين المحدثين تفسيره فذهبوا إلى أن ذلك كان راجعاً إلى لربط عدد الجند الذي جاء سبعة سماح لمقتلي الإسلام الجدد بالانخراط في صفوف الجيش^(٣) ، ذلك أن العبّاسيين لم يأخذوا الجسميّة في الاعتبار عند اختيارهم للحدود مما جعل أمانهم محالاً وأسماء لتجسسهم مما أدى إلى فقدان العرب لثقتهم الحربية^(٤) .

أما الأمويون فقد كانوا يريدون عطاءات الحدود ترغيباً لقبائل العرب في خدمتهم ودعمها لسلطان الجيش الإسلامي الذي عرا في الشرق والغرب في عهدهم .

يمتاز إلى ذلك أن الفترة التي كان الجيش الإسلامي يتألف من العرب وحدهم كان من الصعب على الخليفة خفض المظدرات خشية قيام الممبان من ناحية ولأنهم كانوا يظنون إليها على أنها مغطات لمعصنة من ناحية أخرى^(٥) .

(١) الإدارة العربية ، صفح ٤١٢ .

(٢) كتاب المواعظ والاعصار مذكر الحظوظ والأثر ، الجزء الأول ، صفح ١٧٣ .

(٣) Heil, "The Arab Civilization" P. 85.

(٤) الإدارة العربية ص ٤١٠ ، ٤١١ .

(٥) الإدارة العربية ص ٤١٠ .

هذا بالإضافة إلى أن قيمة الذهب ارتفعت عما كانت عليه من قسرات أن
الديار في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يساوي
عشرة دراهم فأصبح في زمن المأمون يساوي خمسة عشر درهماً^(١) وهو ما يعني ارتفاع
قيمتها بمسبة خمسين في المائة .

كذلك فإن الإسلام في العصر الأول للدولة العباسية كان قد استقر في مساحته
شاسعة جداً ولم تعد الحروب والنزاعات متلاحقة ، ومن ثم لم يجد الجند نهطوي
على جانب كبير من المخاطرة^(٢) .

ولما كانت الدولة العباسية قد قامت على أكتاف الفرس ، فقد كان طبيعياً
أن يصبه إلى يمين محمد الأعاجم ، وكان هؤلاء يرضون بالرواتب القليلة لأنها كانت مضمونة
ما كانوا يتقاضونها منها فعلاً عن أسلأ كانت تدفع في أولائها .

ومن صف إلى ذلك عاملاً آخر ، وهو أن العباسيين كانوا يفتنون عطاء
الجند شريطة أن يكون كافياً لتد مفاهم المعيشة - فقد كانوا كما سبق ذكره
يراعون في تدبير العطاء اعتبارات كثيرة ، ومن ثم فلم يكن هناك العطاء بجودي التي
تصيان جند العباسيين طالما أنه يفي بجميع احتياجاتهم .

ومن يرجع إليها أن حصص العطاء جاء تدريجياً وبمسبة متدنية لا يشتر بها
الجند - وفي الوقت نفسه كانت قوة الدرهم الشرائية تنزهد - وربما كان من الفومل
التي دفعت الأمويين إلى زيادة مقادير العطاء - والعباسيين إلى مقبب شهور الأوبس
بأسهم اعتمروا الخلافة من مستحقها - ورعيهم في بطاشا في أيديهم ، وشهور
الأخرين بأن المسلمين يظرون إليهم على أنهم أصحاب الخلافة الشرعيين .

(١) كتاب الخراج وصحة الكفاية ، صفح ٢٢٩ وعمد الحديث عما يرتفع من

المواك سقة ٢٠٤ هـ .

(٢) الإدارة العربية ص ٤١١ .

على أن العباسيين قطعوا إلى الأهمية الخطيرة لحدود المساحة البيزنطيين ،
فأدسو الحصون الحميرية وادوا خندقها في عطايتهم عن غيرهم من الخيول الداميين
داخل حدود الدولة ومحوهم إلى جانب ذلك أرضاً برراعها حتى يكون الأرمينية
بينهم وبينها عموماً .

وبما يكون العباسيون قد نقلوا هذا التمييز لحدود المعور عن البيزنطيين
بواسطة جواسيسهم ، إذ يثبتهما ذكره رافسهما^(١) ، أن التمييزين كانوا يمتصون
قوت المعور مربعات حصة ومهما يكن من أمر فإن العطاء سواء كانت مفديسره
مرتفعة أو منخفضة كان كما رأينا بحسبك القدر الأكبر من أموال بيت المال في
المر الأول للدولة العباسية .

٢ - أوزان العمال والذمة والكتاب وأشمة المساجد والمؤدسين (أجزء رواتب موظفي الدولة)

كان العمال والذمة والكتاب وأشمة المساجد والمؤدسين وغيرهم من الموظفين
يسفامون أوزاناً ورواتب من بيت المال في المر الأول للدولة العباسية .

وكانت رواتب هؤلاء كافيته لمواجهة نفقات المعيشة خلال ذلك المر . فيذكر
السنفي في كتابه أنه كان راتب القاضي أبي لهيفة ، الذي عهده الخليفة أبو جعفر
المنصور بثمان مئة ديناراً في الشهر^(٢)

ويذكر الحسبي أن بلخ رزق كانت ديوان القضاء في البصرة أيام الخليفة
المنصور أربعين درهماً في الشهر ، وسعاهه عشرين درهماً^(٣) ، ثم ساهى الخليفة

(١) الحصار البيزنطية ص ١٧٠ ، ١٧١ -

(٢) تاريخ الكوفة ، صفحة ٢١٣ .

(٣) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ١١٣ ، حاه فيه (وكان لسوء ، القاضي بالبصرة
من قبل أبي جعفر ، كتابان ، رزق أحدهما أربعين درهماً ، ووزق الآخر عشرون
درهماً ، فكيف إليه سواك يسأل السوية بينهما ، فنقص صاحب الأربعين عشرة
دراهم ، ووزقها صاحب العشرين !

المنصور بينهما ، عندما طلب الخاصي مؤخر ذلك ، فحصل رزقيهما ثلاثين درهماً في شهر ، أي أن رزق كاتب ديوان القضاء في المتوسط كان ثلاثين درهماً

وقد أنفق الخليفة المنصور أموالاً كثيرة في دفع أجور الورق وعمال والموظفين الذين عملوا في بناء مدينته بمداد ، مكنته أجرة الأسناد من المداين كل يوم قيراطاً مئة ، وأجرة الصانع من الحثتين إلى الثلاثة^(١) .

كما ضمن الخليفة المنصور بعد بناء مدينته بمداد وعماله مرسيات وأوراق لطائفة كبيرة من العمال ، والمؤدبين ، وأسمه المساجد^(٢) ، الذين عملوا في مساجد المدينة ، وكذلك للكتاب الذين اشتغلوا بدراوسها^(٣) ، وكان الذي يعرف الأوراق (الاعطاء) رجل معروف ، وكانوا يذهبون إليه عند احتلام لأوراق (الرواتب) ، في مكاتبه المعروف للجميع .

ولقد سجل هذه المصروفات (الاعطاء) - مرف الرواتب - أيام الخليفة المنصور

(١) البداية والنهاية ، السجل الخامس ، الجزء المباشر ، صفحة ٩٨ وجاء فيه أن الخليفة المنصور أنفق على بناء مدينته السلام ومسجدها الجامع وقصر الذهب بها والأشواق وغير ذلك أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وثلثه وثمانين ألف درهم) وفي روايه أخرى أنه أنفق على بناء مدينته بمداد مائة مئة ألف ألف درهم ، نفس المرجع والمفحة ، وجاء في تاريخ بمداد أومدينته السلام ، السجل الأول ، صفحة ٧٢ (---) وذلك أن الأستاذ من الصناع كان يعمل يومه بغيراطاسي خمس عبات ، والرواجاري يعمل بحثتين إلى ثلاث عبات) .

(٢) كتاب إمامته والسياسة ٢ صفحة ١٥٧ وكان ذلك في عهد الخليفة هارون الرشيد

(٣) في كتاب البلدان للمقدسي ، صفحة ٢٢٨ (---) ثم جاء - أي الخليفة المنصور - في إعمار المهندسين ، وأقل المعرفة بالنساء والطلم بالدرج والمصحة وتسميته الأرضين ، حتى اختط مدينته ، وأحضر المبانين والفيلة والصناع من التجاريين والحدادين والحفارين ، فلما اكتملوا وتكاملوا أجرى عليهم لأوراق ، وأقسام لهم الأجر ، وكسب إلى كل بلد في حمل من قيمه ممن يعين شيئاً من البناء ، فحضر مائة ألف من أصناف الصبي والصناعات ١٠٠ - وجاء في البداية والنهاية السجل الخامس ، الجزء المباشر ، صفحة ١١٠ - أن عدده حسانها أي مدينته بمداد ستون ألف حمام ، وأقل ما بقي كل حمام منها ، خمسة مفر ، حمامي ، قيم وربال ، ووقاد ، وسقاء ، وأن بفراء كل حمام خمسة مساجد ، وذلك ثلاثمائة ألف مسجداً ، وأقل ما يكون في كل مسجد ، خمسة مفر ، يعني إماماً وقيماً ومدبواً ومأمومين (---) .

حبيب بن عبدالله بن رغبان ، مولى حبيب بن سلمه الثوري^(١) ،

(وكانت أوراق الكتاب والصفاح في زمان أبي جعفر ، للزوراء ثلاث مئة درهم
للزحل ، وسحو ذلك ، وكذلك كانت في أيام بني أمية ، وعلى ذلك جرت إلى أيام
السامي - -)^(٢) .

أما ررق الكتاب المبيدي فكان عتبه دواهم فقط في الشهر^(٣) - أيام الحليفة
المصور .

وقد أتت الحليفة المصور أسواقاً كثيرة في إنشاء دور رعاية للمرضى
(المستشفيات) ، وأخرى لأوراق على الصفاح ، والصفاح والمجدمين^(٤) .

ومن لأوراق التي كانت تعرف من بيت المال ما أمر به الحليفة المصور
لمعومته . وهو ألف ألف درهم لكل منهم^(٥) .

وبما تولي الحليفة المبيدي الخلافة ، حدد لأفراد الأسرة المباسية مخصصات
منتظمة ، أ تخرج لأهل بيته لأوراقاً ، لكل واحد منهم في كل شهر حصصته درهم ،

١. كتاب الزوراء ، والكتاب ، صفحة ١٠٢ .
٢. كتاب الزوراء ، والكتاب ، صفحة ١٢٦ وجاء فيه ، لو جرت في أيام سامي ، من
المصل بن سهل وسع الجاري) وصل ذلك في تاريخ الأمم والملوك ، صفحة ٢١٤
٣. كتاب الأوراق ، صفحة ١٥١ ، وفي كتاب الزوراء ، والكتاب ، صفحة ١٢٢ ، والكتاب
المبيدي هو يوسف بن صبيح وقد زاده الحليفة المصور عشرة درهم أخرى بحقة
استثنائية لحرمة بعبدالله بن عليّ ، وشوبه على طاعته وقد ، صاحب .
٤. البدء والتاريخ ، الجزء السادس ، صفحة ٩٦ وجاء فيه (ووضع دور الحرص وأخرى على العميان
والمجوسين والصفى -) .
٥. تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء الخامس ، صفحة ٢ ضمن أحدث
سنة ١٥٨ هـ وجاء فيه (وأخرى أبو جعفر على جماعة من أهل بيته في يوم واحد ،
عشرة آلاف درهم ، وأمر للزحل من أعيانه بألف ألف ، ولا تعرف خلفه
قبله ولا بعده وصل بها أحداً من الساميين -) وقال المياني بن فضل أمر المصور
بمعومته ٥٠٠ لكل رجل منهم بألف ألف معونه له من بيت المال ، وكان أول
حليفة أعطى ألف ألف من بيت المال ، فكانت بحري في الدواوين) وجاء في
صفحة ٢٠٢ من نفس المصدر ، (أن المصور وهب لمحمد بن سليمان عشرة
ألف درهم ، ولجعفر أخيه عشرة آلاف درهم ٥٠٠٠) .

بكل رجل ستمائة درهم في السنة ، وأخرج لهم في الأقسام بكل رجل عشرة آلاف درهم ،
وراد بعضهم -- (١)

وقد رد الخليفة المهدي على أهل بيته وعيروه ومثائهم نفي كانت مقبوضة
عنه (٢)

وفي سنة ١٦ هـ حج بالناس الخليفة المهدي (وقسم مائة عظيماً ، وكان معه
من الخوارج ثلاثون ألف ألف درهم ، ووصل إليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار ، ومن
اليمن مائة ألف دينار ، عفرق ذلك كله ، وفرق مائة ألف ثوب ، وعصم ألف
ثوب ، ووسع مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (٣)

ومن عقاب بيت المال ، والتي استهلكته كثيراً من موارد بيت المال
ما أمر به الخليفة المهدي سنة ١٦٦ هـ بأن يعطى المرضى (المجذمين) وأهل السجون
الأوراق (الرواتب المنتظمة) في جميع الأقاليم والأقاليم (٤)

وبعدما آلت الخلافة إلى هارون الرشيد توسع في منح الأوراق ، ورفع مرتبات
بعض عماله على كثر الموصل التي (٦٠٠) ستمائة درهم ، بعد أن كانت مائتين فقط (٥)

(١) تاريخ بغداد أو عديده السلام ، الجزء الخامس ، صفحة ٢٩٢ وعند الحديث
عن محمد أمير المؤمنين المهدي

(٢) الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس ، صفحة ٥٨ من أحدث سنة ١٦٠ هـ .

(٣) الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس ، صفحة ٥٢ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٣٤٢ ، وفي
الكامل في التاريخ في الجزء الخامس ، صفحة ٦٦ وجاء في نهايه والنهايه
المجلد الخامس ، الجزء العاشر صفحة ١٢٥ ، (ثم دحيت منه اثنتي عشرة
ومائة -- وجبها أخرى المهدي الأوراق في سائر الأقاليم والأقاليم ، على المجذمين
والسجونيين ، وهذه مئوية عظيمة ، ومكرمة جسيمة --) (٥)

(٥) شرح البلدان ، صفحة ٢٢٩ وفي آخر الحديث عن شهرزاد والعامان ودرايسار
حيث يقول البلاذري (-- وكان رزق عامل كل كورة من كور أسومل مائتي درهم ،
محط لهذه الكور ستمائة درهم) وكان ذلك في آخر خلافة الرشيد كما ذكر
في نفس المصدر والمفحة .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد ، وضع أبو يوسف القاضي أسساً لمصرف (المربيات الأراق ، وأشار على الخليفة بأن مصرف الأراق الدولة والنظام والعمل من أموال الخراج والحريم ، الموجوده في بيت المال ، وألا مصرف من أموال الركاه ، وأن يكون تقدير أوراقهم مناسباً لامكانيات بيت المال في الولايات ، ومؤكد أمر زياده أو النقص لأوراق الى الخليفة، ليعتبر فيه حسباً تقسيمه المصلحة العامة ، وبما يراه الخليفة وفيه مصلحة الرعيه (١) .

وفي سنة ١٧٠ هـ حج بالمانى الخليفة هارون الرشيد ، فأعطي أهل الحرمين عطاءً كبيراً ، وقسم عليهم مائة خيلاً ، وأمر بحسم ذوي القربى ، فقسم بين بني هاشم بالسوية (٢) .

وكان الخليفة الرشيد قد أسند الى يحيى بن خالد البرمكي إدارة تدوير الى جانب الوزارة ، فأمر (بأمره) الفسخ على أهل الحرمين ، وتقديم بحمله من مصر السهم ، وأخرى على المهاجرين والأنصار ، وعلى وجوه أهل لامصر ، وعلى أهل الديار والآداب والمروءات ، واتخذ كتاباً للخاص (٣) .

وفي العصر الأول للدولة العباسية ، كانت الأراق تجري على الرسمى والعميان ، والفقيرين (٤) .

(١) كتاب الخراج ، صفحة ٢٠٢ ، ٢٠٣ (في فصل من أي وجه تعرى عنى القماء وانصاف الأراق) .

(٢) تاريخ الأمم والملوك المجلد الخامس ، الجزء الثامن ، صفحة ٥٠ ، وجاء في الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس ، صفحة ٨٢ (وحج بالمانى الرشيد ، وقسم بالحرمين عطاءً كثيراً) .

(٣) كتاب الوزراء والكتائب ، صفحة ١٧٧ وعند الحديث عن سرلة يحيى عند الرشيد وجاء فيه أيضاً لو كانت الدواوين كلها الى يحيى بن خالد مع الوزراء ، سوى ديوان الخاتم ، قلناه كلن الى أبي المباس الطوسي (٤٠٠) .

(٤) مظهر المظم الادارية والمالية ، صفحة ٢٤٤ ، ٢٥٩

أما الخليفة المأمون فقد زاد من أرزاق الكتّاب^(١) ، ورفع رواتب القضاة ، فقد
بيع راتب القاضي في مصر (٢٧٠) مائتين وسبعين ديناراً في الشهر .

كما منح الخليفة المأمون مرسياً للعمل بن سهل بن عمله في لاسواف على
المشرق ، بلغ ثلثه مليون درهم (٢٠٠٠٠٠٠) في السنة^(٢) .

وهكذا كانت الأوراق (المرسيات) مناسبة لمسوى المعيشة في العصر الأول
للدولة العباسية ، وكان يؤدي لو عثرت على أي كشف لهذه الأوراق ا مهربات ، وبكى
أمسحي ثم يتحقق ، فأكفيت بما ذكره من أرقام من المصادر والمراجع بمخيفه .

(١) كتاب البراءة والكتاب ، صفحة ١٢٦ وجاء فيه : « وكانت أوراق الكتّاب ..
ملروءاء ثلاث مئة درهم للرجل .. وعلى ذلك عرفت إلى أهم المأمون ، فإن
القفل بن سهل وشح الحارثيا »
(٢) تاريخ الكوفة ، صفحة ٢١٢ .

٢ - مفاوضات الحزوات واخماد الفتن والحروب

اهم الحلفاء في العصر الأول للدولة العباسية بنجيهو جيوشهم، وأدرهم بمقدار الحروب في سيرة الدولة ، مدد الوهله الأولى ، فكانت معزماً هاماً من مصادر بيت المال ، استهلك قدرأ كبيراً منه .

وقد أنفق الخلفاء الأموال الكثيره في سبيل ترويض الجيش باستعدادات بحريه ، فذكر محمد كرد علي ، أن الدولة كانت تنفق (١٠٠٠٠٠ على معاري الموانئ وسواني في البحر والبحر في السنة على السفرب حاشي ألف دينار ، وعلى المبدعة ثلاثمائة ألف دينار^(١) .

وهذا غير صحيح ، بل كانت الدولة تنفق أكثر من ذلك بكثير على تجهيز الجيوش لاختام الفتن ، ومطاردة الروم .

فقد أنفق الخليفة المنصور مبلغ (١٠٠٠٠٠ ر ٦٢٠٠٠) ثلاثة وسين مليون درهم ، في تجهيز جيش ، بعث به إلى أفريقيا سنة ١٥٤ هـ لقتال الخوارج هناك^(٢) .

(١) لاسلام والحضارة العربيه ، الجزء الثاني ، صفحہ ٢٢٧ وصف الحديث عن الإدارة على عهد المعتصم وأخلافه .

(٢) كتاب دول الاسلام ، الجزء الأول صفحہ ١٠٥ ، وجاء فيه (وفي سنة أربع وخمسين ومائة ، أحم المنصور أسبلاء الخوارج على إقليم المغرب ، فسلر إلى الشام ، ودار القدي ، وجهر يريد بن حاتم في خمسين ألف فارس ، وأنفق الأموال ، فبلغت بمقدار ذلك الجيش ثلاثمئتين ألف ألف درهم ، وهذه المبلغه تم بسببهم بمثلها أبداً) .

وجاء في البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحہ ١١١ من أحداث سنة ١٥٤هـ (١٠٠٠٠٠) فيها دخل المنصور بلاد الشام ، ودار بيت المقدس ، وجهر يريد بن حاتم في خمسين ألف ، وولاء بلاد إفريقية ، وأمره بقتال الخوارج ، وأنفق على هذا الجيش مئواً من ثلاث وسين ألف درهم) - وأرى أن الرقم الأول الذي ذكره الذهبي في كتابه دول الاسلام أقرب للمحة ، بعد المسامحة ولأن تجهيز الجيش كان يكلف الكثير .

ومادكره المؤرخ المحدث محمد كرد علي يعتبر مبلغاً قتيلاً بالسياسة بعد
كان يفتق مغللاً

والجيش في العصر الأول للدولة العباسية كان يحلف نواباً عن الجيش في صدر
الاسلام ، فقد أدخل على الجيش وأفراده تعديرات كثيرة لاسمحوا لها لذكرها ، ولكن
الجيش كان يتكون من الجنود المحاربين ، والقواد خوالق قيس ، والحرس ، والعوانير^(١) ،
والركامه^(٢) ، والمؤكثين بالدروب ، والمحايض ، والحصون وغير ذلك من الأمور والأحوال^(٣) .
وكن هؤلاء كانوا بحاجة إلى أوراق وسقاف ، ولو قلما بتحويل التلاسماء ألف دينار
بدي أشتر اليه المؤرخ محمد كرد علي باعتصار الدينار ساري خمسة عشر درهماً ، لكن
المبلغ الاجمالي بالدرهم = ٣٠٠ × ١٥ = ٤٥٠٠ رة درهم ، وهذا المبلغ
بالسياسة كما رعم مؤلف كتاب الاسلام والحصارة العربية

فأين هذا المبلغ مما كان يجري مغللاً في بناء الحصون ، وتجهيز الشعير ،
وأوراق الجنود المنظمين ، والجنود المتطورة ؟ ولعل المقصود الخطب على شعير
ملطية فقط كما أوردته فداحة بن جعفر ولكنه بحيث ا سوى بقات البعساري
في أودتها (٠ ٠) أي المبلغ الذي ذكره المؤرخ محمد كرد علي بالاصافة إلى النفقات
التي تستجد ، وهذه بقات شعير ملطية فقط وليست بقات الدولة^(٤) .

كذلك اهتم الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية بتجهيز البحر وشحبه
بالجنود والتماد والسلاح ، وساء الحصون ، فذكر البلاذري أن المصور أنفق أموالاً

(١) الفوتير : الكشافة .

(٢) الركاه البريديون ، الذين يفتلون البريد بأسرع ما يمكن

(٣) كتاب الخراج وصحة الكتابة ، صفح ٢٥٢ في الباب السابع في ذكر شعير
الاسلام والأهم والأجمل المطيفة بها .

(٤) كتاب الخراج وصحة الكتابة ، صفح ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

طائفة في بناء حصن منطية سنة ١٣٩^(١) وبناء حصن قنوديه .

كما بنى الخليفة المنصور مرعش وحصنها وبنى الناس نبيها على ويساده في المطاء ، واستخلف الحمدي ، فولد في شعبتها ، وقوى أهلها^(٢) .

ويذكر قدامة بن جعفر أن المعمر المسمى بالبكرية ، كانت بنجاح إلى ميسون وسبعمائته ألف درهم (١٠٠ - ١١٠) لاستكمال مققات حصنها ودماعها ، علاوة على دحب الخاس وكان يبيع في السنة مليون وثمانمائة ألف درهم ، أي أن مجموع ما يهرق على شح هذه الشعوب المسمى بالبكرية ، كذا يكلف الدولة السياسية حوالي ثلاث مليون درهم (٣٠٠.٠٠٠)^(٣) .

كما أن مقدار النفقة على المراكب ، إذا عوت من بحر والشام نحو مائة ألف دينار (١٠٠.٠٠٠) أي حوالي مليون ونصف درهم^(٤) .

(١) فتوح البلدان ، صفحة ١٩١ وجداء فيه (فلما كانت سنة سبع وثمانين ومائة كتب المنصور إلى صالح بن علي يأمره ببناء منطية وحصنها . . . فبواقي معه ميسون ألفاً ، فمسكر على منطية ، وقد جمع الفعلة من كل بلد ، فأخذ في بنائها وبني لسيدها لندب أمكنوها ، لكل عرافة بيمان سلطان وعلميان فوقيه واسطبل والخرافة عشرة بحر إلى خمسة عشر رجلاً ، وبني لها مسلحة على ثلاثين ميلاً منها ، ومسلحة على بحر يدعى فهاقب ، يدفع في الفرات ، وأكس المنصور منطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة ، لأنها من شعورهم ، على زيادة عشرة دنانير في مطاء كل رجل ، وسعوية مائة دينار سوى الجبل الذي يسمونه القياش بيسها ، ووضع فيها شعبها من السلاح ، وأقطع الحند المزارع ، وبني حصن للودية (٠٠٠) .

(٢) فتوح البلدان ، صفحة ١٩٢ .

(٣) الشعوب البكرية كما ذكرها قدامة في كتاب الخراج وصحة الكتابه صفحة ٢٥٤ ، ٢٥٥ هي سبياط ، وعاني ، وملكين ، وحصون منها جميع وحوون ، والكس ، وشمر قاله قلا .

(٤) ٥٠٠٠٠٠ بعد من كتاب الخراج وصحة الكتابه ، لقدامة بن جعفر صفحة ٢٥٥

أما الشعور الشامي^(١) ، فكانت تنفق نحو المائتين ألف دينار لمصميا وشعبها
كما تنفق مائتين ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار ، لأوراق الحديد والصلابة^(٢) ،
ورتيب عقاربها الموائف والشواتي ، في البر والبحر^(٣) .

وقد أعاد الخليفة المهدي بناء قلعة الحدث في الحريرة ، وأمر بتقديم بدائها
على بناء طرسوس ، وقد كلف البناء بيت المال الكثير ، كما أن الخليفة المهدي فرس
فرساً من أهل الشام والحريرة وحرسان ، في أربعين ديناراً من السلط ، وأعطىهم
المساكن ، وأعطى كل امرئ ثلاثمائة درهم^(٤) .

إلا أن كثرة الأسفار ، وهجوم الشتاء والثلوج وغزو الروم ، أدى إلى خراب المدينة
وشحش ، وعمد يانولي هارون الرشيد الخليفة أمر ببناؤها وتحصينها ، وشحشها ،
واقطاع مقاتلتها المساكن والقطائع^(٥) .

كما أنفق الخليفة هارون الرشيد الأموال الكثيرة لبناء وحصين حصن رباطره^(٦) .

-
- (١) التميز الشامية هي طرسوس ، وادنة ، والمصيصة ، وعين زربة ، والكلبسة ،
والبارونية ، وبياي ، وبغابلي .
- (٢) الصماليك الجند غير المنظم ، الإسلام والحصارة الغربية ، البحر ، الثاني صفحة
٢٣٧ .
- (٣) سد من كتاب الحراج وصفه الكتابة ، صفحة ٢٥٢ .
- (٤) فروع البلدان ، صفحة ١٩٦ وجاء فيه أن المهدي فرس لأربعة آلاف بمدينة نحدث ،
وأكرمها ايها ، وفضل واليه علي بن سليمان المها من ملطية ، وشحشها
ومصمياط كرسوم ودلوك وربعان أنفي رجل .
- (٥) فروع البلدان ، صفحة ١٩٤ ، ١٩٥ .
- (٦) فروع البلدان ، صفحة ١٩٥ ، ١٩٦ وكان الخليفة المصميط قد بني حصن رباطره
إلا أن الروم خربته وشحشته ، فبناء الخليفة الرشيد وشحشه ، ثم عزاه السمرور
مرة أخرى ، فأمر الخليفة المأمون بترميمه وتحصينه ، ثم خرجت الروم من رباطره
في خلافة المعتصم بالله ، فأحرقوها ، فأحفظه ذلك وأغممه ، فمزامم الخليفة
المعتصم حتى بلغ عمورية --- ثم أمر ببناء رباطره وحصنها ، فمزامم الروم بعد
ذلك ، فلم يقدروا عليها --- وهكذا فقد كلف حصن رباطره بيت المال في العصر
الأول للدولة العباسية الكثير من النفقات والمصروفات بالاعانة في تحصين
الجيوش وأوراق الحمود المنتظمين وغيرهم .

وكيف الخلافة من الرجال حسماثة ألف رجل أو أكثر^(١) . وكان ذلك سنة ٢٢٢ هـ .

أما ابن كثير فيذكر أن هذه الحملة كلفت الدولة العباسية في عهد المعتمد سنة ٢٢٢ هـ ثلاثين ألف درهم (٠٠ ر - ٠٠٠ ر) ^(٢) .

كذلك اتفق الحلفاء العباسيون في العصر الأول للدولة العباسية ، الأصول الطائفة بلقاء على العسر منها - المعاء على عرو الديلم ، وكان ذلك سنة ١٢٦ هـ وفي عهد الخليفة الرشيد ، حيث ظهر يحيى بن عبدالله بالديلم ، واشتدت شوكة ، وكثر جموعه ، وأناه الناس من الأعمار عاصم الخليفة الرشيد ، وأرسل إليه الفضل بن يحيى ندي بدل لصاحب الديلم مبلغ ٠٠ ر ٠ ١ ألف ألف درهم ٠٠٠ ثم ن يحيى رضي بالتمسح بعد إعطاء الأمان من الخليفة الرشيد ، وقد لقيه الخليفة الرشيد بكل ما أحب ، وأمر له بحال كثير ، كما أجرى له أرزاقا سنوية^(٣) .

كما أنفقت الدولة العباسية ، الأموال الكثيرة من بيت المال للقضاء ، على الحركات الدينية التي ظهرت في عهدهم كالمردكية ، والممسيكية ، والحرمية ، والخورج المحمرة ، والهادية ، والرواندية ، وشورم اشعاق الترك وغيرهم^(٤) .

كذلك أنفقت الدولة العباسية في زمن الخليفة هارون الرشيد سنة ١٢٨ هـ الأموال الكثيرة للقضاء على متن الخوارج ، منها منة الوليد بن طريف المصلي البخارجي

(١) المسية ولاشرف ، المسودي ، صفحة ٢٢١ وجاء فيه أفكان من أدركه الإحصاء ممن قتله بابك ، في اثنتين وعشرين سنة ، من عبوي المأمون والمعتصم ، من الأمراء والقواد وغيرهم من سائر طبقات الناس في القول المقتل خمسمائة ألف وقيل أكثر من ذلك ، وأن الإحصاء لا يحيط به كثرة) وبابك الخرمي قد ظهر سنة ٢٠٠ هـ في خلافة المأمون ، وكان يرغى في نشر المجوسية .

(٢) البدايه والنهايه ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٨٣ فيها ميسر المعتصم حيث كثيراً مدداً ثلاثين على معاربه بابك ، وبحث إليه ثلاثين ألف ألف درهم بصفة للحد (٠٠٠) .

(٣) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٩٠ من أحداث سنة ١٢٦ هـ .

(٤) العصر العباسي الأول - الدوري - صفحة ٨٤ - ٨٩ ، وكان يرأس الخوارج المحمرة عبدالقهار وكاسوا فد اسولوا على جرحان - كتاب دول الاسلام ، الجزء الأول صفحة ١١٠ ضمن أحداث سنة ١٦٢ هـ .

الذي ظهر في الحريرة ، حائلًا مركزه صيبين^(١١)

ومن المبالغ الكبيرة التي أنفقها الدولة العباسية من بيت المال في زمن الخليفة المأمون سنة ١٩٩ هـ ، وسنة ٢٠٠ هـ ، المبالغ والأموال الطائلة التي صرفت بلقاء على ثورة الطوحيين وكان القاتل بأمرهم أبو الفراء السري بن منصور ، ومهت هذه الثورة سنة ٢٠٠ هـ بعد مقتل أبي الفراء^(١٢) . وقد أسف الخفاء في العصر الأول للدولة العباسية الأموال الكثيرة من بيت المال لمقتضا على ثورات الطوحيين .

٤ - نفقات تأسيس المدن وسميرها واستصلاح الأراضي والديون بموافق الدولة ..

في الخفاء في العصر الأول للدولة العباسية عناية كبيرة بموافق الدولة ، واهتموا بتعميم موارد الثروة في بلادهم ، حتى يتميز لهم بذلك معزز كيان دولتهم . بذلك رعدوا الأموال ، للاتفاق فيها على تطهير الأسفار ، وحفر الترع ، والقنوات ، وقامة الطائر والمدود ، والحيور^(١٣) ، وبناء المدن . كما أحاروا بولايهم في تأسيس بولايات المختلفة سلطة الاتفاق على موافق أقاليمهم ، وولاياتهم^(١٤) .

ولد نالت الأراضي الواقعة بين دجلة والفرات ، خطاً وفراً من العباسية . فامتدت بها شبكة واسعة المطاق من الترع والمصارف ، فحسنت زراعتها . ولم تحرم أيضاً المسا طق الواقعة شرقي دجلة من هذه العناية ، حتى أصبح العراق وجنوب فارس في العصر الأول للدولة العباسية مزدهراً بالزراعة .

(١) الكامل في التاريخ، المجلد الخامس ، صفحة ٩٧ .

وفي كتاب العصر العباسي الأول ، صفحة ١٤٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ١٧٢ - ١٧٧ وصف أحداث سنة ١٩٩ هـ ، وسنة ٢٠٠ هـ .

(٣) تاريخ العراق الاقتصادي ، صفحة ٥١ .

(٤) التر الأول في ترتيب الدول صفح ١٨٧ .

كما عثر الأتاليم الممعد بين الكوفة والبصرة بالضياع والقرى^(١) .

وكان الخليفة الممصور ، رغم ما عثر عنه من تقهر في الاتفاق^(٢) حيث كان يدفع على نفسه (٢٠٠٠) ألف درهم في السنة^(٣) إلا أنه كان يسبق أموالاً كثيرة حين قدم بها ، بتعداد ، وعماره مرافقها ، فقد أنفق عليها (٢٠٠٠ - ١٨٠٠) ثمانية عشر ألف ألف درهم ، وبسبب تعداد سنة ١٤٥ هـ^(٤) .

وكانت البصرة الممراية في العصر الأول للدولة العباسية ، قد بدأت مع ظهور الخليفة الأول أبي العباس السفاح ، حيث بنى مدينته بالكوفة على الشراة عرفت باسمها ، ثم احصار بول الأمار هبى بها مدينته المعروفة ، فلما توفي دفن بها^(٥) . وقد أنفق الخليفة الممصور أموالاً كثيرة لحفر بئر الأمير^(٦) بالبصرة ، وكسبان الهدف من الحفر وإصلاح الأراضي الزراعية في هذه الناحية .

-
- (١) تاريخ الخلفاء الإسلامية في الشرق ، صفحة ١٢٩ .
 (٢) تاريخ الخميس في أحوال أنص نفيس ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٢٤ يقول الديار بكري من الخليفة الممصور (- ولمحاسبته العمال والصانع على الدوايق وبحبات سى بالدوايق ، وكان مع هذا ربما يعطي العطاء العظيم) .
 (٣) تاريخ بعداد أو مدينة السلام ، المجلد الخامس ، صفحة ٢٩٢ وجاء فيه :
 (- فتح الممصور يوماً حرانه مما قبض من خراس مروان بن محمد ، فأخصى فيها اثنا عشر ألف عدل حره فأخرج منها ثوباً ، وقال : يارببع أقطع من هذا الثوب جنتين لي واحدة ، ومحمد واحدة ، فقلت : لا يجيئ منه هذا ، قال : فأقطع لي منسمة جبة وقلنسوة ، وبخر بثوب أمر يخرجني للبهدي ، فلما أقيمت الخلافة إلى السبي السبي أمر بتلعة الحزانة بعينها ، ففرقت على الموالى والعلمى والخدم)
 (٤) تاريخ بعداد أو مدينة السلام ، المجلد الأول ، صفحة ٦٩ وجاء في روايه أخرى في نفس المصدر والصفحة : (- أن أبا حنيفة الممصور أنفق على مدينته وحامها وقصر الذهب فيها ، والأبواب والأسواق إلى أن فرغ من بنائها ، أربعة آلاف إلى وثمانمائة وثلاثون ثمانين مائة) .
 (٥) صوح البلدان ، صفحة ٢٨٥ . وعند الحديث عن مصير الكوفة ، وقد استسلم الخليفة أبو حنيفة لما كان بقي في بناء مدينة الباشقية ، أراد فيها بناء ، وهياها على ما أراد ، وبالطبع فقد صرف ممرحات هائلة على كل هذه الامارات .
 (٦) ما في فتوح البلدان ، صفحة ٢٥٦ ، ٢٥٧ عند الحديث عن مصير البصرة مائلى (وسير الأمير بالبصرة ، حفره الممصور -) .

كما بنى المهدي مدينة الري سنة ١٥٨ هـ في خلافة المنصور^(١) وأنفق الكثير على البناء ، وقبل ذلك بنى الخليفة المنصور سنة ١٥٥ هـ مدينة الرافقة^(٢) .

وحينما بنى الخليفة المهدي الخلافة ، أنفق أموالاً كثيرة في إنشاء الطرق بين بلاد العرب والعراق^(٣) .

وكان والده الخليفة المنصور قد أمر بتوسيع الطرقات سنة ١٥٧ هـ وأقام حوزة جديدة بعد الإنشاء من بناء مدينة بغداد^(٤) ، وبالطبع فقد أنفق أموالاً لهـده الأعمال .

وحينما قام المهدي ببناء مدينة سهر قرب همدان وتحميتها ، واستأنف الناس ، أنفق أموالاً كثيرة^(٥) .

أ ونهر الملك أمر المهدي أن يحفر ، من أعمال وسط ، حفرة وأحيطت بأعلىه من الأرضين ، وحملت عليه لثلاث أهل الحرمين ، والمطافئ هناك ، وعكى أنه كان شرط لمن بولث عليه من المزارعين ، أن يفاقموا عليه بنى الخمسين ، خمسين سنة ، فإذا انقضت الخمسون لم يجزوا على الشرط المشروط عليهم^(٦) ، أما الخليفة الهادي

(١) فتوح البلدان ، صفحة ١٢١٥ . قدم أمير المؤمنين المهدي ، في خلافة المنصور بنى مدينة الري -- وحمل حولها حندقاً ، وبنى فيها مسجداً جليلاً .

(٢) فتوح البلدان ، صفحة ١٨٤ وحلال الحديث من فتوح الجريزة .

(٣) المقمود ببلاد العرب المحفل ، وجاء في البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء المأثر ، صفحة ١٢٢ (...) وفيها أمر المهدي بحفر الركاب ، وعمس المصانع ، وبناء القصور ، في طريق مكة ، وولي يفتي بن موسى على ذلك ، فلم يزل يعمل في ذلك إلى سنة إحدى وخمسين ومائة ، مقدار مئة سنين ، حتى عارت طريق الحجاز من العراق من أرق الطرق ، وأمسها وأظلمها .

(٤) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء المأثر ، صفحة ١١٥ ، وجاء فيه

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة ، فيها بنى المنصور قصر المساء بالحلند في بغداد وفيها حول المنصور الأسواق من قرب دار الأمانة إلى باب الكرخ وفيها أمر بتوسيع الطرقات ، وفيها أمر بعمل حفر عند باب الصغير

(٥) فتوح البلدان ، صفحة ٢٠٢ عند الحديث عن فتح همدان .

(٦) بيد من كتاب الحراج وصنفه الكتابة ، صفحة ٢٤١ ، ٢٤٢ - وفي فتوح البلدان مثل ذلك ، أن المهدي حفر سهر الملك صفحة ٢٨٩ عند الحديث عن أمر وسط العراق .

فقد بنى مدينة موسى ، أمام شعر قزوين ، وقباع أرضاً وصيّر رحباً على مصالـح
المدينة ^(١) .

وقد تحدثنا سابقاً عن بناء مدينة الحدث (المهدية - المعبدية) في عهد
الخليفة المهدي ، والذي كلف بهاؤها باللبس ، ولزراق الجنود المقربين بها الكثير ^(٢)
كما كلف بناء قالبقلا وسعيرها في أرمينية في عهد أبي حمير المصور من ألب كبرى
من بيت المال ، وخصوصاً حينما سب إليها جنداً من أهل الحريرة وغيرهم ^(٣) .

وكان الخليفة المصور قد أعاد حفر نهر شيلي بالأنبار ، والذي كان منهدماً ،
إلا أن الحفر لم يسسم إلا في خلافة المهدي ^(٤) ، فم حفر هذا النهر ، واستفادة
منه ، وإصلاح الأراضي الزراعية التي حولته .

كما أن أم الخلفاء (الحريران) أمرت بحفر النهر المعروف بمهدود ، وسماه
الربان ^(٥) ، وساعد هذا النهر على اصلاح وكوس أراضي زراعية جديدة .

ومن الأنهار التي حفرها وحرف عليها الخليفة المصور ، نهر أبي الأسد ،
وقد سب هذا النهر إلى أبي الأسد ، وهو قائد من قواد الخليفة المصور ^(٦) .

(١) فتوح البلدان ، صفحة ٣١٨ ، ٣١٩ وعند الحديث عن فتح قزوين ورجوعه
(وكان موسى الهادي لما صار إلى الري أتى قزوين ، فأمر ببناء مدينة ياراشها ،
وهي تعرف بمدينة موسى ، وانباع أرضاً تدعى رسماباد ، فوقف على مصالح
المدينة) .

(٢) صفحة ٤٦ من هذا البحث . وكذلك في فتوح البلدان ، صفحة ١٩٤ عند الحديث
عن فتح ملطية .

(٣) فتوح البلدان ، صفحة ٢٠٢ وفي فصل فتوح أرمينية .

(٤) (١٤) فتوح البلدان ، صفحة ٢٧٤ (وعند الحديث عن يوم حنولا الواقعة)

(٦) فتوح البلدان ، صفحة ٢٩٩ ، ٢٩٢ (وعند الحديث عن أمر البطائح) وجاء في رواية
أخرى أن القائد أبو الأسد أقام على قم النهر ، لأن السور لم يدخه بمهقة عهد
قوسه وسب إليه ، وكان ذلك عند قصته على فتنة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن

ومن الممالي التي أحدثها الخليفة المنصور ببناء طرقاته بالكوفة^(١) - وحفره
خندق الكوفة^(٢) - وبناءه زبطره وقد تعددنا عنها^(٣) .

كما بنى مدينة وحتمها وأيضاً موعش ، وقد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن
النفقات العسكرية^(٤) .

وقد اصم العلماء في العمر الأول للدولة العباسية أيضاً ببناء المساجد والامامه
عصياً ، يذكر البلاذري أن الخليفة المهدي راد في مسجد البصرة ، وفي عهد الخليفة
الرشيد وسع هذا المسجد أيضاً وأصبحت إليه مساحة دار الإمارة^(٥) .

وفي سنة ١٦٠ هـ أمر الخليفة المهدي بإنشاء رواقات المسجد الحرام ، وحمل
إليها الأعمدة الخرام في البحر ، وفرق في أهل الحرمين مالم يسمع بصله أبداً^(٦) .

لم يدخر الخليفة هارون الرشيد وسماً في رعايته مصالح الدولة ، فقد أشار عليه
القاضي أبو يوسف بالأهتام بكراء الأسهار وحفر القنوات والعناية بالريادة ، واستجاب
الخليفة الرشيد لهذا الرأي السديد ، وحفر عدداً من الأسهار بالعراق ، منها سمر
القاطول ، وسمر أبي الحليل ، وأسقى في ذلك ١٠٠٠٠٠ ر. ١٢٠ ر. ألف درهم^(٧) .

(١) فتوح البلدان ، صفحة ٢٨٥ - (وعند ذكر تصوير الكوفة) .

(٢) جاء في فتوح البلدان صفحة ٢٨٧ (١٠٠٠) أخذ المنصور أهل الكوفة بحفر حدتها ،
وأمر كل أمرئ منهم للمنفعة عنه أربعين مراعاً ، وكان دماً لهم ، لصلتهم
إلى الطائفة^(١٠٠) .

(٣) انظر صفحة ٤٦٠ من هذا البحث ، وفي فتوح البلدان صفحة ١٩٥ عند الحديث عن ملطية

(٤) انظر صفحة ٤٥٩ من هذا البحث ، وفي فتوح البلدان صفحة ١٩١ ، ١٩٣ .

(٥) فتوح البلدان ، صفحة ٣٤٢ عند الحديث عن تصوير البصرة وجاء فيه ا - راد
المهدي أمير المؤمنين في المسجد ، فأدخلت الدار كلها فيه ، وأدخلت فيه
أيضاً دار الإمارة في خلافة الرشيد رحمه الله .

(٦) تاريخ الخمين في أحوال أنس بن سفيان ، الجزء الثاني صفحة ٣٣٠ وعند ذكر خلافة
المهدي أبي عبدالله محمد بن أبي جعفر المنصور .

(٧) كما - الور ، والكتاب صفحة ١٢٧ ، وعند الحديث عن أيام هارون الرشيد ، وجاء
فيه (واحتفر القاطول ، واستخرج سمر ١٠٠٠٠٠ ماء أبو الحليل ، وأسقى عنه عشرين ألف
ألف درهم) .

ويذكر بقوت أمر الفاطول لنهر مقطوع من دجلة ، وهو سمر كان في موضع سامراً قبل أن يعمر ،
وكان الوثيد أول من حفر هذا النهر ، وبني على فوهته قمرأ سماه أبا الحسن
بكنوه مكان يحيى من الأرمن ، وجعله لأوراق حدها^(١) .

واهتم الخليفة الرشيد أيضاً بالصرف على بناء المدن وتعميرها فقد بنى الرشيد
كفر ببة بالعميمة ، وجعلها بخندق^(٢) .

وفي سنة ١٧١ هـ أمر الخليفة الرشيد ببناء بعمارة طرسوس ، وبنائها وسميها بعميرة ،
وتعميرها ، وبناء مسجد^(٣) .

وفي سنة ١٨٠ هـ أمر الخليفة الرشيد ببناء مدينة عيسى ربة وتعميرها ، وبني
إليها مدينة من أهل خراسان وغيرهم ، فأنطعم بها المنازل^(٤) .

وفي سنة ١٨٢ هـ أمر ببناء الهارومية ، فبنيت وشحت أيضاً بالمقاني ، ومن
روح إليها من المتطوعة ، وسيت المدينة إلى الخليفة^(٥) .

كما أمر الخليفة الرشيد ببناء مدينة الكنيسة السودا ، وتعميرها ، وبني إليها
المقاني بربادة عيسى الأرماني^(٦) .

(١) منهم البلدان ، المجلد الرابع ، حرف القاف ، صفحة ٢٩٧ .

(٢) صوح البلدان ، صفحة ١٧١ وبعد الحديث عن التميمير الشامية وجاء فيه -

(٣) . . . وبني الرشيد كفر ببة . ويقال بل كانت أهدئت في خلافة المهدي ، ثم
عمر الرشيد بنائها وحصنها بخندق ، ثم رفع إلى الساميين في أمر غلة كانت
على منازلها فأنطعمها ، وكانت منازلها كالحانات ، وأمر لجعل لها مسجد ،
فرجع ، فلم يسم على توفي ، فأمر المحتشم بآلته باتمامه وتشييده . (٤) .

(٥) صوح البلدان ، صفحة ١٧٢ ، ١٧٤ وبعد الحديث عن الشعوب الشامية -

وكان قد سم إحصاء ثلاثة آلاف رجل من أهل خراسان ، وألفي رجل من أهل العميمة
وألف من أهل انطاكية ، على ريادة في عطاياهم عشرة دنانير وعشرة دنانير
بمسكون طرسوس ، وقد تم بناؤها سنة ١٧٢ هـ

(٦) (٥)، (٦)، صوح البلدان ، صفحة ١٧٥ ، وبعد الحديث عن الشعوب الشامية ويقال

إن مدينة الهارومية بناها الرشيد في خلافة المهدي ثم أتم في خلافة

كما قام الخليفة الرشيد باستكمال بناء مدينته الرائعة بالحيرة^(١) . ومع كثرة الأموال التي أنفقها الخليفة هارون الرشيد في الميوس بدولة ، فإنه ترك بعد وفاته ببيت المال (١٠٠٠٠٠٠ ر. ٩٠٠٠٠٠) ستمائة ألف ألف درهم وبنف^(٢) ويذكر ابن كثير أنه جث من الحواهر والأثاث والأسعة سوى الصياغ والدور عاقبته (١٢٥٠٠٠ ر. ١٢٥٠٠٠) ألف ألف دينار وحسنه ونلاسون ألف دينار ، وكان في بيت المال (١٠٠٠ ر. ٧٠٠) ستمائة ألف ألف درهم وبنف^(٣) .

ومن السبلح التي بخطها بيت المال في العصر الأول للدولة عباسية ما أسر به الخليفة الأمين من بناء بغداد (استراحات) و مبشرات ، وما أمر به من عسبل حسن حرافات في دجنة على هيئة القبل والأند والنقاب والحب وبنف^(٤) .

وأمل الخلفاء في العمر الأول للدولة العباسية وبعد الخليفة هارون الرشيد ، على تعمير البلاد ، ومساعدة البلاد ، ففي سنة ٢١٨ هـ وجه الخليفة الحاسن ابنه العباس إلى طواس وأمره ببناها ، وكان قد وجه الفعلة ، فابعدوا في بناها صلاً في صبل ، وجعل سورها على ثلاثة فرائخ ، وجعل لها أربعة أبواب ، وجعل على كل باب حصاً ، وكسب إلى البلدان ليقوموا على كل بلد جماعة ، ينقلون إلى طواس وأجرى لكل عماري مائة درهم ، ولكل راجل أربعة درهماً^(٥) . كما عاون الخليفة المعتمد أهل الشاف بمبلغ وقدره (٢٠٠٠٠٠ ر. ٢٠٠٠٠) ألفي ألف درهم ، لكر في شهر ليهسهم

-
- (١) فتوح البلدان ، صفحة ١٨٤ عند الحديث عن قسج الجوزة .
 (٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٢٤ ومن أحداث سنة ١٩٣ هـ .
 (٣) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٢٢ .
 (٤) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢١٥ ومن أحداث سنة ١٩٨ هـ وعند ذكر الخبر عن بعض شهر الصلحوع محمد بن هارون .
 (٥) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٢٢١ ومن حوادث سنة ٢١٨ هـ .

وإعادة جعره بعد أن اندفن في اليهود السابقة^(١) .

وكان الحليفة المعتمد يحب العمارة ويقول : إن فيها أموراً محموداً من عمر ب
الأرض التي يحيا بها العالم ، وعليها يركو الخراج ، ويكثر الأموال ، ويسكن البهايم
ويكثر الأسفار ، ويكثر الكسب ، ويتسع المعاش .

ولذا لما قال لوزيره محمد بن عبد الملك: إذا وجدت موضعاً حتى أنعمت فيه
عشره دراهم ، جازي بعد سنة أحد عشر درهماً ، فلا يزال يرضى فيه^(٢) .

كما أنشأ الحليفة المعتمد مدينة سر من رأى (سامراء) ، في صحراء ، لم يكن
بها أنيس ، إلا دير لخصاري بالموضع الذي حارت فيه دار السطرن والصروفنة بدير
العامه ، ومار الدير بيت المال - وقد اشترى المعتمد هذه الأرض من أصحاب هذه
الدير ، وبيع لهم أربعة آلاف دينار ، ثم أحمر السبديس ، وحط القطائع للقواد
والكتاب والناس ، وحط المسجد الجامع ، واخذت الأموال ووسعت صفوف الأسبوي ،
وحملت كل تجارة منفردة ، وكل قوم على خدمتهم^(٣) .

وكل هذه الأعمال ، كلفت سبب المال الكثير من السفقات ، وخصوصاً إذا عرفت
أن الحليفة المعتمد وهو يبحث عن مكان مناسب له ويجده الأثرالك وقبل الوصول إلى
(١) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٢٦٥ ، ٢٦٦ من أحداث سنة
٢٢٧ هـ ، وجاء فيه (- - -) وأعدت لأهل الشام منه أئى من المعتمد - ألفي ألف
درهم ليعمل بهر كان لهم اندل في صدر الاسلام ، فأمر بهم وكذلك في تاريخ
أهم والملوك ، المجلد السادس ، الجزء الحادي عشر ، صفحة ٨ من أحداث
سنة ٢٢٧ هـ ، وعند ذكر الخبر عن بعض أخلاق المعتمد وسيره - وكذلك في
الاسلام والحصارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٣٧ وعند الحديث عن الادارة
على عهد المعتمد وأخلاقه .

(٢) الاسلام والحصارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٣٧ .

(٣) كتاب البلدان ، اليعقوبي ، صفحة ٢٥٥ - ٢٥٩ - جاء فيه ا وكتب - أي الحليفة
المعتمد - في اشخاص الفعلة ، والبنائين ، وأهل المن من الحدادين -
والحارثين ، وسائر الصاعات وهي حمل الحاج وسائر الخشب والجذوع من البصرة
وفي حمل عمله الرحام ، وغرس الرحام ، فأقيم بالبلاد فيه وغيرها دور صناعة
الرحام - (-) .

مكن سو من رأى ، قام بيده ، مدينة على سحر القاطول وأقطع القواد والكساف والماس ،
فهبو ، حتى لرفع الهباء ، واحتطت الأوق على القاطول وعلى دخله ، وسكن هو في
بعض ما بني له ، وسكن الماس أيضاً ، ولكن المكان لم يعجبه ^(١) ، فاحذر سو من رأى
عندما اهتدي إليه .

وقد اهم الخليفة المعصم سر من رأى وألق عليها الكثير من الأسوار حتى
حفظها كأي مدينة حديثة ، فقد أنشأ فيها القروس (المواني) لاستقبال السفن والمجارات
التي سود من بغداد وعمرها من المدن الكبيرة ، وأقام جبراً إلى بجانب العربي من
دجلة ، فأنشأ هناك العمارات والمساكن والأجلة ، وحفر الأنهر ، وجعل النخل من
بغداد والبحرة وسائر المواد ، جعلت الحروس من الجوزة والشام والجيل والسري
وحراسا وسائر البلدان ، فكثر المياه في سر من رأى ^(٢) .

وقد أدم الخليفة المعصم (من كل بلد من يحمل صلاً في الأعمال أو بحال
مهمة من مهن العمارة والزرع والحمل والعروس ، وهندسة الماء ووزنه وسياطسته ،
والعلم بمواضعه من الأرض ، وحمل من مصر من يعمل الفرائس وغيرها ، وحمل من
بحيرة من يعمل الزجاج ، والخزف والحصر ، وحمل من الكوفة من يحمل الخسوف ،
ومن يحمل الأدهان ، ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة ، فأثروا بهديالهم
بهذه المواع ، واظهروا فيها ، وجعل هناك أسواقاً لأهل المدن بالمدينة ، وبسكنى
المعصم العمارات قصوراً ، وصير في كل بلد قصرأ ، فيه مجالس ، وبرك ، وميادين
فجست العمارات ... وبلغ الحريق من أرض ما لا كبيراً ^(٣) }

(١) كتاب البلدان ، المقوقبي ، صفحة ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) كتاب البلدان ، المقوقبي ، صفحة ٢٦٢ ، ٢٦٤ وحتى شوارع سر من رأى سم
تسميتها ، حيث جاء فيه (والشارع الذي على دجلة يسمى شارع الخلدج)

(٣) كتاب البلدان ، المقوقبي ، صفحة ٢٦٤ ، وقد سمي الماس من كثره ما أطلق عليه
الخليفة المعصم أن يكون لهم أرض في سر من رأى ، والتي كانت عبارة عن
صحراء قاحلة من قبل . وكذلك في فتوح البلدان ، صفحة ٢٩٥ وفي فصل أمر
مدينة السلام وجاء فيه (...) ولما بدأ أي الخليفة المعصم - بناء مدينته
سركها ، ثم رأى بمصر سر من رأى ، فمصرها ونقل الماس إليها ، وأقام به ،
وسمى مسجداً جامعاً ، في طرف الأسواق ، وسماها سر من رأى .

ومى جلالة المعتصم بم إعادة بناء سور قالبقلا بأمرسيه بعد هجوم السروم
عليه وقد أُنقِ الحليفة المعتصم عليه (٥٠٠ ر ١٠٠) خمسمائة ألف درهم حتى حصن^(١١) .

كما أعاد الحليفة الوثائق بالله بناء حي الكرخ ، الذي احترق في عهد^(١٢) ،
وأنفق في ذلك (١٠٠٠٠٠ ر ١٠٠) مليون درهم^(١٣) . (وراد هي الأسواق ، وعظمت السروم -
المواني - التي سردها السروم من بغداد وواسط والبصرة والموصل ، ١٠٠)^(١٤)

وكان قد بنى القصر المعروف بالهاووسي على دجلة ، وجعل فيه محالين ، في
دكة شرعية ، ودكة غربية ، وأقطع الناس^(١٥) ، وقربهم اليه وكل ذلك كنف بيت المال
الكثير من النفقات .

وقد اجتمعت الحلفاء في الحضر الأول لندولة السياسية كثيراً بمياه الرّي ، وبنع من
شدة اهتمامهم بمياه الرّي ، أن أقاموا لذلك ديواناً في بعض الأقاليم والمواحي ، أطلق
عليه " ديوان النهر " ، فكان في مرور مثل هذا الديوان كما ذكر السدي

ويشرف عليه أمير بعاونه أكثر من عشرة آلاف عامل ، وتودع في سجلاته مظاهر
الحراج على حسب نوع الرّي كذلك أقام العناصر سداً في جنوب مرو ، كان يشرف
عليه أربعمئة فواص قيلاً ونهاراً^(١٦) .

- (١١) فوج البلدان ، صفحة ٢٠٢ وعند الحديث عن فتوح أرمينية ، وجاء فيه
١٠ " وقد كان طائفة الروم خرج إلى قالبقلا في خلافة المعتصم بالله ، فرمسي
سورها ، حتى كاد يسطط ، فأنفق المعتصم عليها خمسمائة ألف درهم حتى حصن . "
- (١٢) بغداد في عهد الخلافة العباسية ، لوسترانج ، صفحة ٢٦٦ .
- (١٣) كتاب البلدان ، اليعقوبي ، صفحة ٢٦٥ .
- (١٤) كتاب البلدان ، اليعقوبي ، صفحة ٢٦٦ .
- (١٥) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم صفحة ٢٢١ وجاء فيه : " موضع مقبضهم على
فرسخ من المدينة ، شبه حوض مستدير ، فإذا قدر الممولى بذلك ، أنفذ البريد
ساعة إلى ديوان النهر خاصة ، ثم ينفذون الرسل إلى جميع المسؤولين شعب
النهار فيقسموا الماء على ذلك المقدار ، وعلى الموضع الذي ذكرنا أولاً أربعمئة
عوض بواعونه في لياليهم وسهارهم ، وربما احتاجوا دخول الماء في المرد بشديد
فيطلبون أنفسهم بالشمع ١٠٠ " .

وحاء في أحسن المقاسيم في معرفة الأقاليم (وأما سمر المروث فيحرج من تحت العير ، فيمد إلى مرو العليا ، ثم يعطف إلى السفلى ، فإذا صار منه على نحو مخرج ، بقيه واد عظيم ، قد سد من الجانبين بالحطب عجيب ، وانحس المساء على سواى المصب ، ثم مد إلى مرو ، وعليه أمير أقوى من أمير الحمانيه ، تحت يده عسرة آلاف رجل مرتقى وعليه حراس يحفظونه ، لئلا يهربوا ، ولا ترى أحسن ولا أتقن من قبله)^(١) .

ومن الجدير بالذكر أن العصر الأول للخلافة العباسية شهد أموراً لم تشهده بعض الدول الحديثة في عصرها هذا ، منها أن العباسيين قاموا بأنشاء قنوات في جوف الأرض ، عليها قناطر ، وذلك لتجميع ماء المطر ، بنح طول أحدها خمسين كيلومتراً ، مما يدل دلالة واضحة وبينة على محاسن التكليف والنفقات التي عرفت لاقامتها^(٢) ، واهتمام الخلفاء العباسيين الأول بمثل هذه الأمور .

فقد كانت هبالك فطرة بمدينة قم من هذا النوع^(٣) كما شتهرت ببساتينها بلواتها التي تجري تحت الأرض ، وكان بها الكثير من المياه الحاربه المعطشاة ، بعضها في خراج المدينة ، يستخدم في ري السانين ، والبعض الآخر بعد الدور وبيوت بالما .

يقول الامطخري وهو يتحدث عن بساتين (١٠٠٠ وأكثر مياهها تُسقى ، تظهر تحت مساكنهم ، وتظهر خارج البلد في مباحهم ، ولها عُنى نظير في البلد ، ويجرى في دورهم ، وبساتينهم داخل البلد وخارجاً عنه . . .)^(٤)

(١) أحسن اسقاسيم في معرفة الأقاليم صفح ٢٢٠ والحطب عجيب أي الحشب والخلفاء .

(٢) تاريخ العمارة الإسلامية في الشرق ، صفح ١٢٠ .

(٣) وحاء في المسالك والممالك ، الامطخري ، صفح ١١٥ وعند الحديث عن قسم (- أن ماء آبارهم صالح ، فإذا حفروها ميروها واسعة مربعة ، ثم رفعت من فمورها بالأحجار حتى تبلغ دروة البئر ، فإذا جاء أول المطر والشمس ، أحروا ماء ، وأبهم العذب إلى هذه الآبار ، فلا يزال طول شتائهم وأيام المطر يدخل من الآبار من ذلك الماء العذب ، فإذا جاء الصيف ، استقوا من تلك الآبار ، ماء عذياً ، يلوذاً طويلاً إلى أن ينفذ . . .) -

(٤) المسالك والممالك ، الامطخري ، صفح ١٤٦ .

٥ - مميزات البريد -

في العصر الأول للدولة العباسية - اهم الخلفاء - ، بعملية تنظيم البريد - ، وأسقط المبالغ الكبيرة من بيت المال لإنشاء الوكالات البريدية في مختلف المناطق ولأقاليم ، وحتى يمكن الرسل الذين يسمون الدولة (البريديون) من توفير الخيول ، والموقف لراحه قاهرة ، حتى يتم هذا السعي .

ومميزات البريد كانت تشمل على أوراق البريد من (العربيين - الموقعون) وصاحب البريد ، ومقايير شراء الحمول والمحال والجمال البريد (الحمار) ، ونعمام الرجال ، وسليف هذه الحيوانات ومقايير حفظ طرق البريد وصيانتها من النصوص ومقايير صيانه مباني البريد ، وصيانه وتصميم الطرق التي يمر بها البريد ^(١) وبلغت شراء الاحتكاك (السجلات) .

وقد بلغت محطات البريد في العصر الأول للدولة العباسية حوالي ألف (١٠٠٠) محطة ، تتوزع على ثمان خطوط أو فروع كبرى أو عمومية ، بلغت بلغت أهداه وهو غرض اليمن أربعة ملايين (٤٠٠٠,٠٠٠) درهم ^(٢) .

وقد أنشأ الخليفة المهدي محطة جديدة بين مكة والمدينة واليمن سنة ١٦٦هـ وأنفق عليها من بيت المال ^(٣) .

وكان من أهم مهام البريد غير نقل الرسائل ، استقدام البريد كوسيلة من وسائل استخبار الأس - وقمع المتمردين والنفس ، وحمل الحارثيين والشائريين على الدواب إلى

(١) انظر فصل بيت المال في هذه المرحلة - الدواوين الادارية - ديوان البريد - صفحة ٢٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ من عمل بيت المال -

(٢) المطائر البريد - صفحة ٢٢٠ .

(٣) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٤٩ . وكذلك في نظام البريد في الدولة الإسلامية صفحة ٥٨ .

(١) عامة الخلافة .

وهذا يتطلب زيادة عدد الدواب ، وبقوات إصابه لرعاتها .

وكانت مواعيد سفر عمال البريد يحملها السعاة على أبواب المساجد والأسواق والمحلات العامة ، وقد كثر التحلل من بعض المقربين السعديين حول المديرات التي أوردتها ابن خردادبة عن بققاب البريد في العصر الأول للدولة العباسية ، فقد ذكره أن بققاب الدواب وأنعامها ، وأوراق الموظفين بديوان البريد بنصب في السنة ١٥٩١٠٠ دينار وبسحراهم (١٠٠,١٥٩,١٥٠ = ٢٨٦,٢٨٦ درهم) (٢).

وقد على بعض المؤرخين على ذلك بقوله إن هذا الرقم لا يمثل مبرانية البريد في الدولة كلها ، ولكنه على الأرجح يمثل مبرانية البريد في العراق فقط . لأن تكاليف البريد في عهد الأمويين إقليم العراق بلغت (٢٠٠ ر) أربعة ملايين درهم ، وبذلك ، فلا يمثل أن يكون هذا الرقم الذي ذكره ابن خردادبة يمثل بققاب البريد في الدولة كلها مع إباح الخدمة البريدية في العصر الأول للدولة العباسية ، وعلى هذا الأساس فإن ما ذكره ابن خردادبة يمثل بققاب البريد في إقليم العراق فقط ، أما بققاب البريد في الولايات ، فكانت تدخل ضمن بققابها العامة . وهو الرأي الذي أمين إليه ، وأرى أقرب للصحة (٣).

(١) نظام البريد في الدولة الإسلامية صفحة ٥٩

(٢) الممالك والممالك ، لابن خردادبة ، صفحة ١٥٢ وحده ، في - - - - - سلك البريد

في المملكة ، ثلث مائة وثلثون سكة ، وبقوات الدواب وأنعامها ، وأوراق

المبادرة والمبرانيين لست مائة ألف دينار ، وستة وخمسون ألف ومائة دينار

(٣) Kremen, the orient under the Caliphs, P, 234.

(٤) أثار المؤرخ المحدث نظير سمادي في كتابه (نظام البريد في الدولة الإسلامية)

الصفحة ٨١ ، ٨٢ على أن الرقم الذي ذكره ابن خردادبة ، هو المبلغ

المقدي الذي يقع على البريد ، في كافة أنحاء الدولة ، وأنه كان هذا

مبالغ عميمة) أخرى ، كانت الخلافة تزود بها مراكز البريد ، مما يرد إليها

من الأقاليم فكانت تزود هذه المراكز بالخيول والبغال والأبل ، والصفوفات ،

والصحاح - لكن المص الذي أورد ابن خردادبة صريح ، وقد أدخل في المبلغ

الذي ذكره أثمان الدواب وبقواتها ، وأوراق موظفي البريد ١٠٠ ، ولكنني أرى =

٦- مفاات العطايا والمصح :-

حرص العباسيون ، منذ قيام دولتهم على منح أنصارهم وتماليهم الكثير من المنح والعطايا من الأراضي والمتاع والأموال الماثلة ^(١) .

ففي سنة ١٤٥ هـ ، منح الخليفة أبو العباس المتفاح ، أحد كبار القويين ،
ويدهن عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب مبلغ مليون درهم ^(٢) ١٠٠٠
درهم ^(٣) .

وبعث عطايا سليمان بن علي العباسي ، أمير البصرة ، وعم الحليفة المصور ،
والذي توفي سنة ١٤٦ هـ (٥٠٠٠٠٠) خمسة ملايين درهم ^(٤) .

كذلك منح الخليفة أبو جعفر المصور ابن عمه عيسى بن موسى وذلك ليحلل من
ولاية العهد لابنه محمد المهدي فأعطاه سنة ١٤٧ هـ مبلغ (٥٠٠٠٠٠) خمسة آلاف
دينار ^(٥) .

كما منح الحليفة المصور من بن راشد (١٠٠٠) عشرة آلاف درهم ، بحس بلاطه
في حماد ثورة الرواندية ^(٦) ، بعد أن كادوا يلقون على حياتهم ، وذلك في سنة ١٤١ هـ ^(٧) .

أر مظهرًا مثل ابن خردادبه يعرف جيداً إذ كانت مسائله بعثات ممينة وسفدية ، وفي
أكثر من موضع في كتابه أشير إلى الإبراداس المقدية بالدرهم والدينار ، وأشهر ممينا
إلى المبالغ العسيرة مثل الفصح والشعر والأرز وخلافه ، فالرقم الذي ذكره ابن خردادبه
يمثل نفقات بريد المراتل فقط كما أشر كريمر ^(٨) .

Kremer, The orient under the caliphs, p. 416 ^(٩)

(١) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٩٥ .

(٢) كتاب دول الاسلام ، الذهبي ، الجزء الأول صفحة ٩٦ من أحداث سنة ١٤٦ هـ .

(٣) كتاب دول الاسلام ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٦ .

(٤) الرواندية أهلهم من خراسان ، يقولون بالناسخ ، ويعلمون أن روح آدم
انتقلت إلى عثمان بن سبيك ، وأن ربيهم الذي يطعمهم ويسقيهم أبو جعفر
المصور .

(٥) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٧٥ ، ١٧٦ .

وكان الخليفة العتصم كثيرًا ما يصح القراء الذين يعصرون مجلسه^(١) كما أطلق في يوم واحد لبعض أعيانه (١٠٠٠ ر) ألف ألف درهم ، وفي هذا اليوم فرق في بيته عشرة آلاف درهم ، وكان ذلك سنة ١٥٨ هـ .^(٢)

وقد توسع المهدي بعد توليه الخلافة في منح أسباع وعماله المنح والمطايا وكان يعطي للشعراء منالغ كبيرة .

كما أحرر الخليفة الهادي المنح والمطايا لأسباعه ومداينه ، وأعطى الشاعر مروان بن أبي حفصة (١٠٠ ر- ١٢٠) مائة ألف ونلأس ألف درهم^(٣) .

كما أعطى الخليفة الهادي عيسى بن دأب ، وكان من أكثر أهل بحار وأعدبهم أدياقاً ، وكان قد عطي عند الهادي حقوه لم تكن لأحد قبله ، وكان يدمو به بصابتكس عليه في مجلسه ، وأمر له (٢٠٠ ر- ٢٠٠) نلأس ألف دينار في دفعة واحدة^(٤) . كما أنه أمر لأحد الأعراب (١٠٠٠ ر- ١٠٠) بمائة ألف درهم^(٥) .

توسع الخليفة هارون الرشيد في إمداق المنح والمطايا ، وكان إذا عرف من شخص أطلق به الأموال كما حدث سنة ١٧٦ هـ ، وعينما أطلق سراح ، يحيى بن عبد الله المصري الذي ثار ببلاد الديلم ، وصده (٠ ر- ١٠) مائة ألف دينار^(٦) .

(١) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٧٩ وجهه فيه
أ كان - عمرو بن عبيد - يقد علي العتصم مع القراء ، فيعطيه المصمصور
فيأحدون ، ولا يأخذ عمرو منه شيئاً ، وكان يسأله أن يقبل كما يقبل أمهاتيه
فلا يقبل منه (٠٠٠)

(٢) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٢٦ .

(٣) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٥٩ .

(٤)، (٥) الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفحة ٨١ ، ٨٠ - من أحادث
سنة ١٢٠ هـ .

(٦) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ١٦٨ من
أحداث سنة ١٢٦ هـ وهو أ يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عيسى
بن أبي طالب () .

وراد الخليفة هارون الرشيد في مكافآت السجود ، مبلغ ما حصل عليه الشاعر
سلم الخاسر من عطاياه (٤٠٠٠ ر) أربعون ألف دينار^(١) .

وكان النحوي هارون الرشيد يحب العلم وأهله ، يذكر السيوطي أنه دفع
أبا يوسف النخعي (مؤلف كتاب الخراج) لثلاثمائة دينار ، فأما ، فأمر به (١٠٠٠ ر) بمائة ألف
درهم^(٢) كما أنه أعطى مرة سفيان بن عيينه (١٠٠ ر) مائة ألف درهم ، وأجـاز
اسحاق الموصلي (٢٠٠ ر) بمائتي ألف درهم .

كما أناعطي الأصمعي خمسة آلاف دينار ، وأجاز مروان بن أبي حفصة مرة على
لمبة (٥٠٠٠) خمسة آلاف دينار ، وخلفه ، وفارساً من مراكبه ، وعشرة من رقيق الروم .
كما فرق بالحرابين مائة كثيراً^(٣) .

ولما توطدت سلطة الخليفة المأمون ، كثرت هداياه ومنحه لعلمائه على
أقاليم ، ولشعراء ، ولأدباء ، والمحبيين ، والعلماء ، وملوك الروم الذين سئلوا البسة
ببعض الهدايا ، فردّها عليهم بخير منها ، يذكر السيوطي أن الخليفة المأمون أمر
بلمصر بن شبل ، وهو شاعر وحافظ لكلام العرب ، وعالم بالمحو والمرف ، أمر له
١ (٥٠٠ ر) بمائتي ألف درهم ، وعندما ذهب إلى الوزير الفضل بن يسـبـيل رآه
(٣٠٠ ر) بثلاثين ألفاً ، فخرج إلى منزله ومعه (٥٠ ر) ثمانين ألف درهم^(٤) .

وأعطى محمد بن رباد الاعرابي عشرة قهضها (٥٠٠) خمسة آلاف درهم عندما
فسر له بيت شعر^(٥) .

(١) وهو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء ، البداية والنهاية ، المجلد الخامس ،
الجزء العاشر صفحة ١٤١ ضمن أحداث سنة ١٨٦ هـ .

(٢) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، صفحة ٢٩١ . وعند الحديث عن فعل في عهد من
لعبار الرشيد .

(٣) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، صفحة ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٤) تاريخ الخلفاء ، صفحة ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٥) تاريخ الخلفاء ، صفحة ٣١٩ .

كما أعطى هدية بن خالد ألف دينار لأديم وحفظه الحديث ^(١) . ويذكر سيوطي أن من الروم أهدى إلى الخليفة المأمون هدية ، فيها مائتا رطل منك ، ومائتا جلد سمور ، فقلد أسفوها له ، ليعلم من الإسلام ^(٢) .

وكان الخليفة المأمون يحب محالته العلماء ، وقد استخرج كتب الفلاسفة واليهود من جزيرة قبرص . وكان يعطيهم العطايا والمنح . ولا عرايه في هذا فهو أوفى من كتب الكعبة الذهبية الأبيض ، وكان حافظاً للقرآن ^(٣) .

وعطايا ومنح الخليفة المأمون كثيرة ولو أردنا احصاءها لاستغرق هذا الفصل كله . ويكر للإشارة فقط مذكر أنه في سنة ٢١٢ هـ وبى إياه المصمم الشام ، وبه العباس الجويره والشعور والمواسم ، وأطلق لهما ، ولعبد الله بن طاهر حاكم خراسان ٥٠٠٠٠ ر. ٥٠٠ ر. ١) مليون وخمسمائة ألف دينار ^(٤) .

ويذكر الذهبي في كتابه ولكن من أحداث سنة ٢١٤ هـ أن الخليفة المأمون أعطى عبد الله بن طاهر الخراساني (٥٠٠٠٠ ر. ٥٠) خمسمائة ألف دينار ، وأمره على ممالك خراسان كلها ^(٥) .

وفي سنة ٢١٨ هـ توسع الخليفة المأمون في عطائه ، ومنحه عند أعطى محمد بن عباد بن المهلب (٣٠٠٠ ر. ٣٠٠) ثلاثة آلاف ألف درهم ^(٦) .

- (١) جاء في تاريخ الخلفاء صفحة ٢٢٢ من هدية بن خالد . قال : حضرت بغداد .
- (٢) المأمون ، فلما رفعت المائدة ، جعلت ألتقط ما في الأرض ، فنظر إلي المأمون ، فقال : أما سمعت ؟ قلت - بلى ولكن حدثني حماد بن سلمة عن ثابت بن عيسى عن أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من أكل مانعت مانعة أمن العقر ، فأمرني بألف دينار) وجاء مثل ذلك في البداية والنهاية المجلد الخامس الجزء العاشر صفحة ٢٧٨ تاريخ الخلفاء ، صفحة ٢٢٥ .
- (٣) تاريخ الخلفاء ، صفحة ٢٢٧ ، ٢٢٨ وجاء في صفحة ٢١٥ من نفس المصدر ما يلي :
ثم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء إلا عثمان بن عفان ، والمأمون .
- (٤) البداية والنهاية ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٦٧ من أحداث سنة ٢١٢ هـ .
- (٥) كتاب دول الإسلام الجزء الأول ، صفحة ١٢٠ .
- (٦) البداية والنهاية المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٧٨ .

وكأن الخليفة المأمون قد أطلق للحسين سهل بعد أن مروج ابنته خديجة ، يوم ١
(١٠٠٠ ر ١٠٠٠ ر ١٠٠٠) عشرة آلاف ألف حواطعه فم الملاج (١)

وأما الخليفة المصمم فقد سار على نهج أبائه في الدعاية والمسخ ، ففي سنة
٢٢٢ هـ ، وحيثما هزم القائد الأتشي بابك الحربي ، ونفى على العتة هناك ، سوح
الخليفة المصمم الأتشي ، وألبه وشاحين بالجوهر ، ووصله ، ر ١٠٠ ر ١٠٠ ر ١٠٠ ر ١٠٠
ألف ألف درهم ، منها عشرة آلاف ألف ملة ، وعشرة آلاف ألف يفرقها في أهل عسكره
وعقد له على السند ، وأدخل عليه الشعراء يمدحونه ، كما أمر لبشر ، بالمسح
والملات (٢)

كما أعطى الخليفة الواثق بالله سنة ٢٢١ هـ وصيفاً الخادم مبلغ ٧٥٠٠٠ درهم
وسبعين ألف دينار ، وخلق عليه ، وذلك بعد ما نفي على ثورة لأكراد في الحريرة (٣)

وموضوع المنح والعطايا كبير ، وبه تفصيل كثيرة ، وبحاجة إلى باب كامل ،
حيث أن المسح والعطايا ذي أقسام مختلفة ، فمنها منح لأغراض سياسية ، ومنح بسند
من المكافآت ، ومنح بشخصية للمعالي في الدفاع من الدولة ومنح للعلماء والشعراء
والأدباء ، ومنح - وحفت أن أتوسع وأخرج من الموضوع الذي نحن بمددته ، وهو الإشارة
إلى أن المطايا والمسح كانت تضييق جراً لا بأس به من سيرانية الدولة في العصر الأول
للدولة المباسية .

(١) البدايه والنهايه ، المجلد السادس ، الجزء الحادي عشر ، صفحة ٤٩ وممن
أحداث سنة ٢٢١ هـ ، وهي السيرة التي توفت فيها يور ، روعة الخليفة المأمون

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٢٢٤ .

(٣) البدايه والنهايه ، المجلد الخامس ، الجزء المباشر ، صفحة ٢٠٢ من أحداث سنة
٢٢١ هـ وجاء فيه { ١٠٠٠ } وفيها قدم وصيف الخادم بجماعة من لأكراد ، نحو من
خمسمائة في القبود ، كما هو قد أفسدوا في الطرفات ، وقطعوها ، فأطلق الخليفة
لوصيف الخادم خمسة وسبعين ألف دينار وخلق عليه ١٠٠٠

فقد أنفق حلفاء العصر الأول للدولة العباسية الكثير لمرجمة الكتب، ونقل العلوم الدنيوية وفلسفة بعض الحضارات السابقة، والاستفادة منها بقدر لا يمكن، وبحيث لا تتعارض مع المبادئ والقيم الإسلامية .

وقد اهتمت الرياضيات وعلم الفلك باهتمام خاص في بغداد، فترجم الصحاح بن يوسف بن مطر الخليفة المأمون، مصنفات أقليدس بوكاتب بطنيوس الشهير عند العرب بالمختط، وكان قد رفع إلى الرشيد ترجمة كتاب " لأسطونات" البطلمي لأقليدس،

ولقد اشتهر في هذا الباب بالعلوم الهندية أيضا، فقد سبق لإبراهيم الفارابي أن ترجم للمصور كتاب الفلك الهندي ... ثم جاء محمد الخوارزمي للخليفة المأمون ... (١)

كما سبق للمرازمكي أن أمروا بنقل بعض كتب الطب الهندية إلى اللغة العربية . (٢)

وكان جهود المرحمة، والاتفاق عليها، وشجيع العلماء المسلمين وميرهم قد لعبت اهتماماً كبيراً لدى الخليفة المأمون فلقد حاول هذا الخليفة أن يجمع في مكتبته الخاصة والمعروفة ببيت الحكمة، كنوز العلوم الإسلامية، وكنوز العلوم الأجنبية، وأمر بأن تُشترى المصنفات اليونانية من آسيا الصغرى (٣) وبالطبع فسبق هذه الأعمال الجليلة كلكت بيت المال الكثير .

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان صفحة ٢٠٢.

(٢) F.G.Browne, Arabian Medicine, Cambridge, 1921, P 35.

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية، صفحة ٢٠٢.

ولم يقتصر اهتمام حلفاء النصر الأول للدولة العباسية على العلوم الأخسية وفلسفة الإغريق ، بل اهتموا أيضاً وفي الدرجة الأولى بعلوم الحديث وبقائه والمسيره كما اهتموا بالمناظرات الكلاميه بعلوم التاريخ ، ويكفي أن نتعرف على ابراهيم السبيعي وحبيها كبير ملوك الأرض الخليفة العباسي هارون الرشيد إلى قاضي القضاة أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم ، ليمح له كتاباً في الخراج والموارد الأخرى وكانسبوا بمدلول على علماء المسلمين بالأموال من باب مغفاب العطايا وسمح

مغفاب التميميات

وفي النصر الأول للدولة العباسية ، وفي عهد الخليفة الواثق بالله ، كان ممن بنود مبراسه الدولة وبغفانها ، بند التميميات بنده النصر .
فقد حدث حريق هائل في أسواق بغداد في عهد الخليفة الواثق ، ودهست بعض أموالهم وتجارتهم من هذا الحريق ، وخربت محلاتهم ... فبعت الخليفة الواثق بالله الوليد بن أحمد بن أبي داود من قبله إلى بغداد (بند الحريق الذي وقع بالأسواق ببغداد ، ومعه خمسمائة ألف دينار ، ففرقها على التجار ، الذين دهست أموالهم في الحريق ، فحسب أموالهم ، وبموا أسواقهم بالحق والآخر ، وجعلوا أبواب حوائثهم أبواب حديد)^(١) .

وخمسمائة ألف دينار = ٥٠٠ ر = ٥٠ - ر = ٥ × ١٥ = ٧٥٠٠ ر = ٧٥٠٠ درهم

أي أن الخليفة الواثق موسى التجار بسبعة ملايين وخمسمائة ألف درهم .

وهو مبلغ ليس بسيط في تلك الفترة ليمد التميميات .

(١) كتاب البلدان ، اليعقوبي ، صفحة ٢٧١ -

بفقات لتزويج البسات اليتامي وصرف المصح للتشجيع على الزواج :

تقد ذكر النظري أن الحليفة المصور مدح (٠٠٠ ر ١٨) مائه وثمانين ألف دينار أي حوالي $(٠ + ١٨٠٠ \times ١٥) = ٠٠$ ر ٢٧٠ درهم ، وذلك لتزويج سيد بناب سوفي والدهن وهو عملي بن سبيك .^(١)

ولقد روج كل واحد منهن على ثلاثين ألف درهم ، واشترى بالمباقي صباعاً منهن ، ليكون معاشهن منها .

كما أن مصر بن راشد والي اليمن أهدى الحليفة المصور روح سخامة من الأهر عني عشرة آلاف درهم ، وكان عاجزاً عن توفير جزء من هذا المبلغ ، بل شترى له سباً للعبادة الزوجية ، ومسحه ثلاثين ألف درهم لمحقق منها عني نفسه^٢

وهكذا يتمتع لنا اهتمام الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية بالانفاق للمبالغ العام ، بل محاوله حل بعض المشاكل المادية لبعض الأفراد ، وادخال نفقه والسعادة للزوجات الباس ، من الأموال التي جعلهم الله خلفاء عبيد

(١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٢٧ من أحداث سنة ١٥٨ هـ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٢٩٦ ، ٢٩٧

قال الله تعالى :

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّائِكِينَ
وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَنَا
عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيهِ الْجَمْعَانِ، وَاللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

القرآن الكريم

سورة الانفال آية ٤١

الفصل الثالث

مصارف الغنائم

مصارف العنائم -

أما مصروف العنائم ، فقد قسمها الله سبحانه وسداني في كتابه العزيز ، وطبق الآية - تكريمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) - وعمل بها الصحابة (رضوان الله عليهم) في صدر الاسلام ، كما عمل بها الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية وهي قوله تعالى في سورة الأنفال - (واعلموا أننا غنمكم من شيء ، بأن الله غنمكم ، ولرسول ولذي القربى والميامى والمساكين وابن السبيل) (١) .

أما أربعة أحماني (٢) المسببة الباقية ، فكانت موزعة بين الفاتحين ، بلغاريين ثلاثة أسهم - سيمان لفرسه وسهم له (٣) ، وللراجل سهم (٣) .

وكان الإمام يعطى الأجراء ، والمتاع الذين يمحسون الحيوى أجورهم ، متعاضدة مع أصنافهم (٤) .

وقد كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) أسهم في حياته ، ينفقه على نفسه وأرواحه ، وماضي من هذا السهم - كان يجعله في المصالح العامة ، أو ينفقه على أهل الفاقة والاحتياج .

وكان لدوي الفرس من الرسول (صلى الله عليه وسلم) السهم الثاني ، وهم بموهاشم ، ويسو عبدالمطلب ، الذين حصروا للاسلام ، وشططهم دعونه (عليه الصلاة والسلام) .

ويذكر القاضي أبو يوسف ، الذي عاش في العصر الأول للدولة العباسية ، وفي عهد الخليفة هارون الرشيد ، وكان قاضي القضاة ، أنه اجتمع الناس بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذين السهمين - سهم الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، وسهم دوي القربى ، فقال قوم : سهم الرسول للخليفة من بعده ، وقال آخرون : سهم

- (١) القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، الآية ٤١ .
- (٢) وهذا التفصيل يرجع لكي يربط الناس في ارتباط الخيل في سبيل الله ، حيث أن سهم الفرس إنما يرد على صاحبه .
- (٣) كتاب الحجاج لأبي يوسف صفحة ١٩ .
- (٤) النظام المالي الاسلامي المقارن صفحة ١١٩ .

دوي القريى لقراية الرسول عليه السلام وغالت طائفة سيم دوي القريى لقريه الخليفة من بعده ، فأخضعوا على أن حلقوا هذين السهمين في الكراع والسلاح^(١) .

وبذلك أصبح مضمعا السهمين بمرقان في مصالح المسلمين العامة ، كتمهير الجيوش ، وسد الشور وبصمتها ، والعمل على تقوية الدولة وسكمتها في عمر بعض حلفاء العصر الأول للدولة العباسية ولكن الخلفاء الآخرين في العصر الأول للدولة العباسية ردوا سيم دوي القريى إلى بني هاشم .

والخليفة هارون الرشيد ، لم يأخذ بمسوحه الفاسي أبي يوسف في هذا الأمر ، ففي سنة ١٧٠ هـ ، أمر سيم دوي القريى بوضع سيم بني هاشم بالولاية وقد حج الخليفة الرشيد في هذه السنة وأعطى أهل الحرمين عطاءً كثيراً ، وقسم ليهب مائة جليل .

- كما أمر الخليفة العباسي سنة ٢١٠ هـ برّد عدك^(٢) إلى أولاد طائفة بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وكسب بذلك إلى مائة بالمدينة وهو قسم من جعفر ، بشأن
- (١) كتاب التاريخ ، صفحة ٢٢ ، ٢٣ ، وجاء فيه (وكان أبوجعفر (رحمه الله تعالى) وأكثر فطانتا ، يرون أن يلزم الخليفة ، على ما قسمه عليه أبوبكر وعمر وعثمان وعليّ (رضي الله تعالى عنهم) .
- (٢) تاريخ الأسم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء الحاشي ، صفحة ٥٠ وعبدالحديث عن خلافة هارون الرشيد ، ضمن أحداث سنة ١٧٠ هـ .
- (٣) وعدك بالمدينة المنورة ، فقد أجلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يهود خيبر فخرجوا منها ، أما يهود فعدك فكان لهم نصف التمرة ونصف الأرض ، لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مالههم على ذلك - ولأنه لم يوجب على فعدك مهبل ولا ركاب ، سألت طائفة (رضي الله عنهم) الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يخطبها ، فقال ما كان لك أن تسأليني ، وما كان لي أن أعطيك ، فكان يصح ما يأميه منها في أبناء السبيل ، ثم ولي أبوبكر وعمر وعثمان وعليّ (رضي الله عنهم) فوضعوا ذلك ، حيث وضعه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي عهد الدولة الأموية تولتها الخلفاء الأمويون .

يردها إلى رومها ، ويسلمها إليهم ، تفرجاً إلى الله تعالى ، بإقامة حقه وعدسه ،
وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) بسعيد أمره وصدقته ، فأمر بديوات ذلك في
دواوينه ، والكتاب به إلى عماله ... (١)

وقد فُقد عند ثورة فاطمة (رضي الله عنها) في عهد الخليفة المعتمد ،
والواتر بالله ، أي حتى نهاية الحصر الأول للدولة العباسية . (٢)

أما خصومات الأفراء والساكنين والمهاجرين وأبناء السبيل فقد بقيت في العصر
الأول للدولة العباسية كما هي عليه منذ أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ولم
يطرأ أي تغيير أو تعديل .

أما (٣) أربعة أخصائى المدينة فكانت تذهب إلى الحنود ، الذين شاركوا في
الفتوحات والحروب والقضاء على الفس .

ولقد رتب الجيش في العصر الأول للدولة العباسية على أساس الجنس ، فالحربية
أي المشاة التي تسليحت بالرمح سالت من العرب ، والجد وهم المشاة والخيالة
فقد تكوّن من المعجم خاصة . أما المراكبة ، وهم أحد جماعات العجم ، فكان لهم
مركزاً خاصاً ، ولم يكن ينتمي فرق من الرماح على قيام الخلافة العباسية ، حتى ظهر
وبز عمراً آخر وهم الأتراك ، والذي كون القسم الرابع والكبير من الجيش . (٤)

وهؤلاء الحنود الذين يحملون على أربعة أخصائى في المدينة كان لهم ديوان يعرف
بديوان الحمد ، وكان من أهم التطورات التي طرأت عليه في العصر الأول للدولة
العباسية ، انعكاسه إلى مجلسين .

(١)، (٢) مروج البلدان ، صفح ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ وعند الحديث عن ذلك ، وقد تسلم

العدك أبا المخلوف العامر محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عتي بن
الحسين بن عتي بن أبي طالب ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين
بن علي بن أبي طالب .

(٣) الحصار العربية ، حل ، الكتاب المترجم ، صفح ٤٤-

أحدهما يتولى أمر استحقاقات الجند ، وتقدير أرواقهم ، مراعيًا في ذلك كفايتهم ورتبتهم العسكرية ، والأماكن التي يربطون فيها .

والثاني يختص بالنظر في المجلات التي تقيد بها أسماء الجند ، إذ كانت ترسم سبلاً لأعضائهم ، وانتسابهم للمقاتل وفروعها ، وينقسم كل من المحطس إلى أقسام خاصة بالمسافر مثل المسافر المنسوب إلى الخاصة ، والمسافر المنسوب إلى الخدمة ، وما في النواحي من المبعوث^(١) .

وقد انحصرت أعمال ديوان الجند في العصر الأول للدولة العباسية في عدة أمور هي

أولاً : تسجيل أسماء الذين سوافر منهم شروط البلوغ ، والحرية ، والإسلام ، وبلاصة الجسم

ثانياً : ترتيب أسماء الجند ، تبعاً لأجناسهم .

ثالثاً : تقدير العطاء لكل جندي ، وذلك حسب كفايته ومقدرته على القتال ، طبقاً لأخبارات خاصة ، يحررها رئيس الديوان وكتبه ، والولاة في الولايات ، ويحلفه أو الوزير في بغداد^(٢) .

وفي العصر الأول للدولة العباسية ، أنشئ ديوان العرس ، الذي ألحق بديوان الجند^(٣) وكان ديوان العرس يملأه من صبية أو إدارة بلعة العصر لعرس قوت بجيشه إذ كان رئيسها يقوم في فترات مختلفة ومنظمة بالفتيش على الجند لتقدير كفايتهم وتقدير العطاء الذي يمسح لهم ، إذ يقوم الجند بعرس سواراتهم ، ويرتبون تبعاً لها إلى ثلاث طبقات : الممتازة - والمتوسطة - والدون .

(١) الحصار الإسلامي في القرن الرابع الهجري ، آدم سر ، الجزء الأول صفحـه ١٢٠ وفي الفصل السادس : الإدارة - وعند الحديث عن ديوان الجيش .
(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الماوردي ، صفحـه ٢٢٠ - ٢٢٤ في الباب الثامن عشر ، وعند الحديث عن منبجحتن بالجيش من اثبات وعطاء .
وكذلك في سطور النظم الإدارية والمالية في بلاد العراق والعرس ، صفحـه ١٧٠ .
(٣) معجم تاريخ العرب والتمس ، للكاتب المبرمج ، ترجمة رياض رأفت صفحـه ٣٦ .

وسبب كل طيفه في كشف حاض ، بعد أن يتم استجراحيها من كشوف نقود^(١)

لذلك كان يشترط في صاحب ديوان الخديش أن يكون خبيراً بالحيوش والعروض
ومعرفة الرجال ورؤسهم وأقدارهم وموقعهم من الدولة .

وكان عليه أن يفتي أمر الخليفة ، فلا يشترط عليه شخص بشخص ، كما كان عليه
معرفة وشيأت الدواب والسلاح ، وأن تكون لديه هبة وحرمة كبيرة ، حتى لا يجرى
أحد على التدخل عليه^(٢) .

وهكذا يرى أنه في العصر الأول للدولة العباسية ، كان الجندي معاهداً في سبيل
الله ، وله شروط وموافقات ، وحمولاً وأنه معاهد من العتمة أربعة أخماس^(٣) .
لذلك فقد كانت هناك كفايات ، وحمدي صمكي ومدرج ، وجندي آخر ذو الكفيلة^(٤)
المبسطة ، وحمدي ماديون ذلك ، وعالمياً ما كان يستخدم للحراصات الليلية^(٥) .

ولكن القاعدة العامة التي أخذ بها الخلفاء إجمالاً هو تعهد عاجاء في الآبهة
الكريمة ، (واعلموا أننا عمتهم من شيء ، فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى^(٦)
والسبيل) . والأربعة أخماس العتمة للجندي ، وللأربع ثلاثة
أسهم وللراجل سهم . والله أعلم .

(١) تطور النظم الإدارية والمالية في بلاد العراق والفرس ، صفحة ١٧٣

(٢) آثار الأول في ترتيب البول ، صفحة ٦٩ .

(٣) وقد شرح الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينية من صفحة ٢٣٠ -
٢٣٤ ، عن الشروط الواجب توافرها للالحاق بالخدمة المنظمة ، وكيفية تقدير
المطاء والأوراق لهم ، والحمد المصنوع وكيف يحرف لهم* وسريبت أنساب العرب
وكيف يكون الحال لو كانوا محمداً وهل يستغني عنطاء الحمدي ويعطى لدرجته فسي
حالة وفاته . الخ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، آية ٤١

قال الله تعالى :

”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي
الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ، وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا
فانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .“

القرآن الكريم

سورة المجادلة آية ١١

الباب الثالث

سياسة المال في العصر العباسي الأول على ضوء الانظمة المالية الحديثة

- الضريبة وأنواعها
- تاريخ الضرائب .
- أفراس الضرائب في الدول الحديثة والإسلام .
- هل هناك ضرائب أخرى فرضت في العصر المذكور للدولة العباسية
- عهد الضرائب الإسلامية ؟
- بين الضرائب الحديثة والضرائب الإسلامية
- قواعد الضريبة في الأنظمة الحديثة وفي العصر المذكور للدولة العباسية .
- نقد الضرائب وعلماء المالية .
- وعاء الضريبة الحديثة وعاء الضرائب في العصر المذكور للدولة العباسية .
- الضرائب العينية والخصومية في المالية الحديثة والعصر المذكور للدولة العباسية .
- سياسة الإنفاق في الدولة الحديثة والدولة العباسية في عصرها الأول .
- الرواتب في المالية الحديثة .
- الميزان في الدولة العباسية في عصرها الأول .
- توجيه النفقات في الإصلاح العامة .

الباب الثالث

سياسة المال في العصر العباسي الأول
على ضوء الأنظمة المالية الحديثة

بعد أن نكلمنا عن موارد الدولة في العصر الأول للدولة العباسية ، والميراث
الذي فرضه الدولة من أجل الحصول على هذه الموارد ، ويصف المال الذي كسب
بمسئلي حبيبته من هذه الموارد ، وبعد أن نكلمنا كذلك عن مصادر الدولة المجلعة
بوجوده الاتفاق بهذه الإيرادات ، نقول كلمة عن نظام المال في الدول الحديثة وكيفية
فرض الضرائب في هذه الدول ، وحسابها ، وما يتعلق بذلك كله ، ثم نحاول ما
استطعنا أن نقارن بين النظامين الإسلامي في العصر الأول للدولة العباسية والحديث
نسطي للتقاري صورته كاملة عنهما وذلك لنرى أي النظامين أوفق شرعه ومسايقهما ،
وعندما أتحدث عن الأنظمة في العصر الأول للدولة العباسية ، فإنما أتحدث عن الأنظمة
في الإسلام بشكل عام ، وعن بعض الإضافات والمحدثات التي طرأت على تلك الأنظمة في
العصر الأول للدولة العباسية ، وبولا لإسلام لم يكن الدولة العباسية ، وليس للعصر
الأول للدولة الإسلامية العباسية أنظمة وفوائس خاصة بها وتختلف عن الأنظمة والقوانين
التي فرضها الشرع والإسلام .

المزينة وأنواعها

المزينة هي فريضة من المال يجبها الدولة من رعيها والقاطنين في مدينتها ،
على قدر قدر كل مكلف ، للمكسب من الاتفاق في مصالح الدولة ومراقبتها العباسية
التي تفضل بها (١) .

(١) مبادئ علم المالية العامة والتشريع المالي ج٩ صفحة ١٥٠ وجاء في كتابات
موسوعة المصطلحات الاقتصادية صفحة ١٧٩ ، ١٨٠ في تعريف المزينة
" فريضة جبرية من ثروة شخص أو هيئة ، بلا مقابل مباشر لمالك السلطات
العامة " ، ويشمل معنى الثروة في هذا التعريف ، المقود والسلع والخدمات
وقد تكون المزينة مبلغة من المقود ، كما قد تستأديها الحكومة عينا
(محاميل راعية مثلا ١٠٠) ، كما تعتبر الخدمات الجبرية أنواعاً من الضرائب
مثل المجره والتعميد الإحتياري والمزينة تفرض على الأشخاص ، لأن المزينة
تكليف أو واجب " .

وليس للمالك الحرية في أداء الصريبة أو تحديد مقدارها أو ميعاد دفعها وكيفية ، بل هم مفرعون يدفعها ، والعائون قد تنقل بمحدد الصريبة لزاما على الكافة ، ولا دخل فيه للمثبت المكلفين .

" والصريبة لاتأخذ هذا الاسم إلا إذا تكررت وبعدت في مواقع متوالية ، وفرضتها سلطة عامة " (١)

أنواع الضرائب كثيرة أهمها :

الصريبة التصاعدية ، والصريبة الجمركية ، وصريبة الدخل ، وصريبة أرباح المهن غير تجارية ، وصريبة رأس المال ، وصريبة الأرباح التجارية والصناعية ، وصريبة كسب الفعل ، وصريبة الأموال المنقولة ، وصريبة قيمة وصريبة موزعة ، وصريبة مباشرة وغير مباشرة ، وصريبة مفردة وصريبة مسببة وصريبة الأيراد العام . الخ .

ناريخ الضرائب :

إن الضرائب قديمة مع قدم البشرية ، فممنها تكونت القبائل ونشأ شمس ، وكانت تنتشر بينهم المداوات والفس ، انتشرت الحاجة لشهود الحصون والشاء الطرق للدفاع ، ونقل الجنود ، والسهر على راحة وأمن القبيلة ، ومن هنا جسد دور السمرات والضرائب الاختيارية والتي كانت تؤدى لرئيس القبيلة أو الملك من الشمرات الاختيارية والهدايا .

(١) النظام المالي الاسلامي المقارن صفحة ١٢٢ .

وتختلف الصريبة عن الرسم في أن الأخير شئ جبري يدفعه الشخص بغير حذسه لا يمكن أن تؤديها بغير الحكومة ، والرسم شئ لأن له ما يقابله ، وهو جبري لأن الشخص لا يملك إلا أن يدفعه . من أمثلة الرسوم رسم سجين الملكية ، ورسم قيد المواليد .

موسوعات المصطلحات الاقتصادية صفحة ١٨٠ .

وعندما راد الحضارة سميًا ، وأصبحت الهبات وجوها غير كافية لتقوم الدولة بالأعباء الملغاة عن عانتها ، (مطوب المرائب الإحصائية إلى قوائم برامية ، كما مطوب أكبر السالفين والمعادن إلى قوانين الرتب وسكنها لم تكن مالية ، بل كانت خدمات حربية إحصائية كالخدمة العسكرية ، وحراس الأمن وإصلاح الفاسط والحفصون ومع ذلك كانت الحكومة تعال للممول على المال بطرق مستورة ، وذلك كالتروسم ندي يؤخذ عند اجتياز الطريق أو عبور الفاسط ودخول السوق ، وهذا النوع يسمى "معه الرسوم" (Fees and tolls) (١) .

وفي عهد الرسوم كانت خدمة الفرد بغير ومقابل الرسوم التي يدفعها ، ثم بدأ قوام السلطة بيد الملوك ووصلوا إلى درجة أنهم يستطيعون دفعه استورهم إن قام بها الشعب بحولت الرسوم إلى مرائب غير مباشرة لايشترط فيها وجود خدمة أو منطقة خاصة للفرد (٢) .

ومع مرور الأيام وارتفاع الوجود الاجتماعي ، الذي أصبح يقبل مبروهي به بتدبير القومي ثم عجز حوائج الدولة عن كفاية مؤسسا وإردباد الحاجه المعتركة بالإضافة إلى حرص الدولة للرقي بالأفراد والجماعات إلى مدارج العمران والتطور والحضارة ، والسهر على أمن الشعب تم الطمأنينة على النفس والأموال ، والاحتفاظ بالوحدة القومية بين الأجيال ، وحرصها على سداد حوائج ومصالحها المختلفة .

كل هذه العوامل والظروف مجتمعة تتطلب من الدولة الاتفاق حتماً ، وبما كانت الدولة لا تستطيع القيام بذلك وحدها ، كان على رعيها ، وكل من يستغل بمساندا ، باسم المصالح الاجتماعية أن يقوموا جميعا ويتصافروا في النهوس بحسب هذا الاتفاق .

- (١) النظام المالي الإسلامي المقترح ص ١٢٥ ، وكذلك مبادئ علم المال - الماسة والمشرع المالي ج ٢ صفحة ٢٨ ، ٢٩ .
- (٢) وقد بينت في هامش صفحة ٤٩٤ من هذه الرسالة الفرق بين المريبة والرسوم في العصر الحديث .

ومررها عرصب الدولة المراثب المختلفة على الشعب .

وإن نظرنا إلى نظام المراثب في الإسلام ، نجد أن هذا النظام الصابي في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) مر بمرحلة لم يكن فيها مراثب معروضة ، بل كان المبرع والاحتيال للاتفاق في قبول الدعوة والخير والبر مبروكا بمرعيه الشحمه .

وبدلتنا على ذلك ماكان عليه الأمر في اجزاج الركاء - فقد كان جمع الركاء أمراً اختيارياً في العهد المكي ، ولم تفرض الركاء إلا في المدينة المنورة في السنة الثانية للهجرة ، حيث أسست الدولة الإسلامية ، وأصبحت الأمور تنطبق المريد من ايمان ، ونشر الإسلام ومعاربه من يقف في سبيل ستر هذا الدين ، وكذلك استمرار الحال بالنسبة للركاء في عصر الأول للدولة العباسية .

بفتح سما سبق أن تعريف الميراث في المالكة الحديثة ينطبق على الميراث الإسلامية وهي :-

الركاء ، والجربة ، وكذلك الخراج ومشتور التجارة ^(١) ، ونطاطح ^(٢) ، لأن عصر إلزام الذي لا تنطبق الميراث إلا به ، موجود في الميراث الإسلامية ، وهذا مدعى العبدية أبويكر ا رهي الله عنه ا في عصر الإسلام أن ينفذ ركنا من أركان الإسلام مع من سموا أداء هذه الميراث . وكذلك فإن من شأن الميراث أن تدفع إلى هيئة عامة مثل ^(١) أماتركه من لا وارث له ، فهذه لايشملها معنى المراثب ، لأن الميراث في صيغته وعبر دأتم ، ولعدم وجود نص تشريعي يقضي بذلك ولو أن مراثيب المركات "Seccession Duties" أصبحت نوع من المراثب على الميراث في العصر الحديث سيحود الحكومة بموجبه على نسبة معينة من تركته الموهي ، سواء أكان له وارث أم لا - وقد أخذت به بعض الدول العربية والإسلامية ونأخذ هذه المراثب شكلين الأولي ميراث يقع عبءه على الممقدين من المركه ، والثانية ميراث عام تفرض على هيئة المركه في مجموعها من كتاب موسوعة المصطلحات الاقتصادية صفح ١٧٨-

(٢) انظر موضوع القطائع في آخر فصل الخراج من هذه الرسالة .

السلطات المركزية والسلطات المحلية وكذلك الموارد الإسلامية من صدر الإسلام إلى نهاية العصر الأول للدولة العباسية إذ الأصل فيها أن تدفع إلى الحكومة بواسطته الجهار الذي سماه القرآن الكريم - " العاطلين عليه " سواء أكان العامل عليها على الحدقات أو الحراج أو الحرير أو العتور ، ومن مقومات الصرية انعدام المقابل الخاص ، فالعمول يدفع الصرية بصفته عمولاً في المصنع ، يستفيد من أوجه نشاطه المختلفة وكذلك الموارد الإسلامية من صدر الإسلام وإلى نهاية العصر الأول للدولة العباسية لا يدفعها المسلم مقابل مع خاص ، وإنما يدفعها بوصفه عمولاً في مصنع مسلم يدفع بحمايته وكفاله وأجوره - فطيه إذاً أن يسهم في معونه أبنائه وأسبهم من الفطر والعبر وكولث الحياة ، وأن يقوم بواجبه في إقامة مصالح العامة بلأمة المصلحة التي بها سئلوا كلمة الله ، وسائر دعوة الحق في الأرض ، دون أن ينتظر الصانع العامة التي تعود عليه من دفعها للدولة ^(١) .

بالإضافة إلى ما سبق فإن الموارد الإسلامية جميعها من صدر الإسلام وحتى نهاية العصر الأول للدولة العباسية ، متكررة ومتجددة في أوقات معينة على المسلمين المكلفين ومن شتمت بحماية الدولة ^(٢) .

وإذا كان قد أدخل على نظام الصرية في العصر الحديث تطورات وبتدريجات وأعد ف سياسة وإقتصادية وإحصائية معينة ، وسفلسها بجارب الفصور المختلفة ، وخدمتها بقول علماء المال والاقتصاد من مختلف الأقطار والبيئات ، إذ كان الأمر كذلك بالنسبة للصرية الحديثة ، فإن المراتب الإعلامية غير ذلك ، فقد شرع بحمها بتدريج من حكيم حميد ، ولم يدخلها بتدريجات أو تطورات ، مثلما طرأ على نظام الصرية في الفصور الحديثة ، وذلك يعني أن الركاة والحرير عرضاً بمن القرآن الكريم ، والحراج والعتور - صرية الجمارك - عرضاً باجماع الصحابة ، رموز الله عليهم أجمعين ، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) واستمر الحال على ذلك في العصر الأول للدولة العباسية .

(١) فقه الزكاة ج ٢ صفحة ٩٩٧ ، ٩٩٨ .

(٢) النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٢٤ .

أعراض الضرائب في الدول الحديثة والعصر الأول للدولة الإسلامية العباسية

إن علماء المال في العصر الحديث يرون أن العرض من المصلحة هو سبب
العمل اللازم لجلب المصالح العمومية ، لكنهم يختلفون في هل يجوز أن يستخدم
لأغراض أخرى غير هذا العرض المالي المحب^(١).

فالعلماء الغربيون مثلاً وفي ظلهم لروبولوف - Leroy - Brown
أن عرض المصلحة هو سبب حرائر الدولة - وأما الألمان وفي مقدمهم واجر Wagner
وكثير من علماء إيطاليا وأمريكا فيرون أن وظيفة المصلحة يجب أن تسعى هذا العرض
مالي إلى تأييد إقتصاديه واجتماعيه كإحداث تعديل في توزيع الثروة بين الرعية
أو شيط العامة عن بعض سوء الإسلاك الحارة بالمحة أو الأهلالية العامة^(٢).

هذا هو الأسس الذي اعتبر في نظر المصور الحديثة سواء للدول في جباية
الأمول ، إذا تأملنا في التشريع المالي الإسلامي في صدر الإسلام وفي الميسر الأول
لدولة العباسية بعده في جميع نواحيه يرمي إلى هذه الحاية العظيمة ويقصد

فالإسلام حينما وضع مجموعة من الضرائب الثلاثة للناس ، والتي أصبحت
بالاستقرار والديموم والعدالة ، وحمل من حق الدولة فرض الضرائب التي تراعى بها
مخارج الطائفة التي تعاقبها ، فإن في تطبيق هذه الضرائب مونا لمصالح الأمة ،
وعلاجاً لمشكلة الفقر .

فالركاء مثلاً التي فرضت على أبناء المسلمين ، إنما هي مربة لتكفل إيجاد
الموازن في المصالح إذا أحس تطبيقها معادفاً لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم)
بمعاد من قبل (رضي الله عنه) حين بعثه إلى اليمن^(٣) ، أحمرهم أن عليهم صدقة
تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم^(٤) ، ولما بعث معاد الصدقة من اليمن إلى

(١) مبادئ علم المالية العامة والتشريع المالي ج ٢ صفح ٢٥

(٢) المفهمي ويليه الشرح الكبير ج ٢ صفح ٥٢٦

الخليعة عمر ارمي النعمه) أنكر عليه ذلك وقال : لم أبعثك حليها ولا أحد جريه ، ولكن بمقتضى التأخذ من أغنياء الناس لغرض في فقرائهم .^(١)

إدأ بالركاء لما فرغت على أغنياء المسلمين ، والحرية على أهل الدماء
القادرين ، كان الحرى منها .

توأم الدولة الاسلاميه ، مدد صدر الاسلام وحى نبيه العمر لأول لدولة
المبانيه ، وبأسس مصالحها وتوطيد عرى الاتحاد وهو أساس الاسلام بين لأغنياء ،
والعمر . ، وبأسس المكلفين على انصميم وأموالهم من غرور ذوي الحاجة من الفقراء ،
والمساكين . الدين لو لم يخص لهم جزء من هذه الثروة ، لكانوا حربيا على
أصحابها^(٢) .

علما بأنه في عمرنا الحالي أصبحت مشكلة رأس المال والعمل والعمال والمعلمين
والأحرار ، الشغل الشاغل لأكثر دول العالم ، ففي بعض الدول الحديثة ، يرداد عددهم
بوما يوما يانتشر الفقر والمطالة ، ولديهم حقد الفقر ، على الأغنياء لكثرتهم
أموالهم ، وشده بخلهم وشحهم بالاساهه إلى تنصيم ورفهم ، وملاح هذه المشاكل
كسها في تطبيق الركاء^(٣) .

وإذا انتقلنا إلى المراتب الأخرى كمشور التجارة والحراج اصح بنا أن هدف
الاسلام فيها توفر المصلحة بين الدولة والشعوب المفتوحة ، برعيه في تبادل المنافع
بين الملاد الاسلاميه وغيرها .

(١) المعني ويليه الشرح الكمر ج ٢ صفحة ٥٢١ .

(٢) النظام المالي الاسلامي المقارن صفحة ١٢٦ .

(٣) الركاء كما جاءت في الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة صفحة ٨٨

هل هناك مراثب أخرى غير المراثب المفروضة في الإسلام ؟ وما هي المراثب التي
استحدثت في العصر الأول للدولة العباسية ؟

إذا كانت المراثب المذكورة في الإسلام لا تفي بحاجة الدولة فالإسلام يبيح لموسي
لأمر سلطات واسعة للأخذ من رؤوس الأموال بقدر معلوم في الحدود اللازمة للاصلاح ومنع
المرور ورفع الحرج وميانه المصلحة العامة ، لأن الشريعة المالي في الإسلام تبيح موارده
المالية على أساس توفير ما يحتاج اليه المصالح العامة من المقتات ، ورعاية الأفراد
والجماعة وتحقيق ما يقضي به مصلحة المجتمع من التعاون والتماس .

ولذلك يبيح ما يفرضه ولي الأمر - عند الحاجة إليه - حق كحق الركاه موكولا
إلى مصلحة الأمة وعدائه الحاكم وفقاً لمبدأ " الممانحة المرسله وبند الدرائع " الذي يفرضه
جميع الفقهاء ، وعلى رأسهم الامام مالك^(١) ، وبالدلائل إذا كان المصنوع في حاجة
بحرب ، وخلا بيت المال وارتفعت حاجات الجند وليس في بيت المال ما يكفيهم لسد
حاجة الجيش من تجهيز وانفاق ، فللامام أن يوقف على الأنبياء ما يراه كافياً للقيام
بهذه المهام . وفي العصر الأول للدولة العباسية أصبحت المراثب التالية -
غلات الأسواق والأرحاء ودور الحرب ، وفي عهد الخليفة المصور أصبحت مربية^(٢)
على سبيل المصلح ، كان الهدف منها مشاركة هؤلاء التجار في النفقات التي يتكبدونها
لبناء بغداد (مدينة السلام) .

والتوزيع الإسلامي يثبت لما ذلك في أكثر من حادثة ، فعندما تأهب الظاهر
بمصر لدعم عرو البشار عن بلاد الشام ، استغنى العلماء في جوار أحد شقي من
أموال الشعب لمساعدة نفقات الجيش فأصوبه بذلك ، بشرط أن يرد السلطان بمصر
كل ما عند حواريه وأعوانه من جلي وأموال إلى بيت المال .

(١) مقومات الاقتصاد الإسلامي صفحة ١٦١

(٢) وكانت غلات الأسواق والأرحاء ودور الحرب تفر دخلاً جيداً ، فكان مجلس هذه
المربية في مدينة السلام (٥٠٠٠٠٠ ر. ١٥٠٠ ر. ١) مليون وخمسمائة ألف درهم - المصنف
والمصنفات لاس جرداديه صفحة ١٢٥ - وجاء في كتاب البلدان ، للبلاطيني ، صفحة
٢٥٤ أنه بلغ أجرة الأسواق ببغداد في العائنين خميف مع ربحا البطريق ، وما
اتصل بها في كل سنة اثنتي عشر ألف ألف درهم (١٢٠٠٠ ر. ١٢) .

١ وهو نفس ما أفسى به عزالدين بن عبدالسلام للملك فطر في حروجه لنقصال مع صلاح الدين لأبيي صاحب حلب والسم يومئذ قائلاً " حار لكم أن يأخذوا من الرعية ما يستقيمون به على جهادكم ، بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء وينهبوا بالكم من الخواص الذهبية والآلات النفيسة ويقتصر كل الحمد على مركوبه وسلاحه وبستانوا^(١) هم والناسه " .

وكذلك لا يجوز تولي الأمر - الحاكم - أن يفرس المراثب في حاله عدم قيام الركعة بالنكافل الاجتماعي المطلوب ، لأن الهدف الأساسي من فرض المراثب في الاسلام هو محو الفقر ، فإذا لم يتم الأغنياء بقرائشهم كان من أول واجبات الدولة أن تعمل على تحقيق المستوى الكريم لساكن أفراد الأمة ، وذلك بفرض المراثب التي تحقق المستوى الكريم للشعب ، ثم تقوم بمعالجة الدولة العامة الضرورية

وتسلط هذه الصريضة المؤلفة التي فرضها الاسم بزوال أسبابها ، وقد ذهب الاسلام أبعد من ذلك حيث أنه أخذ ببعض المراثب المبرومة عن المكلفين إذا لم تتوفر فيها شروطها .

ومما يدل على أن شريعات الاسلام المالية لم تكن في جبايتها قسراً ولا معاملة لشعب ، كما في نظام المال في بعض الدول الحديثة ، ما جاء من علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في أنه أمر بعض عماله : " إذا قدمت عليهم فلا تدبهم لهم كسوة شاء ولا ميعا ، ولا رزقاً يأكلونه ولا دابة يعملون عليها ، ولا نصرب أحداً منهم سوطاً واحداً في ديارهم ولا تنضمه على رحله في طلب درهم ، ولا تمنع لأحد منهم عرواً في شيء من الخراج ، فإنما أمرنا أن يأخذ منهم المفقور^(٢) " وهو ما أشد به القاضي أبو يوسف

(١) مقومات الاقتصاد الاسلامي صفحة ١٦٦ وكذلك صفحة ٢١٦ ، ٢١٧ من كتاب شراكية الاسلام للمصطفى المياحي ط ٠٢

والخواص جمع حياصة وهي كساء موشى بالذهب يحلعه السلطان على أمراءه ، وأعوانه في مناسبات خاصة .

(٢) مقومات الاقتصاد الاسلامي صفحة ١٦٢ ، ١٦٨ .

صاحب كتاب الحراج على الطبيعة المياني خازن الرشيد^(١) . في حين أن الفوائس المالية لبعض الدول الحديثة يقضي إذ ساجر المكلف عن أد . المريبة باسناد كافة لاجراءات التي تراها للحصول على حيايتها ، بلحجر على أثاث الممرن وببعض . وأجباا بمن الأمر الى حبس الممول وبجنته .

وعندما يقرر الاسلام بوجه عام وخلفاء العصر الأول لدولة المباشرة بوجه خاص المريبة ، نور المرائب المعروفة . على المسلمين بسبب الطواريء يحاون ان يأخذ هذه المريبة في أوقات حصاد الملات وحيث الثمار لكيلا يؤدي إلى إبحاش فلوب لأغلب . وهكذا يرى الفرق واصحا بين النظام الاعلامي العادل وبين المظم الوستبي الحديث . سواء في كيفية جباية المرائب أو إسقاطها ، حيث أن الاسلام وضع شروطا معينة لأخذ هذه المرائب ، وإذا لم تتوفر هذه الشروط سقطت المريبة عن الشخص المكلف . وقد تحدثت بتفصيل عن نجيب سليم الركاء والخرج والجريه ونمور سجاره عند حديثي عن هذه المرائب الاسلامية في موضعها من الرسالة ، سواء في صدر الاسلام أو في العصر الأول للدولة المباشرة

(١) كتاب الحراج ، صفحة ١١٦ ، ١١٧

وقد تحدثنا بالتفصيل عن هذا الموضوع في فصل الخراج في الباب الأول .

بين المراتب الحديثة والمرتبات الإسلامية [صدر الإسلام - وحتى نهاية العصر الأول للدولة العباسية]

١ - المصيبة العامة أو المراتب التصاعدية - . . . Progressive taxation

فكذلك زاد الدخل ارتفعت هذه المصيبة ، وبمقدار هذه المصيبة انما هي على الأيراد ، من أهم المراتب التصاعدية ، ويعتمد عليها الكثير من الدول ، ويجعل لها النصيب الوافر عند تحديد الموارد في العصر الحديث ، وما قال به علي ، المال من هذه المصيبة ، هو ما جاء في نظام المال في الإسلام فلي مرانته المصلحة ، فالركاء مثلا في الإنل كما جاء في كتاب رسول الله علي الله عليه وسلم [والتي أمره الله بها]

” في أربع وعشرين من الإنل مما دوسا ، من البعس ، في كل خمس ، فاد بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت ماض أنش ، فاد بلغت ساد وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لمون أنش ، فاد بلغت ساد وأربعين إلى سبعين ففيها حقة طرقة الجمل ، فاد بلغت واحد وستين إلى سبعة وسبعين ففيها حدة ، فاد بلغت ستة وسبعين إلى تسعين ففيها بنت لمون ، فاد بلغت احدى وسبعين إلى عشرين ومائة ، ففيها حقن طرولس الجمل ، فاد رادت على عشرين ومائة ، ففي كل أربعين بنت لمون وفي كل خمسين حقة ” (١)

وهكذا يرى أن ركاة الإنل يرتفع ويصعد كلما ارتفع عددها ويصعد في صدر الإسلام وهكذا كان عليه الحال في العصر الأول للدولة العباسية

٢ - مراتب حمركية - Discriminating Duties وهي التي تفرض على

الواردات من دولة معينة ، وكثير من الدول تعقد اتفاقات تجارية فيما بينها لتخفف أثر المراتب الحمركية وسراعي كل منهما الأخرى في عدم فرض مرانك مرتفعة ، وكذلك مصيبة المشور في الإسلام ، فقد كتب أبو موسى الأشعري

(١) صحيح البخاري ١ ج ٢ صفحة ١٤٦

أرضي الله عنه ؛ إلى أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه) حين رأى أن المسلمين
 يؤخذ منهم مريبة مريبة أموالهم وما يحملونه من غروى التجارة أن دخلوا دار
 الحرب متحربين ، فعادوا يكون موقفه من تجار دار الحرب إذا دخلوا بلاد
 الإسلام ؟ فكذب إليه الخليفة عمر (رضي الله عنه) " حد أنت منهم كما
 يأخذون من تجار المسلمين " ^(١) وحد من أهل الدمه نصف العشر ، ومن
 المسلمين من كل أربعين درهماً درهماً ، وليس فيما دون العائشرين شيء ،
 فإذا كانت مائتين قطباً خمسة دراهم ، وما زاد فبمحاسبته ^(٢) .
 وقد كانت هالك بمنس الانفاقات بين الخليفة عمر ، رضي الله عنه ، وأهل
 سبج لسعيد المريبة المدفوعة ، عن عمرو بن شعيب أن أهل سبج - فسيوم
 من أهل الحرب - وراء البحر كتبوا إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
 " دعنا ندخل أرضك بحراً ونعشربا " - قال فثأر عمر أصحاب رسول الله
 (صلى الله عليه وسلم) في ذلك ، فأشاروا عليه به ، فكتبوا أو من عشر من
 أهل الحرب ^(٣) . وهو ما أشار به قاضي القضاة أبو يوسف على الخليفة هارون
 الرشيد في النمر الأول للدولة الميمنية فأخذ به وعشر التجار كما فعل أمير
 المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

٢ . صريبة الرؤوس Poll tax : تنفي الأنظمة المالية الحديثة بأن يدفع كل
 فرد من السكان مريبة نسبي صريبة الرؤوس - وتنبه هذه المريبة مريبة الجريبة في
 الإسلام من بعض السواحي ، وهي أن مريبة الرؤوس في الإسلام لا تؤخذ إلا من
 أهل الدمه ومن تاسيهم ، وقد فعلنا ذلك في عمل سبق حاس بالجريبة .

-
- ١) وكان أهل الحرب يأخذون من تجار المسلمين العشر ، فأخذ منهم العشر أيضاً
 معاملة بالمثل .
 (٢) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤٦ .
 (٣) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٤٦ .

- ٤ - ضريبة الأرباح التجارية - Tax on Commercial Profits وعرض هذه المراتب على أرباح المصنات المجتوبة ، وعلى كل من يستأجر أرضاً زراعية ، ويؤجرها للغير من الباطن صجوة أو جملة واحدة ، وكذلك الحال في ركاء عروس السحارة في الإسلام (فقد روى أبوودد بنسناده عن سمره بن جندب قال أما بعد فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي بعد البيع ^(١) ، وروى مدار قطني عن أبي ذر قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " في لاسن صدقتها وفي الفهم صدقتها وفي البر صدقتها " ^(٢) . ومن هنا نعلم أن الأرباح التجارية تحت فيها ضريبة إسلامية ألا وهي ضريبة عروس السحارة بعد حوالا الحول عليها .

- ٥ - الضريبة المباشرة وغير المباشرة - Direct and Indirect Tax . فالضريبة المباشرة هي التي تفرض على الأفراد مباشرة ، ويقصد بهذا أن يدفعوها هم أنفسهم ، ومن ثم فإن عيشها لا يمكن نقله كنيماً أو حشداً إلى أي فرد آخر ، أو مجموعة أخرى من الأفراد . أما فالضريبة المباشرة تقع على الدخل والثروة ^(٣) ، ولذلك فإن السلطات تعتمد إلى هذا المال والثروة وتقدر الربح الذي يؤتته لماعبه أو الكسب الذي يحصله من عمله ، لتفرض عليه ضرائب تعرف بالمراتب المباشرة . حيث أن الهدف المباشر هو المال الذي يفرض عليه ضريبة الدونه بلا مواربة ولا التواء ^(٤) .

- (١) - من أبي داود ج ١ ص ٢ صفحة ٩٥ حديث رقم ١٥٦٢ .
(٢) - المحمي وعليه الشرح الكبير ج ٢ صفحة ١٢٢ والمير الشيب الحرير وتحسين الركاء في قيمه لا في عيه .
(٣) - موسوعة المصطلحات الاقتصادية صفحة ١٨٨ .
(٤) - النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٣٢ - ومباذبي علم العاليه العامه ج ٢ صفحة ٩٤ .

أما العربية غير المباشرة فيرى علماء المالية أن عنها يمكن أن يتقصر إلى غير دافعها ، ثم إن الضريبة الغير مباشرة تقع على السلع كضريبة الاتساج ، وضريبة الجبيلات ، والضريبة المحركة ^(١) .

والضريبة غير المباشرة تنصب إليها السلطات بطريق غير مباشر هذا توزيع أو انكس من بعض أفعال الأفراد كالإعفاء مثلا ، ثم ربطت الضرائب على تسجيل هذه الأفعال ، ولذلك عرفت بـ « ضرائب غير مباشرة » للوصول للسلطات إلى المال بطريق غير مباشر .

وعلماء المالية الحديثة حوّلوا الدول المعاصرة بين العمل بأعدي الطريقتين أو بهما معا ، إما لهما من مزايا ^(٢)

ويكسب يعملون أن يأخذ الدول بالمراتب المباشرة ، لتبسيطها وتعدّلها ، ولتفقد أي بظلال الجبيلة ، ولتتميز الأفراد بما يقدمونه من مرائب وفرائض مادية للسلطات لتقوم بمهامها والواجبات الموكولة إليها .

ولكن هل الضرائب الإسلامية مباشرة أم غير مباشرة ؟

إن الضرائب الإسلامية جميعها مرائب مباشرة ، فالزكاة وعشور الشعير — بما نصاب معروف ، فإن كمل هذا النصاب ، وحال عليه الحال ، وجبت له الضريبة مباشرة .

وسمى أولاً لربط ضريبة الخراج ، وتقدير قيمها ، كانت الدولة الإسلامية تبحث لعمان وأهل الخبرة والخبرة لقياس سماحه الأرض ، ومعرفة قيمها وسع روعيتها وتمارها ، وبالتالي تفرض ضريبة الخراج مباشرة .

(١) موسوعة المصطلحات الاقتصادية صفحة ١٨٨ .

(٢) مبادئ علم المالية العامة ج ٢ صفحة ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ والمظام المالي الإسلامي المقارن ، صفحة ١٢٢ .

أما صريبه الخزية فالمباشرة فيها غير ظاهرة كما هو الحال في الركاه وعسور
السحارة والحراج (ولكن رؤساء البلاد كانوا يتكيفون لحاجات خاصة لتوزيع صريبه على
الأفراد حسب ما يملكون من العقار^(١) ومن هذا يوضح لنا أن صريبه حين فرضت كانت
بمطابق مباشر ، وكانت على الأموال التي هي عبارة الأفراد مباشرة ، ومن تكس هذه
الصريبه نعوس عن طريق التقدير والتخمين

قواعد الصريبه في الأنظمة الحديثة والاسلام^(٢) Law & Canon of Taxation.

وإذا ماولنا قواعد الصريبه عند بعض علماء المال في الدول الحديثة نجد
أسساً تشمل القواعد التالية :

- ١ - قاعدة العدالة Justice ومعناها أن تكون الصريبه المفروضة على
المكلف متناسبة مع دخله الذي يتمتع به في ظل الدولة .
- ٢ - وقاعدة اليقين Certainty ومعناها أن تكون الصريبه معلومة حق العلم
من حيث موعد الدفع وكيفية ومقدار ما يدفع بحيث لا يكون مبني ولا متصف .
- ٣ - وقاعدة الملائمة Convenience ومعناها أن يدفع الصريبه بنسي أو كسبر
الأوليات ملائمة للمكلف ، وبالكيفية الأكثر ميسراً له
- ٤ - وقاعدة الاقتصاد Economy ومعناها أن تكون الصريبه قليلة المقتات في الجبايه
واعمة على الدخل لا على رأس المال ، وبني الصافي منه لا على جسه الناتج^(٣) .

(١) النظام المالي الاسلامي المقارن صفحة ١٢٢ .

(٢) جاء في هاموس المورد صفحة ١٢٨ أن معنى Canon حكمه .

(٣) اقتصاديات المالية العامة والمقام المالي في الاسلام صفحة ١١٥ - ١٢١ وكذلك
مبادئ علم المالية العام والمشرع المالي ج ٢ صفحة ٨١ ، ٨٢ والمبشدي
الاقتصادي في الاسلام صفحة ٢١٢ - ٢١٤ والنظام المالي الاسلامي المقارن
صفحة ١٢٧

وموسوعة المصطلحات الاقتصادية صفحة ٢٢٨ وبرحب كلمة البدنة فيه

Equality

Political Economy, F.A. Walker, P.490

Economic Interpretation, Harold Rogers, P.115

وقد أُرشدنا أن تبحث عن مدى موافقة الفوائد المالية الإسلامية - منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر الأول للدولة العباسية - للفوائد والاحتياطات التي ترميها علماء المال في عصرنا الحالي بعد أن قاعدته العدالة التي ذكرها علماء المال في العصر الحديث هي مطلب الشارع الحكيم ، حيث قرر المساواة في الأموال والأفراد لا فرق بين شخص وآخر ، فمصلحة الركاء أن كمل مصالحها المحددة له أحد منه بوجوب مصلحته ميسورة ، وإلا فالخسر ، والجميع في ذلك سواء . كذلك مصلحة الحرير بمصلحة لا يطالب بها إلا الميسرون المادريون على الأداء ، وكل على قدر إمكانيته واحتماله وبذلك صدر أمر عمر (رضي الله عنه) إلى الولاء في مختلف الأقاليم ، وجعلها على ثلاث درجات : ستمائة وأربعين درهما ، وأربعة وعشرين درهما ، وأثنى عشر درهما^(١) أو ما يقابلها ذهباً . وذلك على اعتبار الاكتثار والافتقار . وهو ما قام خلفاء العصر الأول للدولة العباسية بتطبيقه وتنميته . ومنه فتح العرب مصر ، أُنعمت امتيازات أهل الإسكندرية ، وطبقات الأشراف التي تمتنعوا بها في ظل الحكم البيروني ، وطبقت عليهم أحكام العربية الإسلامية حتى يكون الجميع أمام العدالة والقانون سوياً^(٢) .

وكذلك أدت نظراً إلى ضرورة الخروج التي استخدمها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وأوجبها على البلاد المنسوبة ، فإنه راعى فيها مصلحي العدالة والرفق بأهل الأرض والتوسط ، ولاسي قولته (رضي الله عنه) فمن رحله جرنه وعقل جمع الأرض مواضعها وجمع على العلوج ما يهتملون؟^(٣) فقد وضع (رضي الله عنه) شروطاً أساسية وهو الاحتمال ، كل على قدر استطاعته وما يحتمله الأرض من جودة يركو بها زرعها ، أو رعاة يقل بها انتاجها .

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة ١٢٢ .

(٢) فتح العرب لمصر صفحة ٢٩٤ ، والنظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٢٧ و ١٢٨ .

(٣) كتاب الخراج صفحة ٢٧ .

ومما يدل على دفعه عمر (رضي الله عنه) في موضوع كهذا ، أنه استدعى
ذات يوم حديقته بن النعمان وعثمان بن حنيف ، اللذين بعثتهما سماحة الأرض وتفديرو
المراتب في العراق وقال لهما

" كيف وضعنا على الأرض ، لعلكما كللتما أهل عموكما مالا يطيقون؟ فقال
حديقة لقد بركت عملاً - وقال عثمان لقد بركت المصعب ولو غلب لأحدثته - فلبس
عمر عند ذلك أما والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق ، لأدعهم ليمشرون إلى أمير
بدي " (١١) .

ولم يكن ذلك في العراق محبباً ، بل تحقق في جميع الأقاليم لاسلامية ففي مصر
نرى أن متوسط الخراج بالعملة المصرية ١٢ر٥ قرناً (١٢) .

وفي العصر الأول للدولة العباسية، وفي عهد الخليفة المنصور ، وعندنا خبر
لسواد ، أن الخليفة الخراج عن الحنطة والشعير ورثاً ، وميرة ملائمة (١٣) ويدكر
الجبشباري أن رجلاً من أهل خراسان نهبته جماعة وخربت بسبب فيمن سهر دجسه ،
ثم اسطاع خراج الرجل لملك السنة ، بل مع اسلافه مائتي ألف درهم (٢٠٠ - ٢٠٠) ينفقون
به على عمارة صيخته (١٤) . والأمثلة كثيرة خلال هذه الفترة التي نتحدث عنها

أما القاعدة الثانية للجمالية الحديثة فهي قاعدة اليقين ، وراها ماثلة وموجودة
في جميع المراتب الاسلامية .

فالركاء في جميع فروعها حددت لها الشريعة الاسلامية مقداراً ومعافاً وحباً
أدؤه ، كذلك حددت موعد الدفع بعد حوالان الحول وكيفية وكذلك بقية المراتب
من جربة وخراج وعشور كانت محددة ومعلومة حق العلم للمكملين .

(١) كتاب الخراج صفح ٤٠ -

(٢) النظام المالي الاسلامي المجلد ١٢٨ ، وكذلك في مالية مصر صفح ٢٩

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية المأثور في ، صفح ٩٠ -

(٤) كتاب الزوراء ، والكتاب ، صفح ٩١ - ٩٢ ، والقصة المذكورة بالتفصيل في
المصحات الثلاثة من الكتاب المذكور .

فالتحرية منلا حدود بناء على شروط معاهد - الصلح التي أبرمت وياعلم
طبيعة البلاد المفتوحة .

ومربية الحراج حدود عن طريق رؤساء البلاد ، وسحت إشراف مدوهمين من
المسلمين لهم خبره ودراية في المساحة والزرع وذلك احتلت المربية باحسلاف
الأقاليم وطبيعة الأرض وموع الزرع والثمار والقرب من الأسواق ، واقتربت من الموانئ
ولذلك كانت مربية الحراج في مصر عيوها في العراق والشام .

ومربية المشور كانت نصف العمر وزينة أو العنصر كاملاً تبعاً لاختلاف
المساحين ومدى سعيهم للدولة الإسلامية كما نعمل الآن كثير من الدول لانتاجات
الاقتصاديه مما سببها لتخفيف المراث على البائع ، ولذلك يختلف المراثيب من
الواردات من دولة إلى أخرى ماارتفاع أو انخفاض .

وبالطبع كل ذلك ا كان معروفاً للمكلفين من حيث القيمة ، وموع الدفع
وكيفية ، حتى لا يولد من جهلهم بهدا . الخرج والارهاق المؤدي إلى الاضطراب في
السياس الاقتصادية ^(١) .

والقاعدة الثالثة للمالية الحديثة هي قاعدة الملائمة يقول الله تعالى في
كتابته العزيز ا وآتوا حقه يوم حصاده ^(٢) فالإسلام لا يأخذ العراش إلا في أوقات
معيمة ، في أوقات حصاد الحلات وحسب الثمار ، ومن هنا حددت أوقات السحيل وموع
الجبابة ، وروعي في ذلك ملائمتها للدافعين خبيراً لهم ورحمة بهم وحتى لا يؤدي إلى
إيجاش قلوب الدافعين .

(١) النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٦٩ ، وكذلك السادي اقتصاديه في
الإسلام صفحة ٢٦٣-٢٠٠

(٢) القرآن الكريم - سورة الأنعام آية ١٤١ .

واقرار عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص والي مصر حين استظهره القوم لوقت الغلات ، واتيان الطعام ، ما هو إلا تطهيئ ليليه الكريمة^(١) كما أن الشروع في تأخير السيور في عيد الحليفة الرشيد ، وأحبره بالفعل في عهد الخليفة العباسي المتوكل ، لدليل واضح على تطبيق الآية الكريمة في العصر العباسي^(٢) .

وأخيراً القاعدة الرامية لمعالجة الحديث وهي قاعدة الإقتصاد ، وقد كانت موجودة كذلك في المراسم الإسلامية ، حيث أن الحرائث الإسلامية لم يكن تكفي الدولة إلا النشيء القليل لجبايتها ، ويبدو ذلك واضحاً إذا قُمنا بالمقارنة مع ما جرى عليه العمل اليوم في بعض الدول ، من استعمال الحديد من المحملين والكنبه والمرحسين والصدقات في هذا السبيل من بين أمور كثيرة .

ومن هنا يستحق معنى الإقتصاد الذي يشير إليه علماء المالية في المعصوم الحديث .

ولقد كانت المراسم الإسلامية لاتتناول الدخل المادي بحياة المكلف ، فكان الحد الأدنى للمعيشة معفي من كل تكليف ، فطريقة حساب ولايؤخذ إلا على مال عام وعال عليه الخول ، وهو مظنة الانتاج ، ومظنة أن يكون الأداة من الثمرة لامن الأصول . والحرية بغير الحماية كالرسوم في عصرنا الحالي ، كل رسم مقابل خدمة ، فهناك رسوم البريد مثلاً مقابل توصيل الرسالة أو الطرد الى المرسل والشخص الذي ترسله الرسائل إليه ، وبالطبع فإن الحرية كان يراد فيها القدرة والإستقامة ، وحسنه المكلف من يصر وصر .

والخراج لا يؤخذ إلا من أرض أمكن زرعتها ، ولايؤخذ العشر أو نصف العشر من الثمار والزرع إلا بعدد صلاحها واستعدادها والعشر البخارية كذلك

- (١) المبادئ الاقتصادية في الإسلام صفحة ٣٦٤ -٠٠ والنظام المالي الإسلامي المقدر صفحة ١٢٩ -٠٠ كتاب فتوح مصر وأخبارها صفحة ١٦٠ .
- (٢) وقد تحدثنا بالتفصيل عن هذا الموضوع في الباب الأول وفي فصل إيرادات الخراج انظر صبح الأعشى ، الجزء ١٢ ، صفحة ٥٩ - ٦١ .

مما سبق يتضح لنا أن مبادئ الاعتماد والعدالة التي تؤدي إلى صون الاتساع واليقين والملائمة التي تؤدي إلى غزله ^(١) ، قد تحققت في النظام المالي الإسلامي مما يدل على أنه نظام يلج الحايه في الاحكام ، ووافقه الشريعات المادية الحديثه .

محدد الضرائب وعلما المالية

يكاد يجمع علماء المالية في عصرنا الحالي على أن نظام تحديد الضرائب أوسع وأحسن وأجدي من النظام المالي المسمى والغائم على مربيته واحده

لأن الحرية الواحده والتي تفرضها الدوله لحداد مغانب لابد وأن تكون جميعه لفرع المكلف ، وربما حرية بالمهرب من دفعها ، بل وبشر حقيقه على الحكومه التي تمنح هذه السله الخرفاء .

بينما إذا تعددت الضرائب فإن العبء الذي يصبى كل مكلف بقل وبمادي بقل شعوره بحمة ما يدفعه ، بل وقد يصب عنه بعض هذا العبء لتعدد هذه الضرائب واحتلال مواضع دفعها وقبضها ، وقد تضاف عنه بعض هذه الضرائب إذا كانت قبضه الضريبة لا تتناسب مع حلوه ^(٢) .

وليس معنى أهمية تحديد الضرائب أن الدول سحاً إلى فرض ضرائب لا حصر بها ، وبغض باب فرض الضرائب على مصراعيه ، بل يراعى دائماً التوسط والعدالة وإلا فإن الإرهاق تولد الكراهية وبشر الحقيقه والمفوض على الدوله الحاكمه

ولكن هل في الضرائب الإسلامية نظام التحدد ؟

نعم ، فإن الإسلام ملى نظامه المالي على أساس تحديد الضرائب .

عابداً انتقلنا إلى عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخليفه أبي بكر

(١) مبادئ علم المالية العامة والتشريع المالي م ٦ ج ٢ صفح ٨٧

(٢) مبادئ علم المالية العامة والتشريع المالي م ٦ ج ٢ صفح ٨٨ - ٩٣

المدينق ، رضي الله عنه ا سجد أن مربيته الزكاة كانت على رؤوس أموال مستثمرة ،
ومربيته الجزية على رؤوس من دخلوا في حماية الاسلام .

وبعد انتشار الفتوحات ، وامتاع أوجه النفقات جاءت مراث أخرى مثل الخراج
وهي المربيته العقارية الاسلاميه التي تعتبر الثروة الحقيقية لموارد الدولة وجهات
الأفراد والجماعات ، وكانت تفرض على الأرض .

وكذلك مربيته المعنوية : وهي مربيته الأموال التجارية .

ومن هنا نعرف أن الاسلام لم يعتمد في نظامه المالي على مربيته وحده لما
يهد النظام من مساوئ وعثرات تعرفل الحياة الاقتصادية وجميع سلطات أمام الأفراد
و الحكومات بما فيه من إرهاب عسف للفرعية وارتفاع تكاليف الجباية بالنسبة للحكومات .

ولذلك فقد اعتمد الاسلام في نظامه المالي على المراتب المتعددة ، ولذلك كانت
هذه المراتب أساساً لنظام المال في العصر الأول للدولة الحماسية ، وقد تحقق فيها
معنى التمدد الذي يقول به علماء المال والاقتصاد في العصور الحديثة^(١) .

(١) وقد سجدتنا في فصل الخراج عن تقسيم الخراج في العصر الأول للدولة الحماسية
وفي عهد الخليفة أبي الحماس السفاح - انظر فصل ايراد الخراج في الباب الأول
وأيضاً يمكن الرجوع إلى كتاب النوراة والكتاب ، صفح ٨٧ -

Source of Taxation وعاء الميراثية الحديثة
وعاء الميراثية الإسلامية

يقول علماء المالية في عصرنا الحالي (١) إن الوعاء الذي يعبر عنه الدولة هذه الميراث لا بد أن يكون هو المال الذي في حوزة الأفراد ، أما الميراث الشخصية التي يوضع على الرؤوس فهي من مظاهر عبور البداهة العائرية (٢) .

ومعنى ذلك أنه إذا كان مصدر الدخل هو الملكية العقارية ووعاء الميراثية هو الدخل المستمد من هذه الملكية ، كانت الميراثية المفروضة على هذا المصدر الطبيعي من الدخل هي الميراثية العقارية وإن كان مصدر الدخل هو كسب العمل ، ووعاء الميراثية هو الدخل المستمد من العمل ، كانت الميراثية المفروضة على هذا المصدر الطبيعي من الدخل هي الميراثية على كسب العمل ، وإن كان مصدر الدخل هو العمل والملكية معا ، ووعاء الميراثية هو الدخل المستمد على أساس التجميع بين التجميعين والملكية ، كما هو الحال في مشتات الأعمال ، كانت الميراثية المفروضة على هذا المصدر المجمع من الدخل هي الميراثية على دخول الأعمال .

أما المجموع الكلي لدخول كل فرد من الأفراد من مختلف المصادر من سوا العمل أو من الملكية ، أو من العمل والملكية معا ، فهو وعاء الميراثية العامة على الأفراد .

أما الميراثية الشخصية والتي تعني دفع مبلغ معين عن كل فرد من السكان ، ولا تعنى منها أحد ولا يعاقب كبحسب الولايات السويسرية ، وبعض الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك فرنسا إذ فرضت ميراثية مدنية على كل فرد مهما كان فقيرا (٣) . وكذلك

(١) مبادئ علم المالية العامة والمشرع المالي ج٢ صفحة ١٩٤ ، والنظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٢٤ - والمبادئ الاقتصادية في الإسلام صفحة ٢٦٤

(٢) مبادئ علم المالية العامة والمشرع المالي ج٢ صفحة ٩٥ ، وموسوعة المصطلحات الاقتصادية صفحة ١٧٩ ، والنظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٣٢ - وقد عرفت هذه الميراثية المدنية في ميراثية فرنسا لعام ١٩٢٦ Taxe Civique .

انحسر سابقا فقد كانت مربية الرؤوس من العوامل المقيمة الى ثوره الفلاحين عندما
١٣٨١م ، هذه المربية الحميه على الرؤوس من دلالات ومظاهر عصور البداوة العائره^(١)

غيرنا نظرا الى المورثات الاسلاميه نجد أن الركاك والحشر والجراح ليس لهذه
المورثات الاسلاميه الملاصق إلا وعاء واحد هو المال الذي في حوزة الأفراد .

أما مربية الحريم الاسلاميه مختلف عن مثيلاتها في عصور البداوة العائره .
فهي وان وصفت على رؤوس أهل الدمه ، إلا أنها وصفت باعتبار مايملك الفرد
من الثروة ، فهي إذا مربية فرصه في النواحي على المكلفين ، باعتبار مايملكون من المال ،
بدل من أن الفقير المعدم من أهل الدمه أعني من هذه المربية ، ولم يكن النظام
المالي الاسلامي بذلك فحسب ، بل جعل للدمي نصيبا يمش معه في مال المنسبي
ولو كانت المربية على الرؤوس - بعض النظر من الثروة - لما سقطت عن الشخص
الفاقر .

والدليل على ذلك واضح جدا مما حدث أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عندما أرسل الى حازن بيت المال الشيخ اليهودي قائلا
(أنظر هذا و مرءاه) يقصد بذلك الشيخ اليهودي ، قوله ما أنشد
أن أكلنا شبيبته ثم نحمله عند الهرم ، " إنما المصنفات للفقراء ، والمساكين"
والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، وضع الجربة عيسيه
وعن مرءاه^(٢) . واستمر الحال كذلك في العصر الأول للدولة العباسية .

وهكذا نجد أن النظام المالي الاسلامي منذ صدر الاسلام وحتى بداية العصر الأول
للدولة العباسية يمتاز عن غيره من الأنظمة فيسوي بدقة شريعه ، يرفقه بالأفراد ، فينبعا الاسلام
بوجوب الحرية باعتبار ما لديهم من المني والبار ، ومعنى من عداهم ، إذ بها يرى هذه مربية

١١ - موسوعة المصطلحات الاقتصادية صفحة ١٨٢ .

(٢) كتاب الجراح صفحة ١٢٦ .

مورد؟ هاما من مولود الدخل الحكومي في الميراثيات الحديثة^(١)

هذا وأن علماء المال في العصور الحديثة يحدون لدول والحكومات ويطبق
الضريبة على رأس المال المسج للدخل ، بحيث لا يقع الضريبة إلا على الدخل المنتظر
من هذا المال ، ويحدون للسلطات أيضا ربط الضريبة على الدخل مباشرة .

إذاً محور للدول أن تملك أي السبل في فرض الضرائب^٢

وأما الضرائب الإسلامية فإنها تربط على رأس المال لتؤخذ من الدخل المنتظر
منه ، فحريضا الزكاة والعشور فرضتا على ثواب محدود معلوم حال عليه بحصول ،
هذا الثواب هو رأس المال المنتظر أن يكون الضريبة جزءاً منه .

وكذلك ضريبة الخراج حينما وضعت على أراضي الجلاء والأقاليم المفتوحة ، في
العصر الأول للدولة العباسية ، جعلت هذه الضريبة على الأرض ، وهي تفادى رؤوس
أموال النقدية ملاحظا فيها قيمة متدثرة تلك الأراضي من الخراب واستتجابه من
المحصولات^(٣) ولو أن هذا النظام عدل أحيانا في بعض فترات العصر الأول للدولة
العباسية ، حيث كان الخراج مقاسا في بعض أنواع الزروع ، بدلا من المساحة ، ولكن
نظام المساحة كان المطبق في كثير من الأقاليم الأخرى عبر العصور

ورب سائل يقول ته

سيادنا تمت النظام الإسلامي إلى هذه الطريقة وهي ربط الضرائب على رأس المال

سؤجه من الدخل المنتظر مناه *

(١) النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٢٢ ، ومبادئ علم المالية العاصمة
والتشريع المالي ج٢ صفحة ٩٥ .

(٢) مبادئ علم المالية العامة والتشريع المالي ج٢ صفحة ١٢٢ ، ١٢٣ ، وكذلك
النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٢٢ ، وكتاب المبادئ الاقتصادية في
الإسلام صفحة ٣٦٥ .

(٣) وكذلك كان الحال منذ أن فرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله
عنه) ضريبة الخراج على أعماق الأراضي .

وبالإضافة على هذا السائل نقول

لأن هذه الطريقة أحكم أمراً وأوفر حيلة ، وأبسط وأيسر في الحصول لأهميتها
لأنه يؤدي إلى خلاصات حادة يشوب عدد تقدير الدخل ، وبالطبع فإن هذه سماعات تؤدي
إلى الظلم ، فالإسلام تحاشي في موانئه ، حصول الممارعات بشأن تقدير الدخل ولذلك
أوجب المصيبة على رأس المال - وحتى لا يظلم أحداً -

بالإضافة إلى أن هذه الطريقة سمحت همه المكلفين إلى العمل على زيادة إنتاج
من حيث أنهم سيدعمون المصيبة على رأس المال قل ربحه أو كثر .

على هذا الأساس تهدف وحيث مربيه الركا في الذهب والفضة المدحورة التي
لا تعامل بها ^(١) ، وكذلك مربية الحراج في الأراضي المندة لزروع من حيث التربة
الحصة وملازمة المناخ وسائر المياه أو مجهود قليل وتحويل هذه لأراضي وإلى أرض
زراعية ولكن أصحابها تمعدوا موكها وأهمائها دون استغلال وهم قادرين على احداثها
إلا أنهم مجبرون على دفع ضريبة الخروج .

أ وقد حدث هذا - في الدولة الإسلامية - في الأراضي التي عنيها الطرح ،
فروعي فيها الحرزوع ، والذي يمكن زراعتها ، وكذلك الشجر الغادر بأد ، المصيبة إذا
أعمل في أرضه اختصاراً ^(٢) .

من ذلك يتضح لما أن الدولة الإسلامية منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر
الأول للدولة الإسلامية - وهو العهد الذي يساويه البحث - قد غدت موانئها المالية
من دوح الأفراد ، وحشهم على المحافظة على رؤوس أموالهم المستحقة بهذا الحصول
بما يجمع الضريبة من السهام - وذلك بموجب الشروط والقيود التي مكنت بحمايتهم
ومنعها .

(١) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة - قم المبادئ صفحة ٤٨٢ والمبني -
الاقصادية في الإسلام صفحة ٣٦٥ ، والنظام المالي الإسلامي المطبوع سنة ١٣٤٠

(٢) النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٣٤ .

المراكب العينية والشخصية في المالية الحديثة والاسلام (عصر الاسلام - والعصر الأول للدولة العباسية)

فالمدينة العينية

هي التي يقيم المال دون النظر إلى الشخص المكلف ، أو الرجوع إلى مخصص مركزه الشخصي في مجموعه للبحث عن مبلغ مقرر ، وهل هو حر طليق أو منقول بادبيون^(١١) ، لأن هذه الاعيانات تمثل بالشخص المكلف ومركزه العاني ، لا بالعين التي هي وعاء للمدينة ، فالاعيانات الشخصية لا مكان لها في المدينة العينية .

أما المدينة الشخصية فهي التي سحب على مال المكلف ملاحظ فيها حالته الشخصية ، ومدى مركزه السالي . وهل الوعاء المالي الذي تصرف فيه المدينة بثقل بالديون أو حر منها^(١٢) .

وإذ استقرت المراكب الإسلامية بعد أن ..

الركاة :

مدينة شخصية ، حيث أنه يراعى في فرضها حالة وحاجة الشخص المدنية ، وأن وعاء المدينة الذي تصرف منه - أو الثمن الذي حددته الشريعة السعداء - يحسب أن يكون غير محمل بأي عبء مالي ، أو مثقل بالنفقات التي تستلزمها حياة المكلف ومن يموله ، ومن هنا يعرف أن المالية الإسلامية نظرت إلى مركز الشخص المادسي في هذه المدينة وأعظمه من كل تكليف إذا استقرت الديون أو النفقات بحسب المال أو كله ، وفي الوقت نفسه ليس له دخل آخر يتحمل أو يقوم بهد النفقات والديون والأعباء المالية .

(١١)، (٢) مبادئ علم المالية العامة والتشريع المالي ج٢ صفحة ١٦٦ والنظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٢٥

والخراج :

مربية عسبة ، حيث لوحظ فيها عندما فرمها عمر من الحطاب رضي الله عنه ، في بدايه الأمر على أراضي الجلائد المفتوحة العين نفسها مايفتق بها من درجبات حمصها ووفرة محصولها ، وكانت في العراق على وحده الجريب وربما يكون الأمر كذلك في الشام . وأما في مصر فكانت على وحدة الفدان .

١ ولم يكن هناك تفرق بين من يملك فداناً أو عربيه واحداً وبين من يملك العشرات من ذلك ، بل ساوي الجميع ولم يميز طبقة على أخرى ، أو يفرق بين سعر العريبه في الملكيات الصغيرة والكبيرة ، كذلك لم يميز المركز العالي بشخص المكلف ، وهل أرمه ضريبة من كل شيء أو أنها صنفه بالديون^(١) .

وبناء على ما تقدم فإن الخراج مربية عسبة .

والجزية :

مربية ضخمة لأنه لوحظ فيها عند ربطها مهرة المكلفين وفقرتهم .

والعشور النجارية

مربية ضخمة بالنسبة للمسلمين لانطباقها على مربية الركاء

وفي الوقت ذاته فإن العشور التجارية مربية عسبة بالنسبة لأهل الذمة والحرب لأنه لا يظفر فيها إلى مركز الشخص في مجموعه ، هل هو مالي أو غير مالي ؟

ما سبق يبيح لنا أن المراتب كلها ضخمة من حيث أنها تفرض على أشخاص المكنتين ، وهي في الوقت ذاته عسبة ، لأنها لم تفرض على الأشخاص باعتبارهم كائنات بشرية محض ، بل باعتبارهم محتازين لأموال عسبة . إلا أن المراتب التي تعيب هذه الأموال إما أن تصبح بالمبعض الضخمة كمربية الركاء والجربة وعشور المخارة بالنسبة للمسلمين أو تصبح بالصيغة البسيطة كمربية الخراج

وعشور التجارة بالنسبة للذميين وأهل الحرب .

(١) النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٢٥ .

سياسته الاتفاق في الدول الحديثة والدولة الإسلامية العباسية

بعد تحدثت فيما سبق عن السياسة المالية الإسلامية ومقارنتها بالأنظمة المالية

الحديثة في باب الموارد ، وهنا سنتكلم عن المقارنة بين النظامين في باب المصارف -

يقول بعض علماء الحال في العصر الحديث أن مفهوم النفقات ينحصر في توفير

خدمات الدفاع والأمن والعدالة ، وبعض الخدمات العامة كالتمهيم والصحة العامة .^(١)

وقد قسم بعض علماء الحال النفقات في أيامنا هذه إلى قسمين

أ - نفقات عادية وهي التي تتكرر سنوياً وتظهر بمفهوم منتظمة في الميزانية ومن

أخفض مقدارها من عام لآخر ، كمصروفات الإدارات الحكومية من مرتبات

ومعاشات ومصاريف صيانة ، وتمديد الديون .

ب - نفقات غير عادية وهي التي لا تتكرر بمفهوم منتظمة كل سنة ، وإنما هي مصروفات

مיוחדة ، كمصروفات الحروب وإغاثة منكوبي الكوارث الطبيعية ، والإنشاءات

العمومية التي لا تتحمل التكرار كإقامة المدود الصحية والمواسي ، أما الإنشاءات

العادية كحد الطرق وخلق الشوارع والمصارف ، فيستمر من قبل بجدد الجسور

الاقتصادية ويدخل في عمدة النفقات العادية لأنها وإن لم تتكرر بدائنها

تتكرر بنوعها^(٢) .

أما من حيث طبيعة الخدمة التي يهدف الاتفاق العام لأدائها فهناك نوعان

من النفقات -

(١) وذلك في ظل مبادئ المذهب الفردي الحر ، الذي يقضي بإبعاد الدولة عن

المدخل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ، ولانحلال من النفقات

العامة ، وقصرها على ما يلزم . ويرى بعض الكتاب أن النفقات العامة يجب ألا

تتجاوز نسبة من دخل الدولة عن ١٥٪ إلى ٢٥٪ من كتاب اقتصاديات المالية

العامة والنظام المالي في الإسلام صفحة ١٦٥ .

(٢) اقتصاديات المالية العامة والنظام المالي في الإسلام صفحة ١٦٨

١ - نفقات إدارية وتمتلك بغير المرافق العامة بقدرته كمفقات الدفاع والأمن والعدالة والعلاقات الخارجية .

ب - نفقات اجتماعية وثقافية ويتعلق بتحسين نوع الحياة الاجتماعية وزيادة الرفاهية في المجتمع كمفقات المصروفات الاجتماعية والخدمات الصحية والتعليم والثقافة ونفقات اقتصادية كمفقات الاستثمار والائتمانات العامة +++ وغيرها

وإذا نظرنا إلى ميزانية بريطانيا نجد أن النفقات بوجه عام تنقسم إلى قسمين :-

- أ - قسم خاص بالنفقات الحربية والتي تمثل أساساً من حصة المراثي والرسوم وتعرف بالنفقات فوق الخط *above the line* وتشمل نفقات الإدارات العسكرية والمصالح المدنية كالتعليم والصحة والمعاشات والمساعدات الاجتماعية والشؤون الخارجية ومخصصات الملكية ، ومرسبات ومساهمات رئيس مجلس العموم ورئيس المعارضة والنفقة برؤساء البرلورات ومجلس العموم والتوريدات والنفقة السابقين ،
- ب - وقسم خاص بالنفقات غير الحربية ويجوز للدولة تمويلها بالقروض - دعوى الحاجة - وتعرف بالنفقات تحت الخط *below the line* وتشمل نفقة المدن الجديدة وقروض المصانع الكبيرة الخ ^(١) .

ينبغي مما سبق أنه قد اقتضت نفقات الدولة الحديثة بمفحة أساسية - في ظل النظرية الاقتصادية التقليدية التي سادت خلال القرن الماضي وأوائل القرن الحادي - على توفير خدمات الدفاع والأمن والعدالة، وبعض المرافق الأساسية التي لا يمكن تلبية زيادة الإنفاق كالسجون والطرق والموانئ، وبذلك تنفذ نطاق الاندفاع العام بما يلزم لأداء هذه الوظائف دون أن يمتدداها إلى القيام بأي نشاط اقتصادي أو اجتماعي آخر

(١) اقتصاديات المالية العامة والنظام المالي في الإسلام صفحة ١٢٢ ، ١٢٣ .

ومع المطورات الاتحادية والاجتماعية التي أحدثتها في المجتمعات المعاصرة ، اتسع نطاق الاتفاق العام ، لمقاومة احتياجات النوع في الخدمات اللازمة بقيام الدولة بوظائفها التنظيمية وزيادة عدد الوظائف التي تنتمي على الدولة القيام بها ، وبالتالي في المجال الاقتصادي والاجتماعي .

مراحل الدفاع والأسس والعدالة في العصر الحديث مثلاً يتطلب من الدولة الحديثة القيام بأعمال أكثر عدداً وتكلفة عن ذي قبل ، وكذلك العصر في المراحل الأخرى التي مارس النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

ومن هنا زاد الاتفاق العام ، وشمل معظم المرافق والخدمة العامة ، وما يعود بالنفع العام على الجميع .

وبما لا شك فيه أن نظام الصفات العامة للدولة الإسلامية وخموساً من مصادرها ، وكذلك في العصر الأول للدولة العباسية . ، يطابق اقتصادي ولأصول مدبسي بنادي بها الفكر المالي الحديث ، فالدولة الإسلامية قررت أن سلق إيراداتها في المنفعة العامة ، وأوجبت توزيعها في سداد الحاجات العامة ومعالجة الجميع ، وتسمي جميعها للاتفاق على المصالح والمساكن الفردية ، ولم تكن هناك مفارقات تذكر على الاخلاق بحيث يؤثر طائفة على أخرى ، أو إقليم على آخر ، لأنه أكثر مسوداً أو أجزل خراجاً كما يحدث في عصرنا هذا .

فايراد المصنفات تشمل الاعمال العام للمسلمين ، وإيراد الحرية والخصومات والمشور حصصاً لأعطيات وأوراق الحد والولاية والعمارة ، وما يلزم الدولة كالألحاف وسدات الجند ، وسنقول ذلك بالإيجاز .

الرواتب في المالية الحديثة . Wages and Salaries.

حوت المادة أنه يوجد في الدولة الحديثة موظفون وعاملون في مختلف الخدمات وأن هؤلاء العمال والموظفون يأخذون مرتباتهم وأجورهم كل شهر مقدماً ، هؤلاء العمال والموظفون متفاوتون في الدرجات ، كل على قدر مركزه وسميه

كما أن الفكر المالي الحديث يعبر بشأن الحرب وجوب تحديد سعره ، حسب
سوق المنيعة في الطبقة الاجتماعية الناجح لها الموظف ، وطبيعة العمل الذي يراوده ،
والمركز العائلي والميل الذي يعش فيه ^(١) .

الأوراق والأطعام في العصر الأول للدولة العباسية :

أما فيما يتعلق بالأطعام والأوراق في الدولة العباسية ، فقد عمد خلفاء العصر
الأول للدولة العباسية إلى ترتيب أحوال العاملين في الدولة العباسية من خزانة الدولة
وغير الديوان ، وقسم المسلمون إلى طبقات ينلو بعضها نصيباً من مباح أسماء كل طبقة
وبما أن أطعامها وأوراقها ، بحسب درجاتهم ، وقد راعى خلفاء العصر الأول بتدوينة
العباسية في هذه الرواتب أن تكون محدودة على سطح عام ثابت ، بحيث تكفي هذه
الرواتب مناسبة مع المناسبات المختلفة ، فمطاء الخاص غير مطاء العبد غير عطية
الوالي ، فكانت هذه المخططات مناسبة مع المناسبات ومقدار نشاط العمل فيها ،
ولأنه سارع المعيشة واختلاف المكان والزمان من قرب أو بعد ، مراعى فيها عدد
من يمولهم من الأولاد ، فكان كل راتب في غلاء المعيشة يتأمله ارتداد في الأجسام
وريانة في الأوراق والأطعام ^(٢) .

والسبب الحقيقي الذي دفع خلفاء العصر الأول للدولة العباسية إلى استحداث
هذه السياسة المالية التي استحوها في الأجر والأوراق يرجع إلى رغبتهم في خلق
الحوافز لدى المسلمين في العمل والنشاط ، وحتم على بدل قصارى ما في وسعهم
خدمة للبلاد والعباد .

ولد راعى خلفاء العصر الأول للدولة العباسية حين تقريرهم تلك الأوراق أن
يكون فيها عناية وكفاية تامة لكل شخص من المسلمين ، حتى يسمى بهبها على
المناس أي مادة أخرى معده عن أي عمل آخر غير الذي حصل له وكلف به ، وخصوصاً
في أوراق المسجلين بديوان الخند

(١) معادي: علم المالية العامة والمترجم المالي ١ ج ١ صفحة ٩٥ ، ٩٦ - والمبشادي:

الاقتصادية في الإسلام صفحة ٣٦٧ وكذلك النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٣٧ .

(٢) النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١٣٧ .

كما يلاحظ أن الكوفة والأهلية كان لها دخل كبير في نظام الأرزاق الذي عمده حبيب .
العصر الأول للدولة العباسية ، بدليل أنهم أدخلوا الأتراك والفرس في الأرزاق مع العرب .
وقد استمر الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية ، على نفس نهج السابقين^(١)
مع بعض التعديلات الطفيفة التي تطلبها الظروف المتغيرة على الساحة آنذاك .

ولم يمتد سلاً لذلك ، فعمداً ألغى الخلافة إلى العباسيين ، اهتمامهم بديوان
الحطاء ، فأملحرو أمره ، وأنشأوا إليه مهنة تحديد القوات ، ودفع أرزاقهم ، دون
سمير بين أجناسها ، فأصبح الجيش هو العمود الفقري لقوسهم ، وساء سمواً عظيماً ،
سبحه الساج لميموني الإسلام الجديد ، بالانخراط في صفوفه^(٢) .

هذه شهادة من أحد المستشرقين ، تبين أن خلفاء العصر الأول للدولة العباسية
اهتموا بالحطاء ، وساروا بهم المسلمين ، وحلفوا الحوارج ، وقد تحدث في الفصل
الثاني من الباب الثاني أن الجندي العباسي كان على درجات دو الكفاءة العديدة ،
والجدي ، والدون ، كما أن جندي الثموز والحدود الإسلامية كان يمتع عطاءاً أكبر ،
وهو أمر شجاعة لكي يفي هماله ، كما كان يرانى في عطاء الجندي العباسي موقعه
من البلاد ، ومسمى المقيمة في تلك البلاد ، فإذا كان مرتقماً ريد في عطائه
وروفه . الخ^(٣) .

(١) إلا أنه في سيرة الإسلام كانت الأعطيات حسب السبق في الإسلام وخدمة الدعوة
الإسلامية .

(٢) Hell, "The Arab Civilization " P.84.

(٣) أرجع إلى الفصل الثاني من الباب الثاني من هذه الرسالة .

توجيه النفقات في المصالح العامة

يمادى علماء المالية في العصر الحديث ، بأن مالية الدولة يجب أن تشمل
مصلحة الأمة جميعها ، لاحتمالها من هذه الموارد ، وإذا أريدت السلطات المحافظة
على المصالح الاجتماعية بين جميع الأفراد والطبقات ، وجميع المحافظات والأقاليم
الحكومة لها ، فلا ينبغي أن تعمل على إهمال إقليم على آخر أو فريق على غيرهم ،
بزيادة النفقات أو عماد حصة أكبر من نصيب الآخر ، لأن هذا العمل يتنافى مع
التماس الاجتماعي ، كذلك ينادى علماء المالية بأنه لا يجوز لسلطات صرف هذه النفقات إلا إذا
وافق عليها نواب الشعب والأمة ، وهما لها السريفة ، كما فهم على تحرير شرائط
وجبايتها ، وتقديرها في باب الموارد .

وكن مبادئ به علماء المالية في العصر الحديث تحقق في باب النفقات هي
مالية الدولة الإسلامية منذ عصر الإسلام ، ومروراً بالعصر الأول لدولة العباسية

فقد كانت الدولة الإسلامية تصرف إيراداتها في المنفعة العامة ، وليسداد
حاجات الكافة ومصالح الجميع ، فأبرأ من الضرائب الإسلامية مثل الجزية والخراج ،
قد وجه لأطباء الجند والطبقات والولاة والألوية ، ومعدات الجهاد وما يرمي إسلافه
في المصالح العامة للدولة ، أما إيرادات الزكاة والصدقات فيوجه إلى الإحسان العام ،
نعم ذكروا في الآية الكريمة " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين فيها
والمؤلفة قلوبهم وفي الزكوات والعاملين وفي سبيل الله وفي السبل ، فربحة من الله ،
والله عليم حكيم " (١) . وكذلك كان يوجه للمكافئ الاجتماعي ، ومسح الديون ، فلا يرد
الدين يتقدمون للدولة الإسلامية خدمات ساقطة من دينهم وسياسة - وإيراد حسن الخصال
كان يوجه كذلك في خدمة الجيش وفي ذكرى في الآية الكريمة " واعلموا أنما خففتم
من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى والمساكين وابن السبل " (٢)

(١) القرآن الكريم ، سورة التوبة آية ٦٠ -

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنفال آية ٤٤ -

وهكذا شمل سورج الخطابات للدولة الإسلامية مراعى شئى ، ذكر بعض سابقا ،
وأرجو أن أذكر بعضها ممن لم أذكره فيها سائى .

أما من ناحية صفات الدولة الإسلامية فلم يكن يسمح بها إلا إذا جمعت شروطاً
على مرها من المسلمين وكبار الصحابة . وغير دليل على ذلك أن بعض منسوبات
الخطباء كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) وكذلك الصحابة ،
وربما هذه المنسوبات كان من احتجائى كبار الصحابة وأهل الحل والعقد ، فجميعاً
سولى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الخلفاء جميع الناس وشاورهم في الشورى لأصغر
المسلمين والانصراف عن السخاوة وقال : كنت صاحب سجارة واليوم أرى أن يفرس لى
تدراً منى من المال بكفى وأهلى صحابته الحياة ، ثم شاور أهل الراى من المسلمين
بعضهم بعض في طلب عمر (رضى الله عنه) ولانوا له . قد حدد لك من المال راتباً
وفدوه ستة آلاف درهم في السنة .

أ وعلى هذا النحو كانت كل الصفات العامة ، لابد أن تمال موافقة المسلمين
أو موافقة أهل الحل والعقد وهم بمثابة الهيئة التشريعية في العصور الحديثة ،
كما أن فرس الضرائب وتقريرها كان كذلك^(١) .

وفي العصر الأول للدولة العباسية ، لم يوافق الخليفة المعصور على أن يستبد
دينه من بيت المال ، بل أمر في وصيته لابنه المهدي ، على أن يحدد ذلك المبلغ
من ماله الخاص ، جعل^(٢) . مما يدل دلالة واضحة أن الخلفاء في العصر الأول ولدوسة
العباسية ساروا على نهج السابقين وهذا لا يجمع من أنهم استحدثوا بعض التغييرات
الفرعية لتتناسب مع ما استجد من الأمور .

(١) النظام المالي الإسلامي المقارن صفحة ١١٠ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٢١٩ مسمى
أحداث سنة ١٥٨ هـ .

وكسب مرافق الدولة الإسلامية شمل الدفاع عن سلامة البلاد والحدود في سبيل العقيدة ، كما تناول الاحصاء على العقراء والمعدمين من الرعية والذي يطلق عليه مرقى النكحل والمحاسن الاحصائي بالاحاقه إلى أن هذه المرافق كانت تناول بقيام على توزيع العدالة والقسط بين الناس .

١ - مرقى الدفاع :

وأهم المرافق التي كانت تعتمد لها الأموال بسحاء هي مرقى الدفاع وخصوصاً في عهد الخليفة العباسي المصمم ، وقد عني بأمر الدفاع عن الوطن وحريه الرأي واستيفاده وما يصل بذلك ، وما يستلزمه من واسع الصفقات ، ولذلك كان مرقى الدفاع في خدمة هذه المرافق حبيبة ، وكانت له المرحلة الأولى

وقد أجزل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في صدر لاسلام لأحوز ولأعطيت بلجيود حتي يؤدي المسلمون سهمهم الحربية على حيز الوجود وأكملها . ومما يدل على ذلك أنه عندما قتل الجاهليين - وهو من أمراء الفرس وأقبائهم - والذي قتله هب من المسلمين اسمه " رهرة بن الحوية " وسلبه ، فعاد بسله إلى سعد ، فقال اسمه سعد " هل أعانك عليه أحد ؟ قال نعم ، فإن من ؟ قال الله " ، وكان سعد قد شكّر سلبه ، فكذب فيه إلى عمر ، فكذب عمر إلى سعد " أتعمد إلى مثل رهرة وقد علي بسئل ماعلي به ، وقد بقي مثلك من حريك ماعلي ، تكسر فرسه وتكذب فيه ، اسمي ، وفعله على أصحابه عند الحطاء بخمسائة " .

فدفع إليه سلبه فباعه بسبعين ألفاً ، وقد فصل أصحاب البلاد كلهم عند الحطاء بحمسمائة حمسمائة ، وهم خمسة وعشرون رجلاً ومسيهم رهرة (١) .

ومن هنا يتضح لنا أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) منذ البدايات اهتم بمرقى الدفاع اهتماماً شديداً ، وتوجهت عنايته في توفير المسائل المالية التي

(١) التكميل في التاريخ ج ٢ صفحة ٤٨٧ .

ينطلب هذا المرفق ، تأبى تقسيم الأراضي المصنوعة وأهلها ، وعرض عليهم مربيته الحر ج والجريسه ، ليكون إيردها في أعطيات الحد ، وأثر في العمال ، وحراة الشعور وما يستتبع ذلك من سراء الأنظمة ومعدات الحرب ، ولذلك بدل سحاء في هذه المعايير لأن الجيود هم هذه المستقبل وهم الذين يحافظون على الأمن ، وهم حماة الله في أرضه - وبهم وعلى أكتافهم كسرت الفسوح في عصر الراشدين - وروايات بلادهم الأموية وحسب نهاية العصر الأول للدولة العباسية -

ب - مرفق العدالة والمحافظة على الأمن :

إن تحقيق العدالة والمحافظة على الأمن الداخلي يستمر في سطر العصور الحديثة الدفاعة الشائبة بسبب العبارة . ولذلك اهتمت الدولة الإسلامية بمرفق العدالة ، وملت على بث الأمن في ربوع البلاد ، وذلك بتنظيم القضاء ، وسوجع دائرته بل والوسع في روي القاضي حتى لا يكون محتاجاً لشيء فسخه الرشوة لشيء حرماً الاسلام . ثم بعد ذلك إيجاد قوة من الشرطة يخط بها مع كل عدوان ، ولتنبه كل معتد إلى القصاص وتكفلت بطلبات ذلك .

أ - موقع أن ما يبدل من الصفات في إقامة القسط بين الترمية ، ولطم الشرير قبل أن يستفهم أمره ، من أحد الصفات العامة التي تعود على الأمة بالرحاء القومي ، والذي هو شرط في دوام تسوية المدنية وتقدمها . وحفظ الأمن الذي إذا اضطرب حبله كان يورأ كبراً على الدولة ^(١)

لقد حقق هذا الأمن وحفظت هذه العدالة منذ أرساة عشر قرناً والتي كانت اندوية الإسلامية منذ نشأتها حريصة أشد الحرص على هذا المرفق والذي يحقق المطلوب الأمن والعدالة ، وهو ما سطر عليه الخلفاء في العصر الأول للدولة العباسية .

ج - مرفق التكافل الاجتماعي أو الإحسان العام :

والتكافل الاجتماعي لازم من لزوم الأخوة ، بل هو أبرز نواتجها وهو شعور الجميع بمشობه بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد منهم حامل تبعات أخيه ، وبمحمول على أخيه يسأل عن نفسه ويسأل عنه غيره . والعمان الاجتماعي حقيقته فرها الاسلام في

(١) المباهي الاقتصادية في الاسلام صفحة ٢٧ ، ٢٧١ - والنظام المالي الاسلامي
سقارن صفحة ١٤٢ ، ١٤٣ .

الركاة والسقاة على الاعل والإعل والأبعاد . ووضع لكل شيء منها مباحا ومعتلا . كما أن الاملاام نظم المبرات وجعله شمة عادلة لاحتف فيها ولا إحفاف ، وقد بلع لاملام في هذه الشربعات العروة عي الصبط والاحكام^(١) ، ولانسى ركاه العطر التسيي نفوس عى كل قادر أن يخرجهما اخر شهر رمضان ، وكذلك أمحيات الأعياد ، فكسها مظهر من مظاهر التكافل والتعاون الاجتماعي .

وإذا نظرنا الى الحكوميات الاسلاميه نجد أنها اهتمت بمردق الاحسان العام والذي يلقي باستات المخدمين ودوي الحاجة من أمثاتها ، وورعه نوريها عدلا يكمن هدوء الفقراء وراحة الأفتياء^(٢) .

وهذا في الواقع فاسون من موانيس المجهضات الراقية ، وعصرون سامسبر الحياة الطيبة ، يروق عليه كمال السعادة ، بل هو الأساس في حياة الأمم ، وبفانثب عزيمة كريمة متمسكة بهيبتها ، فاشمة بواجبها .

وإذا رأينا الحال في العمور القديمة بالنسبة للفر ، والمخدمين نرى أن نظام بعض دولها الجاف كان يلقي بالتحلص من هؤلاء بالقتل والرق ، وقد كان الاسلام على العكس من ذلك فقد عمد الى مطالبة دوي المسار بحر ، من أموالهم ، كحق يشفرا . لمحبش الجميع آمنين من شروق مصهم .

(وهذا يفسر لنا الفكرة المحدثة القاطنة بأن على الدولة أن تتدخل في أمر هذه الطائفة التي سئل الطمغه الففيرة في الرعية ، لأنها إذا لم يمول استاتها ، وركسهم لحدقات الافراد التي ينعمل بها كرماء الأمة حوقليل مام - دون بخلانيسها ليهنكروا حوما وصبرا)^(٣) .

(١) الركاة كما جاء في الكتاب والممة على المذاهب الأربعة صمعه ١٩٩ .

(٢) النظام المالي الاسلامي المقارن صمعه ١٤٢ - والمصادي الاقتصادية في لاملام صمعه ٣٧١ .

(٣) النظام المالي الاسلامي المقارن صمعه ١٤٢ .

وقد حمل الاسم الأكبر الشرح شلوب الكافل شعبتان :

١ شعبه مادية وسبيلها مد يد المحونة في حاجة المحتاج ، واعانة المسبوق
وبعريج كربة المكروب ، وتأمين الحائف ، واشباع الحائش ، والمساهمة العملية في إقامة
المصالح العامة .

وشعبة أدبية ومعنى بها تكافل المسلمين جميعا وبعاونهم العمومي بالمعلمين
والنصح والارشاد والتوجيه (١).

فالاسلام هو دين الكافل الاجتماعي ، من حيث التزام الأفراد ، وهو دين
الناس الاجتماعي ، من حيث التزام الدولة (٢) ، بمعنى كفاية ومعين بحياة الكريمة
لكل فرد في المجتمع الاسلامي . بحيث يعيش حياة لائقة كريمة آمنة ، أيًا كانت
حقيقته وأيًا كانت دينه ، ومعنى له حد الكفاية لاجل الكفاية ، بحيث اذا لسمع
تسقط ظروفه الخاصة كمرض أو شحوحه أو سخط من العمل أو عسى من سرب به خسارة
عالية بسبب حادثة أو حرب أو دين في غير معصية ولو كان يديه حال ولكن يدين
يحيط به ، وكل من يحرم لائلاق أو فاقه بعد عسى وبسر وكذلك اللاجيء أو سائح
الذي انقطع عنه مزرده بسبب خارج عن ارادته ، لكل هؤلاء اذا لم يستطيعوا بحفظ
المستوى اللائق للحياة ، والذي يختلف باختلاف ظروف الرمان والمكان ، تكفلت
ومست لهم الدولة الاسلامية بحباء الكريمة لحد الكفاية لا لحد الكفاية من طريق
صندوق أو مؤسسة الزكاة .

١ واداك كان الناصر الاجتماعي لم يتفر في العالم إلا حديثاً ، وكان سراج مراع
الطبقات ، وشيرة المشاكل الاقتصادية المتولدة عن الثورة الصناعية ونظير الاقتصادي
قد قرره الاسلام منذ أربعة عشر قرناً لتحرير الانسان باسم الدين من قيوده الحادية
ومذله الفقر ، واعتبره حق الله الذي يحلو فوق كل الحقوق ، وأن مجرد إكساره أو
اهداره هو نفي وتكذيب لرسالة الاسلام (٣).

(١) الاسلام عقيدة وثريعة صفحة ٤٣٦ .

(٢) سلمه الاقتصاد الاسلامي ج٢ ، الاسلام والتأمين صفحة ٢١ .

(٣) سلمه الاقتصاد الاسلامي ج٢ ، الاسلام والتأمين الدكتور محمد شوقي العنبري صفحة ٢٣ .

قال الله تعالى :

"الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعَمِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا .."

القرآن الكريم
سورة المائدة آية ٢

نتائج الدراسة واختتمت

وبعد . لقد تعرضنا خلال هذا البحث لتحديث عن سياسة المال في
الاسلام في العصر الأول للدولة العباسية ، وميوانيه هذه الدولة ، الاسلاميه بظهوره
من مورد ومصارف ، ومصارف اسلاميه وكيفية صرفها ، ثم قارنا بين النظام المالي
الاسلامي ، في العصر الأول للدولة العباسية والأنظمة الماليه في العصور الحديثه .
في محاولة نوضح محور شامل لما كانت عليه حياة المسطرين في صدر الاسلام ، وفي
العصر الأول للدولة العباسية .

ومن خلال هذه الدراسة اتضح لنا النتائج الآتية :-

١- إن الدواوين التي اصبحت بالشؤون المالية ، سواء في تحصيل الإيرادات ، أو
صرف المصقات ، في العصر الأول للدولة العباسية ، وصلت في نظامها ، وقواعدها
وخصائصها المشتمله على مستوى عال من النظام والدقة ، والدليل على ذلك ما ذكره
الحوارسي وغيره من المؤرخين من سجلات والدفاتر ، التي كانت تستخدم في
صبط أعمال الدواوين ، ومنها ما كان مستعملاً في ديوان الخراج - أكبر مورد
للدولة - مثل قانون الخراج ، والأخراج ، والرواتب ، والعشم ، والحشم العامية ،
والتأريخ ، ولعريضة ، والبرائة ، والمواظف الحاميه ... كل هذه أسماء دفاتر
استخدمت لإبراز مورد الخراج .^(١)

أما في ديوان الخطأ ، أو ديوان الجند فكانت تستخدم الدفاتر التالية
الجريدة السوداء ، السفل ، الفلد ، السقط ، المك (الشيك) ، السفل ، المتأخر
العشرية ، دفتر حساب الجند ، الإنبات ، الرهانة ، الشهويل ، دفتر الحساب
المعزوفة ، الأظماج ، السلف ، المقاصة^(٢) .

(١) وقد شرحت بالمفصيل معنى هذه الدفاتر ولماذا تستخدم في الباب الأول من هذه الرسالة ،
وفي عمل مورد الخراج ، انظر صفحة ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، من هذه الرسالة كما يمكن
الرجوع إلى كتاب معانيج العلوم ، صفحة ٣٦ ، وعند حديثه في الباب الرابع ، وفي الفصل
الأول (في مواضع أسماء الذكور والدفاتر وأعمال المستعملة في الدواوين) .

(٢) معانيج العلوم ، الفصل الخامس ، في مواضع كتاب ديوان الجيش ، صفحة ٤٢ ، ٤٣ ،
وأما في ديوان الحمد من هذا البحث صفحة ٢١٨ ، ٢١٩ .

== كذلك أصبح لي أن قوائم الخراج التي تعتبر بمثابة حساب حسابي بمورد مدونه كاتبي بحرية الدول الخبيثة في وقتها الحاضر ، إذ أن ورود بدل صده قوائم المحفلة ، في مصادر والخرج ، لا يعني فقط ما كانت تضم به مدونه الاسلاميه من ثراء ، وإنما يعني في المقام الأول ، أن الدواوين المالية - وهي دور الحكومه الاسلاميه - المسجده في الشئب المالية ، قد وصلت إلى قمة تطورها ، حتى أنها أصبحت بعدّ مثل هذه القوائم المدفحة ، لحرصها على الخطبة أو التبرير

== وأن نجاح الدواوين المالية المختلفة في العصر الأول للدوله العباسيه وبني السعدي في مياستها وإداره أعمالها ، على أصول ومبادئ الشريعه الاسلاميه - خصوصاً فيما يخص بحسابه أموال الركاك والحرية والخراج - وكيفية صرف هذه الأمور ، بدت على سبيل ما أنها إنما تدل على أن الاسلام دين ودوله ، وصالح لكل زمان ومكان ، وليس أدل على ذلك من أن هذه الدواوين والسطحات المالية ، كانت بتطورها تثبت ، طبقاً لتطور ظروف الدوله العباسيه .

== أن الأمور المالية في العصر الأول للدوله العباسيه وصلت ذروتها ، فكانت هناك شفحه (الحواله بلغة العصر)^(١) وقد لعبت هذه الشفحه (أو شفاح دوراً كبيراً في استمالات المالية ، خاصة بعد أن سقطت السجده ، ورددهت المصنعات الخارجيه ، وكثرت الأموال ، لدرجة جعلت من السعدي أن يمدد مدونه أو الناس بالأموال مباشرة ، لحظيرة نقلها ، وخاصة العبالع الكبريه منها ، ببعض الأماكن البعيدة .

(١) جاء في مائمه ابن جروداده ذكر حوالتي مدبته السلام (١٠٠٠ ر ١٢) درهمين من قائمة الخراج ، صفحه ١٢٥ من كتاب الصالح والمالئد ، وجاء ذكر حوالتي واسط (ر ١٢) درهم صفحه ٥٩ من نفس المرجع ، كما جاء ذكر صدقات العرب بالمصره (ر ٦) درهم في نفس المرجع صفحه ٥٩

وفي مائمه مدامه بن جعفر صفحه ٢٢٩ من كتاب الخراج وصفه الكتاب جاء ذكر ارتفاع صدقات المصره (١٢٢٢٠ ر) كثر من الحظيه ، ومن شفيير كان يرتفع (١٩٧٢١) كثر ومن اليرق (٨٠٠ ر ٩٥) درهم .

(٢) الصفحه هي كتاب صاحب المال معامله بإعطاء مال لآخر من كتاب معاني العلوم ، صفحه ٤١ (الفصل الثالث) .

يذكر بعض المؤرخين المحدثين^(١) أن السقجة (حوالة) - خطاب يقرر به قيمته صميمه من الحال - غابر المعروف في أي مكان من عملاء وجهابذة بمصر - الذي حرر وكتب السقجة - مكانه المتعود يدفع في أي بلد من البلدان ويحصل صاحبها على صحته بقيمته ماله بوجوبها معه ، عبر الطرق الطويلة^(٢) ، وهو امر على ماله لأنه لم يكر يجوز صرف أي مبلغ إلا بصاحب السقجة ، وقد استخدم التجار هذه الوسيلة لإنجاز عملياتهم التجارية .

وكان السقاج معروف ومستخدم لدى الأمويين ، فذكر ابن خلدون^(٣) أنه عندنا اموي بن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طائب بن أمية ، وبعض مواهي فارس والأهواز ، في عهد الخليفة مروان بن محمد ، عين أباً جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني فيما بعد حاكماً على كورة وندج ، التي سمع به من حورسمان وأصبهان ، وكان يرسد خراج هذه المنطقة بسقاج على يد رسول خاص في مصر . ولم يقصر استعمال السقاج على الشؤون المالية في العصر الأول لبلدائه بمصر ، بل كانت تستخدم لإرسال أسلحة السلاح والأراضي ، فذكر ابن خلدون أن السقاج ، الذي كان يرأسه مواويش كرماني ، كان يسمي سقاج ، لإرسال أسلحة سلاح وأسلحة اشتراها ، صديقه عمارة بن حمزة^(٤) .

(١) Bayt - al - mal and Banks in the medieval Muslim World . V. 35, P. 39.

وسمى السقجة بأنها ورقة ماله أو خطاب صان ، وكانت تكتب بواسطة الجهابذة ، المراسين ، في كافة البلاد للإقامة ، بعد فحص قيمتها ، وحمل السقجة أمراً يدفع قيمتها إلى شخص معين ، في المواهي التي يدخل فيها^(٢) .
 (٢) " The Origin of Banking in Medieval Islam, " in the J.O.A.S., P. 574.

(٣) كتاب الوراء ، والكتاب صفحة ٩٨ وعند الحديث عن أيام الخليفة العباسي المنصور . وجاء فيه : [... فأخذ أبو جعفر المال ، وحمله بسقاج على يدي عبد الرحمن بن عمر بن أبي المصرة ولم يحمل إني ابن معاوية شيئاً] .
 (٤) كتاب الوراء ، والكتاب ، صفحة ١٩ ، ١٠ وكان ذلك أيام عصر الأول بعدوه العباسية ، وفي عهد الخليفة المنصور ، وجاء فيه : " وسمع من السقاج الكلام ، وانصرف إلى ممرته ، وأحد سقجه إلى الوكيل بثلاثين ألف درهم ، وكتب إليه على بيان عماره إني كتب كميت إليك ببيع ضيعتي ثم حملي مال ، وقد أعدت إليك صفحة ، علمت الصفة المحاوره ولا يصح صيغتي ، وأقم بمكانك " .

وكانت مخصص الجراح لها مهنة محددة صرفها ، وأشرف بجهانده على تنظيم هذه العمليات ، وقاموا بدور الوكلاء والمصارف ، البنوك في تحديد قيمة الفضة وميعاد صرفها . وتنظيم الحسابات الخاصة على ذلك ، في مقابل تعامل أو عمليات مدفع لهم ، وأصبح من الممكن بهذه الطريقة إبحار عمليات مالية واسعة ، بين أجناس الدولة العباسية ، دور الحاجة إلى نقل الأموال بينها ، بل أن مدفع بحار المسلمين كانت تصرف في البلاد غير الإسلامية ، على أساس الثقة والمعامل المالي^(١)

ولقد صار للمحتاج قيمة المال ، وخدمتها الأفراد في ميادينهم ، ومعاملاتهم الخاصة^(٢) .

وكانت الفضة إذا صرفت في موعدها سلمت قيمتها كاملة في صاحبها ، أما إذا صرفت قبل ذلك ، فكانت تخضع فيها نسبة خصم ، يبلغ حوالي ١٪ قيمتها^(٣)

وإذا ما حان موعد صرف الفضة ، صار لمالكها أن يصرها دفعة واحدة أو على دفعات ، حسب رغبته^(٤)

— كما أصبح لدى من خلال البحث وهذه الدراسة المستوحدة أن الملك كميلاً شريك بصفه العصر ، كان يستخدم في العصر الأول للدولة العباسية ، يذكر الطبري وكذلك ابن الأثير أنه في سنة ١٧٠ هـ ، أمر الخليفة الهادي لأحد الشراء بثلاثين

(١) الفرج بعد الشدة ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٢ .
(٢) Kremer "The orient under the caliphate" p 416

(٣) صفح الأمازيغ في تاريخ الور ، ، صفح ٨١ وقد تعاملت الدولة بعباسية على هذا الأساس ، في القروض التي عقدها على المحتاج ، بقي سم بحر موعدها
Imamuddin "Bayt al mal and Banks in the medieval Muslim world " ١١٩ p ٣٣٦

(٤) الفرج بعد الشدة ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٢ وكذلك في Imamuddin "Bayt-al mal and Banks " ١١١ p ٣٣٦

حيث أن ميعاد الصفقة كان يحل في بحر أربعين يوم تقريباً .

ألف ر ٢ درهم ، وكتب له سكتاً بذلك ، ثم رقه من بهت المال^(١١) .

أب العك ... فهو ورقه ماله ، يثبت فيها قبضة دين أو فرض ، أو سحقيق مالي ، به أحد منسب^(١٢) وقد استخدم في المعاملات المالية بين الأفراد ، في كافة أنحاء الدولة العباسية ، وكان الجهادية يعرفون هذه السكوك ، لأصحاب الأملاك المودعة لديهم ، بظهور رسم معين^(١٣) وكان يحصر كتابه العك عدة شاهدين يؤتمن عليه ثم يجمع بزوع خاص من الطين وفي بعض الأحيان يوقع عليه عاملي بالمدينة ، مصول عن سديد ميمه في حاله عمر المدين^(١٤) وكانت تكتب بغيره أرى محمد والموفقين الرواتب حكوكاً ، يوقع عليها رؤساء دواوينهم وأحياناً الخليفة ، ويعرفونها من بهت المال^(١٥) .

وكان بدأ استعمال هذه السكوك على نطاق واسع في معتبر العصر الأول للدولة العباسية .

كما وصف لي أياً من خلال هذه الدراسة ، أنه في العصر الأول للدولة العباسية ونسجه لادهار الحياة الاقتصادية والمالية ورواجها ، ولوعها مرتبه ساميه ، ظهر حواء المال ، وأصحاب المصارف (السوكا) ، وكبار المحاسبين ، وكانو يعرفون بالجهنده .

(١١) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء الحاشي ، صفح ٤٢ وأيضاً في الكامل في التاريخ ، المجلد الخامس ، صفح ٨١ ، والسامع هو عيسى بن دأب وكان من أكثر أهل التحمل أدباً ، وأعدبهم ألفاظاً ، وكان قد حظي عند الخليفة الهادي حظوة - وفي روايه الطبري أنه كتب له سكتاً بأربعين ألف درهم .

(١٢) تاريخ المرافق الاقتصادية ، صفح ١١٢ ، ١٢٤

(١٣) وقد استخدمت السكوك في كافة أنحاء الدولة ، وكان الجهادية يعرفون سيدة السكوك ، لأصحاب الأموال المودعة لديهم

Samad, "Social & Economic Aspects", V.29, P 245

(١٤) يذكر Kremer, "The Orient under the Caliphs", P 415 أنه في حاله عمر المدين كان اللذان يبعه إلى الخاص ، يسدد المطلوب ، ولا يكون للذات في هذه الحالة أي حقوق قبل المدين ، إلا إذا عمر الخاص عن دفع المبلغ المطلوب .

(١٥) نتائج العلوم صفح ٤٢-

بعد عرعة الجهاد ضد عهد الخليفة العباسي العباسي أبي جعفر المنصور، فقد نهىهم
 بربهم أبو البراء الموزني في حات من برك ، أنه 'ودع' بالأعداء . حيث يصر في الحقيقة
 بذلك للإيقاع بينه وبين الخليفة .

إلا أنه بعد التحقق من ذلك عرف الخليفة ما كان يرمى إليه الوزير أبو أيوب
 فلم يصدق فيه قولاً عن خالد الترمكي بعد ذلك ^(١) .

ويصفه بالجهد ، المحسن المحقق في الشؤون المالية ، والمصالح المصيرية ^(٢)
 وكان هؤلاء الجهادية يميلون في حياتهم ، منهم من أشرف على مصارف ^(٣) ومنهم
 من عمل في حياض الخراج مع العمال والمسلمين ^(٤) ومنهم من تسبب بالمصادرات
 النقدية ، وبإدخال البضائع ^(٥) ، وكان بعضهم يجمع أحياناً بين هذه الأعمال

ويصف الخوارج المراء فيقول إنها حجة بديلها الجهد أو الخراج للمؤدى
 بما يؤديه ^(٦) . مما يبين لنا دور الجهد في أعمال الخراج .

-
- (١) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ٩٩ ، ١٠٠ .
 (٢) وفي تعريف آخر للجهد بأنه كتاب يعين لامخراج الأمور وقبضها وكما يسميه
 الأيمالات ، وختامها ، ومراجعتها .
 (٣) " The origin of Bank of " , in J R A S , P. 571
 (٤) كتاب الجهادية معروف لدى المسلمين أيام العصر الأموي ، فقد ساعدت بعض
 ولائهم بالجهاد لجباية الضرائب في بعض المقاطعات .
 (٥) تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٥٩ . وذكر الدوري مؤلف تاريخ المشرق
 الاقتصادي ، أن الدين يقومون بالمبادلات النقدية ، كانوا يسمون الصارقه ،
 كما يذكر أن كلمة الجهد كان لها مدلولات عدة ، قد احتسب فيها المؤرخون ،
 وذكر بعضهم أنها تعني ما يجب على المؤرخ آدم من ، والبعض الآخر
 قال بأنها تعني معاشه كما فعل المؤرخ كرمز ، والواقع أن كل هذه الأسماء
 صحيحة ، لأن الجهادية تعلموا عدة وظائف مالية . وذكر مثل ذلك .
 mamuddin "Bayt-al-mel and Banks. . " V-35, P. 18
 وكان أبو أيوب الموزني يرير الخليفة المنصور وبنى بعض لأفراد جهده بعض
 مواضع الأموات ، فميط له أموال هذه المنطقة .
 (٦) معانيج العلوم ، صفحة ٢٧ الفصل الأول من الباب الرابع .

— كما ظهر بي من خلال الدراسة أن السياسة المالية مدونة ، كان من أهم دعائم نجاحها . أنها لم يكن معها جميع المال ، مصدر ماكن معها ملاح أمر برعته بدليل مايجده بعض الجعاف في العجز الأول للدولة المالية ، من إيفاد كسـور الأموال ، أو إيفاد جراح مناطق كادته أو حمل الأموال من جهة إلى أخرى لاستيعاب احتياجانها .

كذلك فإن الدولة كانت تقوم برفع الأموال التي تمت حسابها وما لإصلاح المجتمع كتركه وبعض أسهم التمام . أو في الاتفاق على مصالح الدولة المحيطة كما هو الحال بالتمية للمولود الأخرى .

— كما أصبح بي من خلال الدراسة أنه ومنذ عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور وجدت المصارف (البنوك) ، فقد لها كبير من الناس في انحصار الأول للدولة المالية لأصحاب المصارف ، لحفظ أموالهم ، وسهول معاملاتهم المالية وسهولة ، ويرجع السبب في ذلك إلى النشاط التجاري والمالي المنصور ، الذي ظهر في ذلك العصر . ونرى أدى إلى تكوّن طلبة من المصارف (الأرباب) ، تدبى بعد سيطرتهم تمت منظم المبادلات المالية ، وبعض الدول المعاصرة بها ^(١) كما يرجع قيام المصارف أيضا إلى وجود طائفة من كبار الموظفين من الور ، والكاتب ، كان يديهم أموال يرمون في إيداعها في مكان آمن ^(٢)

وكان يشرف على هذه المصارف رجال لهم دراية وخبرة بالشئون المالية وهم الحبانة ^(٣) وكانوا إما من كبار المحر أو من المصارف أو من المشغلين بأعمال

١ ولذلك وجدت كميات كبيرة من النقود العباسية خارج البلاد الإسلامية ، في حوض بحر البلطيق ، روسيا ، وأقدم هذه النقود ترجع إلى القرن الثاني الهجري - العصر الأول للدولة العباسية

Kremer: " Geography and Commerce", P. 100

Imamuddin "Bayt al - wal and Banks...", 4.35, P. 17 (٢)

Fischer: " The origin of Banking...", in J.R.A.S. (٣)

وقد تحدثنا عنهم من الملتح الملتح في الخاتمة : P. 570 - 571.

١٠- مالية أخرى

وكانت السرية مكمولة بعملياتهم ، واستمروا مديهم من أمور في التجارة ،
لتحقيق نفس المكاسب العادية^(١٢)

وجاء في أثار الأول في ترتيب الدول^(١٣) : أن الفصل بين يحيى التركي كان يكسب
رغماً كبيره انكسوكا ، يعرفها أصحابها من المصارف التي أودع أمواله ، وكان
يلعبل موقوف من قبله لدى هؤلاء ، لمواصلة صرف المكسوك ، والتحقيق في ملامسته
أختابها ، وكان ذلك في العصر الأول للدولة العباسية .

هذا ومن الناحية التي توضحها الما ظهور وجود الصرافة وروح أعمالهم ،
سببه لازدهار الحياة الاقتصادية والمالية ، وكان منظم الصرافة في بدايه انفسهم
العباسي من أهل الدقة (المسيحيين واليهود) ، وظليل من المسلمين ، وبهم مكسب
خاص بالكسح ، وكذلك الحال في سامرا .

وكان يظلل على مكان إقامتهم سوق الخوارج والصرافة ، وقد شعبوا بافر من
الناس ، وبداال العملات ، والاحتفاظ بالودائع ، ورؤوس الأموال ، وكانت مصارفهم
تجارة من محلات تجارية واسعة ، اشغلتها ، إلى جانب الصرافة ، بتجارة المعادن
النفيسة ، وأعمال الفلنج والمكوك^(١٤) .

ومن الناحية التي توضحها أيضا ، أن الخليفة أبو جعفر المنصور يعتبر
هو مؤسس الحفطي بدوله من العمار ، فقد أرسى قواعدها بوظم أموالها ، وكان
رحلاً اقتصاديا فدا ، استطاع مطلقته الحربية والاقتصادية أن يرحس لاسمار ، بعد
أن كانت الاسمار مربعة في أواخر العهد الأموي ، وبدايه العصر العباسي بسبب
الأموال المباشرة المضطربة التي أثرت على الاتساح وعلى سير التجارة وقد أشهر

١١ تاريخ العراق الاقتصادي ، صفحة ١٥٩ -

١٢ بحار لأهم ، الحر ، الخامس ، صفحة ٤٤

١٣ أثار الأول في ترتيب الدول صفحة ٢٨ -

١٤ تاريخ العراق الاقتصادي ، صفحة ١٧٣

مطبوي صغير أحدث - سنة ١٤١ هـ إلى علاء خديد بحر سان^(١) وبكى الحليفة المسمى
بإدارته التدبيرة الحزينة ، استطاع وسعد بناء بغداد وبعد لاستقرار السياسي
في عهده ، أن يحول هذا العلاء إلى رخص جديد ، ويهد به عهد جديد ، عهد الرخاء
والوفرة ، وزيادة المروءة ، سواء بين الأفراد أو في الدولة وكثير نخرج واستعشت
الحياة نحو مصف قري لدرجه أن يبيع الكبر بدرهم ، والحمل بأربعه دوايق ، والسمير
سبعين رطلاً بدرهم ، والربب سه عشر رطلاً بدرهم ، والسمن سابعه أرطال بدرهم ،
وبحم البقر سبعين رطلاً بدرهم ، ولحم الخم سبعين رطلاً بدرهم^(٢) .

وقد مال هذا الحليفة الاقتصادي مرة لكاتبه يوسف بن صبح " اكذب ، وقارب
بين الحروف وفترج بين المطور ، واجمع خطك ، ولا تفرق في الفطاس " .^(٣) وكان
قد أعطاه رُتبع فطاس ليكتب فيها^(٤) .

وبسائل يسأل كيف استطاع الحليفة أبو جعفر المسمى أن يرخس الأسعار؟
يقول رباحصر شديد ، أنه منع أولاً تحويل الأراضي لخراجه إلى كُفريه ، وهد لأجرا .
كان من شأنه حتماً أن يزيد من إيرادات الدولة .^(٥) ومما بناء مدسه بغداد ، وبقيت
فيها الأسواق لشجاره . وهو عمل في غاية الذكاء ، حيث أشعل الأيدي العاملة ، وجمع
المكان من مختلف الأقاليم يرحبون إلى بغداد ، لدرجه أن أصبحت بغداد أكثر مركز
مصرفي في الشرق ، وكانت هي دعامة السهقة التجارية العظيمة التي تقربت بالمقصود
نمباني

ولم يكن من الخلفاء المبرهين ، وكان قليل الخطأ لدرجه أن سمي بأبشي
الدوايق . كما أنه حافظ على حرية المخارة ومنع الاحتكار ، وعصه مع وزيره أبي

-
- ١ تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٧٦ و٧٧ فيه
(-) ن حر سان لم يكن عند أسوأ حالاً منها في هذا تمام وإن دجنه
الجيود ، هلكتوا ، لميل ما هم فيه ، من علاء البحر -٥٥٥- .
 - (٢) تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، المجلد الأول ، صفحة ٧٠-٧١ .
 - (٣) كتاب الوزراء والكتاب ، صفحة ١٢٢ .

أبواب الميراثي معروفة (١)

بالإضافة إلى ما سبق فقد كان الخليفة الممصور يدافع بدونه شيوخ الخلافة ،
وينظر إلى الأسعار يومياً ، فإذا ارتفع سعر بحاجة ما سأل عنه لماذا ارتفع السعر ؟
حتى يعرف الأسباب ، ثم يعالج هذه الأسباب .

ويذكر الطبري أن ولاد المريد كانوا يكسبون إليه يومياً سعر القمح والحبوب
والأدم ، وسعر كل مأكل . ويسمر الحال كذلك حتى سباه جلده^(٢) ، بذلك استطاع
هذا الخليفة مخرج الأسعار بعد ثلاثها . وهذا ما دعا المراجعين أن يخالطوه بمقاسمه
المحمول.

وهو المصالح التي يوصف إليها من خلال هذه الدرر أني وبمراجعة إلى
المصادر والمراجع الأصلية ، استطيع تصحيح بعض الأخطاء لبعض المؤرخين محدثين
وبعض سبقوا وكسوا في هذا المجال^(٣) - كما تمت تصحيح بعض الأرقام في فوائدهم
الحراج ، على بعض المؤرخين المحدثين .

يرى الكثير من رجال الاقتصاد أن مراقبة الموظفين ، والتدقيق عليهم ومحاسبتهم
وخصوصاً بالنسبة للأمور الصالحة شيء منكر وعديم ، ولكنه كان موجوداً منذ بداية
تصير الأول لدولة الصالحين وقبله أيضاً منذ بداية الإسلام ، يرى القاضي أبا يوسف
يقترح على الخليفة هارون الرشيد إرسال موظفين (مخبرين) لمراقبه أعمال ، ومعرفة
أعمالهم ، وينظر في سيرهم ، ومؤلات المخبرين يكسوا من أهل الملاح والأمانه ،
ليأتوا بالأخبار الصحيحة .

(١) كتاب النوراء والكتاب ، صفحة ١١٢ وجاء فيه [فَوَيْفَ لَأَبِي أَيُّوبَ بَعَثَ

أَن يَسْمُرَ طَعَامَ سَوَادِ الْكُوفَةِ ، وَسَوَادِ الْمَصْرَةِ ، وَطَعْمَ فِي الرِّيحِ] .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، المص ٢١٤ ، ٢١٥ ، وقد
أُشْرِبَ إِلَى ذَلِكَ فِي عَمَلِ إِيْرَادِ الْحَرَاكِ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ ،

(٣) انظر إلى بعض هذه الملاحظات في عمل مؤيد الحراج في الباب الأول

وبذلك ظهر في ذلك العصر وما بعده كثير من المؤلفين ، نذكر كتبها على
البريد ، ودور عمال البريد ومأجبيه في مثل هذه الحالات ^(١) .

كما أنه ومنذ بداية العصر الأول قدوة العباسية ، أحدث الخليفة المهدي
ديوان الأمانة ^(٢) ، وهو الديوان الأعلى المشرف على الدواوين العرفية ويمكن شهيته
بالجهاز المركزي للمحاسبات أو اللجنة المالية العليا في وزارة المالية ، في عصرنا
هذا .

== أن معظم حدى العصر الأول للدولة الإسلامية ، كانوا يفرقون بين الأموال العامة ،
والأموال الخاصة ، ويصح هذا من تولي الخليفة المصور في وصيه لأمه المهدي
« . . . وعف من الخي » ، للمضى بك إليه حاجة ^(٣) .

كما يوضح ذلك أيضاً من ثوبه لأمه المهدي في وصيه « . . . وعني دين فأحب
أن يصفيه ، ويصفه ، قال هو عليّ يا أمير المؤمنين ، قال فإنه ثلاثمائة ألف درهم
وستف ، ولست أسخطها من يمت مال المسلمين ، فأصمها عني ^(٤) .

وعندما تولي الخليفة المصور ، كان في بيت مال المسلمين - ر ٨١٠ ر ١٠
ثلاثمائة وعشرة مئوب درهم ، وهذا الرخم يعني عن كل مئوب ومع ٥٥ طلب من أمه
- الخليفة من بعده - أن يمدد عمه الدين من ماله الخاص ولا يأخذها من بيت مال
المسلمين وكيف يكون من الخليفة دين وفي بيت المال هذا المبلغ المضمّن إلا إذا
فرق بين الأموال العامة والخاصة .

== وأصح بي من خلال الدراة أيضاً أن معظم حلفاء العصر الأول للدولة العباسية
أصبحوا العرفه بلعقلاء والمفكرين سو - أكانوا قضاة أو أدباء ، للمشاركة في عمل القرار
السياسي ، بعيد المدى يرى ابن المقفع ، أحد كبار الكتاب في ذلك العصر يوجه

(١) كتاب الخواج ، صفحة ١٦٠ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٢٤٢ ، وكذلك
في كتاب الخواج والكتاب ، صفحة ٢٤٢ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٢٢١ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، صفحة ٢٩ ، وصفي
أحدث سنة ١٥٨ هـ .

كبر^١ إلى الخليفة أبي جعفر المحير . يقدم له طائفة من المقترحات والنصائح وهو الذي عرف باسم " رسالة الصحابة " ^(١) .

كما أن الخليفة هارون الرشيد ، طلب من قاضي القضاة أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم أن يضع له كتاباً يرد فيه على تساؤلات المحلقة بالنسبة لموارد الدولة من زكاة وعشور ، وخراج وخربة ، يسير على نهجها ، ويسمى أفضل السبل لحمل مسؤولية أكبر دولة في الشرق والغرب آنذاك ^(٢) .

صدر مجلد الميراث في العصر الأول للدولة العباسية ، حب ومن ايراد . يحرم نطق حبب قائمة الجيشاري إلى (٨٠٠-٨١٤٧) خمسمائة وأربعة عشر مائة وستين وخمسمائة وخمسمائة ألف درهم ^(٣) ، وهذا مورد واحد فقط بدون الموارد الأخرى مثل الخربة والعشور والتمائم والزكاة والعطاش ، والمعادرات وارث من لا وارث له ، وحلاب صريه لأهوان والحوانيت ٠٠٠ الخ .

كما أن زكاة إقليم واحد هو إقليم مصر وصلت إلى (٨٠٠٩٥٨) مائة وستين مائة وخمسين وستين ألف وخمسمائة درهم ، بخلاف (١٧٧٢) كر من الحظوة ١٩٧٢١ كر من الشمر ^(٤) ، كل هذا زكاة إقليم واحد من مجموع أقاليم الدولة الإسلامية ، الواقعة الأرحاء في الشرق والغرب ، وهي كل حدب وموب ^(٥) ، أدأ فكم تكون الإيرادات كلها ٢ ٠٠٠ وكم تكون الميراثية ٤

١ " سرور الرسالة في مجموعة " رسائل البلاء " وعنها نقل أحمد أمين في كتابه " حتى الإسلام " الجزء الأول ، صفحة ٢١٢ وقد علق علي الرسالة
٢ وقد تحدثنا عن كتاب الخراج في موضعه من عمل مورد الخراج في الباب الأول
٣ زبد قائمة الجيشاري في كتابه الجوراء والكتاب من صفحة ٢٨١ إلى صفحته ٢٨٨

٤ جد من كتاب الخراج وضعه الكتاب ، لخدمة بن جعفر ، صفحة ٢٢٩
٥ وادأ كان مرصد واحد من موارد العمور بدر يومياً ألف (١) دينار فكم كانت تدّر موارد البشور في العصر الأول للدولة العباسية ؟
أنظر أحمد التتاسيم في معرفة الأقاليم ، صفحة ٢١٢ .

هذا ومن النتائج التي نزلت إليها من خلال الدراسة أن الدولة الإسلامية
من بدايتها وحتى نهاية العصر الأول للدولة العباسية طبقت ما يسمى بـ
" بالدومين العقاري " أي أن المصلحة طبقوا هذا المصطلح منذ أربعة عشر قرناً ،
حيث أنه ظهر في العصور الحديثة نظام يعرف بالدومين العقاري ^(١) ،

ودومين كلمة لاتينية ، مشتقة من دوما ، وهي الأراضي الزراعية ، وسماها
التي سلكها الدولة ، حيث أنها من أهم مصادر الإيرادات العامة في السجل
الزراعية ،

وما طبقه المسلمون منذ أربعة عشر قرناً ، هو ما سادى به علماء المالية
المعاصرين ، أصحاب هذا النظام ، من تحلي الدولة عن أملاكها الخاصة ببيعها ،
لصلا إدارة الحكومة في أراضيها ، ومآله البيع الذي سمحه ، إننا نحن إلى أربع الأقسام
من أراضيهم ، لأن نشاط الدولة أقل من نشاط الأفراد ، الذين يحرمهم من الإفادة والإسكان ،
حاصل الكسب والمصلحة الذاتية ،

وساء عليه هذه سمات أكثر الدول في أساليب هذه إلى بيع أراضي أراضيها ،
ولم يسلم منها إلا مصاعف قليلة ، لصحة المقولة التي طبقها خطباء المسلمون
قبل ١١ قرناً من الزمان أو أكثر ^(٢) .

^١ الدومين كلمة لاتينية ، مشتقة من كلمة دوما ، وهي الأراضي الزراعية ، ثم
أطلقت على أملاك الدولة العامة ، فهناك الدومين المالي ، والدومين
الصناعي والمحاري ، والدومين الزراعي ، وهو موضوع الحديث ، ويمكن
لأراضي الزراعة والمساكن التي تملكها الدولة ، حيث أنها من أهم مصادر
الإيرادات العامة في الدول الزراعية في عصرنا الحالي من كتاب اقتصاديات
المالية العامة صفحة ٢٥ .

^٢ سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومقررها
بالأنظمة الحديثة ، صفحة ١٢١ ، وكذلك في كتاب النظام المالي الإسلامي
المعارف صفحة ٦٢ ، ٦٣ . وأيضاً في مبادئ علم المالية والمطريـ
المالي ، الجزء الثاني الصفحات ١٩ ، ٢٢ ، ٢٩ .

كما أن الإسلام منذ بدايته حتى إسماعيل المديني من أصول وعقيدة - وعدم كبر الأموات ، وكان عمر من الحطاب (رعي الله عنه ، إذا أقطع أحداً أرضاً ، إشرط عليه ممارستها ، وكذلك في العمر الأول للدولة العباسية ، فقط أقطع نخلها ، حمود الثور والحدود الإسلامية الفطاح ، وطرههم بالأرض ، وسميهم الأرض ، والدفاع عنها ، وهي أواخر الخلافة العباسية أصبحت رومهم (أرضهم) من الأرض التي تم إقطاعهم إياها وهذا ما سمي إليه الدول الحديثة الآن ، وبعد مرور أربعة عشر قرناً في عتيقه - جب يقوم بتوزيع الأراضي بمرسوم رسمي ، وبعض الدول تقوم بتوزيع هذه الأراضي مجاناً على سكان القاديس عتيق ممارستها ، فإن عتروا عن ممارستها خلال مدة معينة ، إسموحت تلك الأرضي وأعطيتا لغيرهم ، من يستطيع ممارستها .

وهذا ما فعله أسير المؤمنين عمر بن الحطاب (رعي الله عنه قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، حيث أعطى ملار بن الحارث المرومي وعمره أرضاً فلما حارب عن ممارستها ، إسموحتا وسميها لمره - وأر خيفاء العمر الأول للدولة الإسلامية العباسية على سبعة ، وطريقته ، فلا يجب أن نجد في كتاب قاضي القضاة أبي يوسف هذا الحادث وهذه الرواية ، وهو بغدادها كسميحه لكثير ملوك الأرض في عصره الخليفة العباسي هارون الرشيد .

ومن هنا نعرف أن الهدف من الفطاح الإسلامية هو عملها الأرض أولاً ، ثم ممففة نسحق ثامناً ، وبعد ذلك المرسه التي جعلها الدولة .^(١)

ونظرت أيضا إلى الفرق بين الإقطاع القديم والحديث والإقطاع الإسلامية فقد عرف نظام الفطاح في الأمم القديمة ، والأصل فيه هو أن الملك إذا فتح بلاداً ،

^(١) وقد تناول هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب سماه المائل في الإسلام في عهد عمر بن الحطاب (رعي الله عنه) ومقارنتها بالأنظمة الحديثة - صفح ٢٤٢ .

والرأى يستلزمها وإسفلانها، فوقها على فؤاده ، مقابل حريمهم وأسديهم كألبي مكافأ بهم والدواد يعرفونها في عياطهم مع هي عباكرهم ، بذلك كان مع سيجه هذا مبدأ أن يبقى الأرض هي أيدي الملوك ، وأن يظل الملك وشعبه ورجل حريمه بدأ وحده في الدفاع عن البلاد ، لامتراك مجالهم جميعاً .

أما نظام الفطاح في الدولة الإسلامية فكان مختلف تماماً عما كان عليه الحال في الأنظمة السابقة للإسلام ، فلم تكن الأرض موزعة من ملائكا ، وتطعي لتداحيس ، بل هي الأرض لسي لا مالك لها -- كأن يكون يحاكم البلاد انقبوطة أو من فمير في الحرب أو حرب

وفد أفتح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أقواماً سألها بهم على الإسلام وهي تسمر الأول للدولة القياسية ، أفتح الحلما، جود السور وانحدود كثيراً ، كسي يعمروا الأرض ويدعموا عنها (١١) .

== تطبق المربية الحمركية أمام الممر الأول للدولة القياسية ، فالبحر هي المربية الحمركية الحالية وكانت عبارة من رسوم يؤخذ على أموال وعموم التجار الواردة إلى شعور وحدود بلاد المسلمين برأ وبحراً ، ، وهوأ جانباً ،

وفد نظمت هذه المربية على النحو التالي عند عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

- أ- لا يؤخذ هذه المربية إلا إذا بلغت المائتي درهم معه أو عشرين مثقالاً ذهباً .
- ب- لا يؤخذ إلا في السنة مرة .- إلا إذا أدخل بمقتع جديد
- ج- لا تؤخذ على ما ليس من أموال التحقرة .

(١١) أنظر الفصل الثاني من الباب الثاني من هذه الرسالة ، وعند الحديث عن ديول عطاء الحمد .

- د - ويحتل من دمع النصارى كماً ، وهذا الكتاب يعتبر سيادة بأنه دمع ما يجب عليه ، حتى لا يتعرض له أي موظف محتقن يجمع العشور عند مروره به .
- هـ - أما التجاره التي يماثلها المسلمون في الداخل من مدن الدولة الإسلامية ليس عليها عشر ١٠٠ سوى ما يؤخذ عليها من زكاة .
- و - كتاب هذه المهرية على بحر دالر الحرب " أي الدين بينها وبينهم حسرت " بسببه " معاملة لهم بالممل ، وعلى الدمي " لمسيحي أو يهودي " بسببه " وعلى الدسم بسببه ٢٥ " وكان يؤخذ من مسلم على هذه زكاة .

== بحسب العربية الحبركية "العشور" على البضائع المروية الواردة إلى بلاد المسلمين وهو ما نظفه الآن بعض الدول الحديثة فعدا بكمون المسلمين في حاجه إلى بعض البضائع والسلعات الواردة إليهم ، فإنهم يحتسبون أو يفتون مربيها شجيعا لتوريدها ، والإكثار منها ، وقد فعل الخليفة عمر رضي الله عنه ذلك ، حتى أمر قومه أن يأخذوا نصف الفئز على الحربيين خبث دخولهم الخباز في الرمت ويصوب " أي بضعة ٥٪ بدلا من ١٠٪ " ، كما أمر أمير المؤمنين عمر بإعفائهم أحياء أخرى ، لينجسوا ويأخروا بهذه أموال ضرورية في بلاد المسلمين .

عن الزهري عن سالم عن أبيه عن عمر (رضي الله عنه) أنه كان يأخذ من النبط من القطنية المُخَرَّ ، ومن الحنطة والزبيب نصف الفئز ، ليكثر الحمار في المدينة " وسار الخلفاء في العصر الأول للدولة لسهولة على الفوائد ونظم التي وضعها عمر (رضي الله عنه) .^(١)

وهذا ما يقوم به بعض الدول الحديثة في عمرا هذا ، ويقوم بضماع التي

قسمين

(١) يذكر اليعقوبي أن الخليفة العباسي الواثق أسقط العشور عن البضائع التي تأتي من بحر الصين - أنظر تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صفحة ٤٨٢ .

١- مروريات .

١-١ الكماليات

وتعتبر المواد الضرورية كاللبن والخبز والحبوب والفاكهة ، و لحصوات والشمع والسكر . إلخ من الضروريات . بعضها من الماشق أو جعل عديمه من شحمه .

أما الكماليات فتأخذ عليها مراتب متفاوتة من نظر إلى قطر ، و الكماليات ستميز و متفاوت من بلد إلى بلد ، فتلاً فتميز في أساسا الجاهزة بديرة ضرورية في بلد من البلدان ، وفي الوقت نفسه فتميز من الكماليات في بلد آخر ، وهذا يرجع إلى الحالة الاقتصادية في البلد .

١-٢ كانت الأرق (الرواتب والأجور بلغة العصر) في العصر الأول للدولة العباسية ، للممال والحسود والعملاء والمؤدبين ، وأصحاب العطف والتحديث (الصماء) ، والكسابة وموظفي البريد . - وعرضهم من موظفي الدولة ، كانت مصائب مع الصيب ، ومسوى المعيشة . وسباب أيضاً مع طبعه عمل كل منهم ومكانه ، وبه سطله أعبائه ، وكان مزاجي في الأرق في حاله الإقليم من قرب أو بُعد (ما يسمي حالياً بدل إغترات) ، كما يراعى توفر الخيوات والرخن والملاء .

وكان في العصر الأول للدولة العباسية أرق (رواتب ، بومة ، وشهريه وكل ثلاثة شهور ، وكل ستة شهور ، وأرق سنوية .

== وإنصح لى من خلال الدراسة أيضاً سمي معظم الخلفاء وعلمهم في العصر الأول للدولة العباسية ، إتفاق على المشاريع ، وعلاج الطرق ، وبناء المدن الجديدة ومبصرها ، وبناء المساجد ، وحفر المرق والقنوات ونوسج الأنهار ، وبنائها ، الجسر والقناطر ، وحراسة الحدود والتعور بمقامة الحصون وشعباً .

عنه كذا أنسى ومن خلال هذا البحث الموضوع حاولت الرد^١ على بعض المستشرقين وبعض المؤرخين العرب ممن سيعرضوني في الكتاب في هذا المجال ، حيث أن النسبة لموهبتي ومقدار ، وقد تعرضت لمساهمهم في تلك الرسالة ، وفي مواقع مختلفة ، وردت عندهم بما وصل إليه عملي ، محاولاً يقضي الحقائق ولاستغناء بالأمسوس والمرجع الأخير ، لرد كبرهم في معورهم "ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين" .

ولا أخسر هذا نتيجة من الساج التي وصلت إليها ، ولكن لقارئ لهذه بحث سيجد بعد قراءة له لهذه السجدة

كتب مصر في النصف الأول للديونة المصرية مورداً مهماً جداً ، لإستبصار الفرائطس منها لتعداد وتلقيه الأقاليم الإسلامية ، وكانت مصر مشهورة بهجده بصاعده بدرجة أن هم الخليفة أبو جعفر المنصور سمع الفرائطس لقديسه الموجوده في حراشه ، إلا أنه تردد ثم رجع عن رأيه ، خوفاً من وقوع حادث بمصر ، فقتلهم الفرائطس عنه .^(١)

ومن خلال الدراسة أيضاً أصبح لي ، وجود الاعلام السياسي ، والدعاية السياسية ، أما وسائل الاعلام فهم الأدباء والشعراء وصاندهم ، وكاسرهم أيضاً لإعلامهم — أنالد

بعد كذا الحقيقة البادي أعراباً ، لأنه مَرَّ له كلمتين بموهبي ، فبحسبه
(١ ر ١) مائة ألف درهم^(٢)

(١) وقد جاء ذكر الحادثة بالتفصيل في كتاب الخوراء والكتاب ، صفحة ١٣٨

نحت عنوان : (هم المنصور ببيع الفرائطس ، ثم عدوله عن ذلك) .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المحلّد الحاسي ، الجزء العاشر ، صفحة ٣٨ ، ٣٩ .

كما نظم الشاعر " علم العاشر " قصيدته في مدح الخليفة الهادي علي بن
روي قصيدة لابن أبي الرقيات ، كان يشتمها ، فأنعم عليه (ر ٢) ، بالاحسان
ألف درهم .^(١)

وقد أشرفنا فيما سبق أن الخليفة الهادي أيضاً أعطي أحد بدمائه ، وكان
أكثر أهل الحجاز أدباً ويدعى عيسى بن داب ، ثلاثين ألف (ر ٢) دينار ، ودعا
صاحب بيت مال الحامه ، وقال له :
" جعل لك الساعة ثلاثين ألف دينار " ، فأعجب ، وحملت بين يديه .^(٢)

• هكذا كان خلفاء العصر الأول للدولة المناسبه يعطون عطية من ٧ بحسب
مقامه ، وعند أهل العصر كان هذا يسمى جوداً ولزخية ، ويرفع ذكرهم ، ويؤدي
إلى حب الناس لهم ، كما يعمل على ترويح سوي الأدب ، وكان في الواقع سياسة
مدفاه السياسة والإعلامه كما يرى بعض المؤرخين المحدثين.^(٣)

== ولما أصبح لي أيضاً أن خلفاء العصر الأول للدولة المناسبه يعطوا بالصاعده
والعصر المختلف ، يدرجه أن أعطوا لكل المهتمين قطعه أرض له وسبلاته ، وبسوا
لهم أسوقاً خاصه بهم ، وبلغ درجه اهتمامهم بهم أن أهدم الخليفة المهتم وعندما
أراد بناء مدينة سمرقند رأى : (من كل بلد من يعمل عملاً من الأعمال أو يتألف
هيئة من مهنة الصلابة والبرق والسجل والعروس ، وهذه البناء ، وورثه وإسباطه ،
والعلم ومواضع من الأرض) ما يعرف الآن بالإستعمار من بغداد ، وحمل من مصر
من يعمل بقراطين وعمرها ، وحمل من البصرة من يعمل الرحاج ، والبحر ، ونحمر
وحمل من الكوفة من يعمل الحرف ، ومن يعمل لأدهان (الأسباغ بلده بصرى ، ومن
سائر المدن من أهل كل مهنة وجماعه ، فأمرهم ببناءهم بهذه المواضع وبفحصهم

(١) كتاب الورداء والكتاب ، صفحة ١٧٢ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، صفحة ٤٢ ٤٣ .

(٣) الخراج والنظم المائبة للدولة الإسلامية ، صفحة ٢٢٤ .

مدينة سوس رأى قبل أن تصبح مدينة أهـ وأقطعوا لها وجعل هناك أسواقاً
لأهل . هي بالمدينة ^(١)

وقد استطاع الطليعة المعظم بنظره الإقتصادية الدقيقة أن يجعل قطعه
الأرض في هذه المنطقة تماوي مائلاً كثيراً ، بعد أن كانت بطن بحري ورجحي ^(٢) .

وبناء مدينة في أرض صفاء ، وجلب استعمير إليها كنف الدولة العباسية
في عمرها الأول الكثير .

هذه النتائج التي ذكرناها سابقاً ، كان بعضها جديداً ، وبعضها كان من
سبل لها سبق في العصور الإسلامية الأولى .

هذا وإنصح لنا كذلك من خلال هذا البحث المتواضع أن النظام العام الإسلامي
عموماً وفي عصر العصور ، يقوم على أسس روحية ومادية . يجمع بين العمل بالدين
وآخره .

لهذا نطرح إلى القراء الإسلامية جميعاً بعد أنها تحقق معنى التمسكون
والمكافئ ، وسويته لأمة وطوائفها ، والعمل على إسعادها وإزدهارها ورفقها

فمجرد الركاء مثلا فرصة من فرائض الإسلام ، وركن من أركانها ، ولكن هـس
الركاء عبادة محض ؟ أم لها دخل في الأخلاق وهداياها ؟ فالمؤمنون جميعا إخوان ،
ولا يسم إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ومربي الركاء متصل بهـ
إخاءه ، وما إنصل بالإخاء إنصل بالإيمان بالله ، وكل ما إنصل بالإيمان بالله

١ . ٢ . كتاب البلدان ، المحدثي ، صفحة ٢٦٤ . كما أشار الشيرازي في كتابه
سهاية الزمعة في طلب الحسبة لكل المصنف التي كانت موجودة في العصور
الأول بدوثة العباسية في معظم أصول الكتاب ، وكيفية الحسبة معهم

هو عباده ، ولذلك كانت مربيته الركائز هي الإسلام عباده نفسه ، كما أن بهما
فيه عظمته بالأخلاق وشهيدتها وبالمعاملات وسطيها

ومن هنا نعلم أنه إذا كانت الركائز حرمته صحنه بالخلق والإيمان فيهما
أمر روعي بحيث أن يساهم في حفرة العالم الحادية اليوم .

والربط بين الإقتصاد والروح هدفه بخلق المسير ، واستثارة الوجدان ، سيكون
للإنسان رقيب عليه من نفسه ، قبل أن يكون هناك رقيب من اللطيف أو ربان .
ومن كان معيه إسماء وجه الله وهو يعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة ، فمن يأتيها
بعبث الله . ومن يأتي شيئاً فيه ضرر للعباد ، وهذا أسوأ مماثل الأمن في مجتمع
إنسان الحاضر ، وأسمى ما يبلغ إليه الحكمة ، وما يكفل للناس سعادتهم في الدنيا
والآخرة ، لأن المال والحرص عليه والإسكثار منه ، وإبعاده وسيله لإستغلال الناس
بمفهم عني بعض . كان ولا يزال شيئاً يفتن العالم ، ومعدراً لندورات والحروب ،
والإهتمام بالناس وعبادته كان ولا يزال من التدهور الخلقي الذي أبات بهائم
العربي والإسكثار من المال والحرص عليه هو الذي نفى عني الأخوة الإنسانية ،
وجعل الناس بمفهم لبعض عدوا .

ولو أن الناس كانوا أصبح نظراً وأسمى تفكيراً لوحدوا لإحاء أدعى للاستفادة من
إنسان ، ولأنصح لهم أن بدل المال للمصالح والمناشئ أكبر عاها عند الله والناس
من خمول وإدلال الناس لهذا المال ولو أنهم آمنوا حقاً لماحو ليم بينهم ،
ولكان أدنى مظاهر حبهم ومحبهم ، إعانة الطهوف ، وإعانة الصحتاح وتعبير

وإذا كانت بعض الدول الحديثة ذات الحضارة والمدينة تقيم شعوبها
المستشفيات والملاجئ والمشآت العيرية لإيواء الناس ، ورعاية اليتامى والعقور ،
بهم المظاهر والمدسة ، فإن إقامه هذه المنشآت بمدام لإحاء ونحت في نفسه ،
والشكر له على نعمته ، أسمى هي الفكرة ، وأدعى إلى سعادته الإنسان والبقوة جمعاً ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (أَمْ لَمْ يَلْعَنُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أموالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا لَعَنَ اللَّهُ
أَصْحَابَ سَعِيرٍ فِي كُلِّ صَفْحَةٍ مَعَهُ حَيْثُ وَابِلَةٌ فَتَصَافٍ لَمَّا يَبْتَغُونَ
وَأَسْعَ عَلَيْهِمْ) ^(١) .

وَقَالَ تَعَالَى (وَأَسْعَ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ لِلَّذِينَ إِخْوَاهُ ، وَلَا تَنسَ صَبِيحَكَ مِنَ
الدُّنْيَا ، وَأَحْسَ كَمَا أَحْسَى اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَسْعَ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ
الْمُتَّقِينَ) ^(٢) .

وَنَذَرَ كَذَلِكَ مَرِيضَةَ الْخَبْرَةِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَلِقَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ
الدِّمَةِ وَغَيْرِهِمْ ، عَنِ سَبْحِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْجَمَادِ وَالْأَمَةِ وَطَوَلِ الْأَهْلِ بِدَمَةِ
وَمِنْ شَاكِلِهِمْ مَسْئُونَ جَالِئِينَ وَالْحَمَاةِ الْدَاخِلِيَّةِ وَالْعَارِجِيَّةِ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَمَا كَانَ عَلَى الصَّحْنِ مَرِيضَةُ الرِّكَاءِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الدِّينِ مِنَ نَوَاطِلِ وَالْمَقْبَدَةِ
وَجِبَ عَدْلًا أَنْ يَسَاهِمَ أَهْلُ الدِّمَةِ وَمِنْ شَاكِلِهِمْ فِي حُدُودِ الدَّوْلَةِ الَّتِي يَسْتَفِيدُونَ
بِمِرْطَابِهَا مِنْ أَمْنٍ وَعَدْلٍ وَطَرَقٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَرَافِقِ . . . فَكَانَ ذَلِكَ فِي صُورَةِ حَرْبِهِ
لَا فِي صُورَةِ رِكَاءٍ .

وَنَذَرَ أَيْضًا عَلَى سَمَنِ السَّمَاءِ مَرِيضَةَ الْخَرَابِ الَّتِي قَرِصَتْ فِي بَيْدِهِ تَحْدِيدَهُ
عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالَّتِي وَضَعَتْ عَلَى أَعْيَاقِ الْأَرْضِ الْمَسْجُوعَةِ ،
بَعْدَ إِسْخَاعِ الْمَسْجُوعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَرْفًا وَعَرَبًا . وَلَقَدْ كَانَ الْحَنِيفَةُ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مُرْتَفِعًا كُلَّ السُّوفِيِّينَ حَيْثُمَا رَأَى قَرِصَ هَذِهِ الْمَرِيضَةِ عَلَى أَعْيَاقِ الْأَرْضِ ، وَحَسِبَ عَمْسَى
أَهْلُهَا لَنْ يَكُونَ صُورَةً لَهَا وَلَأَعْيَاقُهَا إِنْ كَيْفَ يَكُونُ الْمَالُ وَمَعِيرُ الْإِمَةِ لَوْ أَنَّ الْحَنِيفَةَ
عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنْ سَمِعَ حَيَاةً أُخْرَى فِي الْمَالِ ، عَمْرُ الَّتِي يُنْبِئُهَا ، وَهِيَ تَقْسِمُ لِأَرْضِ
عَنِ الْحَبَشِ الْفَانِجِ ، وَيَكُنْ أَهْلُ الْبِلَادِ الْمَسْجُوعَةِ يَدُونَ صُورَةَ لِرَدِّهِمْ وَمَعَاشِهِمْ .

١ القرآن الكريم سورة البقرة آية ٢٦١

٢ القرآن الكريم سورة القصص آية ٢٧

ألقى آل الحواري على هذا السؤال هو عقاء الأمة ، وبفكرها ، وبمعيها أدب هو عقاء حاسد من طوائف الأمة ، وأل هذه السياسة لا تحقو العدائته وسكافـــو والسماوي سي جاء بها الإسلام ، وطبقه الخليفة عمر ا رمي الله عنه

والأحداث الإضطراب الشديد هي ميراثيه العمر الأول لدولة لسياسة ، وللمب وحدوا ما ينفقونه على الفروا وإعاده الفسوح والمصا على انفس ، وبها السدود والقناطر ، وحفر البرع والفتوات ، وبها المدن الجديدة - بخ

فإن إنظم هذا النظم بحالي الإسلامي العالم اليوم لصعد وإسفر ، وأزدهرت حياته ، لأن اسماوي السامية التي يحرم القرآن على أن يخل من نفس محسوس بطفه والإنسان ، بأنني على صاحبها أن يرى في الأرض شفا ، أو مصاب يستلجع إر الله ثم لا يربله ، ولذلك فإن الشريعة الإسلامية فرصت مواثيها ، وبها وجوه الإتفاق والحكمة ، وإصمت بالطيف الفضرة أشد إهتمام . حتى يتم سوار أو بكاه من طوائف الأمة ، وبمروج حدة الحقد والحد من قلوب الفقراء ، وبمصح الحكمة سامية في آل القرآن الكريم حين وزع المال على مسحقه ، راعي جوانب إنسانيته كثره بها الرحمة والسماوي والسكاقل والمر والخير - الخ ،

قال تعالى ﴿ إنما الأهداف للفقراء والمساكين ولعاملس عليهم والمؤلفه فتوسم ، وفي الرقاب ، والعلمين ، وفي جبل الله وابن الحسن ، فربحه من الله ، والله عليم حكيم ﴾^(١).

وقال تعالى ﴿ وإعلموا إنما نعسم من سي ، فإن لله حصه ولرسول وسدي الغربي والبقامي والمساكين وابن السويل ﴾^(٢).

(١) بقرآن الكريم سورة التوبة آية ٦٠

(٢) القرآن الكريم سورة الأنفال آية ٤١

وهذه هي الآية " ما أتى الله على رسوله من أمر أقرى فله ولرسوله وبني
 القربي والمسلمي والمساكين وإلى السبيل ، كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم
 وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، وإيقوا الله ، إن الله شديد
 العقاب ، للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً
 من الله ورضواناً ، ويبصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار
 والإيمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ،
 ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون
 والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أعلم لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
 ولا جعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ^(١١) .

ويم يكتف السريته الإسلامية العامة في جميع لفصل بهندستها بفقراء
 المصنفين تحت بل إسميت فقراء الأديان لأخرى من غير المسلمين ، وأمر الحلقة
 عمر (رضي الله عنه) بالإهتمام بفقراء عمر المسلمين ، وإعطائهم من بيت مسكن
 المسلمين . ويصبح ذلك من قصة اليهودي السائل ، الذي عرض به الحلقة عمر
 (رضي الله عنه) ولغيره . هذا ما ذكره القاضي أبو يوسف الذي عاش في العصر
 لأول للدولة العباسية ، وفي عهد الحلقة هرون الرشيد ، الذي طبق ما جاء
 في كتابه القيم ^(١٢) . ومن هنا نصح أن الإسلام لا يحرف الميسرة ، ولا يفرق بين الأغنياء

وإذا رجعت مرة أخرى للعراش الإسلامية نجد أن لشريعة الإسلام به يكتف
 ببيان هذه العراش ، ووجوه إعافها تحت بل سميت أدب هذه العراش ، وينظمها
 تنظيماً دقيقاً هو السور كله .

ويصبح ذلك من قوله تعالى " إن تبدوا الصدقات كبرها هي ، وإن يحفظوا

(١١) القرآن الكريم سورة النحر الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(١٢) أنظر الرواية بالتفصيل في كتاب الخراج ، صفحة ١٣٦ .

وسؤره بفراءه هو حر لكم ^(١) ويقول تعالى أيضا 'فون معروف وسفره حد صر
صافه بسفها أدى والله غفي حلمه ، ما أيها الذين اسؤالا سظفوا صدهاكم باسسى
ولأدى ^(٢)

أي حصاره هذه التي يدعو الناس جميعا في صخلف بفدع الأرض ، أن وجههم
الأول ابديسي والدسوي أن يعمى قوبهم صعبهم ، وأن يوجه كبيرهم صعبهم ، وأن
يهدد عاصمهم صعبهم ، وأن يمتروا نوا، الملم في سواص الأرض جميعا ، وسفهم
أيضا كبحه دفع المال في وجسوه الحبر وأدبه ، صافظه على شعور بطقه الظفره ،
ويشراً لروح المودة والمحبة بينهم وبين الأمياء .

إسا إذا نظرا إلى هذه الصراص صعبا والتي صعدت عفا باسفسفسفس
في سواصها ، طول إن الذي ربص أصول النظام المالي الاسلامى في المدينة ونظم
قارعه وأصوله ، هو الرسول ا على الله عليه وسلم ، والصنفه انر شؤن من بعهده ،
وخصوصاً الخليفة عمر بن الخطاب ا رضي الله عنه ا . وأعد ماكثر هذه الفوعسفس
والنظم خلفاء العصر الأول للدولة العباسية .

ولو أن هذا النظام إسير كما أراده الخليفة عمر رضي الله عنه ندى قال
لس مشت بن شاء الله ، لأسير في انرعه أهولا ، وأي أمنم أن بلسس هوانح بقطع
عسى آمنهم ، فلا بعلون إليهم ، وأما عمالهم فلا برفعوسها إليهم ، فأسير إلى الشام
فأقيم بها شهرين ، وبالجوسوه شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم
أسير إلى المغرب فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم
أسير إلى البصرة ، فأقيم بها شهرين ، والله أعلم بالحول هذا ^(٣) .

(١) القرآن الكريم سورة البقرة آية ٢٧٩ .

(٢) القرآن الكريم سورة البقرة آية ٢٦٣ . ٢٦٤ .

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب صفحة ١٤٤ . وكذلك الكامل في التاريخ ج ٣ صفحة

هو إسم هذا النظام العالمي لاعلامي ، وإسفر في المصم اليوم ، لإنظمة الحياه وتبديل إنسانيه غير الإسلاميه ، ولإتبات المبادئ الهدامه وقامت المبادئ الساعيه التي توجه العالم إلى الحمر وصل بالناس إلى سعادته ومحبته نفاء

إن المصدي والأسس التي قامت عليها سعاد العالم في عهد الاندوم الأول والتي حفظت العدالة والأمن والطمأنينه ، لم يصل إليه حتى الآن بعض الدول لعريسيه المتحمره .

لقد بنت بعض الدول الحديثه خربها صرف صفات شعيره وكبار السن وأصحاب الحاجه ، ويوصل هذه المراتب إلى الموت ، وفرضت أيضا حرمات شعيره للموت ، وكذلك فالموارد الحديثه لا سم العمل بها إلا بعد موافقه معشسي الأمم ، وهينها المريحه ، إذا كان قد حدث هذا في العصر الحاضر ، فقد كان العمل به في عهد الخلفه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عند أربه حتر فورا وزار على سبجه خلفاء العصر الأول للدولة الإسلاميه العاصيه ، الأمر الذي يبدل سعاداً على سوا الاعلام ومبادئه ، وأنه يصلح لكل زمان ومكان .

وعند ذكر ما قاله بعض علماء الغرب والمشرقين في شأن الاسلام وعلميه مرسه ، وأنه المور الذي يهدي البشره إلى السعاده والاستقرار .

يقول بيكون " - وما المكتشفات اليوم لا يحب شيئاً مذكوراً ، إلا ما نحن مدببون به للرواد العرب ، الذين كانوا متعللاً وماء في القرون الوسطى المظلمه ، ولا سيما في أوروبا ^(١) .

(١) تاريخ الحضارة الإسلاميه والفكر الإسلامى صفحة ٣٢٩ .

ويقول سديدو " كان المسلمون هم مغزى الوسطى مدبرين في انفسهم
والدلسة والخبث ، وقد شروها أيضا حلك أقدامهم ، وسرست منهم إلى أوروبا ،
فكنوا هم مبدا في تهيئها وإيقاظها - "

ويقول دي تو " - إن الميواف الذي تركه اليونان لم يحس الرومان
قيام به ، أما العرب فقد ألقوه وعمدوا على تحييه وبعثه ، على علمه
إلى المصور الحديثة . (١)

وحس في أيامنا هذه يرى الكثير من علماء الغرب وأئمة الاقتصاد يستخرجون
العالم الإسلامي ، لتقديم لهم الإسلام طوي سحاء للإساسة ، مما يردت فيه من جهلهم ،
يرى خالد أوسرى ، بنادي في كتابه " الإسلام في مواجهة النمو الاقتصادي " بأن
طريق الإنماء الاقتصادي ليس محمورا في الرأسمالية والاشتراكية بل هناك قسمين
بالت راجح هو الانضمام الإعلامي ، الذي يسود العالم في المستقبل ، لأنه أسلوب
كامل للصحاء ، يحقق كافة المراتب ، وبسبب كنفه المساوي ، "

إن سياسة المال في الإسلام ، في جميع المعير التي أخذت به وعلى بنيتها
الشريعة الإسلامية هي المصالح الفويم والنظام لأستل ، الذي ينبغي يتدون للإسلامية
أن يمين به ويخلفه غير حشرة ولا سرودة من الأنظمة اليومية الحديثة لدى هسي
من مع لاسان ، لأن هذه السياسة المالية من صبح الله سبحانه وسعالي ، التي
أرضى فواعدها بني لإسلام محمد بن عبد الله (عليه الصلاة والسلام) وخلفه سادوه
براعتون من بعده (رضي الله عنهم جميعا) خاصة الخليفة عمر (رضي الله عنه
ولذي بعمر المؤسس الثاني للدولة الإسلامية بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وأحد به خلفاء العصر الأموي ، وخلفاء العصر الأول للدولة العباسية

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي صفحة ٢٧٩ .

ونعتمد سردد بعض الدون الاسلاميه في تطبيق نظام المال هو شمســـــــــــــــــه
 لاسلام التي بنيت على أساس من المراوغة بين الروح والماده ، ومن يطــــطــــره
 بعبارة السبعه ، وقد سبق أن قدیمت للعالم موجوداً . أساس النجاح في تطبيق
 في عهد الاسلام لأول ، لم يوق إلى مسدده أي نظام آخر قديماً أو حديثاً

وبهذا نكون قد وصلنا إلى نظام مالي إسلامي شامل ودقيق ، لا نظير له
 في حصاره من الحضارات ، ولم يرد إلى انبوم ما هو خير منه في أية سريره من
 الحوام .

وأما من الله ورحمته أن سود نظم المال في الاسلام وحصره العدم كله ،
 ليست الماي ، ويسودهم الاسفلار والاطمئنان والاردهار

" ولن يملح آخر هذه الآية إلا بما ملح به أولها " ، كما قال العبد
 لعلاء والسلام ! وهو بعض ما جاء في كتاب الله الكريم " وأن هذا صراطي مستقيم
 فاستمروا ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " (١)
 مدني الله العظيم .

وبهذا نصل إلى نهاية هذا البحث ، وأمل أن يجد ربما عند القاري ،
 ويعلم أنه وحده ، أنني قد بدلت فيه من الجهد ما وسمه طامس ، وأمل أن أكون
 قد مهدت بذلك السبل إلى مباحث أخرى في هذا الموضوع أكثر إسفافاً وعمقاً
 لا يكلف منه نفس إلا وسعياً ، لها ما كسبت وعندها ما يكسبها ، ربـــــــــــــــــه
 لاؤاحداً إن سمعنا أو أخطأنا ، ربما ولا نحمل علمنا إثمراً كما حملته عني تدس
 من قديماً ، ربما ولا نحملها مالا طافه لنا به ، وزعم عما ولعبر لنا ورحمنا ، أنت
 مولانا فإتبعونا على القوم الكافرين" (٢)

(١) القرآن الكريم سورة الانعام آية ٦٥٢ .

(٢) القرآن الكريم سورة البقرة آية ٢٨٦ .

وقب الله جميعا لما نبه الحر وأداء الواجب ، وسر هذه الدعوة بمحمدية

ورسالة لإسلام عظيمة ، وعبارته الشاملة ، إنه مع المولى وسعم المصير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

فائمة المصادر العربية

- القرآن الكريم
- صحيح البخاري
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أبواحمد بن
المعمر (ت ٢٥٦ هـ)
- والكتاب من ما وجد على الساحة السلطانية وراجعه
أحمد محمد شاكروكتب التقرير العلامة الشيخ
حسنه الماوي - شيخ الجامع الأزهر سابقاً - دار
إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
- صحيح مسلم
- : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
(ت ٢٦١ هـ) تحقيق وترقيم وتعليق طه حسين
الامام السوري عليه محمد فؤاد عبد الباقي - ط ٢
سنة ١٩٢٨م - دار الفكر - بيروت - لبنان .
- سنن الترمذي
وهو الجامع الصحيح
- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي
(ت ٢٢٩ هـ) حقه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف
ط سنة ١٩٨٠م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان .
- سنن أبي داود
- : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ،
(ت ٢٢٥ هـ) ، مراجعة وصحف وتعليق محمد محي
الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر
والنشر - القاهرة
- ابن كثير
- : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن
عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الكثير الجزري الملقب بمنز الدين ، (ت ٦٣٠ هـ)
الكامل في التاريخ - دار الكتاب العربي - بيروت -
لبنان ١٤٠٦ هـ - سنة ١٩٨٦ - ويقع الكتاب في ٩
مجلدات ، والمجلد الماشر ، فهارس - الطبعة
السادسة .
- ابن آدم
- يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٢ هـ) ، كتاب الفرائض ،
شرحه ووضع فهارسه القاضي العادل أحمد محمد
شاكرو ط ٢ سنة ١٢٨٤ هـ - المطبعة السلعية .

- ابن سينا : شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) الحجة في الإسلام ، بشره في قمي صاحب الدين العظيم - الطبعة الثانية المطبعة السلفية - ١٤ هـ - القاهرة
- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) تاريخ عمر بن الخطاب ، مقدم ومطابق أسامة عبد الكريم الرفاعي ، نشر مكتبته السلام الدامية سنة ١٣٩٤ هـ .
- ابن حنبل : أبو القاسم محمد - كتاب المسالك والممالك ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٧٢م
- ابن حجر المصلاي : أحمد بن علي المصلاي (ت ٨٥٢ هـ) بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، شرحه بإختصار عبد العزيز سيد الأهل ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني - القاهرة - ج - ع - م -
- ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بإسن خرداذبة (ت حوالي ٢٠٠ هـ) المسالك والممالك - (في مجلد واحد مع نسخة من كتاب الخراج ومقدمة الكتابة) ، ليدن ، مطبعة بريل - ١٢٠٢ هـ - ١٨٨٩ م ويبلغ الكتالوج في ١٨٢ صفحة وتُكتب عليه (بطلنب الكتاب من مكتبة المتني ببلداد)
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ) كتاب المعبر وديوان المعبر والبر في أيام العرب والمجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - المكتبة المحاربه الكبرى بمصر .
- ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ويقع في ٤ مجلدات - حققه الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - مطبعة العريب .

- ابن رسته
- أبو علي أحمد بن عمر بن رسته - كتاب الأعلاني
التيهية (في مجلد واحد مع كتاب البلدان للياقوت)
طبع في مدينة لندن المخروسة - بمطبع بريث سنة
١٨٩١م - المجلد المصنف -
- ابن سعد
- محمد بن سعد (ت ٢٤٠ هـ)
كتاب الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت ، توزيع
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة
- ابن طباطبا
- محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي
(المتوفى في النصف الأول من القرن الثامن الهجري)
- كتاب المعرى في الآداب السلطانية والدور الإسلامية
- مكتبة ومطبعة محمد علي صديق وأولاده - مبدن
الأهر ١٢٨١ هـ - ١٩٦٢م - طبع الكتاب في ٢٧٧ صفحة
- ابن طبريز
- أبو الفضل أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠ هـ) - كتاب
بعداد - القاهرة مكتبة الجانبي - ١٢٦٩ هـ - ١٩٤٩م
مرف للكتاب ، وترجم للمؤلف محمد زاهد حسن
الحسين الكوثري ، والأصل مأخوذ عن عمير شمس
للسنة لأمايه الخطية الوحيدة المعروفة بالنسخة
المربطاني
- ابن عبد الحكم
- أبو محمد عبد الله (ت ٢٢٤ هـ) رواية ابنه أبي
عبد الله محمد (ت ٢٦٨) تحقيق أحمد عبيد ،
كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز على طراز الاسام
مالك بن قيس وأصحابه عالم الكتاب - الطبعة
السادسة - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م بيروت - لبنان -
- ابن عداري
- أحمد بن عداري المراكشي (عاش في القرن الثالث
عشر الميلادي)
البيان المحبوب في أحسن العرب - صحبه وسره
المستشرق ريمون دري - مكتبة صادر بيروت -
لبنان
- ابن قتيبة
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الديسوري
(ت ٢٧٦هـ) كتاب الامامة والسياسة - تحقيق د. طه
محمد الزبيدي - والكتاب يقع في ٢ جزء - الناشر

مؤسسه الحلي وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة
مطابع سجل العرب -

ابن قدامة والمقدسي : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة
(ت ٦٢٠ هـ) وشمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن
ابن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي
(ت ٦٨٢ هـ) كتاب المحلى وطلبه الشرح الكبير ،
دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، سنة ١٩٨٢ م
بيروت - لبنان -

ابن القيم الجوزية : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٨٥١هـ)
كتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية أو الفرس
المرصعة في أحكام السياسة الشرعية " - تحقيق محمد
حامد الفقي ١٤٢٢ هـ - ١٩٥٢ م - مطبعة سنده المحمدية
- القاهرة -

ابن القيم الجوزية : أحكام أهل البدع - تحقيق د. مهدي الصالح - ويضع
الكتاب في ٢ جزء - دار العلم للملايين - بيروت -
الطبعة الثالثة ١٩٨٢ م -

ابن القيم الجوزي : أبو عبد الله بن القيم الجوزي (ت ٧٥١ هـ) كتاب
راد المسعودي فمسيه سدي خيمر العبد
ط ٢ سنة ١٩٧٢ م ، دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع ، بيروت

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير
فرعي النصب ، مشفي الدار (ت ٧٧٤ هـ) - البداية
والنهاية في التاريخ - دار الفكر العربي ، القاهرة ،
ويضع الكتاب في سبع مجلدات محبوب على ١٤ جزءاً

ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام الصمغاني (ت ٢١٢ هـ)
كتاب السيرة النبوية تقديم وتعليق وصبط طه عبد الرؤف
سعد ، ط سنة ١٩٧١ م مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة

ابن مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ) -
كتاب تحلرب الأمم وتعلقت الهمم - القاهرة - مطبعة
التمذد - ١٣٣٤ هـ - ١٩١٥ م - الجزء الخامس ،
والحر - السادس -

- ابن معالي
شرف الدين أبي المكارم (ت ٦٠٦ هـ) - كتاب
قوانين الدواوين - تحقيق وجمع عزيز سوريال عطية .
تحت رعاية الأمير عمر طوون - مطبعة مصر - ١٩٤٢م .
- ابن منظور
: جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري - كتاب الحرب ،
دور المعارك بمصر - ١٩٨٢م .
- أبو شجاع
: محمد بن الحسين الملقب بظهير الدين الرودروري
(ت ٤٨٨ هـ) دبل كتاب تجارب الأمم - وقد أتمنى
بالنسخ والمصحح هـ - ف - أمدريو مطبعة البندى - سنة
١٢٢٤ هـ - ١٩١٦م .
- أبو عبيد
: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٤٢٤ هـ) - كتاب الأموال
تحقيق وتعليق محمد خليل هراس ، ط ٢ سنة ١٩٢٥م
مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .
- أبو يوسف
: يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ) كتاب الخراج ،
بشره قسي يحيى الدين الخطيب ، ط ٢ سنة ١٩٧٧م ،
المطبعة العلمية - القاهرة .
- الإمطخري
: ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإمطخسري
العمروفي بالكركي (، أ السويدي في نصف الأول
من القرن الرابع الهجري) - كتاب
الممالك والممالك - تحقيق محمد جابر عبد الصالح
الحبيبي ومراجعة محمد شفيق نزيال القاهرة - دار
العلم ، ١٢٨١ هـ - ١٩٦١م من كتب تراثنا - ويبلغ
الكتاب في ٢١٤ صفحة .
- البلادي
: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي
(ب ٢٧٩ هـ)
كتاب فتوح البلدان ، عني بمراجعته والمطابق عليه
رمضان محمد رسول ط سنة ١٩٧٨م - دار الكتب
العلمية - بيروت ، لبنان .
- البيهي
: أبو زيد أحمد بن سهل ، (ت ٢٢٢ هـ) كتاب البده
والناريج ، اعنى بشره وبرحمته من العربية التي
الفرانسية كلما هوول ، فصل جمال الدوله

القرنوية ، مطبع في مدرسة الأتس الشرقية ،
ومدير النور في المكتب العملي للدروس العاليه في
مدينة بلويز والكتاب منسوب إلى أبي زيد أحمد بن
سبل البلخي وهو لمطهر بن طاهر المقدسي ،
وقد كتب هذه العبارة على الحرف الأول من الكتاب
[يماح عند الحاجة لرست لرو الصحاف في مدينة
بلويز] سنة ١٨٩٩م .
طبع في مدينة شالون على نهر سون بمطبع برغرود .
وبعض الأجزاء طبعت سنة ١٩١٦م

أبو ربحان محمد بن أحمد المبروسي الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ ،
كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية - لبرج - ف
أ - بروكهاوس ، وبلغ الكتاب في ٣٦٢ صفحة ،بالإضافة
إلى مقدمة وفهارس باللغة العربية والألمانية ، جمع
وتمحيص د.سي - إدولر - سجار ، سنة ١٩٢٢ .

- المبروسي

: أبو الفضل محمد بن حسين ، (ت ٤٧٠ هـ) ، وكان
نائب رئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان مسعود
الخرنوبي تاريخ الميني ، ترجمه إلى العربية يحيى
الكتاب ، وصادق نقاش - دار النبعة العربية للطباعة
والنشر - بيروت ، ١٩٨٢ م

- السبكي

: أبو علي المحسن بن علي بن أبو القاسم علي بن محمد
(ت ٢٨٤ هـ) كتاب الفرج بعد الشدة - تحفيل عبود
الشالجي ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٨ م . وعدد زياراتي
للمسلك المغربية ، وللخزانة الملكية بالرباط ، وجدت
الجزء الثاني المخطوط من هذا الكتاب على هيئة
فيلم (ميكروفيلم) .

- الخطوط

: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (ت ٢٥٥هـ ،
كتاب التاج في أخلاق الملوك - تحقيق فوري عطوي ،
الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع -
بيروت بيروت دار صف - ١٩٧٠م .

- الجاحظ

المصنف في التجارة ، في وصف مايسطر في البلدان
من الأمعة الرقيقة والأعلاق المعية ، والخواهر الثمينة
النفيسة - المطبعة الرحمانية - ١٩٥٤ هـ - ١٩٢٥ م -
الكتاب في ٤٧ صفحة (من الرسائل السائرة ٧)

- الجاحظ

- الحبيبي
 أبو عبد الله محمد بن عبدوس الحبيبي (ت ١٨٣١هـ)
 كتاب الوزراء - حقة ووصف قهارة مصطفى
 السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ تليبي ،
 ط ٢ سنة ١٩٨٠م - نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى
 الباسي الحلبي وأولاده بمصر
- الحسين بن عبد الله : (ت ٨٠٧ هـ) - كتاب آثار الأول في ترتيب الدول
 القاهرة - المومنية ، ١٢٠٧ هـ - ١٨٨٩ م ، ويقع الكتاب
 في ٢١٦ صفحة .
 وهو ضمن مجلد علي هامش كتاب تاريخ الخلفاء أمراء
 المؤمنين في كتاب واحد .
- الخطيب البغدادي : الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٢ هـ)
 تاريخ بغداد أو مدينة السلام - نشر دار الكتاب
 العربي - بيروت ، والكتاب في ٤٨٠ صفحة ، ينقسم
 على ١٢ مجلدًا .
- الحولرمي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف ، صنف سنة
 ٢٦٦ هـ كتاب صفائح العلوم - الطبعة الثانية (١٤٠٠ هـ
 - ١٩٨١ م منشورات مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .
- الديلمكي : حسين بن محمد بن الحسن ، (المتوفى في النصف
 الأول من القرن العاشر الهجري) - تاريخ الخمين في
 أحوال أنفس بعض مؤسسه شهاب لنشر والنوابع .
 بيروت ، والكتاب يقع في مجلدين .
- الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن دواد (ت ٢٨١ هـ) الأخصار
 الطوال - القاهرة ، دار احياء الكتب العربية - ميسر
 الباسي الحلبي - ١٢٨٠ هـ - ١٩٦٠م (ثانيا) والكتاب
 في ٤٦٧ صفحة .
 تحقيق عبد المصمم عاصر - ومراجعة جمال الدين
 الشيال بإشراف وزارة الثقافة والإرشاد القومي .
- الدهبي : الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
 عثمان بن قايماز بن عبد الله الدهبي (ت ٧٤٨ هـ)
 وقد اشتهر باللقاب أخرى مثل فخر كمانتي ، والفارسي
 كتاب دول الاسلام
 تحقيق هبم محمد شلومت ، محمد مصطفى إبراهيم .

مطابع البيضة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٤م -
رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٤/٤١٨٨، والكتاب فسي
مجلد واحد مكوّن من جزءين مجموعاً على ١٢٧ صفحة

أبو الخطاب عمر بن الشيخ الإمام أبو علي حسن بن
عليّ كتاب التبراس في تاريخ خلفاء بني عباس
بمقداد - مطبعة المعارف ١٩٤٦م - صححه وعلّق عليه
عباس السراوي بإشراف لجنة الترجمة والمأليب والمشر
- بمقداد -

- دي العسيمي

حبر الدين البركلي -
كتاب الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء
من العرب والمسلمين والمستشرقين ط ٥ - سنة
١٩٨٠م ، دار العلم للطالين - بيروت -

- البركلي

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي " الوسائل إلى
معرفة الأوفل " مخطوط مسجل بدار الكتب المصرية
برقم ٢٩١ - وبمعد المخطوطات برقم ٤-١٢-

- السيوطي

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ،
كتاب تاريخ الخلفاء - بتحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد ط ١ سنة ١٩٥٤م - مطبعة السعادة بمصر
المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة -

- السيوطي

أبو عبد الله محمد بن إفراس بن العباس ... بن
عاشم بن عبد المطلب (ت ٢٠٤ هـ) ،
كتاب الأم - أشرف على طبعه وبأشر تصحيحه محمد
رهري المحرر - ط ٢ سنة ١٩٧٢م ، دار المعارف
للطباعة والنشر - بيروت - لبنان -

- الخافعي

عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن محمد (ت ٥٨٩ هـ)
كتاب نهاية الرتبة في طلب الحمية ،
تحقيق ومراجعة السيد الميرزا الميرزا - دار الثقافة
بيروت - الطبعة الثانية ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م
وكان أول من فطن إلى كتاب نهاية الرتبة في طلب
الحمية للشمسوري هو الدكتور فالتر برنار Walter
Behrmauer ، أمين المكتبة الإمبراطورية بمدينة
فيينا ، وكان ذلك سنة ١٨٦٠م -

- شمري

- المصنف
 أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨ هـ) أقسام
 مأثمة من كتاب سبعة الأمراء في تاريخ الوزراء ،
 جمعها وعلق عليها ميخائيل تواد ، بغداد ، مطبعة
 المصروف ، ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٨ م ، ويقع الكتاب في عدد
 (١٠٦) صفحة .
- المصنف
 - أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨ هـ) كتاب
 الماريخ ، الجزء الثامن - بيروت - مطبعة الفيسويعيين
 ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م - من صفحة ٣٦ - ٤٨٤ ، مجلد
 مع كتاب سبعة الأمراء في تاريخ الوزراء نفس المؤلف
 السابق .
- المصنف
 - أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨ هـ) كتاب
 رسوم دار الخلافة - دار التراث العربي بيروت - لبنان
 الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، والنسخة الأصلية
 (المخطوطة) من الكتاب محفوظ في خزانة كنسب
 الأزهر - نفس المؤلف السابق .
 والمخطوطة تشمل على ٢٠٢ صفحات ، بدوام عدد
 أسطر كل منها بين ٨ - ١٤ سطراً - وهي مكتوبة
 بخط قديم ديواني وعر ، قليل التشطيط ، خال من
 الحركات .
 أما النسخة التي بين أيدينا فهي تحتوي على ٢٠٦
 صفحة بالفهارس والشرح والسبق ميخائيل تواد .
- المصنف
 - أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ) أخبار الرضا
 بالله والعتق لله أو تاريخ الدولة العباسية من
 سنة ٢٢٢ هـ إلى ٣٣٣ هـ - القاهرة - مطبعة المصافي
 ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م ويقع الكتاب في ٢٠٨ صفحة .
- المصنف
 - أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ) ، كتاب
 الأوراق بحقيق هيرب رن ، القاهرة - مطبعة المصافي ،
 ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م ، الكتاب يحتوي على ٢٥٦ صفحة
 بالإضافة إلى الجداول .
- المصنف
 - أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ) أو (٣٣٦ هـ)
 أدب الكتاب ٢ أجزاء - القاهرة ١٣٤١ هـ .

- ١ - الصيرفي : تاج الرياسة أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن سليمان (ت ٥٤٢ هـ) قاسون ديوان الرسائل - القاهرة مطبعة الواقع ، ١٢٢٢ هـ - ١٩٠٥ م . ويحتوي الكتاب على ١٦٨ صفحة ، على بشره والتنطيق عليه بهجت علي .
- ١ - الطبري : ١ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت ٢١٠ هـ) تاريخ الأمم والملوك - طبع بالتصوير عن المخطوطة الحسينية المصرية - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ط ١٩٧٩ م - القاهرة والكتاب يقع في ٦ مجلدات وبه ١٢ جزء . أما الجزء الثاني عشر فهو (سنة تاريخ الطبري) والمؤلف هو عريب بن سعد الفوطي (ت ٣٦٦ هـ) . والكتاب يقع في ٩٦ صفحة ، ويتناول الأحداث من سنة ٢٩١ هـ وحتى سنة ٣٢٠ هـ . والجزء الثالث عشر فهو المصنف من كتاب ذيئيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين . . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . وهذا الجزء يقع في ١٢٢ صفحة
- ١ - الخرا : أبو يعلى بن الحسن الخرا ، الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ) الأحكام السلطانية ، صفحة وعلق عليه محمد حامد المني دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م ويقع الكتاب في مجلد ، يحتوي على ٢٢٢ صفحة .
- ١ - قدامة بن جعفر : أبو الفرج قدامة بن جعفر - الكاتب البغدادي - ولد كتب في الصفحة الأولى من الكتاب أنه (توفي سنة ٢٢ هـ) . ولكن في الحقيقة فإن وفاته كانت حوالي (إما سنة ٢٢٠ أو ٢٢٧) تبع من كتاب المسراج وصنعة الكتابة (في مجلد واحد مع كتاب المسالك والممالك لابن خردادبه) . ويقع الكتاب في ٨٢ صفحة من ١٨٢ إلى صفحة ٢٦٦ غير الشروح والملاحظات والفهارس باللغة العربية والألمانية ، كتب فسيحي سهاينه (صب المعلقة السادسة من كتاب المسراج وصنعة الكتابة) .
- ثيدن ، مطبعة ترويل - ١٢٠٧ هـ - ١٨٨٩ م ترويل - مكتبة المثنى ببغداد .

- قدامة بن جعفر
- أبو العرج قدامة بن جعفر - الكاتب البغدادي - موسى حوالي ٣٣٧ هـ (الممثلة الخامسة من كتاب الخراج وصنفه الكتابة - دراسة وتحقيق - دلال جميل رفاعي تقديم د - جوامع الدين السمرقاني - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - مكتبة الطالب الجامعي - مكة المكرمة .
- القرماني
- أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت ١٠١٩ هـ) كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ عالم الكتب - بيروت ، وتوزيع مكتبة المتنبي القاهرة ومكتبة سعد الدين - دمشق .
مراجعته وسفوح الحاج محمد أمين أفندي سنة ١٢٨٢ هـ مطبعة المصرا عباس المبروري
ويبلغ الكتاب في ٣٩٩ صفحة .
- نقله شدي
- أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا الشرح والسلبق ومقابلته المصنوع لمحمد حبيب بنصر الدين الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - دار الكتب العلمية بيروت . ويبلغ الكتاب في ١٤ مجلد .
والجزء الأول منه يحتوي على ٥٧٦ صفحة .
- الساوري
- أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى البصري الساردي (ت ١٤٠٠ هـ) كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مراجعة الدكتور محمد فهد السرجاني - ط سنة ١٩٧٨ م نشر المكتبة التوثيقية - الحسين ، القاهرة . ويحتوي الكتاب على ٢٠٩ صفحة .
- المحمودي
- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله الهدلي (ت ٢٤٦ هـ) ويشمل نسبه بعبء الله بن مسعود الصعابي الحليل .
كتاب التنبية والإشراف نشر دار ومكتبة الهلال ١٩٨١ م - بيروت ضمن كتيب (في سهل موسوعة تاريخية) - وإشراف لجنة تحقيق التراث .
- المحمودي
- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله الهدلي (ت ٢٤٦ هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر .

تحقيق محمد مهدي الدين عبد الحميد - المكتبة
الإسلامية - بيروت ويحتوي الكتاب على أربع مجلدات
بأرشفه أخرى .

- أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي المعروف
بالبخاري (ت ٢٥٨ هـ) .
كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .
طبع في مدينة لندن المهرسة ، بمطبعة بريل سنة
١٩٠٦ م .
ويحتوي الكتاب على ٤٩٨ صفحة

- المقدسي

تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئ
(ت سنة ٨٤٥ هـ) .
كتاب المواضع والأصهار يذكر الخطوط والآثار المعروفة
بالخط المقرئ .
دار صادر بيروت - لبنان .

- المقرئ

تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (ت ٨٤٥ هـ)
النفوذ الإسلامية المسمى (بتدوين النفوذ في ذكر
النفوذ) .
محقق وإضافات محمد السيد علي بحر العلوم
مستورات المكتبة الحيدرية ومطبعة في النجف
١٢٨٧ هـ - ١٩٦٣ م - الطبعة الخامسة .
ويبلغ الكتاب في ٢١٨ صفحة .

- المقرئ

: تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) الأديان
والأخبار الشرعية رويته ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م
ويبلغ في ٧٦ صفحة

المقرئ

: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ)
سيرة الأرب في فنون الأدب - القاهرة ضمن كتبه
(تراثنا) - وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة
العمرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
مطابع كوستا صومالي وشركاه .
ويبلغ الكتاب في ١٨ مجلدات ، ويضم في ٢٧ جزءاً

- الموري

- ياقوت شهاب الدين : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي
البيضاوي (ب ٦٢٦ هـ) -
معجم البلدان - دار إحياء التراث العربي - بيروت
- لبنان - ويضع الكتاب في (٥) مجلدات -
- ياقوت شهاب الدين : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي
البيضاوي (ت ٦٢٦ هـ) ، كتاب معجم الأديباء -
مطبوعات دار السامري - بحماية د .
أحمد فريد رفاعي سنة ١٩٧٢م والكتاب من ضمن
سلسلة الموسوعات العربية ويقع في ١٠ مجلدات ،
ويحتوي على عشرين جزءاً - الطبعة الأخيرة - الثانية ،
دار إحياء التراث العربي - بيروت -
- المخطوطي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح
(ت ٦٨٤ هـ) كتاب البلدان - طبع في مدينة لندن
المحرقة - بمطبع بريل سنة ١٨٩١م والكتاب في
مجلد واحد مع كتاب الأتلاق الطبعة الأولى رسالة
(المجلد السابع) ويقع الكتاب في ١٤٢ صفحة -
- المخطوطي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح
(ب ٦٨٢ هـ) -
تاريخ المخطوطي - دار صادر بيروت - لبنان - والكتاب
يقع في مجلدين -
- المؤلف المجهول : كتاب الميور والحدائق في إخبار بحقائق - من
خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم مكتبة
المتنبي ببغداد - بيروت - مطبعة بريل ١٢٠٧هـ - ١٨٨٩م
والكتاب سجل بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٦٢٨٨٤
وبدار الكتب المصرية برقم ٢٢٢٥٤ - الرمز أو الفن ج .

قائمة المراجع العربية الحديثة

- إبراهيم علي شموط ، محمود محمد رياده " الحقبة سماليه في الاسلام " الطبعة الثانية ١٩٦٦م الدار القومية للطباعة والنشر
- إبراهيم دسوقي الشبوي الحسبه في الاسلام - القاهرة - مكتبة دار بعروب ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م - ١٦٨ صفحة
- إبراهيم عبدالله الاتصاري : ارتقاء الحيوان لمعرفة ذي القربى ، ط ١ - مطبع قطر الوطنية *
- د إبراهيم الطحاوى الاقتصاد الاسلامي مذهباً وسياسة دراسة مقارنة من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، سنة ١٩٧٤ م الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة .
- أبو زيد غلبي تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي ط ٢ سنة ١٩٦٤م - نشر مكتبة وهبه *
- أحمد أمين فجر الاسلام - يبحث عن الحياة الباقية في صدر الاسلام إلى آخر الدولة الأموية - ط ١٢ سنة ١٩٧٨م - مكتبة السبعة المصرية
- د . أحمد المال د . يحيى عبدالكريم النظام الاقتصادي في الاسلام مبادئ وأهدافه - ط ٢ سنة ١٩٨٠ م - مكتبة وهبه - القاهرة
- أحمد ركني صفوت عمر بن عبد العزيز سلسلة اقرأ - دار المعارف ، بيروت ١٩٤٨م
- جبهة رسائل العرب - الجزء الثالث - مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٣٧م
- د . أحمد غلبي موسوعة النظم والحضارة الإسلامية
- (أ) ج ٢ السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي ط ٤ سنة ١٩٧٩م - مكتبة السبعة المصرية
- (ب) ج ٣ النظم الاقتصادية في العالم عبر العصور وأثر الفكر الاسلامي فيها - ط ١ سنة ١٩٧٦م - مكتبة السبعة المصرية *

- أجا وكتاب كيف تكتب بحثاً أو رسالة ؟ دراسة
تدقيقه لكتابه المحدث و تعداد رسائل الماحسين
والدكتوراه ط ١٠ سنة ١٩٧٨ م - مكتبة النهضة
المصرية ، القاهرة .
- د احمد العبدوي : كتاب العبادات من القرآن و السنة مع مدخل بشري
الاسلام ط ١٩٦٥ م - مطبعة المعرفة .
- احمد نريد رفاعي : عمر المؤمن المحدث الأول - مطبعة دار الكتب
المصرية بالقاهرة ١٩٦٧ م
- أمستاس ماري الكرمل : " الأب المحدث " وكتاب المقود العربية وعلم
المصباح - القاهرة المطبعة المصرية ١٩٥٨ هـ - ١٩٦٩ م
ويقع الكتاب في ٢٥٩ صفحة .
- د بدوي عبد اللطيف عوض : النظام المالي الاسلامي المحدث
ط سنة ١٩٦٢ م - من مطبوعات المجلس الأعلى
للشؤون الاسلامية - لجنة التعرف بالاسلام
- ثابت الراوي : العراق في العصر الأموي - ط ٢ بغداد ١٩٦٠ م
- جميل سفة المدير : حصار الاسلام في دار السلام - طبع بالمطبعة
الأميرية ببولاق سنة ١٢٥٤ هـ - ١٩٦٥ م - القاهرة -
وزارة المعارف المصرية .
- جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي
ط ٢ منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان .
- د حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي
ط ١٠ سنة ١٩٨٢ م - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة
- د حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية
ود - علي ابراهيم حسن ط ٤ سنة ١٩٧٢ م - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة
- د حسن عثمان : منتج البحث التاريخي
ط ٤ - دار المعارف بمصر .

- د - حسين عمر : موسوعة المصطلحات الاقتصادية ط ٢ سنة ١٩٦٢م - مكتبة القاهرة الحديثة .
- د - حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام - الزهراء - للاعلام العربي ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م - القاهرة .
- رفايل اسحاق : تاريخ نصارى العراق من انتشار الممونية في الأقطار العربية إلى أيامنا - مطبعة المنصور بغداد ١٩٤٨م.
- رميق الخطم : أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة ط ٢ سنة ٧٤ - ١٩٧٢م - دار الفكر العربي .
- سليمان الطماوي : عمر بن الخطاب وأصول السياسة والادارة الحديثه - دراسة مقارنة ط ١ ١٩٦٩م
- صالح أحمد الطلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة خلال القرن الأول الهجري مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥٢م
- صالح أحمد الطلي : " خطط البصرة " في سومر ، بغداد ، مديرية الآثار القديمة العامة ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٢م - المحمد بشمن من مخطوطة ٢٨١ - ٢٠٢
- عباس العزاوي : تاريخ النفوذ العراقيه - بغداد - حركة الجائرة والطباعة ١٣٨٧هـ - ١٩٥٨م - الكتاب ٢٤٦ صفحة
- د - عبد الحميد محمد القاضي : اقتصاديات المالية نمية والنظام المالي في الإسلام ، مطبعة الرشاد ، الإسكندرية .
- د - عبد الحائق النواوي : النظام المالي في الإسلام نشر دار النهضة العربية ، ط سنة ١٩٧٢م - القاهرة .
- الشيخ عبد الرحمن الحريري : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، قسم المجلدات ، ط سنة ١٩٧٠م ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر .
- عبد المسيح المصري : مقومات الاقتصاد الاسلامي ط ١ سنة ١٩٧٥م - مكتبة وهبة عابدين - القاهرة

- عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري - بغداد : مطبعة المعارف (١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م - الكتاب في ٢٠١ صفحة -
- عبد العزيز الدوري : دراسات في العمر العباسي المبكر - بغداد : شركة الرابط للطباعة والنشر ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٥م والكتاب في ٢٠٦ صفحة
- عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول ، بغداد ، ١٩٤٥م .
- عبد الصمد صالح سافع " الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الشرق الاسلامي زمن الخليفة هشام بن عبد الملك " رسالة الماجستير بجامعة القاهرة ١٩٦٦م.
- عمر أبو النمر : الحضارة الأموية العربية في دمشق ، ط ١ ١٩٤٨م .
- د. نسي إبراهيم حس : التاريخ الاسلامي العام - الحافلة - الدولة العربية - نشر مكتبة السبعة العربية - القاهرة
- د. علي حسني الحروبطني : الاسلام وأهل الدم - القاهرة ١٩٦٩م
- د. علي حسني الحروبطني : المهدي العباسي - سبعة أعلام العرب رقم ٥١
- د. علي حسني الحروبطني : المبادئ الاقتصادية في الاسلام والبناء الاقتصادي للدولة الاسلامية . ط ٢ سنة : ١٩٨٠م - نشر دار الفكر العربي .
- فاروق عمر : العباسيون الأوائل - ج ١ ط ١ - ١٩٧٠م .
- فاضل الحارثي : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري - بغداد ١٩٦٩م.
- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ط ١ سنة ١٩٦٠م - مطبعة مصر .
- محمد اسماعيل ابراهيم : الركاة كما جاءت في الكتاب والسنة على بعد هب الأربعة . ط سنة ١٩٧٨م - نشر دار الفكر العربي القاهرة .

ج - محمد جمال الدين سرور

- (أ) الحبيبة السياسية في الدولة العربية الإسلامية
خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة دار
الفكر العربي ١٩٦٦م - القاهرة -
- (ب) قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد
(صلى الله عليه وسلم) دار الفكر العربي
١٩٦٦م القاهرة -
- (ج) تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد
نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري -
دار الفكر العربي ١٩٦٧م - القاهرة -

ج - محمد حمدي هكل ، (أ) حياة محمد (صلى الله عليه وسلم)

- ط ١٩ سنة ١٩٨١م - دار المعارف -
- (ب) الخاروق مصر (رضي الله عنه)
ط ٦ سنة ١٩٧٧م دار المعارف
- (ج) الإمبراطورية الإسلامية - طبعة وزارة التربية
والعلم - ١٩٨٢ - ١٩٨٢م -

- د - محمد شوقي الفنجري سلسلة الاقتصاد (٣) الإسلام والتأمين بمفهومين
لا الاستغلال أساسى عقد التأمين الإسلامى ط ١١ سنة
١٩٧٩م - نشر عالم الكتب بالقاهرة والرباط -

- د - محمد صياء الدين الرئيس الخراج والمظن المالية للدولة الإسلامية
القاهرة - ط ١ سنة ١٩٦١م - مكتبة لاجيو بمصر -

- د - محمد عبد الله العربي مبادئ علم المالية العامة والتشريع المالي
المصري المقارن ٤ أجزاء - مكتبة ومطبعة محمد
الله وهبة - القاهرة -

- محمد علي حيدر الأوضاع الاقتصادية في العراق والشرق من سنة ٢٢٠ هـ
إلى سنة ٤٥٠ هـ - رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة
١٩٦٨م -

- محمد فريد وحدي : دائرة معارف القرن العشرين - ١٠ أجزاء، دار الفكر
بيروت -

- محمد كرد علي (أ) خطط الشام ط سنة ١٩٦٩م - دار العلم للملايين - بيروت
- (ب) الاسلام والحضارة العربية ط ٣ سنة ١٩٦٨م - مطبعة لبعده (الأنباء) والتوجيه والنشر - القاهرة -
- (ج) الادارة الاسلامية في عر العرب القاهرة - مطبعة مصر - ١٩٢٤م
- الكتاب في ١٨٦ صفحة - طبع على بقله قوت القلوب فانم الدرر
- الشيخ محمود خلوت : الاسلام عقيدة وشريعة ط ١٠ سنة ١٩٨٠م - دار الشروق - القاهرة وبيروت
- منحه محمد رجه الله الحياء الاجتماعية في العراق في القرن الثالث والاربع بعد الهجرة - رسالة دكتوراة ، جامعة القاهرة - ١٩٦٨م
- سمان أنطون الطائر الفريد - القاهرة ١٨٩٠م - مطبعة سمطيل بمر - سجل مكتبه حاسم القاهرة برقم ٦٦ ٢٢
- نظير حسان سداوي نظام البريد في الدولة لاسلامية القاهرة - دار مصر ١٢٧٢ هـ - ١٩٥٢ م والكتاب في ١٧٥ صفحة ، وخرائط ،
- سامر السيد محمود المصنعي (أ) الدينار الاسلامي لملوك الطائفة في سومر ، بغداد ، الحكومة العراقية ، مطبعة الانار العامة ، ١٢٦٧ هـ - ١٩١٧م
- المجلد الثالث - ج ٦ - من صفح ٢٧٠ - ٢١١
- (ب) الدينار الاسلامي في المتحف العراقي مطبعة الترابط ١٢٧٢ هـ - ١٩٥٢ م - ويضع الكتاب في ٢٢٢ صفحة - بغداد ، المطبع الملمي العراقي -
- يوسف القرضاوي فقه الزكاة ط سنة ١٩٨٠م - مؤسس الرسالة - بيروت - لبنان
- يوسف علي يوسف الخلافة الراشدة والخلفاء الراشدين ط سنة ١٩٨٠م - دار الطباعة المحمدية - الأزهر - القاهرة -

بالإضافة إلى :

- (أ) دائرة المعارف الإسلامية ط ٢ سنة ١٩٦٩ م ،
وقد أعد التصحح العربيّه - إبراهيم دكي ، أحمد الخيتناوي والدكتور
عبد الحميد بونس - دار الشعب - القاهرة .
- (ب) قاموس محيط المحيط ، بطرس البستاني .

قائمة المصادر والمراجع الأهمية
المتروكة وغير المترجمة

- إدوارد كون زاسباور معجم الأنساب والأسماء الحاكمة في التاريخ الإسلامي ترجمه زكي محمد حسن ، وحسن أحمد محمود ، وسيد إسماعيل الكاشف ، وحافظ أحمد حمدي وأحمد محمود حمدي - القاهرة ، مطبعة جامعة غزاة الأول - ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م ، ج ٢
Adam Mez- Die Renaissance des Islams
آدم ميز
- د. أدولف جروسمان Ph.D. العصر الإسلامي في القرن الرابع الهجري - أو عصر النهضة في الإسلام آدم ميز - ط٢ سنة ١٩٥٧م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مطبعة محمد عبد الهادي - القاهرة ،
- د. أدولف جروسمان Ph.D. أوراق المردي العربية - نقلها إلى العربية د. حسن إبراهيم وزايع الترجمة عبد الحميد حسن - مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤م بالقاهرة ،
- استيفان رانسمان العصر البيزنطي ، ترجمه عبد العزيز جابود مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦١م
- أ. ي. نوسون أهل الذمة في الإسلام - ترجمه وتعليق حسن حسني القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٤٩م ، والكتاب في ٢٥٨ صفحة -
- د. ألفريد ج. بتلر - فتح العرب لمصر : AL-Fried G. Butler - شعوب محمد فريد أبو حديد - لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٨م - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٢م - القاهرة ،

- دانييل ديسيت : الخربة والإسلام ، ترجمه فوزي هببم حاد السببه
مراجعة إحسان عباس - بيروت ، دار مكتبة الخببه
ومؤسسه فرانكلين - ١٩٦٠م والكتاب في ٢١٢ صفحه
- س أ ن حسمى : الإدارة العربيه - ترجمة د + ابراهيم أحمد العدوي
مراجعة عبد العزيز عبد الحق
الألف كتاب (١٨٦) - اشراف إدارة الثقافة العامة
بوزارة العربيه والمطبع بمصر +
المطبعه المودحيه بالعلميه - عديده - القاهرة
١٩٥٨م- أما الكتاب المبرج مبرج هو بمصا
Arab Administration By Howlani S.A Q Husani .
وقد طبع هذا الكتاب في عديده مدارس بالهند
١٩٦٩م-
- سهر توماس و أرنولد : الدعوة إلى الإسلام Sir Thomas W. Arnold
بحث في تاريخ نشر العقيدة الاسلاميه
مراجعة إلى العربيه وعلق عليه د + حسي ابراهيم
حسن والدكتور عبد المجيد فايدين ، وإسماعيل
المحراوي مكتبة السببه العربيه ١٩٧ ط٣
ومسجل بمكتبة جامعه القاهرة برقم ٢٢٩٨٥
- تاسيني وسيم فلاديمروغ بلرولد : تاريخ الحضارة الاسلاميه
مقله من التركيه صدره طاهر - مطبعة المعارف -
القاهره ١٩٤٦م-
- تاريفف : العرب والروم
ترجمة د+ محمد عبد الهادي شميرة ، والدكتور
غؤاد حسين - دار الفكر العربيه +
- فان فلوس : المبادء العربيه والشمعه والإسرائيليات في عهد
بني أمية +
ترجمة د+ حسن ابراهيم حسن ، ومحمد ركي ابراهيم
القاهره ١٩٢٦م-
- فلهاون : تاريخ الدولة العربيه منذ ظهور الإسلام حتى سقوط
الدولة الأمويه +
ترجمة وتعليق عبد الهادي ريده ، راجع الترجمة
د + حسين مؤنس - القاهرة ١٩٥٨م

- **هون خروبيياوم جوحاف - أ - حصاره الاسلام** ترجمة الأستاذ بوميسق
عبد العزيز جاويد - يناير ١٩٥٦م ومصحح بمكتبه
جامعة القاهرة برقم ٤٧٨٩٧-
- فيليب جى إدوارد حرجي حراشيل خيوز** تاريخ العرب ، الجزء الثاني
در الكشف لنشر والطبعة ١٩٥٠م
- **كارل بروكلمان** : تاريخ الشعوب الإسلامية
ترجمة ندية أمين فارس ، ومدير المطبعي دار
النظم للكتاب - بيروت ، ط ١٠ ١٩٨٤م ، وكانت
الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨م
- **كي نسيج** بلدان الخلافة الشرفية - يتناول منه مصر
والجزيرة ويران وأقاليم آسيا الوسطى ،
سند الفتح الإسلامي حتى أيام بسمير ترجمته
وتعليقات بشير فرسيس وكوركيس قواد مؤسسة
الرسالة ، ط ٢ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ، بيروت
- **ل ، أ ، سديو - تاريخ العرب العام -** إمبراطورية العرب ، حصارهم ،
مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية ،
مظلة الى العربية عادل زعيتر - ط ٢ سنة ١٩٦٩م
نشر مبنى الباني العلمي وشركاه ،
- **موريس ديمومين** النظم الإسلامية ترجمة صالح النياح ، وديسمبر
العام - معداد ١٩٥٢م
- **ولتر برونر** (أ) نيلز تتعلق بالتنظيمات السياسية المختصة
بالعرب والغرب والمرك
ترجمة عبد السلام أندي ملهى - القاهرة ١٣٥٧هـ
- ١٩٣٨م من صفحة ٦٤ - ٨٢ (مخطوط)
- أساقس مجلد يضم رسالة من جدوين صحرين عن
سوابخ بعض وقائع مشهورة من مبدأ الملكية
وتنظيمها بيان بأسماء ملوك آل عثمان ، ومكانه
عن تعريب تقويم الأدوار ويبلغ في ١٠٥ صفحة .

Weiss Deyourant

- ول ديورانتي

قمة الحمامة - ترجمه د - زكي سعيد ، ط ٢ مطبعة
لحمه المؤلف والرحمة والمسر ١٩٦٥م احسانه
وانفقت على ترجمته الإدارة الثقافية في جامعة
الدول العربية - ٢٢ جره في ١٦ سطر - مطابع
الدجوى - عابدين سنة ١٩٧١م القاهرة .

الحمامة العربية

- ي ، هل

ترجمه د - ابراهيم أحمد النوري ، و ترجمه د -
حسين مؤنس - مكتبة الانجلو بالقاهرة

المراجع الأخرى

- 1- Amedroz, E.F "Abbassid Administration in its decay", in: The Journal of the Royal Asiatic Society, London, 1913, pp. 823-832.
- 2- — "On the meaning of the laqab Al Saffah G" in: The Journal of the Royal Asiatic Society. London, Royal Asiatic Society, 1907, pp. 660-663.
- 3- — "Three Years of Buwaihid rule in Baghdad", in: Journal of the Royal Asiatic Society, London, 1901- pp. 749-786.
- 4- Arnold, Thomas, W. The Caliphate. Oxford, Clarendon Press, 1924-223 p
- 5- Bowen, Harold. The life and times of Ali Ibn Isa the good vizier, Cambridge, the University press, 1928- 420 p.
- 6- Bukhoh, S.K. Studies. Indian and Islamic. London, Kegan Paul, Trench, Trubner; 1927- 275p.
- 7- — and Margoliouth. "The renaissance of Islam". in: Islamic culture. Hyderabad Deccan, The Islamic Culture board, Vol.2, 1928pp. 92-121.

- 8- El Khashab, Yahya "The Islamic concept of state",
in: Bulletin of the Faculty of Arts,
Cairo Faculty of Arts. Vol.18, 1956-
pp.1-7.
- 9- Fischel, Walter "The Origin of Banking in
medieval Islam, a contribution to the
economic history of the jews of Bagdad
in the tenth Century", in: The Journal
of the Royal Asiatic Society, London,
1933- pp. 341-346.
- 10- Gibb, H A R The Arab conquests in Central Asia
London, The Royal Asiatic Society, 1923-
102 p.
- 11- Hall, Joseph. "The Arab Civilization by Joseph
Hall, translated by S R. Bakhsh, Lahore,
Ashraf, 1925- 140 p.
- 12- Hitti, Philip. K. "History of the Arabs 3rd ed.
London- Macmillan, 1946- 767 p. illus,
maps.
- 13- Imamudin, S.M "Bayt-Al-Mal and Banks in the
medieval Muslim World", in: Islamic
Culture, Hyderabad-Deccan. The Islamic
culture Board, Vol. 35, 1961- pp.12-20
- 14- J G Milne. "A History of Egypt Under Roman Rule",
London, 1898.
- 15- Khuda Bakhsh, S. Caliphate. Lahore, Orientalia,
1954 104 p.

- 16 Kramers, J.H. "Geography and Commerce", in Arnold Guillaume. The legacy of Islam. Oxford Clarendon Press, 1931- pp. 79-107.
- 17 Kramers's Von. "The Orient under the Caliphs, By V. Kramers, translated by S. Khuda Bakhsh. Calcutta, University of Calcutta, 1920- 463 p.
- 18- Levy, R. "Persia and the Arabs", in. Arberry, A.J.ed. The legacy of Persia. Oxford, Clarendon press, 1953- pp. 60-88
- 19- Muir, William The Caliphate its rise, decline and fall. Edinburgh, John Grant, 1915. 633 p.
- 20- Nicholson, Lit, History of the Arabs. Cambridge 1930.
- 21 Noldeke, Theodor Sketches from Eastern History- by The-odor Noldeke translated by John Sutherland black and revised by the author. London, Adam and Charles Black, 1892- 288 p.
- 22- Samadī, S B. "Social and economic aspects of life under the Abbassid Hegemony at Bagdad", in: Islamic Culture, Hyderabad-Deccan. The Islamic Culture board, 1955, Vol.29- pp. 327,245
- 23 Sayed, Ameer Ali A Short History of the Saracens, London, Macmillan, 1961- 640 p.

24 Wellhausen, "The Arab Kingdom & Its Fall"
Translated by Weir. (Calcutta 1923).

25- British Encyclopedia"

26- The Concise Oxford Dictionary". Oxford, 1938

محتويات رسالة الدكتوراه
المقام الثاني الاسلامي في العصر الأول للدولة العباسية

صفحة	
٤	المقدمة
٤٣	المهيد

الباب الأول

مولد الدولة في العصر الأول للدولة العباسية

١٣٤	الفصل الأول : الزكاة.....
١٣٥	بفصل الثاني الحرية
١٣٦	- تعريف الحرية فرصها.....
١٣٩	- العرض من عرض الحرية.....
١٤١	- أهل الدمه في العصر الأول للدولة العباسية.....
١٤٧	- شروط عقد الحرية - مقدارها.....
١٤٨	- بنى الأمور والأحكام المتعلقة بالحرية وأهلها.....
١٤٨	- المظورات التي طرأت على الحرية وأهلها خلال العصر الأول
١٥١	لدولة العباسية.....
١٥٥	- إحلل أهل الدمه ببعض ما جاء في بعض المصنفات.....
١٦١	- كانت مرم عادته بمن أهل الدمه والدولة.....
١٦٦	- محاولة المسلمين لأهل الدمه في العصر الأول للدولة العباسية.....
١٦٨	- حول ارتفاع الحرية من بعض الأقاليم في العصر الأول للدولة
١٦٨	العباسية.....
١٧٤	الفصل الثالث : الخراج.....
١٧٥	- الخراج في عهد الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح.....
١٧٧	- الخراج في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور.....
١٨٥	- الخراج في عهد الخليفة المهدي.....
١٩٣	- الخراج في عهد الخليفة الهادي.....
١٩٥	- الخراج في عهد الخليفة هارون الرشيد.....
٢١٦	- الخراج في عهد الخليفة الأمين والخليفة المأمون.....

الصفحة

- الخراج في عهد الخليفة المعتمد والخليفة الواثق بالله - - - - - ٢٢١
- ديوان الخراج في العصر العباسي الأول - - - - - ٢٢٥
- صاحب الخراج - - - - - ٢٢٦
- الدواوين المركزية والفرعية للخراج - - - - - ٢٢٩
- بحر الظواهر السالبة المستلفة بالخراج - - - - - ٢٣٦
- الإلحاح أو (استلجته) - - - - - ٢٣٧
- الإيمار - - - - - ٢٣٩
- التنبيل " الإلزام " أو نظام صمان الأرض - - - - - ٢٤٠
- معايير الخراج - - - - - ٢٤٦
- فوائدهم الخراج - - - - - ٢٥٥
- (١) قائمة الجبجباري الخراجية - - - - - ٢٥٥
- (٢) قائمة ابن خلدون الخراجية - - - - - ٢٦٢
- (٣) قائمة قدامة الخراجية - - - - - ٢٦٨
- (٤) قائمة ابن خلدون الخراجية - - - - - ٢٧٢
- الفطائح - - - - - ٢٨٣

- الفصل الرابع: العشور - - - - - ٢٩٢
- العشور - تاريخه قبل الإسلام - - - - - ٢٩٤
 - العشور في الإسلام وفي العصر الأول للدولة العباسية - - - - - ٢٩٥
 - من تؤخذ منهم ومقاديرها - - - - - ٣٠١

- بفعل العباسي - - - - - ٣١١
- تاريخ المصاحم في الإسلام - - - - - ٣١٢
 - ديوان الجند في العصر الأول للدولة العباسية - - - - - ٣١٥
 - أهم مصاحم الحروب التي أسسها عليها العباسيون - - - - - ٣٢٠
 - إهمام الخلفاء بمصاحمة الأسلمة وتجنس المعوز : الخصمور
 - وأهم المرواح في العصر الأول للدولة العباسية - - - - - ٣٢٢
 - أقسام المصاحم - - - - - ٣٢٦
 - مولود أخرى لميت المال - - - - - ٣٢٩
 - (١) المولودات - - - - - ٣٣٩
 - (٢) المصادرات - - - - - ٣٤٢
 - (٣) صرفشبه أخرى - - - - - ٣٤٩

صفحة

٢٥٧	تعمل السادس: بيت مال المسلمين في العصر الأول للدولة العباسية
٢٥٨	- تعريف لبيت المال ، والدواوين
٢٦١	- دواوين بيت المال في العصر الأول للدولة العباسية
	- التطورات التي طرأت على بيت المال في العصر الأول للدولة
٢٨٢	العباسية
٢٨٢	أ - بيت مال الخاصة
٢٨٢	ب - بيت المال العام
٢٨٨	- ديوان المعونات
٢٨٩	- شروط كاتب الديوان
٢٩٢	- الدواوين الإدارية
٢٩٣	(١) ديوان المربد
٢٩٦	(٢) ديوان الرسائل
٢٩٩	(٣) ديوان التوقيع
٤٠٠	(٤) ديوان الخاتم
٤٠١	(٥) ديوان الحشم
٤٠٣	(٦) ديوان الخرج
٤٠٦	(٧) دواوين إدارية أخرى

الباب الثاني

مصارف الدولة في العصر الأول للدولة العباسية

٤١٠	الفصل الأول ١ مصارف الركاء
٤١١	- بين مصارف الركاء ومعارف الدولة
٤١١	- الطوائف المستحقة للركاء - الفقراء
٤١٣	- المساكين - ومقدار المعطاة للفقراء والمساكين
٤١٥	- العاملون عليها
٤١٨	- عمال الركاء وقبول الهدايا
٤١٩	- هل هناك عمال للركاء في العصر الحديث ؟
٤١٩	- المؤلفات قلوبهم
٤٢٤	- وفي الرقاب
٤٢٥	- العارمون
٤٢٩	- في سبيل الله
٤٣١	- ابن النسيم
٤٣٣	- هل يشترط توريثها على جميع الأصناف ؟
٤٣٥	- الركاء من الأمه واليهما

الصفحة

٥٢٤	- الأوراق في الدولة العباسية في عصرها الأول -
٥٢٦	موجبه لتبعات في الممالح العامة
٥٢٨	أ - مرجع الدفاع
٥٢٩	ب - موقف العدالة والمحافظة على الأمن
٥٢٩	ج - موقف التكافل الإجتماعي أو الاحسان العام
٥٣١	نتائج الدراسة والخاتمة -
٥٦٥	قائمة المصادر العربية
٥٧٨	قائمة المراجع العربية الحديثة
٥٨٥	قائمة المصادر والمراجع الأجنبية المراجعة
٥٨٨	قائمة المراجع الأجنبية
٥٩٢	معلومات الكتاب
٥٩٧	مخططات من بعض المخطوطات المحققة

الملاحظات التالية

صرح بمقتطفات من بعض المخطوطات المحققة وقد أطلعت عليها في
المكتبات المختلفة خلال زيارتي لها -

وعذر عن عدم ذكر أرقام السح وأرقام المسجل لهذه المخطوطات
بفقدانها -

في ارفع من هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة
 او جزء من هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة
 وهو جزء من هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة
 من التوفيق في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة
 في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة
 في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة

في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة
 في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة
 في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة

في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة
 في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة

في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة
 في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة

في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة
 في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة

في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة
 في هذه المسألة الفاضلة في امور المسألة

هذه هي التكملة الى الموازنة المصنوعة في كتابات رسوم دار الخلافة / للامانة



صورة من مخطوطات كتاب تاريخ ابن خلدون، مكتوب في
 عهد السلطان محمد بن عبد العزيز - مخطوطة دار الكتب
 المصرية (٢٣)

هذا كتاب
الفتاوى المرفقة في أحكام النيابة
الشرعية للشيخ عبد الله محمد بن
قيم الجوزية رحمه الله
برحمته واسكنه
فسيح
جنة
أبي

صورة عنوان السيرة الطيبة لكتاب
الطريق الحكيم في السياسة الشرعية
لدى القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)

وَأَذَلِكَ رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ شَرَحٍ عَنْ قَنَادَةَ فِي مَوْلَا
ثَلَاثَةَ حِفَاطٍ أَحَدُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شُعْبَةَ وَسَعِيدُ
ابْنُ أَبِي عَرُوبَةَ وَسَعِيدُ بْنُ بَشْرٍ الْفَقِيرُ عَلَى قَنَادَةَ
فِي أَنَّهُ لَيْسَ لِوَاحِدِهِمَا بَيِّنَةٌ فَقَدْ اضْطَرَبَ حَدِيثُ أَبِي
مُوسَى كَمَا تَرَى وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فَلَمْ يَخْلُفْ
فِيهِ كَمَا تَقْدُمُ وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ أَنَّ الْمُدْعَيْنِ
إِذَا كَانَتْ أَيْدِيهِمَا عَلَيْهِ سَوَاءً أَوْ تَشَاوَرَتْ بَيِّنَاتُهُمَا
فَقَسَمَ بَيْنَهُمَا نَصْفَيْنِ كَمَا فِي حَدِيثِ سَمَاءَ عَنْ تَمِيمِ
ابْنِ طَرْفَةَ أَنَّ بَعْضَ الْأَخْصَامِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّا أَخَذَ بِرَأْسِهِ
إِلَى الْخُرُوجِ حَدِيثٌ رُويَ عَلَى سَعِيدِ بْنِ

مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ وَعَلَى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

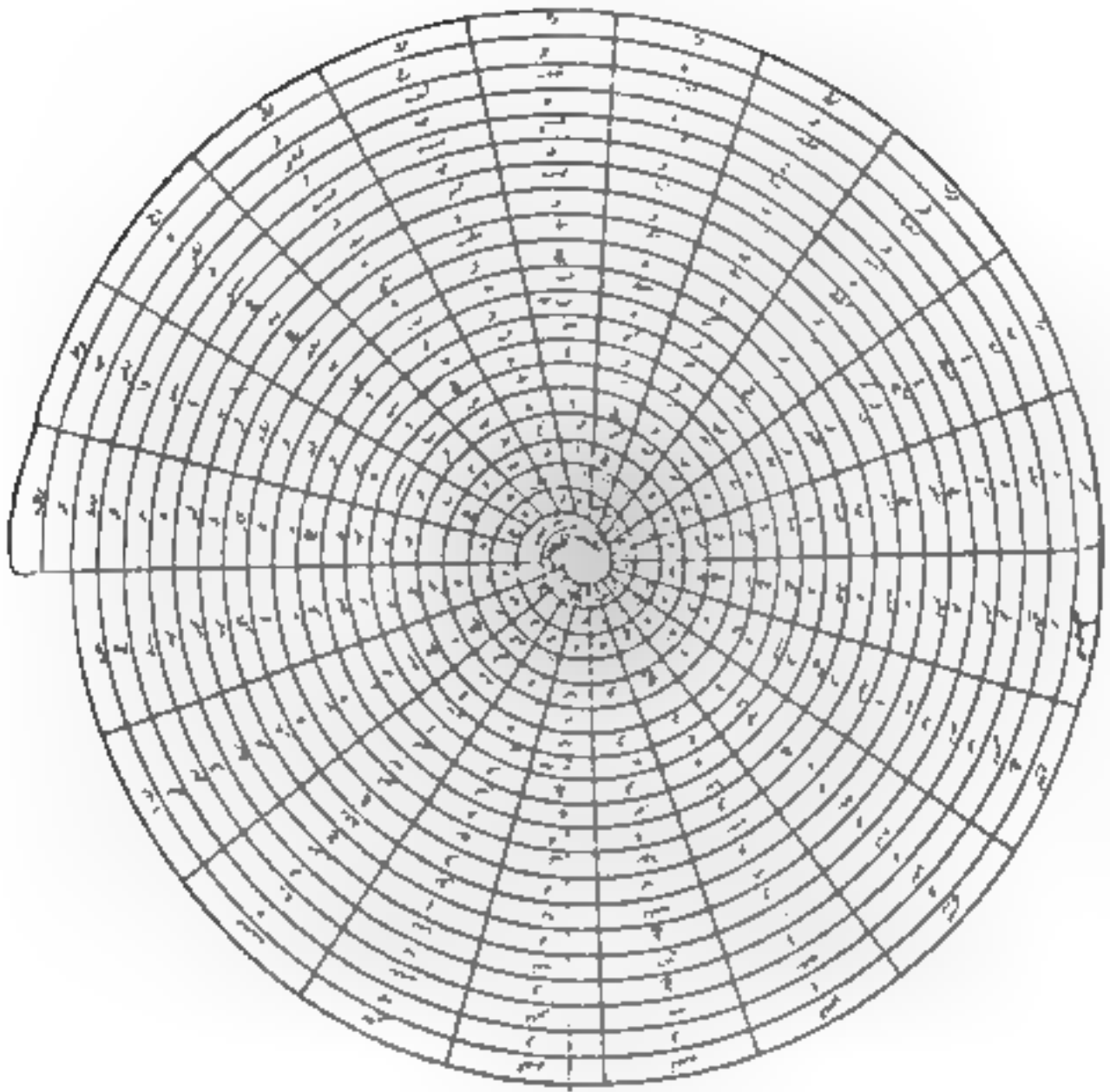
شَدِيدُ الْبَلَاءِ

تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

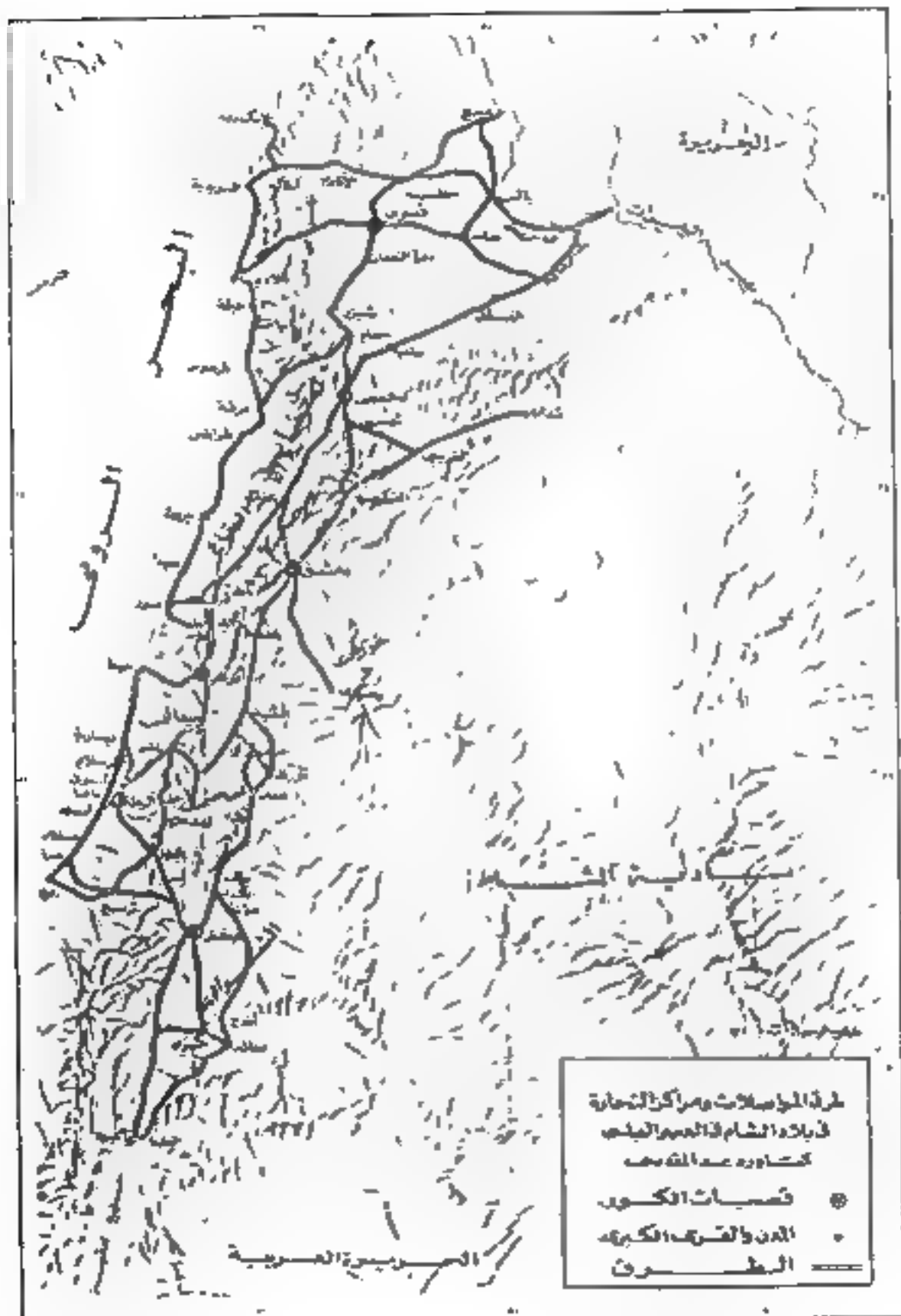
أَبِي

مسودة الصيغة الأخيرة من السعة الأدملية
الخطية، لكتابه الطرق النكفية في السياسة الشرعية
لدى المقم الحورية (ت ٧٥١ هـ)

شكل القوس المثلثي



من كتاب الآثار الباقية من القرون الماضية
للسيد فيح (ت ٤٤٠ هـ)



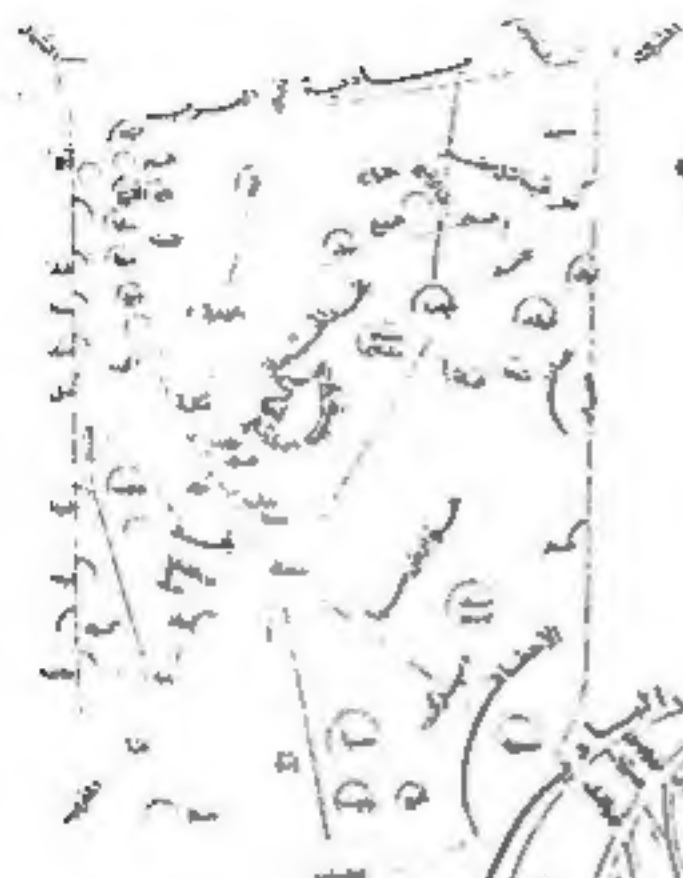


خريطة ١٩

خريطة العالم للإدريسي

خريطة ٢٠

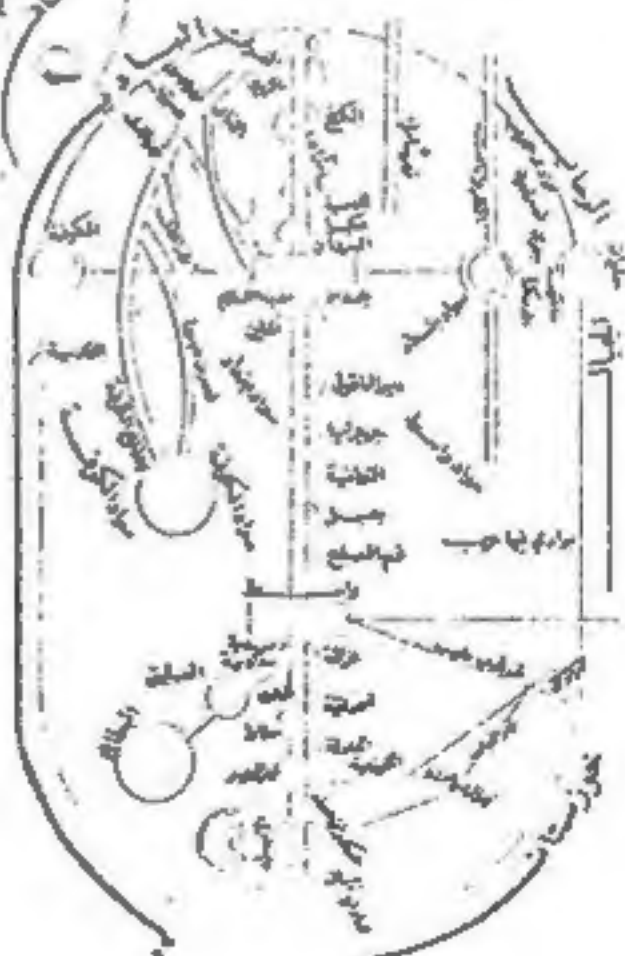




صورة ديار القديسية

المنطقة من سنة ١٩٥٠ م

١:٥٠٠

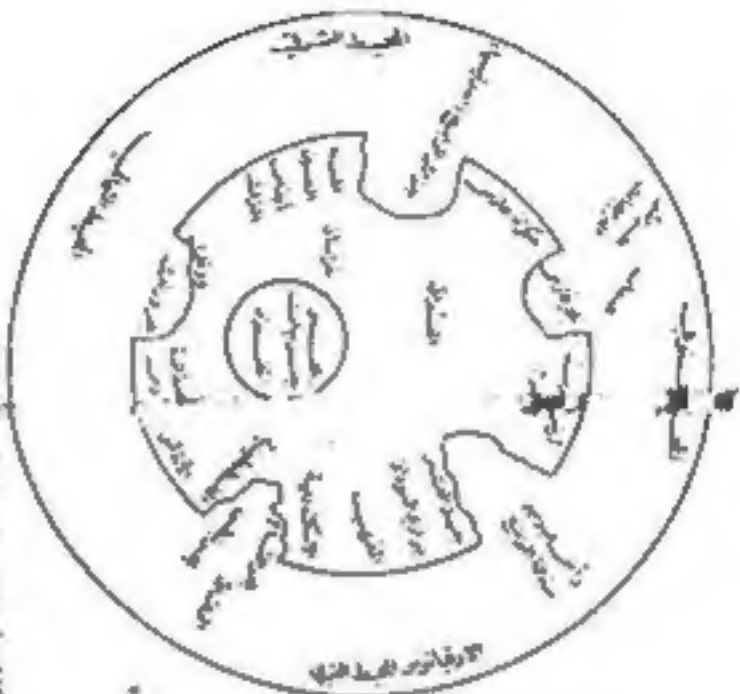


صورة العسراق

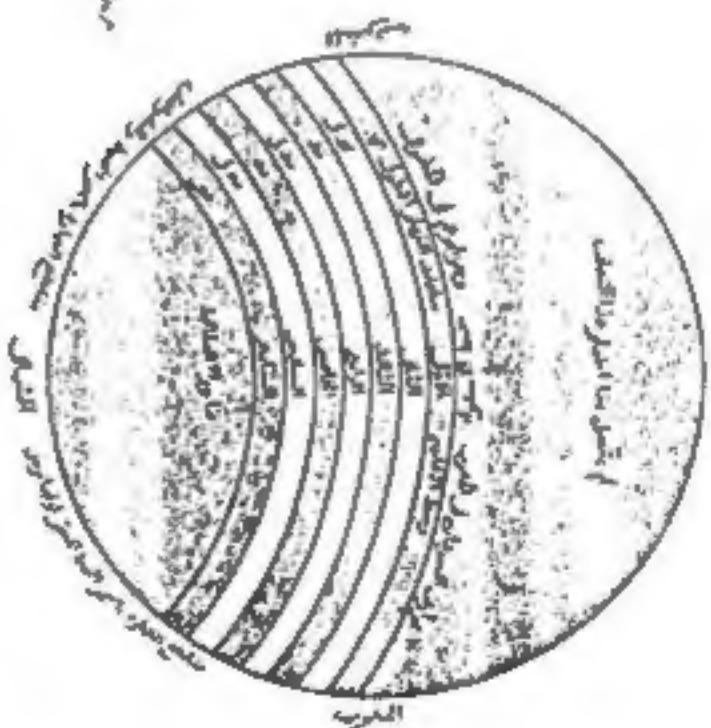
المنطقة من سنة ١٩٥٠ م

١:٥٠٠

١:٥٠٠



كلية فيسكتوب، التجميع الأول، ص ١٢١، التجميع
مختصر، يخطه توبة، يخط البحر، البحر، البحر، البحر



تفسير الأقاليم السبعة كما رسمها البحر، البحر

صورة ديار العرب

للإمامين (المنصورين) ٢٢٢ - ١٩٣٤

مصر ٢٢٢
مصر ٢٢٢
٢ - ١٩

٢



صورة العراق

للإمامين (المنصورين) ٢٢٢ - ١٩٣٤

مصر ٢٢٢
مصر ٢٢٢
٢ - ١٩

